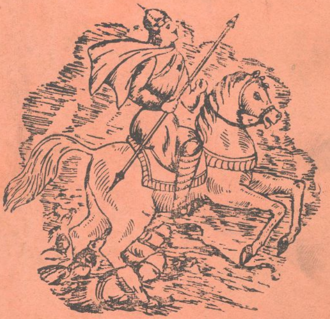
سيرة

الملك سيف

ابن ذى يزن البطل الكرار والفارس المغوار

صاحب البطش والاقتدار المعروف بالغزوات المشهورة



المجلد الاول

تطلب من مكتبة الجمهورية العربية

لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد مراد

شارع الصنادقية بجوار الأزهر الشريف بمصر

سيرة
فارس اليمن
الملك سيف

ابن ذى يزن البطل الكرار والفارس المغوار
صاحب البطش والاقتدار المعروف بالغزوات المشهوره



المجلد الأول

يطلب من
مكتبة الجمهورية العربية
لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد مراد
شارع الصنادقية بجوار الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وهو وكيلنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم المعين ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم سبحانه وتعالى فى كل وقت وحين أشكره شكر عبد خائف خاضع مسكين وأستغفره من كل ذنب ظاهر أوكمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى قائلها من العذاب المهين وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين المخصوص بالشفاعة العظمى فى يوم الدين الذى أنزل الله تعالى عليه فى كتابه العزيز من كلامه القديم إن ولى الله الذى أنزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

(أما بعد) فهذه قصة الأمير سيف بن ذى يزن مبيدأ الكفرة أهل الشرك والمحن فى سائر الأمصار والزمن ومخمد الأسحار والفتن وهى قصة غريبة الوجود والمستعان بالله تعالى الواحد المعبود الذى جعل سر الأولين عبرة للقوم الآخرين وأخبار الأمم الماضين اعتباراً للباقين وفضل دين الإسلام على كل ملة ودين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على الأنبياء والمرسلين ونسأل الله الاعانة والتمكين والتيسير فى هذا الأمر للطالبين ورضى الله عن سائر أوليائه الصالحين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

(قال الراوى) أبو المعالى راوى سيرة أبى الأمصارى وسائق النبل من أرض الحبشة إلى هذه الديار وبالله للتوفيق إنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من الملوك السابقة ذو عز وتمكين ورهبة عند أهـــل القرى والمدن وسكان تلك الأرض والزمن لأن جميع الخلق تخشى من سلاماته والملوك تفزع من هيبته لأنه قوى الأركان شديد البطش والسلطان ولم يوجد له مثال من ملوك الزمان وهو من بنى حمير الدين أخبارهم بين جميع الخلق شائعة وأفعالهم عند الملوك متسامعة وكان اسمه الملك ذا يزن وهو ساكن بأرض اليمن وكان له وزير عاقل عارف بالأمور ليس جاهل واضح البيان فصيح اللسان ذو أدب وكمال كان عزيزاً عند هذا الملك على كل حال مرفوع الرتبة مقبول الكلمة وهو فى عين الرضا وهو المشير على جميع الجيوش مع حسن الذقه والفطانة وجميع الجيوش له مطيعون ولقوله سامعون

وليس له نظير لا فى مشرق الأرض ولا فى مغربها وكان اسمه يثرب وكان قد قرأ الكتب القديمة
والملاحم العظيمة فوجد فى التوراة والانجيل وفى صحف إبراهيم الخليل وفى مزامير داود
عليهما السلام اسم سيدنا محمـــد صلى الله عليه وسلم وهو من آل قريش من بنى هاشم
ووجد صفته وأنه يظهر الاسلام والايمان ويبطل الأديان التى لأهل الكفر والطغيان فى جميع
الأرض ذات الطول والعرض (قال الراوى) فلما قرأ هذه الكتب وعرف مافيها من الباطل
والحق ترك الباطل واتبع الحق وصدق بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الحق وسائر
الأنبياء والرسل فعلم أنهم على الحق عليهم الصلاة والسلام واتبع اليقين وصار من عباد الله
الصالحين وكتم إسلامه عن قومه أجمعين ولم يعلم أحدا بإسلامه وماهو عليه من اتباع النبيين
(قال الراوى) ثم أن الملك ذايزن لما أن تداولت عليه الأيام والشهور والأعوام وأقبل عليه
العيد خرج إلى ظاهر المدينة هو وسائر العالم وجميع عساكره وجنده وكره ولم يبق فى البلد
أحد من الرجال إلا النساء والأطفال فنظر الملك ذو يزن إلى كثرة عساكره عرضا وطولا
فوجدهم عالما لا يحصى بعدد الرمل والحصى فأمر بعرضهم عليه وأمر بعدهم واحصائهم فعدوهم
وأحصوهم فى دفاترهم وأخبروا الملك بذلك وقالوا أيها الملك الهمام والأسد الضرغام إن عدد
عساكرك وجندك أربعمائة ألف فارس قناعس وأربعمائة ألف عمالقة غطارس وأربعمائة
ألف مدرع ولابس وأربعمائة ألف بالعمد والبلط والقوس كأنهم أسود عوابس فلما سمع
الملك ذو يزن ذلك الكلام أخذه الفرح والابتسام وفرح فرحاً شديداً ماعليه من مزيد وقال
وحق الأصنام واللات والعزى ما أحد ملك مثل هذا العسكر الجرار من الملوك الكبار من
مشرق الأرض إلى مغربها ثم إنه التفت إلى الوزير ويثرب وقال له يا يثرب أنا أعرفك أنك
عاقل ذو رأى وتدبير وبالأمور خبير ياهل ترى تعرف فى جميع ملوك الارض صغيرا أو
كبيرا ملكا أكبر أو أعظم وأكثر عساكر منى أو احد اعز جاها منى أو واحد فى القدر
الثانى فقال له الوزير يثرب اعلم ايها الملك الهمام والأسد الضرغام وملك الاحكام بين الأنام
وصاحب الرأى السديد والجد السعيد فى التقريب والبعيد ان فى بلاد المشرق ملكا يقال له
بعلبك صاحب همة وبأس وقوة ومراس وله بطش شديد فى الأحرار والعبيد وعنده عساكر
ورجال وفرسان وأبطال كأنها أسود الدجال لا يخافون الموت ولا يخشون الفوت وهم عالم
لا يحصى بعدد الرمل والحصى ثم إن ذلك الملك جعل له قبة خارج مدينته وتحتها كنزا له قد ملأه
من سائر الجواهر والمعادن والفضة والذهب من ارضه بخروج التبر وتلك القبة مبنية من الفضة
والذهب وفيها من الاوانى والصحون مائة الف وفيها من المصابيح البلور مائة وعشرون وقد من
ظاهرها وهلال تلك القبة قطعة من الجواهر قدر عشرين قيراطا ومن حول تلك القبة بستان فيه

الفوا كه ألوان تنبت بقدرة الرحيم الرحمن وعلى تلك الأشجار طيور تسبح الله بكل لسان وإلى جانب تلك القبة قصر ينفى الهموم ويزيل الغموم من كل محزون وأصكن فيه حريمه لأن ذلك الملك إذا جامع حريمه يهيج فيسمع بهيجه من مسيره فرسخ من يمين وشمال وخلف وأمام (قال الراوى) فلما سمع الملك ذو يزن من وزيره يثرب هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلاما وقال وحق اللات والعزى لابد من المسير إلى هذا الملك الكبير وأسقيه طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر وأنا أعلى ملوك بنى حمير الشهير والحاكم فيهم على الكبير والصغير ولابد من أن أسير إليه وأقتله وأعجل من الدنيا مرتحله حتى يقول الناس كان بأرض المشرق ملك يقال له بعلبك وأدور الكون شرقا وغربا ولا ألقى على أحد حتى لا يكون أحد يدعى فى جميع الأرض طولها وعرضها ثم أنه أقام إلى عصارى النهار بعد ما قرب القربان وانفض الديوان وبعدها ركب وسار إلى داخل السراية وجلس وفرق ووهب وخلع الخلع على أربابها ونادى على سائر الخدام وأنفق عليهم شيئا كثيرا ثم أنه مكث على ملكه فى هناء وسرور مدة من الأيام ثم إنه فى بعض الأيام تفكر كلام وزيره يثرب وما أبداه من المرام فالتفت إليه وقال أيها الوزير أمرتك أن تجهز الركبة إلى بلاد بعلبك وها هى خزائنى بين يديك فقال له الوزير يثرب سمعا وطاعة ومهما امرتنا به نفعله فى تلك الساعة ولا نخالف قولك يا كنزنا نحن إلى الغزو حاضرون ولأمرك طائعون وإلى المسير مبادرون وإلى المشرق متجردون ثم إن الوزير مازال يجهز حكم ما أمره الملك حتى تم ماقال ثم إنه بعد ذلك أتى الملك ذا يزن وقال له اعلم أيها الملك السعيد والمولى الرشيد أن الركبة قد تمت والجيوش قد تكاملت وبرزت إلى خارج المدينة ولم تحتج إلا إذن الملك بالمسير وسرعة الجد والتشمير إلى ما يريد فعند ذلك قام الملك ذو يزن وركب الفيل وخرج إلى خارج المدينة ودار حول الأوردى وتحققه فوجدهم عالما عظيما ففرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال غداة غد يكون المسير إلى المشرق وانصرف وبات الناس على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فركب الملك وأمر بالمناداه فى العسكر بالرحيل فنادوا بالرحيل فعلا على الأفيال ركابها وسارت العساكر فى البرارى والقفار مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أقبلوا على بيت الله الحرام وإذا بالوزير يثرب ترجل ونزل نحو بيت الله الحرام وسجد وقال فى سجوده لا ينبغى السجود إلا للملك المعبود الذى أوجد الخلق من العدم إلى الوجود ثم إن الملك ذا يزن لما نظر الوزير يثرب فعل ذلك الفعل أغتم لذلك غما شديدا وصبر على الوزير حتى فرغ من سجوده وقال له يا وزير لم فعلت ذلك الفعل وبطول ما عمرت ما عملت مثل هذا الفعل ولا نظرتك فعلت هذا الأمر فاخبرنى ماذا يكون السبب فقال له الوزير يثرب اعلم أيها الملك أننا قد أتينا بيت الله الحرام ومنزل ملائكته الكرام والأنبياء

والرسل العظام عليهم الصلاة السلام هذا بيت الله الذى خلق السموات السبع وملأها بملائكته وبسط الأرضين السبع وأثقلها بالجبال الشامخات الراسيات هذا بيت بيت الذى خلق الشمس والقمر والحجر والمدر والفلك الأكبر والليل الأعكر والصبح الأصفر والبحر الأزفر وخلق الدنيا طولا وعرضا وجعل لكل شيء سببا (قال الراوى) فلما سمع الملك من الوزير هذا الكلام قال يا وزير هذا الذى خلقنا ونحن نعبد هذه الأوثان اللات والعزى فقال له الوزير أيها الملك الهمام إن اللات والعزى شيء خلقة الذى هذا بيته فقال الملك ومن عمر هذا البيت فى هذه الأرض الخراب ولم يكن حوله شيء من القرى والبلاد والخدم والسكان العباد فقال له الوزير اعلم أيها الملك العظيم الشأن أن الله تبارك وتعالى أمر آدم عليه السلام أن يسير إلى الكعبة ويعمر البيت الحرام فأخذ حجارة من الجبال التى حوله وقد أعطاه جبريل قوة من العزيز الجبار فأسس الأساس ووضع جبريل عليه السلام القواعد وأظهر لآدم البناء فصار آدم يبنى وجبريل يعلمه حتى أسس الأساس ثم قال له جبريل عليه السلام يا آدم هذا الأساس كما أمر رب الناس بعمارة هذا البيت وأمر آدم أن يحج إليه فى كل عام والملائكة معه إلى أن خلق الله سبحانه وتعالى نوحا عليه السلام وأرسل إلى قومه ودعاهم إلى الإيمان فعصوه فدعا عليهم فأجاب الله دعاءه فأمر ان يتخذ سفينة فعمل كما أمره مولاه أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ففعل ذلك ثم أنزل الله الماء من السماء وانبع من الأرض فصار طوفانا ورفع الله هذا البيت إلى السماء وجعل الحجر الاسود فى جبل أبى قبيس حتى علا الطوفان على رؤس الجبال فطافت السفينة بمكان هذا البيت ونجا نوح ومن معه وأغرق الله قومه ولما أراد الله سبحانه وتعالى إظهار الأرض أمر السماء أن ترفع ماءها والأرض أن تشرب ماءها وانكشفت الجبال والمدن وأمر الله تعالى نوحا عليه السلام ما امره به (قال الراوى) فلما سمع ذو يزن هذا الكلام قال يا يثرب ماذا تأمرنى أن أفعل فى هذا البيت فقال له الوزير يثرب انزل وطف به فأمر الملك بنزول العسكر ثم دخل هو والوزير وهو يعلمه كيف يطوف فهذا ما كان من أمر الملك والوزير (وأما) ما كان من أمر العساكر فانهم لما أمرهم الملك بالنزول نزلوا ونصبوا الخيام والوطاقات والاعلام وانشرحت صدورهم وذبحوا الأغنام وروجوا الطعام هذا والملك يجرى ويطوف حول البيت الحرام وينظر إلى البيت ويتحققه وأطال النظر إليه فاعجبه عجبا شديداً فمال قلبه إلى هدمه وقال فى نفسه لابد لى من أخذه وافتخر به على جميع ملوك الأرض والبقاع وأصير ملكا وسلطانا فريداً لايعلو أحد على أبداً من مشرق الأرض إلى مغربها وأصير ملك الدنيا وأن الملك ذو يزن لما فرغ من ذلك الكلام الذى خطر بباله قال للوزير يثرب امض بنا إلى الصيوان فأجابه الوزير إلى ذلك الأمر والشأن وساروا إلى أن وصلوا إلى الصيوان ودخلوا فيه وجلس الملك على سرير ملكه ومحل عزه وأمر

الوزير بالجلوس فجلس وحكم ماأمره وكان هذا الصيوان من الحرير والديباج وكان على أربعمائة عمود من خشب العود والساج والابنوس وعلى كل عمود عسكرة من الذهب الأحمر وفى كل عسكرة قطعة من الجوهر نورها يأخذ بالبصر تضىء آناء الليل وأطراف النهار ومن داخله مصابيح الجوهر وملوك التبابعة يتوارثونه واحدا بعد واحد حتى انتهى إلى الاسكندر ذى القرنين (قال الراوى) ولما أن استقر بالملك الجلوس والتفت إلى الوزير يثرب وقال أيها الوهبر قصدى أن أهدم هذا البيت وأنقل حجارته إلى بلدى وأبنيه هناك وأفخر به على سائر ملوك الأرض فى طولها والعرض (قال الراوى) فلما سمع الوزير يثرب هذا الكلام قال أيها الملك الكبير والأمير المشير وصاحب العلم الشهير أن البيت العتيد له رب يحميه من جميع المضرات ولا أحد يقدر على هدمه ولا يصل إليه بأذيات أن هذا بيته الأعلى وقد جعله وسط الدنيا فلا تطع نفسك تندم حيث لا ينفعك الندم فقال الملك وحق اللات والعزى لابد لى من هدمه فقال الوزير يا ملك الزمان هذا بناء الأنبياء والملائكة المقربين بأمر رب العالمين (قال الراوى) فعندها امتزج الملك من هذا الكلام بالغضب ومن شدة غيظه أمر باحضار طائفة من المهندسين والبنايين فحضروا بين يديه وكان عدتهم عشرة آلاف ما بين مهندسين وبنائين وقطاعين وغير ذلك فلما حضرو بين يديه قال لهم اعلموا أن هذا النهار قد مضى وفات وفى غداة غد عليكم بنقض هذا المكان باكر النهار وانقضوه حجرا بعد حجر بحساب وكل من كسر حجرا كسرت رأسه وخدت حسه فقالوا له سمعا وطاعة وانصرفوا إلى حال سبيلهم يتحدثون فى أمر هذا الملك الهمام وهدم البيت الحرام فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من الملك ذى يزن فانه جالس فى الصيوان إلى آخر النهار وهو يتحدث مع أصحابه وجنده وأجبابه إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانصرف كل من كان حاضرا فى ذلك المقام وطلب العين حظها من المنام إلى أن أصبح الليل بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وأدق الملك ذو يزن من منامه فوجد نفسة متورما وهو قدر النيل العظيم فصاح عند ذلك صيحة دوى منها ذلك المكان مما اوجده من ذلك الأمر والشأن فدخل عليه أرباب دولته فوجدوه على مثل ذلك الحال فأخذهم الاندهال فقال لهم الملك على بالوزير يثرب يا رجال فغابوا قليلا وعادوا ومعهم الوزير فلما حضر بين يديه قال له ما الخبر أيها الملك السعيـــد فقال الملك الحقنى يا وزيرى وانظر إلى حالى إنى أصبحت وجدت نفسى فى هذا الحال فقال له الوزير يا ملك الدنيا هذا سهم رماك به رب هذا البيت وإن لم تصرف نيتك عن هـــدم هذا البيت الحرام وتؤمن برب زمزم والمقام وإلا نهلك وتشرب كأس الحمام فقال له الملك يثرب اشهد على أنت والحاضرون أنى صرفت نيتى عن هدم هـذا البيت وآمنت بربه وما زالوا على مثل

ذلك القول حتى ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلماته ودام الديموم وظهرت النجوم بقدرة الله الحى القيوم فعبر الملك المنام جل من لاينام ومازال فى نومه إلى الصباح فلما أفاق وأى نفسه صحيحا سليما كأن لم يكن به ألم ونظر إلى البيت فاستحسنه وأعجبه أشد من المرة الأولى فقال فى نفسه هذه كانت علة على قلبى وكانت قد اعترتنى وزالت عنى ولا بدلى من هدم هذا البيت والسلام (قال الراوى) ثم إن الملك ذايزن أرسل فأحضر المهندسين أرباب المصانع فلما حضروا عنده قال لهم فى غداة غد اهدموا هذا البيت وانقضوا حجارته فأجابوه إلى ذلك وانصرفوا إلى حال سبيلهم وأما الملك فانه لما ولى وأقبل الليل بالاعتكار نام فى فراشه إلى الصباح فلما أفاق من منامه وجد نفسه مورما ورما ثقيلا أعظم مما كان أول مرة وما كأنه إلا قطعة لحم من غير يدين ولا رجلين وكأنه بلا عينين وجسده مثل جسد الفار المسلوخ ومشرح تشريح وهو مما لحقه يزعق ويصيح وفى صياحه يقول على بالوزير يثرب المليح فدخل عليه يثرب وحضر بين يديه فقال له الملك أنظر وا أنا فيه وماحل بى من هذا الأمر القبيح فقال الوزير ياملك الزمان وفريد العصر والأوان أنت آمنت برب هذا البيت أول مرة ورجعت عن نيتك ثانى مرة فارجع واصرف نيتك عن هدمه وآمن بربه وإبراهيم الخليل نبيه فأجابه إلى ذلك المقال وقال ياوزير مابقيت أتعرض لهذا البيت بحال من الأحوال ثم أنه صرف نيته عن هدم هذا البيت وبات تلك الليلة وأصبح فوجد نفسه سليما وما به شىء يضره من الآلام فلما رأى نفسه قد رجع سالما رجع إلى نيته الأولى الخبيثة ونقض نيته الصحيحة وبات وأصبح فوجد نفسه أشد من المرتين الاولتين ولم يتكلم فحضر الوزير يثرب عنده فلما حضر أطلق الله لسانه وتكلم وقال أيها الوزير مابقيت أفعل شيئا من هذه الفعال ولا أطمع نفسى بالمحال فقال له الوزير أنت آمنت مرتين ورجعت وهذه الثالثة وأن لم ترجع عن نيتك الفاسدة وتؤمن برب هذا البيت المطهر وهو الرب القادر القاهر الجليل وتؤمن بنبيه إبراهيم الخليل قلبا ولسانا بيقين وإلا تكن من الهالكين وتلحق بالقوم الكافرين ويتبرأ منك رب العالمين وتصير من الخاسرين وإن أنت آمنت برب هذا البيت الجليل وصدقت برسالة إبراهيم الخليل عليه السلام وعلى نبينا أزكى السلام وأتم التسليم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين أبعدك الله عن القوم الكافرين ونجوت من القوم الخاسرين وتصير من الفائزين ومصيرك إلى جنات النعيم وعند خازنها مقيم وعن العذاب بعيد بيقين وتبقى من الشهداء والصالحين سعيد تحت ظل عرش رب العالمين فإن سمعت هذا الخطاب وعملت بهذا الجواب بعدت عن الكفار وحشرت مع الأبرار وتصير فى أمان الستار (قال الراوى) فلما سمع الملك ذو يزن من الوزير يثرب هذا الكلام قال أيها الوزير العاقل اللبيب يامن هو أعز حبيب أشهد أنى قائل على يديك كما يقول الفائزون أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن إبراهيم

خليل الله وكان إسلامه صحيحاً من غير شك ولاريب وآمن بعالم الشهادة والغيب قلبا ولسانا لما قد رأى من قدرة الكريم المنان الرحيم الرحمن وانصرف عنه ماكان بجده من الأسقام وأمر العساكر بالإسلام أن يؤمنوا برب الأنام فاسلموا جميعاً قلباً ولساناً وصاروا كلهم إيماناً ولم يتأخر أحد منهم عن عبادة الرحمن وهذه هدايا من الحنان المنان (قال الراوى) وبعد ذلك أظهر الوزير يثرب إيمانه للملك وقد صار عنده أعز من إخوانه وزادت مرتبته أكثر من الأول ثم أن الملك ذا يزن قعد ذلك النهار وهو فرحان مسرور إلى أن ولى النهار بالابتسام وأقبل الليل بالظلام وطلبت العين حظها من المنام وانصرف كل واحد منهم إلى مضاربه والخيام فنام الملك فى فراشه وغرق فى منامه فرأى فى ليلة هاتفا يقول له ياذو يزن بقى عليك حلاوة إسلامك وهو أن تكسو البيت الشريف فأنت فى بركته وبركة الطائفين به من مشارق الأرض إلى مغاربها فلما أفاق من منامه ولذيذ أحلامه طلب الوزير يثرب إليه فلما حضر بين يديه قص القصة التى جرت عليه فقال له الوزير ياملك الزمان أفعل ما أمرت به فأجابه إلى ذلك وأمر بكسوة البيت خيشا وولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونام الملك فأتاه الهاتف وقال له اكس البيت غير هذا فلما أفاق أمر باحضار الوزير فلما حضر قص عليه الرؤيا فقال له الوزير ياملك الزمان أنت ملك الأرض فى طولها وعرضها وهذا لايليق به ولا يليق بمقامك فأمر الملك بالحرير وأمر الصناع أن يشتغلوا فى الكسوة وكساه وأتم أمره ثم نام تلك الليلة فأتاه الهاتف ثالث مرة وقال له اكس البيت غير ذلك فلما أفاق من منامه أمر باحضار الوزير وقص عليه مارأى فقال له الوزير ياملك الزمان أفعل ما أمرت به فأمر بزركشة الكسوة بالخزف والفضة والذهب ففعلوا ما أمر به الملك ورتب هذا على الملوك من بعده وصار صحيح البدن من جميع الأسقام وشفاه الله عما كان به من الآلام ياسادة ياكرام ثم أن الملك أقام بعد ذلك أياما قلائل وأمر العساكر بالرحيل وسرعة الجرى الطويل من هذا المكان وأن يأخذوا أهبتهم للسفر فباتوا تلك الليلة يجهزوا أشغالهم إلى الصباح فرتب الفرسان والأبطال والشجعان وساروا مقدار سبع فراسخ وفى الفرسخ الثامن أشرفوا على واد أخضر نضر أشجاره باسقة وأطياره ناطقة ومياهه متدفقة وعلى حافتيه غزلان متسابقة وفيه من كل شىء أفنان مثل القطا والسمان والفاخت والكيروان والبلبل والكركى والهزار والشاهين الحبشية والنعام البرية والغربان النوحية والحمائم الأهلية تترنم على العيدان وتسبح على منابر الأغصان بغرائب الألحان لمن له العز والبقاء وعظم الشأن ما بين ذلك ناطق وسابح وباكى ونائح ومحبوس وسارح وذلك الوادى كأنه روضة من رياض الجنان والنهر كأنه الكوثر أو هو كما قال فيه الشاعر حيث يقول :

واد ترنم طيره بغصونه ... يشتاقه الولهان فى الأشجار
فكأنه الفردوس فى نفحاته ... ظل وفاكهة وماء جارى

(قال الراوى) ثم إن الملك ذى يزن أمر بالنزول فى تلك الأرض فنزلت العساكر والفرسان وباتوا فيها تلك الليلة ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح دخل الوزير يثرب على الملك ذى يزن وقبل الأرض بين يديه وقال له أيها الملك السعيد نعمت صباحا وزادك الله فلاحا ونجاحا إنى أعلمك أنى استحسنت هذه الأرض لأنها أرض طيبة زكية الرائحة فأحببت أن أبنى فيها مدينة واعلم أيها الملك الهمام والأسد الضرغام أنى رأيت فى الكتب القديمة والتواريخ والملاحم العظيمة أن الله تبارك وتعالى يبعث فى آخر الزمان نبياً هاشمياً قرشياً اسمه محمد ﷺ وهو أول الأنبياء وخاتم المرسلين ويهاجر من مكة إلى هذه الأرض الطيبة الزكية ويكون بها مسكنه وقبره وأنى أريد من حضرة سعادة الملك أن يعطينى إذنا أن أبنى مدينة وأسميها باسمى وأن هذا النبى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويظهر الآيات البينات والمعجزات الباهرات (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك الكلام قال له أيها الوزير افعل ما بدا لك نجح الله أعمالك وافعل ما تريد وما تختار فقد أذنت لك بالبناء والعمارة وكان ذلك إلهاما من الملك الجبار فقبل الوزير يده ودعا له بدوام العزة والنعم وإبعاد البؤس والنقم وخرج من عنده وفى عاجل الحال اجتهد الوزير فى عمارتها وشق جدارها وأسس أساسها ورفع أسوارها وعمد دورها وقصورها وأجرى أنهارها فلما تمت عمارتها اسكن فيها رجالا من قومه بنسائهم وأولادهم ثم أن الوزير يثرب كتب لهم كتابا وأعطاه لهم وقال احتفظوا عليه وأوصاهم أن يقيموا هم وأولادهم جيلا بعد جيل وأن كل من أتى إليهم مهاجرا من مكة والبيت الحرام يعطون له هذا الكتاب باحتشام فقالوا أيها الوزير المعظم والسيد المعلم كل من أتى مهاجرا نعطيه له فقال لا ولكن اعلموا أن كل من نطقت له الأحرف فهو صاحب المدينة وهذه الأماكن العظيمة ثم أنه سماها باسمه وكتب عليها اسمه مدينة يثرب الوزير المهذب فأخذوا الكتاب ووضعوه فى خزانة عندهم وجعلوا عليه قبة وصاروا يتهادونه ويزورونه ويشاهدونه ولا زالوا يتوارثونه جيلا بعد جيل وقبيلا بعد قبيل حتى بعث الله النبى الجميل صاحب التنزيل وهو محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآلهم وأصحابهم أجمعين فلما ظهر النبى ﷺ وبعث بالرسالة وأنكر على قومه اخرج من مكة مهاجرا بعد أن ظهرت منه المعجزات الباهرات والآيات البينات وأقبل إلى هذه المدينة فلما دخلها وحل فيها أخرج إليه أهل المدينة الكتاب وأعطوه له فأخذه صاحب البردة والقضيب ﷺ وفتحه فنطقت له الأحرف ففداه أهل المدينة بأموالهم وأنفسهم وعيالهم وهم أنصار الرسول ﷺ (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر الكتاب وما فيه من الجواب وأما ما كان من أمر الملك ذى يزن فإنه لما تم ما تم وانقضت هذه الأحوال أمر الرجال بالارتحال وأن يأخذوا الأهبة بعد ثلاثة أيام فلما أن كان اليوم الرابع رحلت العساكر والأبطال والفرسان والرجال والملك

ذى يزن فى أوائلهم كأنه الأسد الغضبان إلى جانبه الوزير يثرب وهو طالب ديار بعلبك وتلك الوديان فعندها رجع إلى طبع العربان وتفكر مابه من هذا الأمر والشأن فأعرب وأطرب وأنشد وقال صلوا على النبى المفضال :

لقد رمت هدم البيت والركن والحجر ... فردنى الجبار بالقهر والقدر
عزمت مرارا مرة بعد مرة ... على هدمه بغيا وقد مسنى الضرر
وقد جاءنى من بعد ذلك هاتف ... وقد كنت أسلمت على غم من كفر
وقال اكس هذا البيت باذا بكسوة ... حللته خزا وديباجا اشتهر
وأقررت أن الله لارب غيره ... وأن خليل الله بالحق قد أمر

(قال الراوى) ولما فرغ الملك ذو يزن من ذلك الشعر والنظام سار يقطع البرارى والآكام مدة من الآيام حتى وصل إلى ديار الملك بعلبك وذلك المكان فأمر العساكر بالنزول فى تلك الوديان وأمرهم أن يحتاطوا بالبلد من كل جانب ومكان فعندها نزلت الرجال والفرسان وفعلوا ما أمر به الملك من ذلك الأمر والشان ونصبت الخيام والسرادقات والأعلام (قال الراوى) فتواترت الأخبار إلى الملك بعلبك بأن الملك ذى يزن نزل على البلد بجميع عساكره فلما سمع الملك ذلك الكلام أخذه الوجد والهيام وأمر أن يكتب كتاب إلى الملك ذى يزن وأن يقال فيه الذى نلتمسه من الملك السعيد أن يخبرنا من أين وإلى أين وما الذى يريد منا وماسبب قدومه علينا ثم أمر باحضار حاجب من حجابه وأمره أن يأخذ معه خمسين فارسا ويأخذ الكتاب ويحضر من عند هذا الملك الجواب فاجابه الحاجب إلى ذلك فى الحال وأخذ من رجاله خمسين من الابطال وسار إلى أن وصل إلى الملك ذى يزن واستأذن فى الدخول عليه فلما وصل إليه قبل الأرض بين يديه ودعاله بدوام العز والنعم وزوال البؤس والنقم ثم ناوله الكتاب فأخذه منه وناوله للوزير يثرب وأمره أن يقرأه عليه فاخذه منه وقرأه على الملك فلما فهم معناه أنعم على الحاجب وأكرمه غاية الاكرام وأحسن مثواه وأمر له برد الجواب بما تقدم فى أول السيرة من ذلك الأمر والشان ومما ذكر له الوزير من ذلك البيان فأخذ الحاجب الكتاب والجواب وسار إلى أن وصل إلى الملك بعلبك وناوله الكتاب فأخذه وقرأه وفهم رموزه ومعناه فهز رأسه عجبا وتمايل على سرير ملكه طربا (وقال الراوى) ثم إنه بعد ذلك أمر باخراج الضيافات والإقامات وإحضار ما يكفى قدر هذا العسكر سبع مرات وأقاموا على هذه الحالات ثلاثة أيام متواليات ولما كان فى اليوم الرابع خرج الملك بعلبك من بلده وركب على جواده وركبت من حوله نوابه وحجابه وعساكره وأجناده وسار طالب الملك ذى يزن فى سرادقه فلما علم الملك ذى يزن بذلك الأمر والحال خرج إلى لقائه فى جماعة الأبطال وسار حتى التقى بالملك بعلبك وسلم عليه فرحب به الملك بعلبك وقبله بين عينيه وساروا إلى أن وصلوا إلى سرادق الملك ذى يزن ونزلوا فيه وجلسوا يتحدثون مع بعضهم

البعض فأمر الملك ذو يزن باحضار الطعام وأن يذبحوا الفصلان والأغنام وبعد ساعة أحضر الخدام الطعام قدام الملوك الكرام فأكلوا حتى اكتفوا وبعدها أفرغوا بواطي المدام فلما دارت فى رءوسهم نشوات المدام أخذوا يتحدثون فيما جرى من تلك الأحكام فقال الملك بعلبك ايها الملك الهمام أخبرنى ما السبب الذى أحضرك إلى هذه الأرض وتلك الأحكام قال الملك ذو يزن اعلم أيها الملك السعيد أنى نظرت فى بعض الأيام إلى كثرة العساكر والرجال والجنود وكثرة المال الذى ليس له حد ودفقلت للوزير يثرب هل تعرف على وجه الأرض ملكا يشبهنى أو يناظرنى فى ذلك الزمان فقال لى الوزير يثرب إن فى بلاد الشام ملكا يشبهك ويناظرك وأشد بأسا منك وأقوى مراساعنك فأحببت أن أنظر إلى ماقال فإما أن أصدقه فى هذه الأحوال أو أكذبه فى هذا المقال وقد سألتنى فأخبرتك بالحال وهذا ما عندى أيها الملك المفضال (قال الراوى) فلما سمع الملك بعلبك ذلك الكلام تعجب وأخذه الضحك والابتسام وقال أيها الملك الكبير الحاكم على جميع الأقطار فى غداة غد ترى ماذكرته ثم إنهم قضوا ذلك النهار فى هناء وسرور إلى أن مالت الشمس إلى الاصفرار وركب الملك بعلبك إلى البلد وثانى يوم خرج من البلد وعرض على الملك ذى يزن عالما لا يحصى كعدد الرمل والحصى وهم جنود مختلفة الأشكال وفرسان وأبطال فلما نظرهم الملك ذى يزن أخذه الانزهال وتعجب من كثرة الرجال وبعد ذلك دخل الملك بعلبك إلى بلده ومكان عزه هو وجميع عسكره وجنده ولما أن كان ثالث الأيام أرسل الملك بعلبك يطلب ذا يزن إلى حضرته ليفرجه على عزه وملكه فبعث إليه من حجابه عشرة مع وزيره الأعظم فركبوا وساروا إلى الملك ذى يزن فلما حضروا إليه قبلوا الأرض بين يديه وتقدم الوزير وقال أيها الملك العظيم أخبرك أن الملك بعلبك يدعوك إليه لتشرفه أنت وفرسانك ومن يلوذ بك من أحبابك وأقرانك فأجابه الملك إلى ذلك فى الحال وخلع على الوزير والحجاب وساروهم فى خدمته ماشين جنب الركاب إلى أن دخل البلد وساروا إلى أن دخلوا على الملك بعلبك واستأذنوا فى الدخول فأذن لهم فدخلوا إلى بستان عظيم الشأن وكان فى ذلك البستان قصر عالى الشأن شديد الأركان حسن البنيان وهو فى الهواء شاهق قد أمن من البوائق وتحيرت فى صفاته الخلائق وطوله نحو تسعين ذراعا وعرضه كذلك قد بنى بحجارة المرمر وهو مرصع بالدر والزمرد الأخضر ولذلك القصر أربعة عشر بابا من النحاس الأصفر الأندلسى لها لمعان يأخذ بالبصر وسقوف القصر تبرق من لمعان الفضة والذهب وهو أعجب من كل عجب كما قال فيه الشاعر المنتخب :

خلعت عليه تحية وسلام	خلعت عليه جمالها الأيام
قصر سقوف المزن دون سقوفه	فيه لإعلام الهدى أعلام
قد شيدت أركانه وتزخرفت	حيطانه وغدا لها إحكام
الدر والياقوت أضحى من على	أبوابه شرفا فليس يضام

وللتاج تاج الملك صيغ بجوهر ... من أنفر الياقوت فيه نظام
فيه العجائب من صنوف غرائب ... قد حيرت من نعتها الأفهام
يحويه هذا الليث والملك الذى ... ذلت له الأزمان والأعوام

(قال الراوى) فلما رأى الملك بعلبك الملك ذا يزن قام إليه وسلم عليه ورحب به وأكرمه غاية الاكرام وأجلسه إلى جانبه على كرسى من العاج مصفح بالذهب الوهاج وبعد ذلك أمر الملك الخدام باحضار الطعام فأحضروه فى أوان من الجوهر والذهب الأحمر مختلفة الألوان ما لها مثال فى ذلك الزمان فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وبعد ذلك أخذ الملك بعلبك بيد الملك ذى يزن وعرض عليه خزائن الأموال فنظر ذو يزن إلى شىء كثير يذهل الإنسان ويغيب الأذهان فقال له أيها الملك السعيد إنى نظرت إلى عسكرك ورجالك وأموالك وذخائرك فبقى عليك حاجة أخرى وهى شجاعتك فإما أن تقهرنى أو أقهرك وكل من قهر صاحبه استولى على ملكه فقال له الملك بعلبك قد أجبتك إلى ذلك الحال وإلى ما ذكرت من المقال وكان بعلبك شديد البأس قوى المراس جبار لا يصطلى له بنار وما عليه فى الحروب غبار ثم إنهم اتفقوا على تلك الآثار إلى أن ولى النهار بالابتسام وأقبل الليل بالظلام وطلبت العين حظها من المنام فانصرف كل واحد إلى مكانه إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فنصبوا الميدان وركبت الفرسان لينظروا ما يجرى بين هذين الملكين من الضرب والطعان فكان أول من نزل الميدان الملك بعلبك فصال وجال وطلب الحرب والقتال وبيده سيف كأنه شعلة نار فبرز إليه الملك ذو يزن وزعق فيه وقال له دونك والقتال وكان فى يده قنطارية كأنه صارى مركب أو منجنيق وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأظهر همته فى حربه وعجائبه وقد اصطدما كأنهما جبلان لأن بعلبك كان عريضا طويلا فى تقاطيع الفيل وما زال الاثنان فى حرب وقتال وطعن بالرمح العسال إلى أن عول النهار على الإرتحال وأقبل الليل بالإنسدال فافترق كل واحد منهم على سلامة ورجع كل واحد منهم إلى أصحابه وباتوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وقد اعتدلت الصفوف وترتبت المئات والألوف فعندها برز الملك بعلبك إلى الميدان وقد جال وصال ولعب على ظهر الجواد فحمل عليه الملك ذو يزن وقد تطاعنا وتضاربا ولا زالا فى عراك واشتباك إلى أن أمضى أكثر النهار وقد أذهلوا العقول وعادت النواظر الصحاح من نظرهما حول وقد رأى الفرسان من قتالهما الهول المهول لأن الفرسان كانت من حولهم تزول وتختلف معهم باختلاف المزاريق والحرب الوثيق وما زالا كذلك إلى آخر النهار وقد افترقا على سلامة وما نال أحد من خصمه أملا ورجع على نفسه بالملامة ولما أن كان فى اليوم الثالث تبادرا وقد حمل كل واحد منهما على صاحبه وفى يد كل واحد منهما عامود من البولاد وجرى بينهما ما يشيب الأولاد وما زالوا على ذلك الحال إلى أن تضاحى النهار وقد كل الملك بعلبك

ومل وبعد عزه وملكه قد ذل فعندها طلب الهرب والفرار فى البرارى والقفار وهو لا يصدق بالنجاة من شرب كاس الفناء فسار أول يوم والثانى إلى نصف النهار إلى أن حمى الحر هجير البر فبينما هو سائر إذ ثار من بين يديه غبار وقد علا وطار وبعد ساعة انكشف وبان من تحته أسد عظيم وهو يمشى ويتبختر ويطير من عينيه الشرر له أنياب أحد من النوائب ومخاليب أشد من المصائب شدون عبوس ضخم افطس أدغم تنظر البرق عن عينيه كأنه القضاء المبرم بشدق كانه القليب وهو كما قال فيه الشاعر الأديب .

وليث عبوس يصدع القلب وثبه ... وترتعد الأبدان من عظم صرخته
بشدق تراه كالقليب ومحجر ... كشعلة نار فى الدياجى وظلمته
وأنياب أمثال الكلاليب إذابدت ... يروع قلب الناظرين برؤيته
إذا ما رأته الخيل هجمت شواردا ... إلى القاع تخشى من عظائم سطوته

(قال الراوى) فلما رأى الأبح بعلبك وهو مقبل عليه فأقبل إليه وقد اجتمع حتى صار كشلشيه وامتد حتى بان ابطه وهدر وزادعتوه وتجبره وهجم على بعلبك وضربه بيديه فرض عظامه فى بعضها البعض وخلط طوله فى العرض فمات اوقته وساعته فهذا ما كان من أمر الملك بعلبك وما جرى له (وأما) ما كان من الملك ذى يزن فانه بعد هروب الملك بعلبك من قدامه احتوى على جميع ماله وملكت يداه من نواله ومملكته وخزائنه وقتل جنوده وعساكره وأقام فى المدينة أياما قلائل وبعد ذلك أقام نائبا من تحت يده يحكم على الرجال أخذ عشرين حملا من المال ثم أمر الرجال بالرحيل وسرعة الجد والتحويل فرحبت جميع العساكر وسارت تتبع بعضها البعض الأبطال والشجعان المعودين بالضرب والطعان طالبين أرض الحبشة والسودان وماز الوا سائرين فى البرارى القفار الليل والنهار حتى وقعوا فى أرض خضرة وعيون جارية منحدرة فتعرب الملك ذو يزن من تلك الأرض النقية البيضاء الكافورية وفيها واد من الأودية الحسان قدزخرف بزخاريف الجنان وفضله على جميع الأودية الملك الديان وهو ذو روح وريحان وروضة وبستان وأدواح وغيطان وفنون وافنان وجبال حسان كأنهن متن حسام يمان مجرد من غمده أو ثعبان سلخ من جلده يفيض ماؤه فيضانا وسواقيه دافقة وأشجاره باسقة وأطياره ناطقة تسبح من له العزة والبقاء يتضاحك الزهر من جنباته وتعبق نفحات المسك من حافته وقد اجتمع فيه من الطيور البلبل والشحرور والزرزور والقمرى والحمام والكركى والهزار والصقور والشواهين والجوارح والفواهد وطيور البحر والنسور العامية ووحش البرية والغربان النوحية والحمائم الأهلية وتلك الأطيار تسبح على منابر الأفنان الملك الديان وذلك الوادى كأنه روضة من الجنان وهو كما قال الشاعر :

وروضة ببديع الزهر معجبة ... كأنها من جنان الخلد قد سرقت

مكسوة باخضرار زائد بهيج ... كأنها من حرير سندس نسجت
لهـــا روائح فاقت كل رائحة ... كأنها بشذى المسك قد عبقت
والمـــاء كالدر يجرى فى جوانبها ... على شواطئه الغزلان قد رتعت
جل الذى أخرج الأشياء من عدم ... اجرى المياه من الصوان إذ نبعت

(قال الراوى) فلما نظر الملك ذو يزن إلى تلك الأرض وحسنها اعجبته غاية العجب ومال على سرجه واهتز من الطرب وقال سبحان من فى علم غيبه قد احتجب ثم أنه التفت إلى الوزير يثرب وقال أيها الوزير إنى أريد الكفاة وبأمور الدهر خبير وإنى قد عولت أن ابنى فى هذه الأرض مدينة تكون ملكالى ولقومى ووطنا من بعدى فقال له الوزير أيها الملك السعيد افعل ما تريد فنحن لك من جملة العبيد فعند ذلك أمر الملك العساكر بالنزول فى هذه المكان فنزلت العساكر والفرسان وأمر من وقته وساعته باحضار جميع الصناع والمهندسين وأمرهم ببناء مدينة تكون مشيدة حصينة فأجابوه بالسمع والطاعة وأخذوا حدودها وشقوا جدارها وحفروا أساسها وحفروا فيها الآبار واجروا فيها الأنهار وغرسوا فيها الأشجار وأقاموا فى شغلهم مدة من الزمان حتى صارت مدينة عظيمة الشأن فلما كملت فرح الملك ذو يزن فرحا شديدا ما عليه من مزيد وارسل من وقته وساعته فأحضر جميع أهله وأقاربه وعشيرته وفرسانه وقبيلته وامر أن ينقلوا أهاليهم وعيالهم ففعلوا ما أمرهم ورحلوا من بلادهم وسكنوا فيها وقر قرارهم وسماها المدينة الحمراء وقعدوا فى هناء وسرور وأكل وشرب خمور (قال الراوى) وبعض الأيام احضر الملك ذو يزن الوزير يثرب إليه واقعده بين يديه وقال أيها الوزير والأب الكبير انظر ما أعطانا الله من الملك العظيم والعز وإنى لابد أن اسطو على جميع الخلق حتى لا يبقى لى مقاوم إلا ذل ولا مخاصم فى جميع الأرض فى طولها وعرضها وعن قريب تصير الحبشة لى وتحت حكمى وملوكها فى قبضتى يعطوننى جميع الخراج واكون أنا صاحب التاج واعيش باقى عمرى فى العز والفخر واحظى بالمنى والنصر فقال له الوزير يثرب افعل ما بدالك يا ملك الزمان فنحن لك من جملة الخدام والغلمان ولكن دستور يا ملك الزمان لك اضرب تخت رمل وارى لذلك اشكال وانظر ما يجرى لك من الأحوال واشير إليه بالشعر والنظام والمقال لأنى قد وجدت فى الكتب القديمة والملاحم العظيمة أنه لابد للملك من ملوك التبابعة الكرام أن يكون على يده إنقاذ دعوة نوح عليه السلام وربما أن يكون أنت أيها الملك الهمام والأسد الضرغام (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك الكلام أخذه الوجد والغرام وفرح وأخذه الابتسام وقال افعل أيها الوزير ما بدالك زين الله أعمالك فأنت وزير دولتى ومدبر مملكتى فعند ذلك فتح الوزير الملاحم ونظر فيها وضرب تخت رمل على اسم الملك وحسب ودقق وولد شكال ونظر فى بيت الداخل والخارج هل هذا

هو الملك الهمام الذى على يده انفاذ دعوة نوح عليه السلام أو غيره من الأنام فرأى أنه ليس هذا ولكن من صلبه واسمه من اسمه ويظهر دين الإسلام ويأمر الناس بعبادة الملك العلام ويكون جميع الحبشة والسودان غلمانا وخداما لأولاد سام بن نوح عليه السلام ثم أن الوزير صار يخبر الملك بما جرى وهو ينشد ويقول :

أيا ملكا فى هذه الأرض قد نما ... ملوك الورى أرض وأنت لهم سما
وأنت كما البدر المنير الذى علا ... عليهم وقد صارو زمانك انجما
ملكت جميع الأرض شرقا ومغربا ... وربك قد اعطاك ملكا معظما
علوت على أعلى الثريا بهمة ... تعيد جلاميد الصخور إلى الحما
حميت من الأعداء أرضك كلها ... وفى الجود كالبحر المحيط إذا طما
وحليت بيت الله خزا مزركشا ... يحير عين الناظرين مرقما
وساعدتنى حتى بنيت مدينتى ... يهاجر فيها سيد الأرض والسما
ويظهر دين الحق شرقا ومغربا ... فيافوز ذاك العصر من كان مسلما
نبى كريم سيد الرسل كلهم ... به الأنبياء رب البرية ختما
على دينه من مات يحظى بجنة ... يخلد فيها دائما متنعما
على ملة الإسلام ربى توفنى ... على دين طه الهاشمى مكرما
وإنى قد أصبحت لاشك مسلما ... فيا ربنا اغفر لى الذى قد تقدما
ومن يثرب سرنا إلى بعلبك ذى الـ ... جيوش فقتلنا وقد ضربنا مهازما
وجئنا مع الجيش العظيم بسرعة ... نزلنا إلى روض وقد حزت مغنما
غرسنا بها الأشجار طابت ثمارها ... وصار لنا ظل ظليل مخيما
بنينا بها حرز الجيوش مدينة ... وصار لنا دارا ومأوى ومعلما
أراد مليك العصر ذو يزن بأن ... يدوس جيوشا للجيوش ويهجما
فقلت له صبرا قليلا ولا تخف ... عدوا ولا زلت على الناس قادما
لكى انى اضرب لك الرمل عاجلا ... واكشف من كتب الملاحم ملحما
فإن مليكا يملك الأرض كلها ... يكن حميريا تبعيا ومسلما
بدعوة نوح داعيا كل أسرة ... لأولاد سام تابعين وخدما
يقاتل أبطال الجيوش بعزمه ... وينقذهم من ظلمة الكفر والعما
فقابلت تحت الرمل بعد ملاحم ... فلم أره هذا المليك المعظما
ولكنه من نسله يأتى عاجلا ... ومن اسمه يشتق إسم له سما
فبالله لاتبغى ولاتك تعتدى ... وقابل بمن يأتيك خصما مخصما
وإن كنت تبغى الشرفاتركه وانتخى ... صوابا فإنى اصح الك معلما

فأنت مهاب عند جمع ملوكهم ويهدوا إليك الخير والمال ومقدما
فعش آمنا فى لذة ومسرة إلى حين يقضى العمر الفرح فاغنما
فيأتيك مولود ويملك أرضهم ويبقى على جميع البرية حاكما
على يده لاشك انفاذ دعوة لنوح نبى الله حكما تقدما
وفى حصره تخريب بلدتكم ذه وأسوارها ترمى جميعاً وتهدما
وتعمر فى أيامه مصر كلها ويجرى بها النيل المبارك خادماً
واقليمها يبقى مدى الدهر عامراً ويسكنها عرب تصاحب أعجما
ومن بعدها تفنى الخلائق كلها ويبقى قضاء الله فى الخلق حاكما
ولابد من موت وبعث وموقف وجنات فردوس ونار جهنما
وهذا الذى قد بان فى الرحل والكتب فألقيته شعرا كدر تنظما
فيا ربنا فاغفر لعبدك يثرب واشهد اللهم أنى صرت مسلما
وصل على جميع النبيين كلهم وخاتمهم طه الشفيع المعظما

(قال الراوى) وهو أبو المعالى فلما سمع الملك من الوزير هذا الكلام أخذه الوجد والهيام من القصيدة العجيبة وأمر أن تكتب بالذهب لما فيها من الأمور الغريبة وشكره على ذلك وأثنى عليه وجعلها مدخرة عنده فى خزائنه وقد شاعت بين الناس ورجع الملك عما كان عازما عليه من الشر والباس وسمع من الوزير نصيحته واتبع رأيه ومشورته وعلم أن الدنيا دول ولا بد أن ينقضى الأجل ويفنى كما فنيت الخلائق وعلم أن ذلك حكم الملك الخالق وقنع الملك ذى يزن بالذى هو فيه وجعل حظه من الدنيا يكفيه ولكنه فرح بالمولود الذى يأتيه ويكون انفاذ دعوة نوح على يديه ويجعل جميع الحبشة والسودان عبيداً وخداماً بين يديه فرجع إلى طبع العرب الكرام وخلع على وزيره الخلع السنية وعلى جميع أرباب دولته وأهل مملكته ووجوه عشيرته (قال الراوى) فوصلت أخباره إلى ملك الحبشة والسودان الحاكم على هذه البلاد والأوطان وكان يقال له الملك سيف أرعد لأن له صوتا كأنه الرعد إذا أرعد لأنه كان جباراً عنيداً وشيطانا مريدا لا يصطلى له بنار ولا يعدى له على جار وكان إذا تكلم ترتعد القلوب من هيبته وتخافه الناس من كبر جثته وكان ملك ملوك الحبش والسودان وعنده كثير من الخدم والغلمان وكانوا تحت طاعته ويسمعون لمقالته ويركبون لركوبه وينزلون لنزوله ويرسلون الجزية والخراج والأموال وتخافه جميع الفرسان والأبطال ويدارونه بالأموال والجوارى وهم مثل البدور ومدينته تسمى مدينة الدور ونصفها فى البر ونصفها فى البحر من عظمها وكبرها وكان عدد عساكره ستمائة ألف فارس من مدرع ولابس فى الحديد غاطس وكان عنده حكيمان شيطانان ملعونان وكان أحدهما اسمه سقرديس النحيس والآخر سقرديس وكان له وزيراً يقال له بحر قفقان الريف قد قرأ كتب المتقدمين

وعلم علم الأمم الماضين فوجد فى الكتب العظيمة والملاحم القديمة أنه يظهر فى آخر الزمان نبى قرشى يختم الله به الرسل والأنبياء الاول فأسلم ذلك الوزير وكتم إسلامه ولم يبين لأحد ماهو فيه من إيمانه من جميع الحبشة والسودان والأهل والجيران وكانوا فى ذلك الزمان يعبدون الكواكب من دون الغالب وبالخصوص زحل من دون الله عز وجل (قال) وفى يوم من الأيام جمع الملك سيف أرعد أرباب دولته ورؤوس مملكته وهما الحكيمان والوزير بحر قفقان الريف وقال لهم انظروا إلى هؤلاء العرب عدماء العقل والأدب الذين نزلوا فى أرضنا ولم يستأذنونا فى ملكنا وإنى عولت أن أغزوهم وأخرب ديارهم وأقتل كبارهم وصغارهم وأنهب أموالهم وعيالهم فقال له الحكيم سقرديس أنا أريد أن أنصحك نصيحة وذلك أنك لا تهترش بهم لا فى قتال ولا صدام ولا حرب ولا نزال ولا خصام فإنى أخاف إن اهترشت بهم أن تنفذ فينا دعوة نوح عليه السلام فقال له الملك سيف أرعد ما تكون دعوة نوح يا حكيم الزمان بين لنا هذا الأمر والشأن فقال له سقرديس اعلم ياملك الزمان وفريد العصر والأوان والحاكم على جميع الحبشة والسودان أنه كان فى قديم الزمان نبى يقال له نوح عليه السلام فأمر قومه أن يتبعوه فى قوله وأمره ونهيه فخالفوه فدعا عليهم فنزل من السماء مطر ونبع من الأرض ماء وقطر فأغرقهم جميعا كل من خالف من قومه ونجا هو ومن تبعه ففى يوم من الأيام نام فى القيلولة وأولاده سام وحام جلوس عنده فهب الهواء على نوح فانكشفت عورته لأجل بيان سر موفصته فتقدم سام وغطى عورة أبيه فأما نظر حام عورة أبيه لم يستره وضحك عليه فانتبه نوح من منامه وما كان فيه من لذيذ أحلام فوجد الولدين يتشاجران ويتخاصمان وكان حام جالسا عند رجليه وولده سام جالساً عند رأسه وكانوا فى ذلك الزمان لم يعرفوا لبس السراويل فلما انتبه نوح من منامه وجد حاما متبسما ووجد ساما غاضبا فقال لهما ما لكما تتخاصمان وما الذى أنتما فيه تتشاجران فذكر له ولده سام ما وقع من أخيه حام وكيف ضحك على كشف عورته ولم يستره (قال الراوى) فنظر نوح إلى ولده حام وهو مغضب ودعا عليه وهو مجاب الدعوة وقال له سود الله وجهك ونسلك وجعل نسلك وذريتك خدما وعبيدا لذرية أخيك سام بن أمك وأبيك وإننا نخاف أيها الملك الحاكم علينا أن هذه الدعوة تنفذ فينا على يد هذا الملك الوارد علينا فعند ذلك بهت الملك قدر ساعة زمانية فبينما هو كذلك وإذا بجماعة تجلدوا ودخلوا عليه وسلموا وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا له ياملك الزمان وفريد العصر والأوان إننا سائرون إلى مدينتك قاصدون فوجدنا فى طريقنا مدينة مكية حصينة فى الأرض الحمراء لم ننظرها قبل هذا الزمان وذلك الوقت والأوان وهى ذات أشجار باسقة وعيون نابعة وغزلان رائعة وغربان ناعقة وطيور صادحة مشيدة الأركان عالية البنيان محصنة الأسوار نضرة للنظار ذات أبراج ترى النار من مسيرة نهار فلما أقبلنا إليها

وقدمنا عليها طلب منا ملكها العشر والغفارة فاعطينا ما طلب من التجارة (قال الراوى) فلما سمع الملك سيف أرعد هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد وشخر ونخر وكفر وتجبر وسب الشمس والقمر والتفت إلى الحكيم سقرديس وهو فى حالة الذل والتعكيس وقال له يا نفيس أنت سمعت ما دار بيننا من الكلام وما أبدوه هؤلاء من المرام وأنى كنت معولا أن أغزو هذا الملك الكبير فهيتنى أنت عن هذا الأمر الخطير فقال الحكيم سقرديس اعلم يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان أنه لو أن فيه قوة لحرب الملوك ما أتى إلى أرضنا وسلك هذا السلوك وبنى هذه المدينة فى بلادنا ونازعنا فى ملكنا ولكن يا ملك الزمان نحن نخادعه ونأخذه بالحيلة والتدبير ويهون علينا زحل العسير فقال له الملك الهمام والسيد القمقام تمام الحيلة والتدبير فى هذا الأمر الخطير فقال له الحكيم أيها الملك الهمام والسيد القمقام الحيلة فى ذلك أن ترسل اليه هدية سنية من جملتها جارية أحسن ما يكون عندك من جواريك ومن أعز خدمك ومحاظيك وتعطيها حقا صغيرا فيه مثقال من السم الخارق وتوصيها أنها إذا اختلت بهذا الملك العظيم الشان الثابت الجنان تسقيه ذلك السم فى المدام أو تضعه فى الطعام فيموت لوقته وساعته ونرتاح بعد ذلك من رؤيته فاذا مات رحل قومه من غير حرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال وتكون هذه الجارية هدية فى الظاهر ودسيسة فى الباطن لفقد عمر هذا الملك الخائن ونرتاح من الحرب والقتال وضرب السيف وطعن الرمح العسال فوحق زحل فى علاه والنجم وما سواه هذا ما عندى من الرأى السديد والكلام المفيد (قال الراوى) فلما سمع الملك سيف أرعد هذا الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال هذا هو الرأى الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أمر باحضار الخزندار لديه فحضر فى الحال بين يديه وأمرهم أن يحضروا هدية عظيمة لها قدر وقيمة عند الملوك الكبار أصحاب الأقاليم والأمصار فقالوا له سمعا وطاعة فأحضروا له ما طلب فى الوقت والساعة من ريش النعام العظيم الشان والخز والديباج وأوان وخيول وجمال وتحف غوال وغير ذلك شىء كثير وبعد ذلك طلب الملك السراية فطلع وجلس على سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج وأمر باحضار الجوارى اليه فحضروا فى الحال بين يديه من حبش وسودان ومحاظ وسرار وغلمان وخدم وحشم فأخذ من كل شىء ما استحسنه ونظر بينهم إلى جارية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل كما قال فيها بعض واصفيها هذه الأبيات حيث يقول والصلاة والسلام على طه الرسول :

بدر إذا بدرت من حول مغربها ... بوادى النوق سار الخلق بالمحن
تمت ملاحتها والشمس تخدمها ... إذا بدت فى مغانى الحى والدمن
كأن سيف أبيها من لواحظها ... يفرى القلوب بلا فرض ولا سنن

كأنما الحسن أخاها وصاحبها كما تصاحب روح الحى فى البدن
لو نادت الميت يوما فى مقابره لقام يسعى ولباها من الكفن

(قال الراوى) فلما نظر الملك سيف أرعد إلى تلك الجارية وما فيها من الحسن والجمال أخذه الفرح والابتهال وقال فى نفسه إنه بلغ الآمال ثم أمر باحضارها اليه فحضرت وقبلت الأرض بين يديه فقال لها الملك سيف أرعد مرادى أن أرسلك إلى ملك العرب مع هذه الهدية فاذا اختلى بك فى مكان فاقعدى معه على هذا البيان واجلسى أنت وإياه وخادعيه بالمحال وزخارف الأقوال وإذا طلب الشراب فاسقيه من هذا المثقال السم الخارق العادل فاذا شرب به يموت فى الوقت والحال من غير حرب ولا قتال فقالت له الجارية يا ملك الزمان أنا أفعل مع هذا الملك جميع ما تريد من الأمر والشان وأعمل معه شيئا أقبح من هذه الفعال وأريك ما أعمل من الأعمال وإذا مات رحل عسكره من غير ضرب نصال ويرتاح قلبك وخاطرك ويطيب عيشك وتهدأ سرائرك فعند ذلك انشرح الملك من كلامها وتبسم فى وجهها وأعطاها الحق الذى فيه السم وقال لها خبئيه ولا لأحد من الناس تظهريه فأخذته وخبأته معها بين ذوائب شعرها فعند ذلك استحسن الملك رأيها ووضع يده بين ذوائب شعرها فلم يعرف له موضعا ففرح بذلك الحال وقال لها أنت صاحبة مكر ومحال وبك أبلغ الآمال ثم إنه شكرها وأثنى عليها فلما جهز الهدية والجوار الحسان الأبكار ومن جملتهم هذه الجارية وكان أصلها من بلاد العجم ومن تلك الأرض والأكم من بلد يقال لها قمرا وكان لما جاء بها جلابها فاستسمى الملك سيف أرعد على بلدها فقال له قمرا والجلاب ومما ها تحفة النار سماها الملك سيف أرعد قمرية وكانت اللعينة صاحبة مكر واحتيال ومناصب وتحسن الكذب وتزخرف الضلال فلما حضرت الهدية وجهزها ألبس الملك هذه الجارية أفخر الملابس وزينها فصارت مثل العرايس وأرسلها مع الهدية وأرسل يقول جميع هذه الهدية إلى الملك التبع الحميرى ذى يزن لأنك بقيت صاحب الأرض والدمن (قال الراوى) هذا ما كان من أمر الملك سيف أرعد (وأما) ما كان من أمر الوزير بحر قفقان الريف أبو ريفه واختها الطريفة فان أصله ونسله من أرض الحجاز وكان قد وقع فى بلاد الحجاز قحط عظيم وغلاء جسيم فطلع أبوه من أرض الحجاز هو وابنه بحر قفقان الريف معه وساروا طالبين المدن والبلاد يقطعون الارض والمهاد حتى وصلوا إلى أرض الحبشة والسودان وتلك الاراضى والبلدان فطاب لهم العيش فاقام بحر قفقان الريف عندهم وتخلق بأخلاقهم حتى اتقن لسانهم فصار له عندهم مقام عظيم ومكان كريم وبعد ذلك تزوج من أرضهم من بنات الملوك الكبار أصحاب الاقاليم والامصار فاخرج الله منه الذرية بنتين فسمى الاولى ريفة والثانية فاريكة على اسم امه وذلك أن الوزير بحر قفقان ريف قد كان الملك أبو سيف ارعد ملك ملوك الحبشة والسودان والحاكم على من هناك من

البلدان وكان يحبه محبة عظيمة وجعله وزيره وصاحب رأيه ومشيره وقدمه على جميع الوزراء والحكماء وعلى تلك الارض والحمى وعلى جميع العساكر الاكابر منهم والأصاغر ولم يعمل شيئا إلا بمشورته وتدبيره ومعرفته وكان يستشيره فى جميع الامور من صغير وكبير لانه بعواقب الامور خبير وكان ذلك الوزير يحب مطالعة الكتب فعرف أن الله عز وجل واحد أحد فرد صمد لاشريك له ولا ولد فعبده حق عبادته ليغفر له ما تقدم من خطيئته وقد ترك الحبشة فى عبادتهم لنجم وزحل من دون الله عز وجل وكان هذا الوزير رأى أن الله يبعث فى آخر الزمان نبيا يظهر البيان ويبطل عبادة زحل والنيران وتتساقط لظهوره الأصنام والأوثان وأنه من خلاصة عدنان واسمه محمد ﷺ وعلى آله الكرام ويكون ظهوره ما بين زمزم والمقام فآمن به الوزير وكتم إيمانه عن قومه وعن جميع أهله وأقاربه وعن الملك الاكبر ومن الحكماء الاصغر منهم والاكبر كما كان الوزير يثرب عند الملك ذى يزن وكان لسانه عربيا وكان فصيح اللسان ثابت الجنان نصيحا عاقلا لبيبا شفيقا وكان قلبه رقيقا وكان يميل إلى أبناء العرب ويحبهم ويطلب قربهم خصوصا إذا كانوا مؤمنين برب العالمين (قال الراوى) فلما رأى ذلك اليوم ما فعل الملك سيف أرعد بمشورة اللعين النحس وهو الحكيم سقرديس طاش عقله وغاب رشده وأخذته الحمية والغيرة الإسلامية وأراد أن يبطل عمل الملك والحكيم بأن يفعل كل كيد عظيم فسار إلى المنزل فى بقية ذلك اليوم واختلى بنفسه وكتب من شرح عقله وتدبيره وفكره كتابا إلى الملك ذى يزن يخبره بالجارية قمرية والسم الذى معها والهدية ويعلمه بما ارسل اليه الملك سيف ارعد ويعلمه انها هدية فى الظاهر ومكيدة فى الباطن فخذ لنفسك الحذر ثم الحذر لانها قاتلة لك لا محالة وانها مكارة محتالة وحلف فى الكتاب انى لك من الناصحين واخبرك انى مؤمن برب العالمين وبرسالة محمد ﷺ خاتم النبيين والأنبياء والمرسلين ثم السلام على الوزير يثرب الجديد صاحب الراى السديد وضمن له الكتاب بهذه الابيات يقول :

سلامى على الملك الحيرى | مليك الورى ساد فى الاعصر | فذو يزن مولاى انت الذى
قتلت العدا بظبا الابتر | مليك مطيع لقول الإله | وما هو فى الحكم بالمفترى
وآمن بالله من صغره | ومن حين آمن لم يكفر | وافنى الطغاة بقتل ذريع
وجاهد فى البيض والاسمر | وجاء إلى مكة سائرا | وقد فاز بالغفر فى المحشر
كسا بيت رب الورى حلة | من الخز والذهب الأحمر | ومنى سلام المسك ختم
على السيد الأمجد الافخر | كذلك وزير له مؤمن | يسمى بيثرب لم ينكر
بنى بالحجاز مدينة عز | على اسم النبى الذى يظهر | نبى يهاجر من مكة
اليها وفيها له منبر | ويظهر دين الاله العظيم لذا | خبر الكتب فى الاسطر
وانى على دينه مسلم | وجد من العرب لم ينكر | وجاء ابى من بلاد الحجاز

وكنت صغيرا ولم أحبر   أقر بتوحيد ربى ولا   أعود لشرك ولم أكفر
سمعت بكم حيثما جئتم   بلاد السيف أرعد الاكبر   وحمراء عمرتموا سادتى
على اسم لجدكم الحميرى   مدينة صارت لكم مسكنا   لحفظك من كل ما يخطر
وأرسل سيف لكم رسله   هدايا نسار بها منظرى   وجارية معها حقة
بمثقال سم لكم مقبر   فحاذر أبا ملك إنها   تريد بكم سوء ما تمكر
سقرديس علها خبثه   وإياك تأمن لها تغدر   وإنى وربى لكم ناصح
وأرسلت كتبى لكم تخبر   وإياك تأمن لها تغدر   وفى كيدهن بحار الندى
وأنى أنا الريف عبد لكم   فكيد النساء قاهر لاينبرى   فيارب صل على من غدا
شفيعا من النار اذ تسعر   وإنى به مؤمن مثلكم   ليشفع لى يوم أن أحشر

(قال الراوى) ولما أن أتم الوزير هذا الكتاب ونظم هذا الخطاب الذى هو أحلى من السكر الجلاب ختمه وطواه ودعا بعبد له قدرباه وكان اسمه نصوح وفى جميع المصالح يروح وكان الوزير يعتمد عليه فى جميع مهماته وقضاء مصالحه فى جميع أوقاته فلما حضر إليه قبل يديه فقال له الوزير ياعبد الخير فقال له العبد لبيك يامولاى يامن برؤيته يزول الهم والضير فقال له هذا كتابى خذه وسر به فى البرارى والقفار واقطع ما بين يديك من المهامة والاوعار إلى أن تصل حمراء الجيش وتقطع تلك الأرض والدمن وتسلم هذا إلى الملك ذى يزن الذى هو مقيم فى تلك الأراضى والمدن وهى أطراف بلادنا فإذا وصلت إليه فحييه بأحسن تحية وأعطه هذا الكتاب وأعجل فى سيرك وهرول فى مشيتك وصل إليه قبل رسل الملك بالهدية فاذا وصلت إليه فأعطه الكتاب قبل وصولهم إليه بتلك الجارية وإياك أن تظهر نفسك لأحد من رسل الملك سيف أرعد لاأبيض ولا أسود واحذر أن يراك أحد فأجابه العبد بالسمع والطاعة وأخذ الكتاب وسار من تلك الساعة وهو فرحان فرحا شديدا ما عليه من مزيد وسار يقطع البرارى والتلال والأودية الخوال وهو مجد فى السير وهو فى دهش إلى أن وصل إلى حمراء الحبش فوافق دخول رسل الملك سيف ارعد قبل دخول العبد لانهم كانوا سابقين وفى السير متتابعين فوقف الرسل على الباب الذى من داخله الملك ذى يزن فلما نظرهم الحاجب قال ماشأنكم وما الذى تريدون ومن اين اتم واردون فقالوا للحاجب اعلم أيها السيد انا رسل الملك سيف ارعد الملك الاكبر هو الحاكم على تلك المدائن والقفر وعلى جميع الحبشة والسودان وجميع هذه البلدان الذى هو مقيم فى مدينة الحبش والذى ينظره يبيت فى دهش وجئنا بهدية من عنده ونريد الملك الهمام ذى يزن فعند ذلك دخل الحاجب واخبر الملك ذى يزن بالأمر والشأن وقال ياملك الزمان أن على الباب جماعة من الحبشة والسودان ويدعون أنهم رسل الملك سيف ارعد صاحب تلك الأرض والأوطان وأن معهم هديه إليك ويريدون الحضور بين يديك (قال

الراوى) فلما سمع الملك من الحاجب ذلك المقال أمر بدخولهم فى الوقت والحال فعندما خرج الحاجب من عند الملك وأذن لهم بالدخول فلما حضروا إليه قبلوا الأرض بين يديه وخضعوا وترجموا وأحسنوا ما به تكلموا ووقفوا اقدامه فسألهم عن حالهم فاخبروه بامرهم وما أتوا فيه من أحوالهم فامر باحضار الهدية فاحضروها بين يديه فلما نظر تلك الهدية أعجبته خصوصا الجارية قمرية فلما نظرها تلك النظرة أعقبته ألف حسرة ولكن فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وأحبها محبة عظيمة لاجل مافيها من الحسن والجمال والقد والاعتدال واستحسن ماعليها من الثياب الفخار وأحبها عن جميع ماعنده من الجوارى لانها غنية عن الملبوس وهى تخجل الاقمار والشموس فامر الحاجب أن يدخل الرسل فى دار الضيافة وأمر باكرامهم فاخذهم الحاجب وأدخلهم فى دار الضيافة وعظم قدرهم واكرمهم غاية الاكرام وادخلوا الهدية فى خزائن الملك الهمام (قال الراوى) وقد كانت هذه الهدية من ظرائف بلاد الحبشة ومن ذخائرها وبعد ذلك أراد الملك أن يقوم من الديوان ويصعد إلى القصر فى أعلى المكان لاجل هذه الجارية قمرية ويدخل عليها فى هذه الساعة الهنية لأنه لما نظرها اشتغل باله وغاب لبه وبلباله واشتغل بها ولم يجد لها صبرا على بعده عنها وقد ملكت حشاه وصميم قلبه وجواه فلما قام من الديوان قام معه الوزير يثرب وقال له إلى أن تريد أيها الملك السعيد لأنه علم أن الملك أحب الجارية حبا شديدا فخاف عليه من الشر والتنكيد فقال له الملك ذى يزن أنا طالع إلى الجارية وأحظى بها وأفوز بوصلها وأطفىء ما بقلبى من أجلها فقال له الوزير يثرب مهلا على نفسك ياملك الزمان أو ماعندك أحسن منها إنسان فربما تكون هذه الجارية مكيدة ودسيسة من عند أستاذها بتدبير أحد الوزراء أو الحكماء وتكون هدية فى الظاهر ومكيدة فى الباطن فالمهملة لك طيبة عليك وعلينا واعلم أننا دخلنا بلاد هؤلاء الحبشة والسودان وبنينا هذه المدينة بهذا البنيان وأقمنا فيها من غير إذن ولا دستور وشيدناها بالأحجار والصخور وعرسنا فيها الاشجار وأجرينا النهور وهؤلاء قوم كفار يعبدون الشمس والاقمار خصوصا زحل من دون الله عز وجل لا لهم دين ولا يعتمدون على يقين ولا يخافون رب العالمين ولم نعلم ما فى بطونهم ولاأخذنا منهم ولا أعطيناهم والصبر لك أولى نافع لك ولنا ياملك الزمان وإلا نروح كاراح الملك من بلقيس أيها الملك النفيس وإنى وحق دين الإسلام خائف عليك أيها الملك الهمام من مكر الحبشة والسودان اللئام وأنهم يكرهون العرب ويخافون من حروبنا والضرب خوفا على أنفسهم من الهلاك والعطب من أجل دعوة نبى الله نوح لأنه دعا على ولده حام وذريته بالسواد لاجل ضحكه عليه من دون العباد لما كشف الريح سوأة ابيه وضحك هو أيضا عليه وأنا أخشى أن يكون مع هذه الجارية سم من الخارق فتضعه فى الطعام أو كاس للمدام فتموت

لوقتك وساعتك ولا تنفعنا ولا تنفع نفسك وهذا ماعندى من الرأى المفيد أيها الملك السعيد واعلم ياملك الزمان أن هؤلاء الحبشة والسودان لابد أن تنفذ فيهم دعوة نوح عليه السلام لأنه مجاب الدعوة بين الأنام ولاشك فى ذلك وأنهم يخافون على مجرى النيل من نزوله إلى الأرض الوطيئة خوفاً أن ينزل إلى مصر فهم جاعلونه على قدر أرضيهم وإذا فاض يجعلون له تصاريف ينصرف فيها إلى الربع الخراب وأنهم لايعملون كما شرع فيه من الكلام مايريد الصحيح والأمر الرجيح وما زال الوزير يثرب يتحدث مع الملك فى مجرى النيل ووادى الأمصار والحبش وغيرهم من الملوك الكبار ويلهيه ويمنعه عما إلا بإذن الحكماء وهذا هو أن يفعله من المرام (قال الراوى) فبينما هم فى مثل ذلك الحال وإذا بالحاجب قد أقبل وهو يقول ياملك الزمان إن على الباب عبد من عبيد السودان وهو يقول قاصد ورسول من عند الوزير بحر قفقان الريف ووزير الملك سيف أرعد ومعه كتاب من عند استاذه وهو يريد الحضور إليك والوقوف بين يديك فقال له الملك على به فرجع الحاجب إلى العبد وأذن له بالدخول فلما دخل عليه قبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والبقاء وإزالة البؤس والشقاء وأعطاه الكتاب فأخذه الملك وأعطاه إلى وزيره فأخذه يثرب وفضه وقرأه وفهم رموزه ومعناه والتفت إلى الملك فى الحال وقال له إن هذا الكتاب من عند الوزير بحر قفقان الريف المفضال وزير ملك الحبشة الانذال سيف أرعد الحاكم على هذه الأراضى والجبال وإن فى الكتاب مانحن نتحدث فيه من المقال وهو أيها الملك الهمام إن فى الكتاب بعد مزيد السلام عليك وتقبيل أياديك الكرام والدعاء لك بطول الدوام وإزالة البئوس والأسقام اعلم أن الواصل لك هدية فى الظاهر ومكيدة فى الباطن ومن جملة الهدية جارية كأنها حورية وهى مالها شغل غير الأذية ومعها حق صغير وفيه من السم الخارق مثقال وقد أرسلها اليك الملك سيف أرعد ابن الانذال لقتلك ويستريح من حربك والقتال والطعن والنزال خوفاً من دعوة سيدنا نوح عليه السلام وذهابها بين الأنام فاحذر ياملك الزمان على نفسك من هذه الجارية ولا تأمن لها طرفة عين وأنا أعلمتك باليقين وإنى أحلف لك بالله العظيم أنى مؤمن برب العالمين رب موسى والخليل إبراهيم ومصدق برسالة الرحمن الرحيم وإنى لك من الناصحين وقد أنذرتك وحذرتك بالمبين والسلام عليك من رب العالمين.

(قال الراوى) فلما سمع الملك ذو يزن هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وتعجب من ذلك الأمر غاية العجب وبان فى وجهه الغضب وقال للوزير يثرب ما أحسنك من وزير بعواقب الدهر خبير وليس لك فى الملك نظير ولكن ياوزير ما التدبير فى هذا الأمر الخطير فقال له الوزير يثرب أقم على حيلك واصعد إلى قصرك وادع الجارية التى تحضر بين يديك وأمرها أن تطلع الحق الذى فيه السم وهددها بالقتل فى الحال وأنك تسقيها كأس

العطب والوبال فعند ذلك قام الملك من حينه وسيفه مشهور فى يمينه وصعد إلى قصره ودخل على الجارية قمرية فوجدها كالشمس المضيئة فلما نظرته نهضت قائمة على قدميها وقبلت الأرض بين يديه وخضعت وترجمت وأحسنت ما به تكلمت ودعت للملك بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم وهى مع ذلك كأنها غزال عطشان أو غصن بان أو قضيب خيزران كل ذلك والملك لا يلتفت إليها ولا يمن عليها وهو شاهر الحسام وهو يهددها ويخوفها من القتل والحمام وقال لها من أين أنت ومن أين أقبلت فقالت له هدية يا ملك الزمان ويا من برؤيته يزول الهم والغم والأحزان من عند سيدى الملك أرعد الحاكم على هذه البلدان أرسلني إليك يا نور الأعيان فقال لها الملك نعم ظهر الحق وبان أنت هدية فى الظاهر وأذية فى الباطن يا ابنة الخوان أما معك حق فيه من السم مثقال أين هو يا شيطانة يا ابنة الانذال وقد أرسله معك لتقتليني فى الحال (قال الراوى) فعند ذلك تبسمت فى وجهه وفى الحال خادعته ولاطفته بمكرها والمحال وحلاوة لسانها والمقال وقالت الله الله يا ملك الزمان فى مثلك من يكون ملكا عظيم الشان وقد مدت يدها إلى ظهرها وأخرجت الحق من ذوائب شعرها وناولته له بمكرها وقالت فى نفسها إن قصر الفهد فيما بدا إن ما صاد اليوم صاد غدا فبذلك يأمنى ويصدقني ويقع حبى فى قلبه ويتمكن فى خاطره ولبه واقتله بغير ذلك شر قتله وأمثل به أقبح مثله (قال الراوى) فلما أخذ الملك الحق منها أحبها حبا شديدا ما عليه مزيد أكثر مما كان يحبها أولا ولما أن شغف الملك بها لم يملك نفسه من حبها وشهوته غلبت مروءته فقام من وقته وساعته رواقعها فوجدها درة ماثقبت ومطية لغيره ما ركبت فاخذ حربة المتجنيق بيده اليسار وضربها ضربة جبار فاخرب صورمدينتها بقدرة العزيز القهار فحملت من ذلك الملك فى ذلك الوقت والحال بقدرة العزيز المتعال لأجل ظهور الولد المفضال الذى ليس له نظير لا فى حرب ولا قتال ولا أحد يقاومه فى المجال ويجرى النيل السعيد فى الأرض وتلك البلاد بقدرة للملك الجبار ولكن سنذكر كل شيء فى مكانة بعون الله وسلطانه

(قال الراوى) وسنرجع إلى سياق كلامنا الأول بان الملك المفضل لما علم الملك ذو يزن أن الجاقية حملت منه أحبها حبا شديدا وعن فراقها لم يقدر يحيد وقد حكمها فى قصره وفى جميع أموره ونهيه وأمره وعلى جميع جواريه ونسائه ومحاظيه وأقاربه وذويه وأعطاها الحكم على جميع ما تملكه يده من المال والفضة والذهب وكل شيء قال فأقامت هذه الجارية على هذا الحال عند هذا الملك المفضال مدة أيام وليال فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما صار لهم من الكلام والخطاب أما ما كان من أمر العبد الذى جاء بالكتاب فاحسن إليه الملك إحسانا وافيا وأعطاه رد جوابه ورده إلى سيده وشكره على نصيحته هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الملك سيف أرعد ملك

الحبشة والسودان والحاكم على تلك البلدان فإنه صار يراسل الجارية قمرية فى الخفية ويقول لها أنا أرسلتك تقتليه أو أرسلتك تصحبيه فأرسلت تقول له ياملك الزمان وفريد العصر والأوان الحاكم على جميع السودان من تأنى نال جميع ما تمنى وأصبر أيها الملك الهمام حتى أبلغ فيه فرصة ولو فى المنام وعما قليل أقتله وعلى الأوض أجندله لأنى وجدته ياملك شديد الحرص على نفسه ولا يركن إلى فى أمر من الأمور خوفا أن أسكنه رمسه وأخمد له عزيز حسه ولكن لابد أن أقتله وامثل به أقبح مثلة (قال الراوى) فمكثت الجارية على مثل ذلك الحال مدة أيام وليال فظهر عليها الحمل فى مدة ستة أشهر كوامل ثم بعد ذلك حصل للملك مرض شديد بأذن الملك المتعال وتمرض ولم يعلم بحقيقة الحال إلا الله تعالى إن كانت الجارية قمرية عملت له شيئاً من مكرها أو من عند الله تعالى فانقطع عن نزول الديوان ولزم الوساد والمكان فلما زاد عليه الحال أرسل للوزير وأحضر جماعة من الرجال وهم حجابه ونوابه وجميع المقدمين على الجيوش والأبطال وجميع خواص مملكته وخلق كثير من أهل دولته وأهله وأقاربه وقال لهم هل تعلمون لأى شىء جمعتكم يارجال قالوا له لانعلم أيها الملك المفضال شفاك الله تعالى من هذا الحال فقال لهم إنى جمعتكم لأوصيكم وصية طيبة ومادمتم عليها أنتم بخير وبحوتم من الهم والضير قالوا ما هذه الوصية أيها الملك السعيد لازلت طول الزمان سعيد فقال الإيمان بالله تعالى الرب الجليل وتصديق الرسالة لإبراهيم الخليل وتصديق محمد ﷺ الذى يظهر فى آخر الزمان وبه تزول عنا الأحزان وببركته ندخل الجنان بأذن الحنان المنان الرحمن الرحيم الذى لايشغله شأن واعلموا ياقوم أن هذه الجارية الجارية حاملة منى وهى الحاكمة عليكم من بعدى إلى أن تضع حملها وتربيه حتى يبلغ الولد ما يتمناه ويشتهيه فإن كان ذكرا كان هو الحاكم فيكم والمشار إليه عليكم وإن كان أنثى كان الذى يتزوجها هو الحاكم عليكم وإن من عادة الملوك لايزوجون إلا من أهل المملكة ولايزوجون الغريب وهذا هو شأنهم فى عصرهم وأوانهم وخصوصاً إذا كان أقرب الناس إلى المملكة .

(قال الراوى) فلما سمع الرجال من الملك ذلك المقال وشرطه عليهم بذلك الحال أخذتهم الحيرة والانذهال وقالوا ياملك الزمان نحن خدامك وبين يديك وغلمانك لجميع ماقلت لنا نحن له سامعون ومهما أمرتنا فإنا له طائعون ولمن استخلفته علينا ياملك الزمان ونحن اتباع المملكة التى امرتنا بطاعتها على ذلك الأمر والشان فادع لنا بخير وإزالة الهم والضير هذا ما كان من أمرهم وانصرفوا إلى حال سبيلهم (وأما) ماكان من أمر الملك ذى يزن فإنه أقام بعد ذلك أياما قلائل وانقضى نحبه ولحق بربه ومات وكانه ماكان فتصارخ عليه أهل الديوان والبنات والنسوان ثم أنهم بعد ذلك غسلوه وكفنوه وصلوا عليه صلاة الموتى ومضوا به إلى الزاوية التى بناها فى المدينة وقرأوا عليه صحف لإبراهيم الخليل عليه السلام ثم كتبوا على قبره هذه الأبيات بعد

الصلاة والسلام على صاحب المعجزات :

ياعين غطى بالدموع محاجرى	واروى نبات منازلى ومحاجرى
وابـكى الدماء على وفاة مليكنا	زين الملوك ونور ذاك الناظر
التبعى الحميرى والشهم الذى	أغنى الجيوش ومن أتى من زائر
وهازم اللذات قد جاء بغتة	وأتى له مثل الرسول الزائر
قد مات من أهل المكارم سيد	سكن اللحود باذن رت قادر
ومضوا به ليلا وساروا بركبه	مهلا على السفر الطويل القاهر
قد فارق الخلان مع أوطانه	أحبابه تبـكى بدمع ماطر
ونساؤه تندبه مع حرقة	لما أتاهم نعيه فى الحاضر
فعليه من رب رحيم رحمة	وعظيم مغفرة الإله الغافر
وأحله وسط الجنان بفضله	وبعفوه وبحلمه المتبادر
وصلاة ربى والسلام على النبى	المصطفى الهادى لكل عشائر

(قال الراوى) ولما أن توفى الملك ذو يزن وفاتت وفاته سبحان من يدوم عزه وبقاؤه تولت الجارية الخبيثة قمرية الخائنة الرديه على المملكة وحكمت وأمرت وولت وعزلت مدة من الزمان وهى على ذلك الأمر والشان إلى أن كملت أشهرها وجاء وقت ولادتها لجاءها الطلق بإذن خالق الخلق فوضعت غلاما ذكرا كأنه البدر إذا بدر فى ليلة أربعة عشر على خده شامة خضراء كما كانت على خد أبيه لأن ملوك التبابعة تعرف بها من قديم الزمان فلما وضعته قمرية ورأته على هذا الحسن والجمال أخذتها الغيرة الشديدة وقالت فى نفسها إن قعد هذا الغلام وعاش أخذ منى المملكة ويحتوى على ما تحت يدى من المال والشجعان والأبطال ولكن ياقمرية اصبرى لعل زحل يساعدك بالخير على موت هذا الغلام وصارت كل وقت تدعو لزحل وتطلب منه موت هذا الغلام ولم تشبعه من الرضاعة ولا تهنيه بها ومرادها أن ينشف مصرانه ويموت وكان أمر الله بخلاف ذلك فصار الغلام كل يوم فى زيادة وكمال وحسن وجمال ولم تعلم الملعونة أن الله خلاف الظنون وهو يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير الذى خلق آدم من طين وخلق أولاده من ماء مهين فصبرت قمرية على هذا الحال وهى فى كل يوم فى حيرة وانذهال وقد زادت غيرة وحسدا وغيظا وكمدا وصبرت عليه حتى كمل له أربعون يوما فاجتمع الوزراء وأرباب الدولة وأرباب الديوان وقالوا لها يامـلكة الزمان أرينا ماـكنا حتى نراه ونخدمه ونرعاه فأجابتهم إلى ذلك المقال وقد غابت وعادت ومعها الغلام

فى الحال وطرحته على كرسى المملكة بين الرجال الكرام ووقفت العبيد والخدام فعندما نظره الوزراء فقاموا على الأقدام وكذلك الحجاب والنواب وجميع ارباب الدولة كل ذلك يجرى وقمرية واقفة من وراء الستار تنظر مايفعل هؤلاء فازدادت حسدا وحقدا وغيظا كمدا وكادت من كثرة الغيظ أن تنفطر فقالت فى نفسها لابد من قتل هذا الولد ابن الزنا وأورده موارد الهلاك والفنا وأنا أفضل على كرسى المملكة وحدى ولا أتركه ينازعنى فى ملكى ولا أخلى هذا الولد يحكم من بعدى فلا كان ولا استكان ولا عمرت به أوطانا (قال الراوى) وبعد ذلك وقفت تسمع ما يجرى بينهم من الأمر والشان وإذا بالوزراء وأرباب الدولة تسمعهم قمريه يقولون جئت أيها الملك السعيد إلى مملكة والدك ياسيد ونحن لك من جملة العبيد كل ذلك يجرى وقمرية تسمع وقلبها كاد أن ينقطع وبعد ذلك أخذته ودخلت به القصر وهى فى هموم مالها حصر وكادت تنفطر من البكاء والقهر فوضعته على الأرض وقالت على أقدامها وأخذت قطعة سلاح بيدها وهى مشط من نصف سيف وقد منع الله من قلبها الفزع والخوف ورفعت يدها اليمين بالسلاح وأمسكت رأسه بيده الشمال وأرادته أن تضربه على رقبته لترميها من جثته وإذا يدها قد يبست بأمر الله تعالى لأمر يريده الله وهو طول عمره وبقاءه والداية دخلت عليها وصارت قدامها وهى تعالج يدها لتقتل ولدها فقالت لها الداية ايش تريدين أن تفعلى من الفعال وما الذى خطر ببالك من الأعمال فقالت قمريه ياداتى اكتمى سرك ولا تبديه لأحد من أهلك أن مرادى قتل هذا الولد ابن الزنا وتربية الخنا لأرتاح منه ولا أريد أن اسمعه ولا أنظره فانه متى عاش وكبر أخذمنى المملكة ولا يمكنى أن أفعل سكونا ولا حركة فعند ذلك قالت لها الداية مهلا عليك يابنتى لأنك إذا قتلتيه ندمت فان قتلتيه علم أهل المملكة بذلك الحال فيتهادر إليك الرجال فيقتلونك أشر قتله ويقبحوا بك أقبح مثله وتصيرى عبرة للمعتبرين وموعظة للمتبصرين فقالت لها قمرية وعليها الخزى من رب البرية لابد لى من قتله واستريح منه ومن شكله لأن هذا الولد يطلع صاعقة ونار محرقة فلا تعارضينى أيتها الداية فى هذه الفعال ولابد من قتل هذا الولد ابن الانذال وأصير أنا الحاكمة على المملكة والرجال والوزراء والحجاب والأبطال فقالت لها الداية أيتها الملكة السعيده جعلك زحل مو فورة العقل رشيدة أى ذنب فعله هذا الغلام حتى تذيقيه الآلام وتسقيه كاس الحمام فاجعلينى مشورتك لأمر يكون لزحل فيه قضاء ويكون فيه راحتك والرضا فقالت لها قمرية ياداية الخير ويامن برؤيتها يزول عنى الهموم والضير وما المشورة التى تشيرين على بها وما الذى تريدينه من الحاجات حتى أفعله فقالت الداية أن كان لابد من هلاك هذا الغلام أن تسقيه كاس الحمام فارسليه مع أحد الخدام لاجل أن يرميه فى البرارى والآكام ويكون بعيدا عن هذه الأوطان فان عاش عاش لامله وإن مات لاجله (قال الراوى)

فلما سمعت قمرية من الداية هذا الكلام أخذها الفرح والابتسام وأعجبها ذلك الأمر والشان وزالت عنها الهموم والأحزان وقالت لها ياداية هذا الرأي والصواب والأمر الذي لا يعاب وهذا هو أحسن من الذي كنت عزمت على أن أفعله من الفعال والرأي الذي كنت سأعمله من الأعمال وأنا مطيعة لأمرك وسامعة لقولك افعلي ما بدالك نجح زحل أعمالك ومازالوا على مثل ذلك الكلام حتى ولى النهار بالابتسام وأقبل الليل بالظلام فأقبلت الداية على قمرية وقالت لها يامليكة الزمان هاتي عقد جوهر غالي الأثمان ومعه من الدنانير ألفان فأجابتها قمرية إلى ذلك الأمر والشأن وغابت وعادت ومعها جميع ماذكرته الداية في الحال فأخذته منها وجعلت العقد في رقبته وألبسته ثوبا من الديباج الحرير العال مزركشا ليس له مثال وبعد ذلك طلبت الهجان وأمرته أن يحضر لها هجينا يكون عاليا سمينا وجوادين من أنفس الجياد يصلحان للحرب والجلاد فاجابها إلى ذلك المقال وغاب ساعة وعاد ومعه الهجين والجوادان فأخذتها قمرية منه وقالت له امض إلى حالك فما هنا أمر موجب لاشغالك فتركها وانصرف عنها وبعد مضي الهجان وضعت على الهجين ماء وزادا وركبت الداية أحد الجوادين وقمرية وابنها الجواد الثاني بلا مين وخرجا معا من المدينة وطلبا البراري والتلال والسهول والجبال مدة أربعة ايام وليالي وفي خامس يوم نظرت قمرية وقد أقبلوا على واد فسيح ومرج صبيح ونظرت إلى شجرة شوك فنزلوا في ذلك الوادي هناك وجاءت إلى تلك الشجرة وفرشت تحتها وهي فرحة مستبشرة ووضعت الغلام والكيس الذي فيه الألف دينار تحت رأس ذلك الطفل الصغير وقد رفع الله الشفقة منها والرأفة من قلبها وتركته ومضت إلى حالها وهي فرحة بما نالها من ذلك البيان وقد زالت عن قلبها الاحزان وقد صفا وراق لها الزمان ومن كثرة ما نالها من الفرح والقبول أنشدت تقول :

قد اشتفى قلبي من ابن اللئام	ماكان لي قصد سوى قتله
رديء اصل فهو نسل حرام	
لا رتقى من زحل اعلى مقام	مشارك في الملك طول الدوام
ابقى بعز دائم ليس لي	
نهتني الداية عن قتله	فكان رايا صائبا محكما
وامرت برميه في الآكام	
يسره لي زحل كالمرام	يعيش الطفل بين الانام
فلا سقا زحل غيثه كيلا	

لانه ان عاش لي ساءني وإن يمت ما بلغت الإبرام

(ياسادة) ولما ان فرغت قمرية من ذلك الشعر والنظام سارت تقطع البراري والآكام وهي على ذلك الشأن إلى ان وصلت إلا بلادها والأوطان فهذا ما جرى لهؤلاء (واما) ما كان من امر الغلام فان هذا الوادي الذي رمته فيه كان في الاصل مدينة عظيمة فأقام بها الموت حتى اخربها واهلك نساءها واهلها فهي قفر خراب ينعق فيها البوم والغراب

وكان حولها بلدان عامرة بالرجال والنسوان والخدم والغلمان فأتى إليها القحط والغلاء وقد أشرفوا على الهلاك والبلاء فسار أهل هؤلاء البلدان إلى أن اتوا إلى هذه المدينة الخالية من السكان وصاروا يخربونها ويأخذون ما كان فيها إلى أن سارت مثل ذلك الحال وهي كأنها من بعض الجبال الخوال ونبت فيها بإذن الملك المتعال .

(قال الراوي) فلما وضعته قمرية الغلام الصغير تحت تلك الشجرة في الحر والهجير كان هناك جحر غزالة والدة ولداوهي آمنة من نوائب الردى وكانت هذه الغزالة خرجت ترعى في البر فنظرها صياد الوحوش فسار خلفها ولم يزل تابعا أثرها إلى أن جاءت عند هذه الشجرة ففرت في البر على وجهها فرجع الصياد من خلفها عند هذه الشجرة ووقف ينظرها فوجد أولادها فأخذهم ومن أمهم حرمهم وكان بقضاء الله وقدره حين أخذ الصياد أولاد الغزالة جاءت قمرية هي والداية ووضعوا الغلام تحت هذه الشجرة وتركوه ومضوا إلى حال سبيلهم وقد أيقنوا أنه مقتول بظنهم ثم رجع الصياد إلى الصيد ونصب شركة في البيداء فجاءت تلك الغزالة فوقعت في الشرك فمزقته وأخذت منه قطعة في رجليها بعد ما خرقته ومضت إلى تلك الشجرة فاغتاظ الصياد من تلك الغزالة التي مزقت شركه وهو قاعد في فلاته فصعب عليه وكبر لديه ولم يزل يطرد خلفها إلى أن وصل إلى تلك الشجرة فوجد هذا الغلام الصغير فأخذه العجب والافتكار وتعجب من ذلك الأمر الذي قد سار وقال هذا عجب عجيب وأمر غريب غزالة تلد ابن آدم وكان هذا الغلام مكث تحت الشجرة ثلاثة أيام وكانت الغزالة لما أخذ الصياد أولادها ورجعت ولم تقف لهم على خبر ولا وقعت لهم على جرة أثر ووجدت هذا الغلام وهو مرمى مكانهم في تلك البراري والآكام وهو يصيح من الجوع في تلك الفيافي والربوع فحننها الله تعالى إليه فشفقت عليه والقت ثديها في فمه فأخذه ومصه فاعتادت عليه ولم تزل كذلك إلى أن جاء الصياد ونظر إلى ذلك الابراد فمال إليه وأخذه من يديه وأخذ الكيس الذي فيه ألف دينار وقد أخذه الفرح والاستبشار وبعد ذلك مضى إلى داره وأعطاه لزوجته وقال لها خذي الذي رزقنا به في هذا اليوم وقد ذهب عنا التعب واللوم فقالت له زوجته يا رجل وما الذي نعمل به نأكله أو نشربه فقال لها إن هذا هدية من عند الله فاني وجدته في جحر غزالة وهي ترضعه وتحن عليه وتشبعه (قال الراوي) فلما سمعت المرأة ذلك الكلام أخذها الوجد والغرام وتعجبت من ذلك المرام وقالت أن هذا لعجب عجب غزالة تلد ابن آدم إن هذا شيء غريب فقال لها الصياد أما أقول أنا فان هذا الغلام من أولاد الملوك الكبار أصحاب الاقاليم والامصار وإنني رأيت تحت رأسه كيسا فيه ألف دينار وللامارة عليه دلائل وآثار لأنه رآه حسن الصورة ففرحت به المرأة لما رأت فيه من الحسن والجمال ثم أن الصياد قال لزوجته

يا أمرأة احفظي هذا العقد والمال نصرفه علينا فهو يغنينا وكان هذا الصياد قاطنا فى هذه المدينة وكانت حصينة مكينة وكان يقال لها مدينة الدور وكان ملكها يقال له الملك أفراح وهو فارس جحجاح وليث فى الحرب والكفاح وكان جبارا لا يصطلى له أحد نارا ولا يهدى له جار ويعبد زحل دون الواحد القهار وهو مع ذلك تحت يد ملك الحبشة والسودان الملك سيف أرعد الحاكم على الأرض والفدفد وكانت جميع الناس وجميع ملوك الحبشة والسودان وملوكها الحاكمين على تلك البلدان كلها تحت حكم الملك أفراح وما كان عند الملك سيف أرعد أعظم منه مقاما ولا أعلى منه قدرا ولا أنفذ كلاما وكان يركب فى عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس وليس ممارس جبابرة عتاة لا يخافون الموت ولا يخشون الفوت (قال الراوى) وقد بات الصياد إلى أن جاء الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فقال لزوجته أن هذا الغلام من أولاد أحد الملوك الكبار أصحاب الأقاليم والأقطار فأنا آخذه وأعطيه للملك أفراح فيه يكمل سرورنا والأفراح فيربيه فى مملكته فهو أولى به منا ونحن يكفينا هذا المال لانه زينة النساء والرجال فقالت له المرأة افعل ما تريد فانى عن أمرك ما أحيد فعند ذلك قام وأخذ الغلام وقد ذهب عنه جميع الآلام وذهب إلى قصر الملك أفراح وهو فى فرح وانشراح إلى أن وقف تحت القصر وهو فى ذلك المكان وصاح يا ملك الزمان فلما سمع الملك أفراح صياح الصياد قال على بهذا المادى الذى تحت قصرى وباسمى ينادى فتجاوروا إليه وتجاذبوه من يديه وأتوا به إلى الملك فوقف وقبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم فقال له الملك أفراح أنت المنادى بالصيحة فقال له الصياد نعم أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد فقال له الملك وما حاجتك التى تصيح بها وما الذى تريده من الحاجات حتى أبلغك إياها فقال الصياد اعلم يا سيدى أنى رجل صياد أصيد الوحوش والغزلان من البرارى والقيعان والبارحة خرجت على عادتى وما أنا عليه من قديم مدتى ونصبت الشرك فى ذلك البر الاقفر فأتت غزالة وهى تمشى وتبختر فوقعت فى الشرك فمزقته وطلبت البر وقد خرقته وأخذت قطعة منه فى رجلها وهربت فى البر على وجهها فتبعت أثرها وإذا بها أختبأت منى فى شجرة أم غيلان فى تلك البرارى والصحارى فاتيت إلى هذه الشجرة وأنا حردان فوجدت هذا الغلام تحت هذه الشجرة وتحت رأسه كيس من المال فيه ألف دينار فى رقبته عقد من الجواهر الكبار فقلت لزوجتى أظن ان هذا الغلام ابن ملك همام فلا يصلح إلا ان يكون هدية للملك افراح ومن به تزول عنا الهموم والاتراح وقد سألتنى فاخبرتك وبقصتى اعلمتك (قال الراوى) فلما سمع الملك افراح هذا الكلام أخذه الفرح والإبتسام ومد يديه فأخذ الغلام ووضعه على حجره فنظر إلى وجهه فتبسم الغلام لما نظره فلما رآه الملك افراح متبسما ألقى الله محبة هـــذا الغلام فى قلب هذا الملك الكبير

وقد نظر الملك إلى الشامة التى على خده اليمين فصار يتعجب من هذا الجبين فبينما الملك على ذلك الحال وإذا بالديوان قد اهتز بالرجال وضجت الشجعان والأبطال فسأل الملك عن الخبر وما الذى جرى من الأثر على هؤلاء الرجال والبشر فقال له بعض الحجاب اعلم أيها الملك النفيس أنه قد وصل إليك الحكيم سقرديون أخو الحكيم سقرديس فى موكبه الخاص والعام ومعهم خلق كثير من الغلمان والخدام وقد أتى إليك أثرا وإليك مبادرا فلما سمع الملك من الحاجب هذا الكلام قام واقفا على الاقدام وركب من وقته وساعته فى جميع أهله وقرابته وحجابه ونوابه وجميع من عنده من الرجال الكبار وتلقوا الحكيم سقرديون من بعيد عن الديار وتلقاه وأكرم مثواه وحياه بعدما ترجل إليه هو وسائر الفرسان وجميع الاهل والإخوان (قال الراوى) وكان الحكيم الذى أقبل من ذلك البر والفدفد حكيم مملكة الملك سيف أرعد وهذا الحكيم سحار مكار لا يصطلى له بنار يقال له سقرديون النجيس أخو الحكيم سقرديوس لأنه هو وأخيه من حكماء ملوك الحبشة والسودان والمشار إليهما فى ذلك الزمان قال فلما تلقاه الملك أفراح فى تلك البرارى والبطاح وركبوا وساروا فى البر إلى أن وصلوا إلى الديار ودخلوا الديوان وأجلس الملك أفراح على سرير مملكته ومحل عزه وسطوته والحكيم سقرديون إلى جانبه والغلمان واقفون فى الخدمة قدامه فلما جلسوا واستقر بهم القرار قال الملك أفراح ياحكيم الزمان انظر إلى هذا الغلام الذى رأيناه فى البرارى والآكام وقد جاء به الصياد من ذلك البر والوهاد وقال وجدته فى حجر غزالة وهى ترضعه من ثديها (قال الراوى) فلما سمع الحكيم سقرديون من الملك أفراح هذا المقال أخذه الوجد والانذهال ونظر إلى وجه الغلام فنظر الشامة على خده اليمين تنير وهو كأنه البدر المنير فلما نظره ألقى الله البغضاء فى قلبه ومنع الرحمة منه وقال يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان أهل رأيت أو سمعت أن غزالة تلد ابن آدم وتتركه فى البر والآكام ولكن هذا محال من الصياد الخوان لأجل العطاء والإحسان واعلم يا ملك الزمان إن صدقنى حذرى ولم يخطىء زجرى كما يعمل زحل أن هذا الغلام ولد زنا وأمه زانية بأحد الملوك الكبار وقد خافت من الفضيحة والعار فألقته فى حجر غزالة فى تلك البرارى والقفار ولا شك أن هذا الغلام ولد زنا فلا تربيه فى بلادنا لأنه من غير جنسنا حيث إنه أبيض اللون ونحن سودان فهذا شىء لا أخليك تفعله يا ملك الزمان والصواب أنك تقتله وعلى الأرض تجندله وهذا ما عندى من الرأى السديد والأمر المفيد لأنى أخاف أيها الملك الهمام من تربية هذا الغلام فيكون على يديه إنفاذ دعوة نوح عليه السلام فيبدل وجودنا إلى إعدام ويسقنا كؤوس الحمام لأنه مستجاب الدعوة بين الأنام وهذا ما عندى من الرأى والسلام (قال الراوى) وهو

أبو المعالى راوى سيرة الأمصار وساق النيل من أرض الحبشة والسودان إلى هذا الديار وهو أن نبى الله نوح عليه السلام كان له ثلاثة أولاد ذكور شداد : سام وحام ويافث فأما يافث فكان غائبا فى بعض الاشغال يقضى ما يحتاج إليه من الأحوال وكان نوح عليه السلام نائما فى القيلولة فى يوم من بعض الايام فسبحان من لا تراه العيون ولا يغفل ولا ينام وكان سام قاعدا عند رأسه وحام تحت رجليه لامر يعلمه الله مقدر عليه فهب الهواء فانكشفت عورة نوح فضحك عليه ابنه حام فتشاجر سام مع أخيه حام على ضحكه والابتسام من كشف عورة أبيه فانتبه نوح من المنام وهما مع بعضهما فى مشاجرة وخصام فسأل عن ذلك الأمر والشأن فأخبره ولده سام بما وقع من البيان فغضب نوح على حام حتى كانه من شدة الغضب لا يعرف له كلام ودعا عليه بالسودان من دون الناس والعباد وأن تكون ذريته عبيدا وخداما لأولاد أخيه سام على طول السنين والأعوام والشهور والأيام (قال الراوى) فقال الحكيم سقرديون اللعين المفتون اعلم يا ملك الزمان أنى أخاف من ذلك الامر والشان وتعدم السعادة والتوفيق ويدركنا الشقاء والتعويق وتنفذ دعوة نوح فينا يا ملك أفراح ويكون إنفاذها على يد هذا الغلام الذى وجده الصياد فى ذلك البر والوهاد اعلم أيها الملك السعيد والحاكم على تلك البلاد والبيد أنى وجدت فى الكتب العظيمة والملاحم القديمة أن يظهر من نسل حام سودان يسمون العبيد ويظهر من نسل سام ولد يقال له السيد اللبيد ويظهر من نسله ولد يقال التبع جار الغزال ويظهر الاهوال ويظهر من نسلهم ولد يقال له سيف ذى يزن ويكون أبوه من بلاد اليمن وتصويره بحمراء الجيش وتلك الأرض ولدا من فيعظم ما تقاسى منه الحبشة والسودان والسحر والرهبان ويظهر له شأن وأى شأن ويحكم على الإنس والجان بسر سيف آصف ابن برضيان وزير نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام وأن آصف ابن برخيا بنى له قصرا فى أرض خراب وزخرفه بسائر الالوان وخدم فيه الجان وبنى فيه قبة ووضع من تحتها سريرا من العاج مصفحا بالذهب الوهاج ولما دنا أجله وقرب من الدنيا مرتحله قد علا سريره وكان قد علق سيفه فوق رأسه وكان قد أوصى خدمه هذا القصر أنه لا يملك هذا السيف المكين ويملكه حقا بيقين الذى ما يوجد مثله فى سائر الأرض والدمن ولا فى الاقطار ولا يوجد شكله عند ملوك اليمن إلا رجل يقال له الملك سيف ذو يزن يذكر حسبه ونسبه ويملكه بقوة ساعدة وزنده وأنا خائف يا ملك من هذا الحال وبادر لما قلته لك من المقال فلما سمع الملك كلامه أبدى الابتسام وقال يا حكيم الزمان وما أصل سواد الحبشة والسوادن (قال الراوى) وكان السبب فى سواد الحبشة والسودان من قدم الزمان سبب عجيب وأمر مطرب غريب نريد أن نذكره على الترتيب حتى أن المستمع يلذ ويطيب بعد الصلاة والسلام على النبى الحبيب صاحب أعلى الترتيب

والقضيب الذى كل من صلى عليه لا يخيب وهو يصلى على حبيب الحبيب وهو أنه لما توفى نبى الله نوح عليه السلام وقع الخلف بين الآخوات من شأن الخلافة لما نوح مات فصارت الخلافة إلى سام فاغتاظ أخوه حام فخرج هائما على وجهه فى تلك البرارى والآكام سائحا فى البلاد إلى أن وصل إلى هذه الأرض والمهاد التى نحن فى حديثها وكان تبها ملك جبار لا يصطلى له بنار يقال له كركار وكان له بنت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال ولم يكن له من الذرية غيرها فجعل زواجها لنفسها وبنى لها قصر خارج مدينته يذهل الإنسان عند نظرته عالى البنيان مشيد الأركان وفيه خدام وغلمان وصار فى كل يوم يأتى إليها ويصبح عليها فيوم من ذات الأيام هى جالسة فى قصرها ومحل عزها تنظر إلى الطرقات وتنفرج على البر والفلوات وإذا بحام قد أقبل من من تلك التلال والبرارى وهو تابع إلى ذلك القصر فنظرته بنت الملك كركار نظرة أعتبها ألف وخمسمائة حسرة فقالت هنيئاً لمن تسكون مناها وينام وحضنها لأنه كان جميل الوجه والمنظر لأنهم بطول عمرهم لم يروا من بنى آدم اسود فى ذلك الزمان بل كانوا كلهم بيض فلما نظرت إليه أعجبها غاية العجب وأخذها الوجد والطرب فصاحت على الخدام ائتونى بهذا الغلام الاسود الذى كأنه حجر جلمد فأجابها الخدام إلى ذلك المرام وغابوا ساعة من الزمان وعادوا ومعهم حام واحضروه بين يديها وأوقفوه ثم أنها أرسلت خلف أبيها ليحضر عندها فلما أتى أبوها إليها نظرها فى شباك القصر المطل على الديوان وهى تشاهد ذلك الرجل الأسود الذى لم يأت مثله فى سالف الزمان ثم انها التفتت خلفها فرأت والدها قادما عليها فقامت إلى ملتقاه وقبلت يداه وجلست بجانبه وقد صارت تتحدث هى وإياه فقالت له يا ملك الزمان تمنيت عليك أن تزوجنى هذا الرجل الاسود الذى هو جالس فى وسط الخدام فنظر إليه الملك كركار فأعجبه وقد ذهل وحار وفرح الملك واستبشر وأجابها إلى ما طلبت على الأثر وبعد ذلك أحضر كبار دولته وأهل مملكته وعقد له عليها على شريعته ودخل بها حام من ليلته وتملى بحسنها وأزال بكارتها فأراد الجليل جل جلاله انفاذ دعوة نوح عليه السلام فى السودان فراحت البنت حامل باذن مسير المحامل وكانت البنت اسمها قمر شاهق وهى فى الجمال ليس لها سابق لشدة باضها وثقل أردافها ومكث أبوها بعد ذلك مدة سبعة أشهر وقد بلغ سياق الموت الذى ما للإنسان منه مفر ولا فوت فجمع وزراءه وأرباب دولته وأبطاله وأهل مملكته وقال لهم يا قوم إنى لم يكن لى وارث غير ابنتى وزوجها عوض عنها على مملكتى وهى المتكاملة عليكم وأمرها نافذ فيكم وزوجها عوض عنها على مملكتى من بعد موتى فكونوا لقوله سامعين ولأمره طائعين ولا يختلف منكم أحد لا أبيض ولا أسود

فقال أرباب الدولة السمع والطاعة وانصرفوا إلى حال سبيلهم وتوجهوا إلى شغلهم ثم إن الملك كركار أقام أيام قلائل ومات وجل من لا يموت وهو علام الغيوب فكفنوه وواروه بالتراب ثم بعد موته كأنه ما كان وساوى من لهسنن وأعوام فجاءت الملكة قمر شاهق وأرباب الدولة والحجاب والوزراء والأصحاب وقالت لهم اعلموا يا قوم أنى جمعتكم لأقول لكم ما قاله أبى من المقال وأفعل كما أمرنى من الفعال واعلموا أنى وليت عليكم زوجى فتكونوا لقوله سامعين ولأمره طائعين فقالوا لها افعلى ما بدا لك فما أحد يخالف مقالك ثم انهم أخذوا الملك حام وأجلسوه على كرسى المملكة ووقف فى خدمته أرباب دولته وأهل مملكته وانتهى إليه السرور والفرح وزالت عنه الهموم والترح فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الملكة قمر شاهق فانها كانت حاملا فلما كملت أشهرها ولدت ولداً أسود كأنه حجر جلمد ثم بعد ذلك حملت ووضعت بنتا سوداء مثل الليل إذا اعتكر باذن خالق البشر ففرحت بها قمر شاهق وقعدت مدة أيام وولدت ولدا ذكرا كالليل إذا اعتكر فلما أن كبروا وانتشوا وطلبوا الزواج تزوج الولد ببنت من البيض والبنت كذلك من أهل المدينة فجاء أولادهم سود باذن الواحد المعبود فتداولت عليهم الشهور والأيام والأعوام فصارت جميع أهل المدينة سودا فتزوج منهم جيرانهم من جميع البلاد وسكان تلك الأرض والوادى وتزوج البعض منهم بالبعض صارت جميع البلاد سودان بإذن الرحيم الرحمن الذى لا يشغله شان عن شان وهو مكون الأكوان وسنرجع إلى سياق الحديث بإذن الحى المغيث (ياسادة) وأن الحكيم سقرديون لما سأله الملك أفراح عن سواد الحبشة والسودان وما يكون سبب أصولهم من قديم الزمان أخبره مثل ما قدمنا فى ذلك الديوان ثم إنه قال اعلم أيها الملك الهمام انى خائف من نفاذ دعوة نوح عليه السلام انا أقول لك اقتل هذا الغلام لانه ولد زنا ابن لئام واقتله ولا تبقه وانت تقول ما يهون على قتله وتخالفنى فى المقال وتعارضنى فيما أريد عمله من الأعمال كل ذلك يجرى والصياد يسمع وبعد ذلك التفت الملك إلى الصياد وقال له أيها الصياد هل وجدت عند ذلك الغلام شيئاً فى البرارى والوهاد فقال له الصياد نعم أيها الملك المفضال وجدت عنده هذا الكيس المال وفى رقبته العقد الجوهر الذى لا يوجد له مثال فقال الملك أفراح ياصياد هل تعرف قيمة هذا العقد الغال فقال الصياد لا وإنما هذا العقد لا يصلح إلا للملوك العظام أيها البطل الهمام فقال الملك أفراح خذ ياشيخ هذا الكيس المال وانفقه على أهل بيتك والعيال وامض إلى حال سبيلك وإلى أهلك وديارك وأما هذا العقد فهو لهذا الغلام وهذا ماعندى والسلام (وقال الراوى) فبينما هم فى ذلك الأمر والشأن وإذا بالزغاريت تسمع فى القصر من أعلى المكان فسأل الملك عن سبب ذلك الحال وإذا بالحاجب الأعظم داخل عليه وقبل الأرض بين يديه

وقال البشارة يا ملك أفراح قد جاءك السرور والأفراح وزالت عنك الهموم والأتراح فقال الملك لأى شىء هذا الخبر وما الذى جرى وندر فقال الحاجب يا ملك الزمان إن الملكة دهشانة وضعت فلما سمع الملك ذلك الكلام أخذه الفرح والابتسام وقام ودخل على زوجته من وقته وساعته فإذا هى ولدت بنتا ذات حسن وجمال وكأنها بدر التمام على خدها خال مثل الذى على خد الغلام ففرح بها الملك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وجاء بها الملعون سقرديون ووضعها جنب ذلك الغلام والناس قعود وقيام وقال ما أحسن هاتين الشامتين وما أظرفهما على الخدين فعند ذلك لطم الحكيم على رأسه ومزق جميع ثيابه ولباسه ورمى عمامته إلى الأرض واختبط بعضه البعض ونتف لحيته ورمى نفسه إلى الأرض وشخر ونفر وسب الشمس والقمر وصار يخبط رأسه حتى تتعتعت أضراسه وهو يصيح بأعلى صوته ويقول يا لزحل وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه إنى خائف من هاتين الشامتين واجتماعهما مع بعضهما فقال الملك أفراح ما شأنك أيها الحكيم القمقام وما جرى عليك من الأخبار فقال هذا كله من فعلك ومن مخالفتك ولا تسمع منى نصيحة ولا تفعل إلا كل قبيحة وأنا أقول لك أقتل هذا الغلام ولا تبقه فأنا أريده ولا اشتهيه فقال الملك وما السبب فى ذلك الشأن يا حكيم الزمان فقال له اعلم يا ملك متى اقترنت هاتان الشامتان على هذين الخدين نفذت دعوة نوح عليه السلام وصارت السودان عبيداً وخدام لأولاد ابنه سام فيبشر بلاد الحبشة بالخراب والدمار وينقلع منها الآثار وأنت إن لم تقتل هذا الغلام تسقيه كاس الحمام فاقتل بنتك والسلام وتستريح من التعب والملام (قال الراوى) فلما سمع الملك أفراح ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقد أخذه الوجد والهيام وصرخ فيه وقال أيها الحكيم التعيس يا ملعون أنت من ذرية إبليس وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه إن ابنتى ما يهون على قتلها ولا أسقيها كأس فنائها وأما هذا الغلام فما وجب عليه شىء حتى أسقيه كأس الحمام ولكن أنا أفرق بينهما فى المنازل والأوطان وأجعل كل واحد فى مكان ولا أجعلهما من بعضهما يتقاربان وقام الملك أفراح وأخذ بنته معه والغلام ودخل على زوجته فى القصر وافرض لابنته مراضع ودادات يخدمونها ليلا وعشيا وابكاراً وقد أفرد الغلام أيضا مراضع ودادات يخدمونه صباحا ومساء وقد سماه وحش الفلا لأنه وجده الصياد فى البر والخلا وقعدوا على ذلك المرام مدة أيام وفى يوم من ذات الأيام إذا حاضنة وحش الفلا تملا ما يشرب منه من المزيرة وهى تسمع قائلا يقول يا جارية هاتى وحش الفلا يتربى عندى مدة من الزمان والأيام حتى يكبر ويصير له من العمر ثلاثة أعوام (قال الراوى) فما ردت الجارية عليها من جواب وما أبدت من خطاب

فنادتها ثانى مرة وقالت لها ذلك المقال وثالث مرة قالت لها إذا لم تضعيه فى هذا المكان يا ابنة الشيطان حتى آخذه طوعاً اخذه كرها فعند ذلك خافت الجارية على نفسها من الألم وعلى الغلام فوضعته عند المزيرة وغابت ساعة وعادت فما رأت له خبر ولا وقفت له على جلية اثرفعادت على أثرها وهى فى هموم وأتراح إلى أن دخلت على الملك أفراح وأخبرته بذلك الخبر وما الذى جرى من الامر المنسكر فاغتم لذلك الأمر وتحير وأخذته الوساوس والفكر وقد أخبر الحكيم سفرديون بذلك الحال وما الذى يجرى من الأعمال فقال الملعون الحمد لله على ذلك الفعل والعمل فقد ارتحنا منه ومن رؤيته ولولا أنى طلبت من زحل ذلك الحال مابلغنا منه الآمال وفرح بذلك الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد (قال الراوى) وقد تداولت الأيام والشهور والأعوام وبان الحق اليقين بعد ثلاث سنين واتفق أن الملك أفراح لما نزل من القصر إلى الديوان ووصل إلى المزيرة التى فى ذلك المكان إذا به يسمع من يقول ياملك أفراح أبشر بالسرور والأفراح أنا أخذت الغلام وحش الفلاوربيته عندنا فى البر والخلا ولولا أنى شرطت على نفسى ثلاث سنين ما كنت جئت به ولكن خذه من يدى واحترس عليه غاية الاحتراس من أحد يؤذيه أو يتعرض له بشىء يضره وكل من ضره بضرر أهلكته وعجلت من الدنيا مرتحله وأسكنه رمسه وأعدمه أهله وناسه ولم أخل أحداً يعرف له خبر ولا يقع له على أثر واعلم ياملك أفراح أن هذا الغلام ملك بن ملك همام وقد صار ابنى بالرضاعة وأنا إليه فى غاية الطاعة ثم أن الملك أفراح أخذ الغلام ودخل به على زوجته وأخبرها بما جرى وما شاهد ورأى وكانت قد سمت ابنتها شامة وقال لها يا أم شامة خذى هذا الغلام وحش الفلا لأنه قد عاد إلينا مقبلا فلما نظرته قامت من مكانها وأخذت الغلام بملء احضانها وقبلته بين عينيه وامتزجت بفرح شديد ما عليه من مزيد (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان السبب فى أخذ وحش الفلا من هذا المكان وعودته إليه بإمكان سبباً عجيبا وأمرا مطربا غريبا وذلك أن قرية لما رهنته تحت الشجرة فى البر والقفار والسهول والأوعار وتركته وعادت إلى الديار ولم تخف من العزيز الجبار وجازت عليه ملكة من الجان وكان معها بنت اسمها عاقصة وهى كأنها الشمس المضيئة وكان زوجها ملكا من الملوك الكبار يحكم على قطاع وديار يقال له الملك الابيض وكان مسكنه بجبل المر ومنبع النيل وقد عاش العمر الطويل وما رزق فى زمانه غير هذه الصبية التى كأنها الشمس المضيئة وسماها عاقصة وهى فى ثياب الحرير غائصة وكانت أمها قد أخذتها وسارت لبعض الأشغال إلى أن جاءت إلى تلك البرارى الحوال فنزلت فى ذلك البر والآكام لتأخذ لها راحة وتأكل شيئاً من الطعام كل ذلك بتقدير الملك العلام فنزلت وجلست تحت شجرة الشوك وأرادت أن تنام هناك وإذا بها تسمع صوت ذلك الطفل الصغير فى ذلك البر وقت الهجير فأتت إليه وحنت

عليه وارضعته من لبنها فشرب حتى اكتفى وبعد ذلك تركته مكانه وأخذت بنتها وعادت إلى زوجها وأخبرته بخبر ذلك الغلام الصغير وأنها وجدته فى البر الأقفر وأرضعته وعادت على الأثر فلما سمع الملك الأبيض من زوجته ذلك الكلام أخذه الوجد والغرام ولامها على تلك الفعال وما عملته من الأعمال وقال لها ويلك ما تخشين المذلة والعار والذل والشنار كيف تتركين ذلك الطفل الصغير فى ذلك البر وقت الهجير وهو لليوم صار ابنك وقد رضعتيه من لبنك ثم أنه غضب عليها وجرد الحسام فى وجهها فلما رأت أم عاقصة ذلك الحال أخذتها الحيرة والانذهال وطلبت الجو الأعلى وسارت فى البرارى والتلال وهى تقطع السهول والقيعان إلى أن وصلت إلى ذلك المكان الذى كان فيه ذلك الغلام وقد أخذها الوجد والهيام فما رأت له خبرا ولا عرفت له أثرا وكان فى ذلك النهار أخذه الصياد وطلب الديار وأخذه الملك أفراح وجرى ما جرى مما سبق له الايضاح فصارت تدور عليه فى البلاد والبرارى والوهاد وتسأل البر والبطاح إلى أن سمعت أنه عند الملك أفراح فسارت إلى السراية وجرى ما جرى من الحكاية وأخذته وعادت طالبة جبال القمر ومنبع النيل وهى سائرة فى إبرام ونقض إلى أن وصلت إلى زوجها الملك الأبيض واخبرته بما جرى وتفرد ففرح بذلك واستبشر فصارت ترضعه كل يوم من لبنها وتربيه هو وابنتها وتداولت عليه الشهور والأيام مدة ثلاثة أعوام فأخذته وعادت به إلى الملك أفراح كما ذكرنا وقالت ما قالت وأخذه منها كما نعتنا ورجعنا إلى سياقة الحديث والخبر بعد الصلاة والسلام على فخر ربيعة ومضر (قال الراوى) فلما أخذه الملك أفراح زالت عنه الهموم والأتراح وقال لزوجته نحن نفرد له محلا برأسه وتجعل له محلا لأنسه ونرتب له خداما يخدمونه ليلا ونهارا وعشيا وإبكارا فأجابته زوجته إلى ذلك فأفرد له محلا برأسه ووكل له غلمانا وخدما من عند نفسه وصار يراعيه ويربيه حتى صار له من العمر سبع سنين فاشتاق إلى ركوب الخيل فأمر الملك أن يأتوه بمهر صغير فغابوا وعادوا ومعهم ذلك المهر فلم يرض بركوبه فأتوا له بجواد أدهم الليل إذا أظلم يطوى الأرض بالخبب تربيه ملوك العرب فلما رآه أعجبه غاية العجب فركبه واعتدل فوق ظهره فطلب رمحا طويلا وسيفا صقيلا فأتوا له بكل ما طلب وقد أخذهم من ذلك الأمر العجب وبعد ذلك نزل إلى الميدان وترامى مع الصبيان فصار يضرب هذا ويرمى هذا من على الحصان ويغلب هذا فى الميدان مدة من الزمان إلى أن اشتد ذراعه واشتد باعه فصار ينزل كل يوم إلى الميدان ويبادروا الأقران ويقهر الشجعان وينكس الفرسان وكل من خرج إليه يندم ويتمنى أن يرجع وبنفسه يسلم وكل من بادر إليه قهره وكل من ضربه هشمه وبهره لأنه كان من أولاد الرجال أجلاد وفرسان أطواد إلى أن صار فارسا من الفرسان شجاعا من الشجعان وأنه لما اشتهر فى الفروسية وفاق أهل زمانه فى المحاسن البهية كان إذا خرج إلى بعض أشغاله يفتتن

كبد كل من رآه حتى نظمت فيه الأشعار وتهتكت فى محبته العبيد والأحرار وقد أجاد فيه بعض الشعر حيث يقول :

عانقته فسكرت من طيب الشذى ... غصنا بالنسيم قد اغتذى
نشوان ما شرب المدام وإنما ... أمشى بخمر رضا به متنبذا
أضحى الجمال بأسره فى أسره ... فلأجل ذاك على القلوب استحوذا
والله ما خطر السلو بخاطرى ... ما دمت فى قيد الحياة ولا إذا
إن عشت عشت على هواه وأن أمت ... وجدا به وصبابة ياحبذا

(قال الراوى) فلما بلغ من العمر أربع عشرة سنة بلغ مبالغ الرجال واستدار ودب عزاره الأخضر وله شامات على خده كأنها اقراص عنبر كما أشار إليه الشاعر حيث يقول :

أضحى ليوسف فى الجمال خليفة ... فارتاع كل العاشقين إذا بدا
عرج معى وانظر إليه لكى ترى ... فى خده علم الخلافة أسودا

(قال الراوى) فلما صار بتلك الحالة واستدار بخده العذار هوى الصيد والقنص واغتنام اللهو والفرص وصار لا يفتر عنه ساعة واحدة فهذا ما كان من وحش الفلا ومنشئه وما جرى له فى تعلمه الفروسية والحرب والكفاح (وأما) ما كان من الملك أفراح فانه نزل ذات يوم من الأيام إلى الديوان وجلس على سرير ملكه ومحل عزه والغلمان والخدم وقوف بين يديه وحوله الأمراء والشجعان وأرباب الدولة والفرسان وإذا الحكيم سقرديون دخل عليه فلما رآه الملك أفراح قام إليه وتلقاه وأكرمه وحياه وأجلسه إلى جانبه وصار كأنه من بعض أقاربه فقال الملك أفراح ياحكيم الزمان أما عندك خبر الأمر الذى قد بان واشتهر فقال الحكيم سقرديون لماذا أيها الهمام القسور والبطل الغضنفر اخبرنى بذلك الأمر والخبر فقال الملك افراح اعلم ياحكيم الزمان أن الغلام وحش الفلا الذى جاء به الصياد من البرارى والقيعان وقد اخذته الجنية وقد أتت به إلى حيث أخذته ثم قالت لى أنا أمه وصار ولدى فانى أرضعته وربيته فى بلدى فاحترس عليه ولا تدع أحدا يتعرض له ويؤذيه وكل من تعرض له بأذيه فانى اسقيه كأس المنية وأخلى منه هذه الديار والأوطان فلا يعرف له مكان فعند ما سمع الحكيم هذا الخبر كادت مرارته أن تنفطر وقال له اعلم أنه ينبغى أن تبعد هذا الغلام عن البنت يا ابن الكرام ولا تقربهما بعضهما من بعض ولا تقرب تلك البنت من ذلك الرجل فان فعلت ذلك يغضب عليك زحل وتفنى السودان من السهل والجبل (قال الراوى) فلما سمع الملك افراح ذلك المقال خدعه بالمحال وقال له لك على ذلك أيها الحكيم المفضال وقد تداولت الأيام وصار إذا نزل الملك إلى الديوان يأخذ وحش الفلا بيده

ويجلسه إلى جانبه بين أصحابه وأقاربه وقد تعود وحش الفلا على ركوب الخيل وخوض النهار والليل وصار كل يوم يخرج إلى بر المدينة وكل من لاعبه يضربه فيبطحه ويخرج ويقتل كل من طلب أذيته صغيرا كان أو كبيراً صعلوكا أو أميرا فشكت أهل المدينة من هذا الغلام الصغير ودخلوا على الملك أفراح وهم يشكون وحش الفلا إليه بعد ما قبلوا الأرض بين يديه فقال لهم الملك هذا غلام صغير وماهو إلا فقير غلام وفرح الملك به فرحا شديدا ما عليه من مزيد ولم يزل على ذلك الحال مدة أيام وليال إلى أن كثرت عليه الشكايا من أذيته فى أهل المدينة ولم يستطع أحد أن يقف له فى طريق وكل من تعرض له يعدمه السعة ويحوجه إلى الضيق فلما رأى الحكيم سقرديون تلك الفعال أخذته الحيرة والانذهال فاشتد غضبه وكربه وقساقلبه أكثر مما كان أول مرة واشتد به الغيظ والخبل ثم أنه التفت إلى الملك افراح وهو فى هموم واتراح وقال له ايها الملك الهمام إن لم تخرج من عندنا هذا الغلام وتطرده من بلادنا وتبعده عن أرضنا وإلا وحق زحل فى علاه والنجم وماسواه أرسل مكاتبة إلى أخى سقرديس بأن يعلم الملك الأكبر سيف ارعد حاكم تلك الأرض والفدفد أنك ربيت عدوا فى أرضنا وأنشأته فى بلادنا فيرسل إليك عسكرا جرارا كأنه البحر الزخار ويخرجك من أرضنا ويطردك من هذه المدينة فى ذلة واحتقار وينفيك إلى أقصى الأقطار ويبعدك عن هذه الديار بعد أن يخرب ديارك ويقطع آثارك ويقول الناس كان فى هذه المدينة ملك يقال له افراح شتت فى البرارى والبطاح (قال الراوى) فلما سمع الملك أفراح من الحكيم سقرديوس هذا الكلام علم أنه يقدر على ذلك المرام فأجابه إلى ما قال وقال يا حكيم الزمان لا أخالفك فيما قلته من ذلك الأمر والشان (قال الراوى) وقد ذكرنا أن الملك أفراح فارس جحجاح وليث فى الحرب والكفاح وكان تحت يد الملك سيف وهو حاكم على تلك البلاد وكان من جملة من تحت يده فارس شديد وقرم عنيد وشيطان فى صورة إنسان يقال له عطمطم خراق الشجر وله جنان اجرأ من تيار البحر وكان له حصن بعيد عن المدينة من جملة حصون الملك افراج فى ذلك البر والبطاج وبين هذا الحصن والمدينة مسيرة ثلاثة أيام للفارس فى البر والآكام وكان سبب تسميته خراق الشجر هو أنه فارس عظيم وبطل جسيم وكان عنده فى ذلك الحصن بستان عظيم الشان فيه من الفواكه الوان وفيه أشجار وأنهار وكان فى ذلك البستان عشرة أشجار غلاظ كبار وكان إذا ركب على ظهر جواده يأخذ قنطارينه بيده ويضرب بها الشجرة من تلك الأشجار فيخرقها وقد شاعت فروسيته فى سائر البلاد وقصدته الفرسان والأجناد وقد صار عند الملك افراح أعز من الأولاد وأنه لما سمع من الحكيم ماذكرنا من المقال أرسل خلف عطمطم فى الحال رسولا من عنده يأمره بالحضور بين يديه لأن الأمر لازم فصار الرسول ومازال يجد المسير فى البر الأقفر إلى أن وصل إلى حصن خراق الشجر فدخل عليه وقبل الأرض بين يديه فقال له عطمطم من أين وإلى

أين أيها الفارس الجحجاح فقال له الرسول من عند الملك أفراح ليث الحرب والكفاح وبلغه ما حمل من الرسالة فأجابه عطمطم بالسمع والطاعة وقام وركب فى تلك الساعة وهو كأنه طود من الأطواد أو من بقايا قوم عاد وأخذ من قومه جماعة من الشجعان وصار بهم يقطع البرارى والقيعان وهو سائر فى البرارى والبطاح إلى أن وصل إلى ملك أفراح فقبل الأرض بين يديه فقام له يا ملك أفراح اكراما له وأجلسه إلى جانبه وأكرمه غاية الاكرام وزاد له فى الإحسان والانعام مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع التفت عطمطم خراق الشجرة إلى الملك أفراح الفارس الغضنفر وقال يا الملك الزمان وفريد العصر والأوان لأى شىء أحضرتنى فى هذا الأوان هل لك عدو بغى عليك أو ملك من الملوك تعدى عليك حتى أسير إليه وأقطع آثاره وأخرب دياره وأحد عصى لك أمرا من سكان الأرض والفدفد حتى أقتله ولو كان الملك سيف أرعد (قال الراوى) فلما سمع الملك أفراح ذلك المقال أخذه الوجد والانذهال وقال له اعلم ياولدى أن هذا الغلام عزيز عندى وهو أعز من ولدى ومن أهلى وملكى فخذه معك إلى حصنك واحتفظ عليه مقدورك وجهدك وأوصيك به تعامله بمقتضى الوصية لأنى أعرف أن أخلاقك مرضية وأكرمه غاية الإكرام وجد عليه بالإحسان والانعام وعلمه طرفا من شجاعتك وقوتك وفروسيتك وكان هذا الكلام عند غيات الحكيم سقرديون أخى الحكيم سقرديس المأمون فعند ذلك أجابه خراق الشجر بالسمع والطاعة وأخذ الغلام من الملك أفراح وصار يقطع البرارى والبطاح وزال سائر هو ومن معه من الفرسان مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرف على حصنه فتلقاه قومه لما سمعوا بخبره وسلموا عليه ودخل إلى الحصن ومعه وحش الفلا وقد تعجب من حسنه جميع ذلك الملا فقال قومه وما هذا الغلام أيها البطل الهمام فقال لهم هذا أخذته ولدى وأريد أن أعلمه الفروسية بما قدرت عليه من جلدى وصار عطمطم كل يوم يركب ظهر الحصان وينزل به إلى الميدان ويعلمه الحرب والطعان وهو كأنه الأسد الغضبان وصار يعلمه أبواب الطعن والضرب والفروسية والشجاعة وقوة البراعة والصد والرد والأخذ والعطا مدة من الزمان إلى أن كمل وحش الفلا من العمر خمس عشرة سنة وقد صار متعلما من خراق الشجر أبواب الحرب كله الذى فوق ظهور الخيل والذى على وجه الأرض (قال الراوى) فذات يوم من الأيام قال له خراق الشجر الفارس القصور ياوحش الفلا فقال لبيك يا أبى فقال ياولدى انك ملكت الشجاعة والقوة والبراعة وتعلمت أبواب الحرب ومواقع الطعن والضرب لكن قد بقى باب واحد فقال وحش الفلا وما هذا الباب يا ابن الأماجد قال له قم معى ياولدى وانظر العجب فقام وصار إلى أن أتيا إلى شجرة نقل يمشى فى ظلها ساعة وعلوها ينقطع منه السحب خلقة الملك الوهاب ولها أوراق مثل ورق الموز ولها زهر مثل رائحة المسك الأزفر وهى عالية عن جميع ما حولها من الشجر وعندها تسعة شجرات يقارنونها فى النظر وفى كل شجرة منها طاقة مخروقة فقال

وحش الفلا يامولاى وما هذه الخروق الذى فى هذه الأشجار وحق زحل إن هذا شىء يحير الأفكار فقال له اعلم يا أعز من أولادى أنى أركب على ظهر جوادى وأحمل على الشجرة وأطعنها بهذه القنطارية فأخرقها وأميل عليها فأمزقها وبهذا سميت خراق الشجرة وأنا إسمى الأصلى عطمطم البطل القشم فقال له وحق الفلا ياأبت أنت الذى خرقت هذه الشجرات وفعلت بها هذه الفعال قال نعم وحق زحل الذى فى السموات فقال وحش الفلاقم ياأبى أخرق شجرة وفرجنى ماتفعل بها من الصفات المنكرة فقال له حباً وكرامة فعند ذلك قام كأنه أسد جسور وركب صهوة جواده واعتد بعدة جلاده وأخذ قنطاريته بيده ووقف بعيداً فى الخلاء والتفت إلى وحش الفلا وقال ياولدى إنى أظن أن سعدى قد رحل وسعدك قد أقبل فقال وحش الفلا أعطنى هذه القنطارية وانظر ماأصنع بها فى البرية فأعطاها له فأخذها وحش الفلا وحمل على الشجرة التى قد كان حمل عليها خراق الشجر وطعنها وإذا بسن القنطارية نفذ من عقب الشجرة قدر شبر كامل فمد يده وجذب القنطارية فأخرجها من غير علاج مع جرى الجواد فى هذا البر الوهاد وبعد ذلك رجع وحش الفلا من وقته وساعته وطعن الشجرة ثانياً من خلفها ومد يده إلى جهة السنان فأخرجها مع جرى الحصان فى ذلك البر وهذه التيمان وقد صار وحش الفلا يطعن الشجرة من مكان ويخرج القنطارية من مكان آخر حتى جعل فيها أربعين خرقاً ولم يتعجب من ذلك الأمر ولم يأخذه رعب فقال له خراق الشجر ياولدى اطعن هذه الشجرة وأومأ له إلى شجرة من الكبار فى تلك البرارى والقفار وكانت هذه الشجرة مقدار عشرة أشجار فلما سمع وحش الفلا ذلك المقال أجابه إلى ذلك الحال واستراح ساعة من الزمان فى ذلك المكان وقام وركب ظهر الحصان وأخذ القنطارية بيده وهو فرحان ونادى وقال يازحل أنا وحش الفلا وطعن تلك الشجرة بحيله والقوة فنفذت وجاءت فى صور الحصن وخرجت منه إلى الفلا وهى كأنها حجر منجنيق وقد وقع من حجر السور الكثير من طعنة ذلك الفارس النحرير (قال الراوى) فلما نظر خراق الشجر تلك الفعال أخذته الحيرة والإندهال وتعجب من هذه الأعمال فرمى تاجه من على رأسه وقلع نعليه من رجليه ولطم على رأسه حتى تقعقعت جملة أضراسه ولطم بيديه على خديه حتى برز الدم من عينيه وامتلأ بغضب شديد ماعليه من مزيد وشخر ونخر وسب الشمس والقمر وقال يازحل هذا ولد زنا وتربية خنا وقد ربى فى أرضنا وبلادنا ثم إنه التفت إلى وحش الفلا فى الحال وهو لايعنى مايقول ولا ماقال من شدة مانزل عليه من الغيظ والخبال وقال له ما أدراك لعلك تكون أنت الذى على يدك إنفاذ دعوة نوح عليه السلام واعلم ياغلام أن هذه الأرض ماهى أرضك ولا أرض أبيك ولا جدودك من قبلك ياغلام بل هى ارضنا وبلادنا من قديم الأيام مدة جدنا حام

وأما أنت فاخرج من أرضنا يا ابن اللئام وفى أى وقت وجدناك أو أدركناك فيه قتلناك فلا كنت ولا كان منك ماكان ولاعمرت بمثلك اوطان ياقرتان ياابن ألف قرنان (قال الراوى) فلما سمع وحش الفلا ذلك الكلام أخذه الوجد والهيام وغضب من هذا الشأن وترك الحصان وخرج هارباً وللنجاة طالباً وهو ماش على الأقدام يقطع البرارى والآكام وسار فى ذلك البر الأقفر ودمعه على خديه ينحدر وسار وهو ينشد هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

ونفسك فز بها إن ناب ضيم وخل الأرض تنعى من بناها فإنك واجد أرضاً بأرض
ونفسك لم تجد نفساً سواها مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سواها

(قال الراوى) وسار يومين بعد ذلك فى البرارى والقفار وهو يقطع السهول والأوعار بالليل والنهار وهو يأ كل من نبات الأرض ويشرب من غدارنها وينوح على نفسه بعد العز والدلال وقد صار فى هذا الحال وعلى ماجرى له من العبد ابن الأنذال ومازال على ذلك وهو لايعلم أين هو سائر فى هذه المفاوز والمحاجر فلما كان فى اليوم الثالث عند الصباح اشرف على غار فى ذلك البر والبطاح فقصد إليه ومال نحوه فسمع فيه صوت انسان قاعداً فى ذلك المكان وماعنده انسان لا إنس ولا جان فتعجب وحش الفلا من ذلك الشأن وقال فى نفسه ادخل إلى ذلك الغار عند ذلك الرجل الخبير عسى أن تجد عنده شيئاً من الزاد تسد به رمق الفؤاد ثم إنه لقدم إلى ذلك الغار وهو وحيد فى ذلك البر والقفار فرأى من داخله رجلا أعجمياً شنيع المنظر يطير من عينيه الشرر فتقدم وحش الفلا إليه وأومأ بالسلام عليه فلما رآه ذلك العجمى وهو وسيد وما هو من أرض العبيد قال له من أين وإلى أين فقال وحش الفلا يامولاى أنا رجل غريب عن الأوطان وقد رمانى الزمان بالحرمان فى ذلك البر والمكان وقد صرت فى هذا بعد العز والدلال وقد تحكم فى اولاد اللئام واخس الاعابد ولى يومان ليل ونهار وانا سائر فى البرارى والقفار لا اعرف اى طريق اسير فى تلك البر الغفير إلى ان اتيت ذلك المكان ودخلت عليك فى الغار ولولاك كنت هلكت فى تلك البرارى والقفار ثم إن وحش الفلا بكى وأن واشتكى وأنشد يقول :

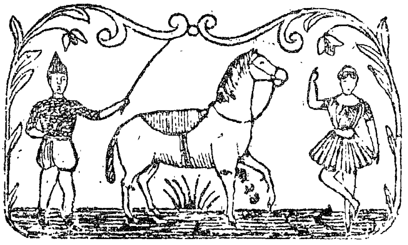
جن الظلام ودمعى زائد المدد والوجد من قوة النيران فى كبدى
اسألوا الليالى عنى وهى تخبركم أنى حملت جبال الغم والنكد

أبات أرعى نجوم الليل من ولهى ... والدمع منهمل العبرات كالبرد
وقد بقيت وحيدا ليس لى أحد ... من مثل صب بلا أهل ولا بلد

(قال الراوى) فلما سمع العجمى ذلك الكلام تعجب من ذلك النظام وتبسم فى وجهه وقد زالت عنه الآلام وقال له ياولدى قضيت الحاجة وحق النار ذات الشرار وأنا لى مدة انتظرك فى ذلك الغار فى الليل والنهار فلما سمع وحش الفلا ذلك المقال أخذه الإنذهال وقال يامولاى ولأى شيء ذلك الحال فقال له العجمى اعلم ياولدى أنى يقال لى عبد لهب وقد قرأت شيئاً كثيراً من الكتب فرأيت فى ذلك الغار كنزا وهو فى ذلك المكان من قديم الزمان عليه الخدام من الجان وفيه سوط من الجلد مطلسم وعليه الخدم فى ذلك البر والآكام ولا أحد يأخذ ذلك السوط من دون الملا إلا غلام يقال له وحش الفلا غريب يأتى من ذلك البر والخلا .

(قال الراوى) فلما سمع وحش الفلا ذلك المقال أخذه الانذهال وتعجب من هذه الأحوال وقال له يامولاى وما منفعة ذلك السوط فقال له ذلك العجمى اعلم ياولدى أننى أفهم علوم أقلام وأعرف مايتأتى من الأحكام فرأيت فى بعض الكتب التى عندى ومحه عن أبى وجدى صفة كنز فى ذلك الغار وهو فى البرارى والقفار وفيه سوط مطلسم شغل الحكماء الكبار وهو أمضى من السيف البتار وإن ضرب به شخص قتله لوقته وساعته وما رأيت أحد يناله من بين ذلك الملا إلا غلام يقال إله وحش الفلا ولى فى ذلك الغار يا ابن الاخيار مدة من الزمان وأنا منتظرك إلى ذلك الأوان والآن اتضح الحق وبان وأنت أعز من أهلى والآخوان فانزل ياولدى إلى ذلك الغار وائتنى بالسوط ياأشطر الشطار وأنا أبطل لك جميع المهالك التى فى ذلك الغار بأسماء لا أحد يعرفها لا كبار ولا صغار فأجابه وحش الفلا إلى ما أراد من الاثار ونزل فى ذلك الكنز الذى فى ذلك الغار وعبد لهب العجمى وهو يهمهم ويدمدم ويقرأ ويعزم ساعة من النهار من بعد ماقال له إن السوط معلق على سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج (قال الراوى) ولما أن نزل وحش الفلا فى ذلك المكان خاف على نفسه من شرب كأس الحمام لكنه حمل نفسه على المهالك والهوان لاجل ماهو فيه من الذل والاحزان وصار إلى أن وصل إلى ذلك السرير وإذا عليه حكيم كبير فمد يديه وأخذ السوط من رأسه وعاد راجعا إلى ورائه وهو لايصدق بالنجاة إلى أن وصل إلى باب الكنز ونادى على العجمى قضيت الحاجة ياسيدى وحق زحل فى علاه فناداه عبد لهب وقد أراد أن يخدعه بالمحال والكذب ناولنى إياه فأنت عندى اليوم أعز من روحى وولدى فقال له وحش الفلا أطلعنى إلى الخلا وخذه منى فى البر والبيداء فأنا لك

من جملة العبيد ولكنه قال فى نفسه لابد أن أقتل ذلك العجمى الغدار عابد اللهب والنار وآخذ أنا ذلك السوط الذى ماحازه ملك من الملوك الكبار ثم إنه بعد ذلك مد إليه العجمى يده



(وحش الفلا وبيده السوط المطلسم الذى جلبه من الغار والأعجمى يشير إليه بيده)

وجذبه وإلى فوق أصعده وقال له يا ولدى أنت أعز من قلبى وروحى التى بين جنبى وأين ذلك السوط يا ابن الأخيار أرنى إياه بحق النار فخاف وحش الفلا على نفسه من الهلاك والبوار وأن يغدر به فى الغار ويقتله وعلى الأرض يجندله ويسكنه رمسه ويعدمه أهله وحسه وقال له يامولاى لاتأخذ ذلك السوط إلا بعدطلوعنا من ذلك الغار فى ذلك البر والقفار ثم إنه شاغله إلى أن ملك منه فرصة وضربه بذلك السوط الذى هو أمضى من السيف البتار وإذا برأسه عن جسده طار وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) فلما رأى وحش الفلا ذلك الحال فرح بذلك السوط الذى ماحازه أحد من الرجال وقد دخل عليه السرور والأفراح فى تلك البرارى والبطاح وزالت عنه الهموم والأتراح وقد سار بعد ذلك من هذا المكان يقطع البرارى والقيعان مدة يومين وفى اليوم الثالث عند إشراق النهار وهو سائر فى البر حتى أشرف على مدينة عالية البنيان مشيدة الأركان مبنية بالصخور والأحجار عالية الأسوار تحير فى صفتها النظار مكينة الجدار وأبواب هذه المدينة كلها معلقة وهى فى الهواء شاهقة مفوقة وأهلها الجميع كلهم محصورون على الأسوار وهم النساء والرجال والصغار وهم يبكون بدموع غزار على ماجرى لهم من الأثار وهم لابسو السواد

والحداد وحالهم كمثل الذى فقد الأهل والأولاد وهم فى هموم وأتراح وبكاء ونواح ونظر فى مقابل هذه المدينة كومين وعلى كل كوم خيمة منصوبة خيمة تدل على أن من داخلها عروسا والثانية تدل على أن فيها جزبا واوسا (قال الراوى) فلما نظر وحش الفلا إلى ذلك الشأن أخذته الحيرة والهيمان وقصد خيمة العروس لينظر مافيها من الناس ويزيل عن قلبه الهم واليأس ومازال قاصداً إلى تلك الخيمه إلى أن وصل إليها فرأى من داخلها أجمل عروس وهى مزينة بسائر الملبوس وهى ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال بخد أسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل كما قال الشاعر جميل هذه الأبيات :

أشرقت فى الدجى فلاح النهار ... وأنارت من فوقها الأشجار
من سناها الشموس تشرق والأنجم تزهو وتزهو الاقمار
تسجد الكائنات بين يديها ... حين تبدو وتهتك الأستار
وإذا أومضت بروق جمالها ... هطلت من دموعها الأمطار

(قال الراوى) فنظر إليها وحش الفلا فوجدها تبكى بدموع غزار وتنحدر على خدودها وهى تبكى على الاهل والجيران وفرقة الاصحاب والخلان وتذم الزمان الذى رماها بالحرمان بعد الامن والامان وانها بنت ملك وسلطان وتزوج بها عفريت من الجان وهى تنشد وتقول :

بليت بما لم يكن فى الحساب ... ومن بعد عزى ذقت العذاب
سأصبر رغما على جور دهر ... فكم خبث الأمر حينا وطاب
عسى الصفو يهدى إلى نسل حام ... ينالون عزا بقــدر مهاب
عسى بطشه الدهر فى نسل سام ... يصيرون فى الناس مثل الكلاب
شكوت إلى الدهر ماحل صبرى ... وقد كان صبرى يهين الصعاب

(قال الراوى) وبعدما فرغت البنت من ذلك الشعر والنظام بكت بدموع سجام وقد نظر قدامها إلى وحش الفلا وهو غلام أمرد كانه حسام مجرد وأيضا نظر إليها وحش الفلا نظرة أعقبته ألف حسرة وقد رأى لها خالا أخضر على خدها مثل الذى على خده ولكن صعب عليه مانالها من بكائها وعويلها وقد سلبت قلبه وملكت خاطره ولبه وغيبت ذهنه وهيجت شوقه وحزنه فأشار إليها ينشد ويقول هذه الأبيات صلو على صاحب المعجزات :

بديع الحسن مـاهــذا التجنى ... ومن أغراك بالأعراض عنى
حويت من الرشاقة كل معنى ... وحزت من الملاحة كل فن
وأجريت الغرام بكل قلب ... ووكلت السهاد بكل جفن

وأعلم أن شأن الغصن يحنى ... فياغصن الاراك أراك تحنى
وعهدى بالظباء غدت أسارى ... واسرى فى يد الظبى الاغن
وأعجبت ما أخذت عنك أنى ... فتنت أو أنت لم تشعر بأنى
فلا تسمح بوصلك لى فانى ... أغار عليك ياذا الظبى منى
ولست بقائل مادمت حيا ... فتب قلبى إلى كم ذا التمنى

(قال الراوى) فلما سمعت الصبية ذلك الشعر والنظام زاد بها الوجد والغرام إلى وحش الفلا لما نظرت فيه من حسن القوام فزاد بها أيضا العشق والهيام فقالت له أيها الشاب المليح الذى وجهه بدر يخجل المصابيح بحق الذى أنشاك وخلقك وسواك من أنت ومن أين أتيت فقال لها أنا اسمى وحش الفلا وقد أتيت من ذلك البر مقبلا وأنا من مدينة الملك أفراح وأنت من أنت ياست الملاح ومن سفك دم العاشق ماعليها جناح فقالت له اعلم ياسيدى أنى اسمى شامة بنت الملك أفراح صاحب هذه الأرض والبطاح وحاكم هذه المدينة التى تراها قدامنا والذين على الأسوار أقاربنا وأهلنا (قال الراوى) فلما سمع وحش الفلا ذلك الكلام زاد به العشق والغرام وغاب عن الوجود وبقى فى صفة مفقود لما سمع أنها بنت الملك أفراح صاحب الرايات والبنود وهو الذى رباه وهو صغير مولود (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك سببا عجيبا وأمرا مطربا غريبا يتحير فيه أرباب الفنون وكان ذلك كله من الحكيم سقرديون لما خالف الملك أفراح قوله ومارضى يطاوع هواه وميله ويقتل وحش الفلا ويرميه فى البطاح فاغتاظ من الملك أفراح فصار يدبر فى مكره ودهائه وخبثه وغدره وأراد أن يرسل لأخيه النحيس الملعون سقرديس حكيم الملك سيف أرعد حاكم ذلك الأرض والفدفد ويخبره بأن هذا الأمر الذى قد تجدد من الأمور الكبار ويفعل مايجب ويختار فخرج من المدينة وقد سار يقطع البرارى والقفار فبينما هو سائر إذ اعترضه فى طريقه صاحب من أصحابه وهو كاهن خبيث سحار مكار يقال له عبد نار فوجده متغيرا مغتاظا فسأله عن حاله وما الذى جرى له فقال الحكيم سقرديون يا كاهن الزمان أن الملك أفراح ربى غلاما أبيض اللون كأنه مصباح ليس هو من جنسنا ولا يشبه لوننا فلما كبر وانتشى ودرج ومشى خرج نارا محرقة وصاعقة مبرقعة فخفت أن يكون على يديه انفاذ دعوة نوح فقلت له أخرج الغلام من أرضنا ولا تتركه فى بلادنا وإلا أقتله وعلى الأرض أجندله فخالفنى فى مقالى وعارضنى فى أحوالى وأحضر غائبا من نوابه وهو من تحت يده على بلاده وهو شجاع وقرم مناع كأنه البحر إذا

زخر وله جنان أجرأ من تيار البحر يقال له عطمطم خراق الشجر وقال له خذ هذا الغلام يا بن حام وعلمه الفروسية والشجاعة والقوة والبراعة وأنا مرادي يا حكيم الزمان أخبر ملك الحبشة والسودان بهذا الأمر والشان فقال له الكاهن وما مرادك أن تفعل من الافعال وما الذي تريده من الأعمال فقال له مرادي أن أفرق بين الملك أفراح وبين ابنته وأريد تزايد همه وحسرته فان الغلام على خده شامة والبنت على خدها شامة أيضا ومتى اقترنت هاتان الشامتان فابشر فى بلاد الحبشة بالخراب ويزعق فيها البوم والغراب (قال الراوى) فلما سمع الكاهن ذلك الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال له أزال عن قلبك الآلام والأسقام وانظر منى العجب يا ابن الكرام فأنا أفرق بينهما فى هذا الأوان فى مدة يسيرة من الزمان ثم إن ذلك الكاهن قام من وقته وساعته بعد ما زال عن قلب الحكيم سقرديون عظيم حسرته وكان أكبر ساحر شيطان فى صورة إنسان ودخل بيت رصده ومحل خبثه وعدده وعزم وهمهم ودمدم بأسماء لا تعرف وإذا الأرض انشقت واهتزت وارتجت وخرج منها مارد عظيم شنيع الخلقة هائل المنظر يطير من عينه الشرر فقال له الساحر أقسمت عليك بالذى جعلك أكبر المردة الكبار منهم والصغار أن تخرج من وقتك وساعتك وتبذل مجهودك وهمتك وتمضى إلى مدينة الملك أفراح وتبدل سرورهم بالهموم والأتراح وأزعق عليهم زعقة منكرة حتى يخرجوا إليك ويجتمعوا عليك صغيرهم وكبيرهم بالهموم وأميرهم ومشيرهم ويقفوا بين يديك ويسألونك عن حالك وأى شىء جئت فيه من أعمالك ويقولون لك أخبرنا ما أنت طالبه منا وما الذى أقدمك علينا فقل لهم أنا أريد منكم أن تخرجوا إلى بنت ملككم وهى بنت الملك أفراح صاحب تلك الارض والبطاح وأن يلبسها أعظم الملبوس وأن يزينها بأفخر الزينة ويخرجها خارج المدينة فى خيمة عظيمة وفى غد أجىء وآخذها من عندكم وأنصرف إلى سبيلى من أرضكم وإن لم تفعلوا ذلك أقلع آثاركم وأخرب دياركم وأخرب مدينتكم وأشتتكم فى البر عن بكرة أبيكم (قال الراوى) فلما سمع المارد ذلك المقال أجابه إلى ما طلب فى الحال وقال سوف تنظر ما يسرك قال وكان فى ذلك الزمان وذلك العصر والأوان الإنس يصحبون الجن والجن يصحبون الإنس ويتحدثون معهم ولا يفزعون منهم ولا يمنعون بعضهم عن بعض ويظهرون على وجه الأرض إلى زمن ظهور سيد الملاح ورسول الملك الفتاح سيد الأنام ورسول الملك العلام الذى ظهر من بين زمزم والمقام وأبطل عبادة الأوثان والأصنام ببركة دين الإسلام وأبطل السحر والكهانة ببركة الشفيع فى العصاة يوم القيامة محمد ﷺ (قال الراوى) فعند ذلك خرج المارد من بين يديه إلى الخلا وطلب الجو الأعلى وذلك المارد يقال له المختطف ثم أنه علا فى هبوب الرياح ونزل على مدينة الملك أفراح وحام حولها

وطاف فى جوانبها وصرخ عليهم صرخة منكرة اهتزت لها الجبال وخاف من تلك الزعقة النساء والرجال وشابت لهولها الأطفال وزعزعت لها الجبال والآكام وكادت أسوار المدينة تسقط وتنهدم من شدة صرخته وعظيم زعقته وأظهر لهم بروقه وصعوقه فوقع فى قلوبهم الخوف والفزع وارتجت له المدينة بأهلها وفزع فرسانها وأبطالها ونساؤها ورجالها وخافوا الخوف الشديد الذى ما عليه من مزيد فخرجوا من المدينة إلى البر والبيد وأقبلوا على ذلك المارد الشيطان فى تلك البرارى والقيعان وقالوا له أيها المارد المريد والشيطان العنيد والعارض الشديد ماشأنك وما تريد فقال لهم إنى أريد منكم أن تزينوا شامة بنت الملك أفراح بأفخر الزينة والملبوس وتخلوها وتجلوها مثل العروس وتخرجوها فى خيمة عظيمة كبيرة خارج المدينة حتى أعود إليها غدا وآخذها وأتزوج بها وأروح إلى حال سبيلى عنكم وأرحل من دياركم وإن لم تفعلوا ذلك أهلكتكم عن آخركم وخربت مدينتكم على رءوسكم (قال الراوى) فلما سمع أهل المدينة ذلك الكلام المناح زال عنهم السرور والأفراح ودخلت عليهم الهموم والأتراح ودخلوا فى الحال على الملك أفراح وهم يصيحون بالويل والثبور وعظيم ثم الأمور وقالوا له أما سمعت يامالك الزمان وفريد العصر والأوان ماقاله ذلك المارد الشيطان فقال لهم سمعت ياقوم ماقد جرى فى ذلك اليوم ثم أنه بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وحزن حزنا عظيما على ابنته شامة وتندم على ماجرى له غاية الندامة فقالوا له يامالك الزمان وحق زحل فى علاه والنجم وماسواه إن لم تعط ابنتك شامة لهذا المارد وتخرجها إليه فى البر والقيعان أخذها منك غصبا وإن زاد الأمر علينا أخذناها منك وسلمناها إليه يأخذها ويروح عنا ويرحل عن بلدنا وقد اتفق أهل البلد على هذا الكلام (قال الراوى) فعند ذلك قام الملك أفراح على قدميه وهو لايعرف ما بين يديه من شدة الغيظ الذى نزل عليه وسار من وقته وساعته إلى القصر وطلب زوجته وهى أم شامة فأتت وهى باكية حزينة وأخبرها بما جرى من المارد وأهل المدينة وحكى لها ما جرى له من أوله إلى آخره وأطلعها على باطنه وظاهره فعند ذلك لطمت أم شامة على وجهها وشقت ثيابها وتباكى عليها جواريها وحزن النساء والرجال والبنات والأطفال على ماجرى من ذلك الحال وحزن أهل المملكة أجمعين حتى غشى عليهم من شدة حزنهم لأن أباها وأمها ما كان معهم غيرها ثم أنهم بعد ذلك اشتغلوا بزينة المملكة شامة بنت الملك أفراح بأطيب الزينة والملبوس وألبسوها أحب الملبوس رغما عن أنفهم مما جرى ونزل عليهم وباتوا تلك الليلة وهم فى هموم وأتراح وبكاء ونواح وهم قاعدون عندها يتودعون منها حتى أصبح الصباح وأضاء

بنوره ولاح فأمر الملك أفراح أن ينصبوا خيمة لابنته التي هي أعز من روحه وجثته على تل عال وخيمة على تل ثان ففعلوا ما أمرهم به وقد تودع منها أبوها وأمها وأهل مدينتها وما زالوا معها حتى أدخلوها الخيمة وتركوها في ذلك بالحسرة والندامة وعادوا راجعين وعليها باكين وأما أمها فرجعت هي ومن معها من النساء وهي في هموم وأسى إلى الخيمة الثانية وهي في حزن وعديد وبكاء شديد ما عليه من مزيد وأما الملكة شامة فإنها جلست في الخيمة حتى يأتي الملعون فيأخذها وصار أهل المدينة فوق الأسوار الكبار منهم والصغار وهم منتظرون ما يحل بالملكة شامة ويجري لطامع الجني المختطف من الآثار وكيف يصنع بها في ذلك البر والقفار ويقولون يا هل ترى يقتلها أو يأخذها وأما الملكة شامة فقعدت في هذه الخيمة وهي حزينة على ما نزل بها من البلاء وتستغيث بمن بسط الأرضين ورفع السماء وعلم آدم الأسماء فبينما هي كذلك إذ أقبل عليها وحش الفلا فوجدها وهي تبكي وتنشد الأشعار كما ذكرنا فاستخبرها عن حالها فأخبرته بما جرى لها كما وصفنا وتعرفوا ببعضهما في هذه الساعة لأنهما كانا يسمعان ببعضهما ولا هو يراها ولا هي تراه فسلما على بعضهما سلام الأحباب إذا كانوا في غياب ثم قال لها وحش الفلا خبريني ثانيا بالخبر وأطلعيني على جلية الأمر فأخبرته الملكة شامة بما وقع من الحكيم الملعون سقرديون والساحر المفتون والمارد الجبار وما جرى لها من الأخبار (قال الراوي) فلما سمع وحش الفلا ذلك المقال أخذته الحيرة والانذهال وقال لها يا قرة العين والروح التي بين الجنبين يا حبيبة قلبي لا تخافي ولا تزعلي فإن قصدي أن آتي ذلك العفريت الشيطان وأريك ما أفعل به من الأمر والشان وأكون لك فدا من كل سوء وواد وإن أتى إلى ذلك المارد المريد من ذلك البر والبيد قلعت عينيه وأخذت روحه من بين جنبيه كل ذلك يجري وأهل المدينة تنظر وترى ويتعجبون من الأمر الذي طرأ ويظنون أن وحش الفلا هو المارد ويأخذها ويرجع عائدا فبينما هما يتحادثان مع بعضهما في ذلك الكلام وإذا بالغبار غبر وعلا وتكدر والجو أظلم والقتام خيم من شدة خفقان أجنحة هذا المارد وبعد ساعة انجلى هذا الغبار وبان للنظار وظهر من تحته ذلك المارد الجبار وقد أقبل من البر والقفار وحط يده على هذه الخيمة وقلعها من الأرض ورمى بها إلى خلفه ثم نظر المارد إلى وحش الفلا وهو قاعد بجانب الملكة شامة في الخلا فزاد به الغيظ ونزل عليه البلاء والتفت إليه وزعق عليه وقال له يا ولد الزنا وتربية الام الخنا ما الذي حملك على جلوسك عند عرسي وزوجتي وأنسي وأما جئت آخذها عندي يا قطاعة الإنس لا كنت ولا عمرك كان ولا عمرت بملك وأوطان يا قرنان يا ابن ألف قرنان ثم إن المارد صاح عليه صيحة مزعجة اندك لها الجبال والأودية والتلال فارتعدت فرائص وحش الفلا وأحس أن الأرض غارت به من دون الملا من شدة هذه الصيحة وعظم هذه الزعقة وتفككت مفاصله

ولكنه جلد نفسه وقوى قلبه وشد عزمه ونظر إلى هذا المارد فرأى خلقته شنيعه وذاته قبيحة مربعة وله رجلان كالسوارى ويدان كالمدارى وفم كالزقاق ومناخير كالابواق وقدمان كأنهما تلان من تراب واذنان كل واحدة كالباب فلما نظره وحش الفلا على هذه الصفة وهذه الخلقة المخوفة مع ماسمع منه من غليظ الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقوى قلبه وقام على رجليه ومشى على قدميه وقد سحب السوط المطلسم الذى أخذه من العجمى عابد النار ووجده فى الغار لأنه أمضى من السيف البتار وأيضا سيوف الانس لا تقطع فى الجن إلا إذا كان مطلسما من قديم الزمان فانه هو الذى يقطع فى الاعوان .

(قال الراوى) فمد المارد يده إليه ليأخذه ويقبض عليه فضربه وحش الفلا بالسوط المطلسم ضربة جبار مع أنه من الصغار لكن له جنان اجرأ من الليث الهدار فوقعت الضربة على يده اليسار فنزلت إلى الارض فى البر والقفار كانه نشرها بمنشار أو قسمها ببيكار فعندها صاح المارد آه آه قتلتنى ياقطاعة الانس ويارذى الجنس باولد الزنا وتربية الخنا وأخذ يده المقطوعة من الارض وجعلها تحت إبطه ولزقها محل القطع خوفا أن يخرج الدخان لأن الجن لا يسيل له دم لأنهم مخلوقون من النيران باذن الرحيم الرحمن الذى خلق الإنس والجان ثم إن المارد المختطف نشر اجنحته وطار من وقته وساعته فهذا ماكان من امر هؤلاء وماجرى لهم من الاخبار واما ماكان من أهل المدينه الذين على الاسوار فانهم لما نظروا إلى ذلك الحال اخذتهم الحيرة والانذهال وتعجبوا من هذه الاحوال وفرحوا فرحا شديدا ماعليه من مزيد وصاحت أهل المدينة بالفرح والسرور وإزالة البؤس والشرور والهموم والاتراح ودخلت عليهم المسرات والأفراح وفرحت النساء والبنات وزالت منهم الهموم والحسرات وفتحت الآبواب وخرجت النساء والشباب والبنات والاطفال والفرسان والرجال وخرج الملك افراح وقد زادت به الافراح وهو ملهوف الفؤاد هو وجميع دولته وأهل مملكته وعسكره ورعيته ومعهم تخاليق الزعفران وقد صار المعنون من أبواب المدينة حتى وصلوا إلى خيمة الملكة شامة ونثروا على رأس وحش الفلا النشور ودخل الفرح والسرور وكان ذلك يوما مشهورا وفرح ابوها بذلك واخذها بالاحضان وقبلها بين الاعيان ثم انه التفت إلى وحش الفلا وهو من الفرح قد امتلا وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وقال له لاشلت يداك ولاشمتت بك أعداك وفرح بهما فرحا شديدا ماعليه من مزيد ثم أنه بعد ذلك أخذهما من ذلك البر وسار ودخل المدينة وطلع القصر وامر بالزينة فى المدينة فزينوها بأفخر الثياب وفرحت الرجال والشباب (قال الراوى) فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ماكان من الحكيم سقرديون فانه قد حضر من عند الكاهن وكان قد رجع من عند المارد المختطف

فوجد المدينة مزينة بأحسن زينة وسمع الناس ضجة وزفة وسمع جميع أهل المدينة يتحدثون بما فعل وحش الفلا مع المارد في البر والخلا فاغتاظ الحكيم سقرديون ونزل عليه الغم والهوان واغتاظ غيظا شديدا ما عليه من مزيد ولطم على وجهه ونتف لحيته وأخذه الغضب والضجر وكانت مرارته أن تنفطر ودخل بيته وهرباك ودموعه على خديه تنحدر وقد لحقه الذل والخبل إذا لم يبلغ ما يريد من الأمل هذا ما جرى الملعون والمفتون الحكيم سقرديون وأما ما كان من الملك أفراح فانه أفرد لوحش الفلا حجرة برسمه وخلع عليه خلعة سنية تساوى ألفا ومية وطلعت الملكة شامة وهى مسرورة بخلاصها من ذلك الجنى الجبار على يد الفارس الكرار والبطل المغوار وقد أملت أن تكون له من جملة الجوار وقد أمر المنادى أن ينادى فى المدينة بجمع الصغار والكبار والنساء والرجال والفرسان والأبطال وأن يحضروا وليمة الملك أفراح أن يكونوا مجتمعين عند الصباح ويأكلوا من سماط الملك الخاص والعام مدة ثلاثة أيام ويأخذوا كفاية بيوتهم وما يليق من أكلهم وشربهم فحضروا وأكلوا كفايتهم ثلاثة أيام ودعوا للملك بالعز والإنعام وإزالة البؤس والأسقام وهم فى هناء وسرور والكاسات عليهم تدور وهم فى ضحك ولعب وانشراح وهناء وسرور وأفراح حتى انقضت الولائم وقد رقصت فيها جميع العالم (قال الراوى) فهذا ما كان أمر الملك أفراح وما جرى له من الايضاح وأما ما كان من ابنته شامة التى كأنها مصباح فانها تولع قلبها بذلك الغلام لما خلصها من البرارى والآكام وهو كأنه البدر التمام فتمامت تلك الليلة قائمة على الأقدام مما حل بها من العشق والغرام وتمشت بعد أن نام جميع الأنام وهجم الليل والظلام حتى أقبلت إلى حجرة وحش الفلا وكان أيضا وحش الفلا قد أحبها لما رأى من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وقد تمكن حبها من قلبه وأخذت فى عقله ولبه وهو لا يجد عنها اصطبارا مما حل به من الأمر الكبار وهو غائب العقل محتار متفكر فيما يفعل من الأفعال وكيف يخاطب أبوها بذلك السؤال ولما عليه الحال أنشد وقال الصلاة على باهى الجمال :

بما بعينك من غنج زمن كحل	وما بقدك من ميس ومن ميل
وما بثغرك من خمر ومن شهد	ومن رضابك شفا من سائر العلل
ان الذى حل بالاحشاء من وهج	أحلى من الامن عند الخائف الوجل

(قال الراوى) وكانت شامة واقفة تسمع ذلك الشعر والنظام وما قاله من الكلام فدخلت وسلمت عليه وجلست بجانبه فلما رآها فرح بها وصارت تحدثه ساعة من الزمان وقد زاد بالاثنين العشق والهيمان ثم التفتت إليه وقالت له ياوحش الفلا إعلم يا زحل فى علاه أن

كنت تحبنى كما ذكرت فى شعرك وحتى تمكن من قلبك أصبح اطلع الديوان واخطبنى من أبى يازين الفرسان بحضرة أرباب دولته ورؤوس مملكته لأنك أنت أقرب إلى وأحسن من القريب لدى وأن لك على الجميل والاحسان لأنك قد خلصتنى من الجان بعد الهم والاحزان ونجيتنى من الهلاك وسور الارتباك وإنى صرت عتيقة سيفك وأمينة خوفك فقال لها وحش الفلا ياحبيبة القلب ويامنية الصب الك على السمع والطاعة وسوف أفعل ماذكرتيه من المقال فعند ذلك ودعته ورجعت إلى حجرتها وقد زاد بها غرامها ثم اتهم باتوا على ذلك الايضاح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فقام وحش الفلا من المنام وهو زائد الوجد والغرام وتوجه إلى الديوان وسلم على الفرسان فلما نظره الملك أفراح رحب به وأجلسه بجانبه وقد صار عنده أعز من أهله وأقاربه ولم يزل جالساحتى انفض الديوان ومنعه الحياء من التكلم بين الشجعان فى أمر الخطبة والزواج وما اتفقوا عليه من ذلك المنهاج ومضى كل واحد إلى منزله عند أولاده وأقاربه فلما كان فى الليلة الثانية جلس وحش الفلا فى حجرته وقد زادت همومه وحسرته فما يشعر إلا والملكة شامة داخلة إليه فسلمت عليه وقالت له لأى شىء ما خطبتنى من أبى بين أهلى وأقاربى فى هذا اليوم ومنعت العتب واللوم فقال لها ياحبيبة قلبى وروحى التى بين جنبى استحييت منه فقالت له هل عندك الحياء ياسيدى وحش الفلا فقال لها نعم ولكن فى غداة غداً أفعل ذلك ولو كان سبب للهلاك ثم انهما قعدا يتحدثان ساعة من الزمان وودعته ومضت إلى حال سبيلها ودخلت حجرتها وأما وحش الفلا فإنه قعد حتى أصبح الصباح فقام ودخل على الملك أفراح فوجد الديوان تكامل بارباب الدولة فلما رآه الملك حياه واكرم مثواه وجلس إلى جانبه وصار يتحدث هو وإياه إلى أن أنفض الديوان وانصرفت الفرسان وقام وحش الفلا ودخل حجرته على حسب ما جرت عادته وهو متفكر فى ذلك الحال وما الذى يقوله من المقال (قال الراوى) فبينما هو كذلك وإذا بشامة داخلة عليه فسلمت وجلست بجانبه وقالت له إلى متى هذا الحياء يا سيدى وحش الفلا قو قلبك وابذل مجهودك واخطبنى وإلا وكل أحداً يتوكل عنك ثم انهما قعدا يتحدثان ساعة ومضت إلى حال سبيلها فلما كان عند الصباح دخل وحش الفلا على الملك أفراح فوجد الديوان متكاملا بالفرسان وأرباب الدولة مجتمعة فى ذلك المكان وسقرديون حاضر فى ذلك المجلس فوقف وحش الفلا وثبت جنانه وتقوى فناداه الملك وأمره بالجلوس فقال لبيك يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان ثم انه زمزم وترجم وتأخر وتقدم وأحسن ما به يتكلم ودعا للملك بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم فقال الملك وما حاجتك يا غلام حتى أهم وأقضيها لك قوام يا ابن السادات الكرام فقال وحش

الفلا جئتك خاطبا وفى كريمتك راغبا فلا تردنى خائبا فى الست المصونة والجوهرة المكنونة النعت شامه (قال الراوى) فلما سمع الحكيم سقرديون ذلك صار الضياء فى وجهه ظلام ولطم بيده على رأسه حتى تتعتعت أضراسه ونتف لحيته وشق لباسه فقال له الملك ما بالك أيها الحكيم والسيد الكريم تفعل هذه الفعال وما الذى جرى عليك من الاحوال فقال له الحكيم هذا الذى كنت أخاف منه فانه لابد منه وأنه متى اقترنت الشامتان بعضهما ببعض أبشر بخراب الأرض والديار الحبشة والسودان فالهلاك والخسران والذهاب من هذه الديار والأوطان ويصيروا عبيدا وغلمان فقال له الملك ما الذى تقوله يا حكيم الزمان وهو بالامس خلصها من المارذ الشيطان وهى فى البرارى والقيعان وكنا فى أشد الأحزان فابدل خوفنا بأمان فقال له قل له إنها مسلمة الأمر لحكيمها فاخطبها منه فهو ينعم لك بها ويزوجك إياها عن قريب وأنت أولى من الغريب فأجابه الملك إلى ذلك الأمر والمقال والتفت إلى وحش الفلا فى الحال وقال يا ولدى أنت أعز من خطب وأجل من فيك رغب ولكن أنا أعلمك وأقول لك على شىء فيه صلاح لك ولم هى مسلمة أمرها إلى حكيمها (قال الراوى) فلما سمع وحش الفلا ذلك الكلام أيقن ببلوغ المرام والتفت إلى الحكيم وقال يا حكيم الزمان إنى جئتك خاطبا راغبا فى ابنه الملك أفراح فلا تردنى خائبا فقال الحكيم بمكره وخداعه وخبثه ومحاله بخ بخ فارس الزمان إن شامة لك من جملة الجوار وأنت لها يا فارس الأقطار ولا تتزوج بغيرك أبدا وزحل ينصرك على الأعداء ولكن أنت تعلم ان البنات لهن مهور خصوصا اولاد الملوك وبنات الملوك مهورهن غال وكثيرا ايها الفارس النحرير فقال وحش الفلا يا حكيم الزمان اطلب متى ما شئت بين هؤلاء الفرسان وكل ما طلبت من المهر يأتى إليك ويحضر بين يديك فقال له لا نطلب منك مالا ولا نوال ولا نوقا ولا جمال وإنما الذى نطلب فى مهرها ان تأتى به إلى عندى من راس عبد يسمى سعدون الزنجى فقال وحش الفلا واين مكانه الذى هو ساكن فيه واوطانه قيل هو فى قلعة تسمى قلعة الثريا وهى فى ذلك البر والآكام وبيننا وبينها مدة ثلاثة أيام وإن لم تأت لنا براس سعدون لم يصر لك عندنا زواج فقال وحش الفلا لك على ذلك ولو شقيت شراب المهالك وانفض المجلس على مثل ذلك ونزل وحش الفلا فى حجرته وهو متفكر فى قصيته قال الراوى هذه السيرة العجيبة وما حوت من الأمور الغريبة ان هذا الفارس الذى قال الملعون الحكيم سقرديون الذى يسمى سعدون فارس شديد وبطل صنديد وقوم عنيد وقد شاعت فروسيته فى بلاد الحبشة والسودان وخافيه جميع ملوك تلك البلدان وكان تحت يده ثمانون عبدا شدادا لا يخافون من الموت ولا يرهبون من الموت وكان سعدون هذا فى نفسه

جبارا لا يطاق يلقى عسكرا بمفرده ولو كانوا يملؤن الآفاق وكان يقطع الطرق على القوافل وينهبها ويقتل نساؤها ورجالها وجميع المسافرين والتجار يخافون صولته ويخشون سطوته فوصل خبره إلى السلطان حاكم بلادالحبشة والسودان الملك الأكبر سيف أرعد فصعب عليه لديه فجهز له خمسة آلاف فارس من كل بطل مداعس وأرسلهم مع حاجب من حجابه فخرج إليه سعدون وهو كأنه المجنون وعبيده حواليه والعسكر تنظر إليه على الخمسة آلاف فارس فكسرهم وفى البر شتتهم ووصلوا إلى الملك الأكبر وأخبره بالخبر فتعجب من ذلك العبد الجبار وما فعل من الآثار فجهز له عسكرا ثانيا فكسره فجهز له عسكرا جرارا كأنه البحر الزخار هم ثلاثون ألف فارس من كل مدرع ولابس فى الحديد غاطس وسيرهم إلى سعدون الزنجى فلما وصلوا إليه وقدموا عليه ونظر الى كثرتهم دخل هو وأبطاله إلى قلعته وقفلها عليه فلم يقدروا عليه لأن قلعته كانت على سن جبل عالى وهى مليحة البنيان مشيدة الأركان ولها ممشى موصلة إلى الطرق لا تسع إلا فارساً واحدا وهذه القلعة مسلطة على هذه الممشى فلا أحد يقدر على أن يجوز عليها ولا يصل إليها فلذلك اطمأن قلبه وأمن من الهلاك على نفسه بالعصيان على الملوك وعلى كل غنى وصعلوك وصار له رعب فى قلوب الناس من الحبشة وغيرهم من الأجناس لأنه قوى الأساس صعب المراس وما أراد الحكيم من وحش الفلا بذلك إلا هلاكه وسوء ارتباكه .

(قال الراوى) ثم أن وحش الفلا دخل إلى حجرته وقعد متفكرا فيما جرى من الكلام إلى أن ولى النهار بالابتسام وأقبل الليل بالظلام وإذا بشامة أتت إليه ودخلت عليه وقالت ايش هذا الضمان الذى ضمنته على وإنما أراد هذا الملعون أن يسكنك رمسنك ويعدمك أهلك وجنسك وقتلك وهلاكك فقم نخرج أنا وأنت من هذه الأرض والبلدان إلى أرض غيرها بعيدة عن الأوطان ونعيش تحت يد ملك من ملوك الزمان فى هناء وأمان إلى أن نموت ولا نعيش فى هذا المكان الذل والهوان فقال لها معاذ الله أن آخذك سفاحا وإنما آخذك نكاحا فلما سمعت شامة ذلك الكلام تركته وقامت واقفة على الأقدام ومضت وهى مغتاظة مما حل بها من الأسقام وأما وحش الفلا فانه ما ذاق طعاما ولا شراب فى ليلته ولا مدام ولا ذاق اطعم المنام مما حل به من الشوق والغرام وخاف أن يراه الملك أفراح بعين النقص والهوان فقام من وقته وساعته بذلك المكان وشد جواده ولبس عدة حربه وجلاده وخرج فى ظلام الليل يقطع البرارى والقفار والسهول والأوعار وقد زاد به الغرام والعشق والهيام وهو سائر فى البر والآكام وهو مع ذلك ينشد ويقول :

أرجوا وآمل أن الشمل يجتمع ما كان لى فى حياتى بعدكم طمع

أقسمت مافى فؤادى غير حبكم　　والله ربى على الأسرار مطلع

(قال الراوى) وصار بعد ذلك يقطع البرارى والبطاح إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فأقبل على وادى فسيح ومروج وفيح فظهر عليه من ذلك البر والوهادوسن ناحية تلك البلاد فارس شديد وعلى جسده الزرد النضيد وهو لابس الحديد معتقل برمح مديد وهو كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو راكب على جواد أصفر فى لون الذهب الأحمر شديد الغضب تربية ملوك العرب مضيق الليام مقبل من ذلك الآكام وهو يتمايل على ظهر الجواد كانه من الآساد فلما رأى وحش الفلا صاح فيه وقال إلى أين ياولد الزنا وتربية الامة الخنا خذ ما أتاك وأبشر بهلاكك وفناك فقد جاء الموت الأحمر الذى لايبق ولايذر ياانذل ياغدار ومثلك يسير وحده فى البرارى والقفار ثم ان ذلك الفارس مد الرمح اليه وزعق وانطبق عليه فلما رأى وحش الفلا ذلك وما قال له ذلك الفارس من المقال أخذته الحيرة والانذهال وصاح فى جواده فخرج من تحته كانه البراق اذا برق أو الريح اذا خفق وانطبق على ذلك الفارس الجبار فى تلك البرارى والقفار وتطاعنا بالاسمر الختار وتضاربا بالسيف البتار وانطبقا الاثنان كانهما بحران متلا طمان وتقاتلا قتالا شديدا وطلع عليهم الغبار وما زالا على ذلك العيار الى أن انتصف النهار فغضب وحش الفلا من طول المقام فى ذلك البر والآكام وذلك الفارس يعيقه عن بلوغ المرام فحمل عليه كأنه أسد الآكام وزعق فيه زعقة عظيمة اهتزت لها الجبال والأودية والتلال فأدهشه وحيره وضربه بعقب الرمح فى صدره فقلعه عن مركبه فنزل وحش الفلا عن ظهر الجواد فى ذلك البر والمهاد وتقـــدم إليه ليذبحه ويقتله وعلى الأرض يجندله فصاح عليه ذلك الفارس أمسك يدك أيها الفارس الصنديد والبطل الشديد فانك تندم حيث لاينفعك الندم ويفوتك الخير والنعم وتمس فى البؤس والنقم فقال وحش الفلا لأى شىء يا قرنان يا ابن ألف قرنان ونحير من ذلك الأمر والشأن فقال له الفارس الجحجاح يافارس الأرض والبطاح ابشر بالسرور والأفراح ازالة الهموم والأتراح أنا الملكة شامة بنت الملك افراح .

(قال الراوى) فلما سمع وحش الفلا ذلك الـكلام غاب عن الوجود وبقى فى صفة مفقود وقال لها ولأى شىء فعلت هـذه الفعال فقالت حتى أجربك فى القتال وأرى فروسيتك وقوتك وشجاعتك فرأيتك فارس الزمان وسيد الشجعان ولـكن خذنى معك وفى صحبتك لاتعاون أنا واياك على قضاء حاجتك وبلوغ أمنيك .

(قال الراوى) ياسادة: فقال لها لايكون ذلك أبدا ولوسقيت شراب الردى لئلا يقال لولا



(الملكة شامة بنت الملك أفراح)

شامة بنت الملك أفراح ما قدر وحش الفلا على سعدون الزنجى فقالت له إن لم تأخذنى معك فقال لها لايكون ذلك ولو شربت كأس المهالك (قال الراوى) فرفعت شامة رأسها الى السماء وقالت يامن رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض على ماء جمد أوقع وحش الفلا فى شامة ولا يخلصه منها الا أنها تركته وصارت فى البر والآكام وقد زاد بها العشق والغرام فأنشدت هذه الأبيات صلوا على كثير المعجزات :

الى متى هذا الصدود والجفا فيما جرى من أدمعى ماقدكفى
ان كنت بالهجران تقصد عامدا أن يشتفى الحاسد ها هو اشتفى

(قال الراوى) هذا ماكان من وحش الفلا فانه سار طالب القلعة باقى هذا اليوم والثانى والثالث حتى أشرف على القلعة عند اختلاط الظلام ومازال سائرا حتى اتى بابا فوجده مقفولا فوقف حيران فى ذلك الليل المهول لا يدرى ما يصنع واذا هو يحس بخيل تصهل فى ظلام الليل مقبلة من البرارى والقيعان وهى ســود فى لون القطوان وعليها فرسان كأنهم العقبان فاختبأ وحش الفلا فى جانب من ذلك البر وقد

ستره الظلام بقدرة الملك العلام إلى أن وصلوا وقربوا منه فوجد عشرين من العبيد وهم أبطال صناديد ناهبين قافلة من تلك الأراضي والبيد وجميع مافيها من الأموال ورجالهم مربوطين على ظهور لهم بالحبال وهم يصيحون فى البرارى والتلال فلما وصلوا إلى باب القلعة اختلط بهم وحش الفلا فعند ذلك دقوا باب القلعة ففتح لهم فدخلوا جميعهم ودخل وحش الفلا معهم إلى أن توسطوا القلعة فتركوا الجمال ونزلوا ماعليها من الأحمال ونزلوا الرجال من ظهر الخيل والبغال والكل مشدودون بالحبال فلما حطوهم طلع العبيد القصر مثل الشياطين فوقف وحش الفلا ينتظرهم فلم ينزل أحد لا أبيض ولا أسود فقال فى نفسه إذا كانوا لم ينزلوا إلى هذا المكان فأنا أطلع إليهم وأبذل فيهم الحسام اليمان فتقدم إلى الموضع الذى طلع فيه السودان فإذا هو درج ألوان فطلع أول درجة فزاغت من تحت قدمه فنزل يهوى فى مهوى بعيد بمكابس فيها بكر وأحبال طولا وإذا بخنجرين من اليمين وخنجرين من الشمال فعرزا فى حواصره حتى كاد أن يقطعا جنبيه وكل ماداس إلى أسفل تغرق الخناجر فى وسطه حتى كاد ان يهلك ويعدم نفسه فحط يديه على الخناجر وخفف رجليه عن المكابس التى تحته وصار يتحرك ليخلص فلم يقدر على ذلك فأيقن أنه هالك فشكا حاله إلى من يعلم سؤاله وبكى وان واشتكى وصار يستغيث بهذه الأبيات وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول .

ياخائفا من دهره كن آمنا	وكل الأمور إلى الذى مد الثرى
إن المقدر كائن ياسيدى	فلك الأمان من الذى ماقدرا

(قال الراوى) فبينما هو كذلك وقد أيقن بشرب كأس المهالك وإذا بشخص أقبل من صدر الحصن وناداه لا بأس عليك يابطل الزمان وقرة الاعيان ثم ان ذلك الشخص تقدم وخلصه مما هو فيه وقلع الخناجر من خاصرتيه فناداه وحش الفلا أخبرنى أيها الفارس الجحجاح من أنت ياأسد البطلح يامن أزالت عنى الهموم والاتراح وابدلت خوفى بالسرور والافراح فناداه ذلك الشخص وبشره وقال أنا الملكة شامة بنت الملك افراح فقال لها ياقرة عينى قد استجاب الله دعاك حتى خلصتينى من الاشراك فقالت نعم فقال لها وكيف جئتنى إلى هذا المكان وسرتى فى البرارى والقيعان ياسيدة النسوان فقالت له تبعت أثرك خوفا عليك من هذه المهالك لانك ماتعرف لهذه القلعة مسالك فاختلطت بالعبيد كافعلت ياسيدى ووقفت أنا أبصر ماتفعل وما الذى تدبره من العمل فوجدتك قد وقعت فى هذا الفخ المنصوب فجئت وخلصتك من الكروب وانا الآن بصحبتك فإذا اردت الصعود على اى درجة فجسها قبل أن تصعد عليها فأجابها وحش الفلا إلى سؤالها لأنه رأى رأيها صواب وامرها لايعاب فجعل وحش الفلا السيف فى يده وذبابه إلى اعلى وراسه إلى اسفل وصار يجس به الدرج ويدق عليها وكل

درجة أقبل إليها يبصرها ويجسها فان كانت ثابتة يدوس عليها وإن كانت غير ذلك يتأخر عنها حتى وصل إلى رأس السلم فوجد البسطة تلعب من أعلاها وأسفلها فالتفت إلى شامة وهى إلى جانبه لا تقدر ان تفارقه وقال لها فخ أعلا وفخ أسفل وما الذى ينجينا من الوحل وانى اظن انه قد فرغ الاجل ولم ننل من بعضنا بعض أمل فقالت له ماتقدر أن تضع يدك فى الحائط من هنا وتنفلت فتصير فى الدهليز فأجابها وفعل ما أمرله فصار فى أعلا المكان ثم أنها انقلبت فصارت عنده وتبدل خوفهم بأمان فوجدوا دهليزا واسع المكان هو رخام كله من قديم الزمان فرأوا باب القصر وهو عظيم يزيل الهموم والحضر وله مصراعان مصراع مقفول والثانى مفتوح والنور طالع منهما فوقف وحش الفلا خلف المصراع المقفول ونظر بعينه فرأى ثمانين عبدا صفين متقابلين أربعين يمينا وأربعين يسارا وهم كانهم العمار وفى صدر الايوان عبد قاعد كانه شيطان أو عفريت من عفاريت سيدنا سليمان وهو كأنه طود من الاطواد أو من بقايا قوم عاد بدماغ قدر القبة المبنية ووجه قدر الصانية بعينين كأنهما شعلتان وشفتين كانهما دلوان وزنود مثل زنود الفيل وهو عريض طويل (قال الراوى) وهذا العبد هو سعدون الزنجى ثم انه التفت إلى من حوله من العبيد وقال لهم بكلام مثل الرعد القاصف أو الريح العاصف ياعبد السوء إيش فعلتم بالأسارى من الهوان وما الذى انزلتم بهم من الذل والخسران فقالوا انهم فى اسفل الحصن ايها البطل الهمام والأسد الضرغام فقال لهم ربما يكون رباط أحدهم ضعيف فقطعه ويخلص أصحابه فيمسكوا سلم القلعة فيحرموا احدا منكم ان ينزل لان اذنى طنت وعينى رفت فلابد أن يقوم أحد منكم فينظر خبر الاسارى فلما سمع العبيد من مقدمهم ذلك المقال وثب منهم عبد كانه جمل حل من عقاله إلى ذلك الحال وقال انا ياسيد انا اكشف الخبر وآتيك بجلية الأثر وحط يده على سيفه وطلب دهليز القصر ليزيل عن المقدم الهموم والحصر فنظره وحش الفلا وهو قائم على قدميه وقادم عليه فارتكن إلى جانب الحائط وصبر عليه حتى صار عنده وبين يديه فضربه فوق كتفه الايمن فخرج السيف من تحت إبطه الأيسر اسرع من لمح البصر فسحبته شامه إلى جانب الحائط فأبطأ خبره على سعدون فبقى كانه مجنون فقال للعبيد إنى أرى صاحبكم ماظهر وأظن أنه مات واندثر فليقم احدمنكم ينظره ويأتينى بخبره فخرج الثانى فضربه وحش الفلا بالسيف على عاتقه فاطلعه يلمع من عاتقه فجرته شامة إلى جانب رفيقه فلما ابطأ على سعدون قال ماهـــذا خبر خير وما أظن إلا للعبيد صياد يصطادهم ثم انه صلح على عبد ثالث وقال له قم وانظر رفقاءك واتينى بخبر اصحابك واخوانك فخرج العبد حتى صار عند وحش الفلا فضربه وقتله وعلى الأرض وجندله فجرته شامة عند رفقائه فلما ابطأ خبرهم عليه صلح

سعدون على العبيد وقال قوموا وابصروا واخبروا اخوانكم فقالوا له انت جعلتنا أغنام للجزار قم انت بنفسك وانظر هذه الاخبار (قال الراوى) فعندها قام سعدون وهو كانه الاسد الغضبان والجمل الشارد عن الأوطان وقام جميع العبيد وحطوا أيديهم على سيوفهم وسحبوها وقد أوقدوا الشموع وامسكوها فقال وحش الفلا فى نفسه لم يبق لى فى هذا الوقت عن هذا العبد الجبار والذين معه الاشرار وما ينجينى من الهلاك والبوار إلا السيف البتار ثم أنه وقف فى وسط الدهليز وإذا المتقدم نظر وحش الفلا وهو واقف فى الظلماء والسيف فى يده يلمع كأنه النجم حين يطلع والعبيد حوله مقتولة وعلى الارض مجدولة فأخذته واشجفة وصار يرتعد مثل السعفة فقال رفقاؤه ما الديك وما الذى جرى عليك نراك قد توقفت عن الخروج نقال لهم هذا الصياد الذى اصطاد إخواننا خارج هذا المكان .

وما أظن إلا أنه عامر هذه الأوطان وقد ظهر لنا لإخوان وهو واقف مثل النمر الحردان فتوقفت جميع العبيد عن الخروج فقال لهم سعدون وهو مما نزل به مغبون إن لنا فى هذا المكان مدة من الزمان وما نرى أحد علينا لا إنس ولا جان ثم أنه قفز وصار قدام العبيد وصرخ وقال ياهذا اظهر نفسك وبين لنا خبرك إن كنت من فرسان هذا الزمان أو من بعض فروخ الجان ما شأنك وما تريده منا وما الذى اقدمك علينا فاجابه وحش الفلا وقال له ياقرنان أنا من الإنس لا من الجان وجئت آخذ رأسك وأخمد انفاسك واهدم اساسك واعود بالسرور والأفراح وازيل عن قلبى الهموم والاتراح لانى جعلت رأسك مهر زوجتى شامه بنت الملك افراح (قال الراوى) فلما سمع العبد سعدون ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقال له وما تكون شامه ومن يكون الملك افراح ولا كنتم ولا كان ولا عمرت بكم أوطان ولكن انت لى وانا لك لانك جئت بسببى والان اقتلك وفى هذا القصر اجندلك فعندها قال سعدون للعبيد لا احد منكم يتقدم ويدخل بينى وبينه فيندم حتى ابصر نفسى مع هذا الإنسان وابدل عزه بهوان ثم انه التفت إلى وحش الفلا وقال فى اى مكان تحب ان تقاتلنى وبأى موضع اردت أن تحاربنى فقال له ندخل إلى ذلك القصر قال نعم ما رأيت فعند ذلك دخل العبد ودخلت العبيد جميعهم ودخل وحش الفلا من ورائهم ووقف فى وسط القصر ثم دخل سعدون فى مخدع من مخادع القصر وخرج منه وهو مثل أسد من حديد أوكانه قطعة من الجلاميد وهو يزمزم ويبربر بلغة العبيد فلما رأى وحش الفلا العبد وهو مقبل عليه وقد طلع الزبد على شدقيه وهو من كبر جثته ملأ ذلك المكان فاستقبله وحش الفلا كأنه الأسد الغضبان وهو ينشد ويقول :

نظرت بعيني ذات حسن وبهجة ... فأورثني ماشمته كل حسرة
وخلصتها من شر كيد عدوها ... وقطعت زنديه بفائق همتي
ورمت بها التزويج ثم خطبتها ... فجاد ابوها لي بأرغب حالة
فأفسد ذلك سقرديون بمكره ... جزاه إلهي كل شر ونكبة
وقال إذ مارمت ياذا فتاتنا ... بهامة سعدون ائت ياذا بسرعة
فقلت له كل الذي تطلبونه ... سأحضره في الحال من غير مهلة
وسرت مجدا في السيرا وسائتني ... براسك ياسعدون مهر حبيبتي
ولابد لي مما ذكرت حقيقة ... ولو خضت غمرات المنون بقوتي
ساوردكم ياآل حام مواردا ... من الموت يصلاها الجبان بغصة
بوحش الفلا ادعى وإني اخو الفلا ... مبيد الاعادى واللئام بشدتي

(قال الراوى) فلمافرغ وحش الفلامن ذلك الشعر والنظام وسمع سعدون ذلك الكلام وإن لم يعرف مما بيديه من المرام اقبل إليه وهجم عليه وحمل الاثنان على بعضهما وهما كانهما جبلان راسخان أو بحران متلاطمان وزاد الشر بينهما ونما وتكحلا بمراود العمى وأشرفا على الهلاك بالفنا وتضاربا بالرماح حتى تقصعت وبالسيوف حتى تلشمت وزاد بهما القلق وكثر عليهما العرق ولم يزالا في قتال وكفاح حتى زهقت من ابدانهما الأرواح وبقيا اشباحا بلا أرواح فاختلفت بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة سعدون وهو كانه المجنون مما نزل عليه من الهموم والغبون لأنه رأى من وحش الفلا حربا يحير النظار ورآه فارسا ثقيل العبار فلما نظرت شامة إلى الضربة الصائبة وهى غير خائبة خافت ان تصيبه فتقتله وفى ذلك القصر تجندله وخافت على وحش الفلامن الموت والقهر وهى واقفة خارج القصر لأن هذا العبد ادطلع في بلاد الحبشة مثل صاعقة محرقة وداهية ممزقة وهو آفة من الافات وبلية من البليات وكان مع شامة خنجر يميط الحصا عن الحجر فامسكته من قبضته وحررت ذبابته على يد سعدون وحدفته وكان الإثنان متداخلين في بعضهما فدخل الخنجر في يد سعدون فانحلت عروق يده وانحلت قوته وعزمه فكان وحش الفلا داخلا عليه بالضربة ليسقيها كاس النكبة فلما نظر السيف طار من يده وقد انحل عزمه وجلده رديده بالضربة عنه والتفت وحش الفلا وراءه وقال لشامة لاشلت يداك ولا كان من يشناك ولا شمتت فيك أعداك وبلغك الرب العظيم مناك ثم قال له خذ سيفك ياسعدون وقاتل به ولاتقل وحش الفلا اخذنى غدرا فأنا لااخذك إلا بالحق بين الخلق فقال يابطل الزمان وزين الشجعان انت لما التفت إلى ورائك بعد ماراجعت السيف بين يديك من كنت تحدث من الناس يازين الجلاس فقال

له وحش الفلا لاتخاطبنى بهذا المزاح فأنا كنت أخاطب الملكة شامة بنت الملك أفراح فقال له يافريد العصر هى معك خارج القصر فقال له نعم فقال له سعدون صيح عليها تدخل فعندها وحش الفلا صاح وقد زاد به السرور والأفراح ادخلى ياست شامة يابنت الملك أفراج فدخلت إليهما حتى صارت عندهما .

(قال الراوى) فلما نظر سعدون اشتغل سره وحار أمره والتفت سعدون إلى وحش الفلا وقد نزل عليه الهموم والبلا فوجد شامة إلى جانبه وهى تحادثه وتلاعبه فقال لها سعدون قد ضاقت الدنيا على أبيك حتى لايطلب مهرك إلا رأسى فقالت له شامة على قدر ما اشتهى طلب لاتطل المقال والخطب ودونك والقتال والحرب والطعان والضرب فلما سمعه وحش الفلا وهو يكلم شامة بذلك الكلام صار الضياء فى عينه ظلام وقال له دع عنك هذا الكلام يا ابن اللئام وخذ السيف يا ابن الأنذال ودونك والحرب والقتال والطعن والنزال فقال له سعدون معاذ الله ياسيد الأبطال أن أقاتلك بعد هذه الفعال وأنك تكرمت على بالإحسان والانعام فصار قتالك على حرام لأنك قدرت وعفوت ثم أن سعدون أدار يده وراءه وميل رأسه إليه وقال له يافارس الزمان يا ابن الشجعان فى يوم الحرب والطعان اضرب رأسى واهدم أساسى بين أهلى وأجناسى ورح إلى حال سبيلك وعد سالما وادخل على زوجتك بين أهلك وعشيرتك فقال له وحش الفلا إن كان قولك صحيحا فاخرج معى إلى خارج القلعة فى تلك الأرض والبقعة فأجابه سعدون إلى ذلك المقال والتفت إلى العبيد وقال لا أحد منكم يخرج معى إلى القفار لأنظر ما يجرى إلى هذا الغلام الجبار فأجابوه إلى ما أراد من الآثار ونزل وحش الفلا وشامة بنت الملك أفراج ونزل سعدون وهو فى شؤم وأتراح وخرج الثلاثة إلى البر والبطاح وأمر سعدون بقفل الباب بينه وبين العبيد الانجاب وطلعوا على أعلى السور يتباكون على أستاذهم ويتنحبون على سيدهم (قال الراوى) ولما خرجوا إلى البر والقفار والسهول والأوعار التفت سعدون إلى وحش الفلا وهم الثلاثة فى البر والخلا وقال أيها البطل الهمام والأسد الضرغام ومبيد الأعداء اللئام بالحســـام الصمصام والأرض هل لك فى الصراع فقال له نعم فقال سعدون تتصارع ثلاث مرات فى تلك الجبـــال والفلوات فكل من غلب صاحبه الثلاث مرات كان هو الحاكم عليه وحكمه إليه إن شاء أن يقتله وإن شاء أن يأسره وإن شاء أن يطلقه ويعفو عنه فأجابه وحش الفلا إلى ذلك المقال وقلعوا ما كان عليهم من آلة الحرب والقتال وصارا فى سراويلهما بعد ماقلعوا ثيابهما ورموا ما كان فى أيديهما من سلاحهما وهجم كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يلاكه ويضاربه فكأنهما شجرتان ثابتتان وجرى بينهما

عجائب وأهوال أكثر مما جرى بينهما من الحرب والقتال وقد نظر سعدون إلى وحش الفلا فوجده نحيف الجثة فطمع فيه لأجل خفته وما هو فيه من رشاقته فهجم عليه وأراد أن يوصل الأذية إليه وحط يده فى جنبه ورفعه عن الأرض على زنده وألقاه وأراد بذلك أن يعجل فناه ويعدمه الحياة وإذا بوحش الفلا نزل واقفا على قدميه كأنه الأسد بين يديه فقال وحش الفلا فى نفسه وقد أيقن أن ذلك الجبار يسكنه فى رمسه كيف الخلاص من هذا الأمر العسير والخطب الكبير وزاد به الغيظ والحنق وسال عليه العرق وبان فى وجهه الغضب من رفع سعدون على زنده فى ذلك البر الهضب قدام شامة حبيبة القلب ثم إن وحش الفلا هجم عليه وتشابط هو وإياه ودخل فيه ومد وحش الفلا يديه إلى خلف أذن سعدون وهو لا يعرف مابين يديه ومكن أصابعه فى أذنيه وقرص بهمته عليه فنزل إلى الأرض يهوى كأنه صخرة من الأحجار الكبار وهو مرمى كأنه شجرة من الأشجار فقال وحش الفلا فى نفسه ما كل مرة تسلم الجرة هذا شخص عظيم الخلقة أو أنا نحيف الجثة والرشقة فربما يقهرك وعلى الأرض يجندلك ويقتلك أنت ومحبوبتك وأنت مانلت من الدنيا أمنيتك ولكن أذبحه وآخذ رأسه وأعدمه وأهله وناسه وأمضى إلى حال سبيلى وأعود إلى أهلى وأطلالى

(قال الراوى) فلما صار سعدون مطروحاً على الأرض والمهاد وقال وحش الفلا ما خطر بباله من الأبراد هجم وحش الفلا عليه وقعد على كفيه وسحب خنجره وأراد أن يعمل هذه الأعمال فقال لا تعجل فتندم بحيث لا ينفعك الندم هذه الأولى بقى عليك مرتان فلما سمع وحش الفلا من سعدون الزنجى ذلك المقال استحيا من هذه الأحوال وقام عليه ووقف على قدميه وقام أيضا سعدون إليه وعادوا إلى المشابكة والملاكمة والمداركة فقهره وحش الفلا الثانية ثم عادوا ثالث مرة إلى ماهم عليه من القتال والصراع فى ذلك البر والبقاع فأحس وحش الفلا فى نفسه بالتقصير مع هذا البطل النحرير الذى كأنه بعير فاستعان برب الأرض والسماء الذى علم آدم الأسماء ومد إلى سعدون يده فى مراق بطنه وكبش عليه بحكم التفريط على كلبتيه يوقع إلى الأرض وأغمى عليه فبرك عليه وحش الفلا وسل خنجره فى ذلك البر والخلا وحطه على منبت شعره فأيقن سعدون بهلاكه وعدمه فقال ياسيدى وحش الفلا انت فريد الدهر والعصر أتريد أن تذبحنى ذبح البقر فى ذلك البر والهجر فرفع يده عن رقبته وقام عنه من وقته وساعته فعندها قام سعدون وقعد ومد يده وراءه وقال له اضرب رأسى هكذا الرجال ياسيد الفرسان والأبطال (قال الراوى) لهذه الأحوال فلما سمع وحش الفلا من سعدون هذا المقال استحى أن يقتله فى ذلك البر والتلال ومن عليه بالاطلاق مما كان فيه من ضيق الخناق ورمى وحش الفلا السيف من يده بعد ما كان وعل على قتله كل ذلك بحكم الملك الديان الرحيم الرحمن مكون الأكوان

الذى يصير سعدون الزنجى من العبيد والسوادن عبيدا وغلمانا لوحش الفلا فارس الزمان وفريد العصر والاوان على طول الايام والزمان حتى يصير من اهل الإيمان ويبيد اهل الكفر والطغيان مع هذا الفارس المصان ويعبد الملك العلام على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام ويصير من اهل الإسلام وسنذكر كل شىء فى مكانه بعون الله وسلطانه ونرجع إلى سياقة الحديث باذن الملك المغيث (قال الراوى) ثم ان وحش الفلا لما رمى السيف من يده واستحيا ان يقتله لما ان سمع منه مقاله قالت له شامة وصاحت عليه إيش هذه الفعال ياسيد الرجال اضرب رأسه واهدم اساسه واخمد انفاسه واعدمه اهله وناسه وخذها ودعنا نمضى إلى حال سبيلنا ونعود من هاهنا إلى اوطاننا ونجتمع باهلنا وتتزوجنى ونعيش فى سرور وهنا فقال لها وحش الفلا وقد نزل عليه من كلامها البلايا هذه مثل هذا البطل اقتله وعلى الارض اجندله لايكون ذلك ابدا ولو سقيت شراب الردى ثم انه اقبل على راس سعدون الزنجى يقبلها وقال له قم يا بطل الزمان لا باس عليك من هذا الامر والشان فصار سعدون كانه مجنون او بعير حل من عقاله وقد تبلبل خاطره وباله واخذ وحش الفلا بالاحضان وقبله مابين الاعيان وقد صفيت بينهما القلوب من الهم والكروب واراد وحش الفلا ان يعود إلى دياره ويرجع إلى رضه وامصاره فحلف عليه سعدون وشدد فى الإيمان والاقسام انه لايعود حتى يا كل الطعام ثم انه صاح على العبيد الذين على الاسوار ان يفتحوا الباب فنزلت العبيد وفتحوا الباب وهم كانهم اسد الغاب ودخل سعدون الزنجى ووحش الفلا إلى جانبه وقد صار عنده اعز من اهله واقاربه والملكة شامة معهم وما زالوا الى ان وصلوا الى القصر وجلسوا فيه والعبيد تخدم وحش الفلا وتقبل اياديه وهو يثنى عليهم ويشكرهم ثم ان سعدون امر باحضار الطعام فاحضره الغلمان والخدم فاكلوا على قدر كفايتهم ثم امر باحضار المدام بعد ما رفعوا الطعام فشربوا ولذوا وطربوا وضحكوا ولعبوا وما زالوا على هـــذه الاحوال مدة ثلاثة ايام ولما كان فى اليوم الرابع اقبل سعدون الزنجى على وحش الفلا وقال ايها البطل الهمام والسيد المقدام ومبيد الاعداء اللئام خذنى معك وفى صحبتك فاسير فى ركابك واذ طيب على قيد الحياة والا فاقطع راسى واسقنى كاس الفنا ان أردت هاهنا او عنـــدهم هناك وادخل على عروستك وحبيبة قلبك فلمـــا سمع وحش الفلا ذلك الكلام اخذه الضحك والابتسام وقال له لاباس عليك ايها المقدام لانك ما تستحق القتل لانك بطل همام وانا لى اسوة بك على مدى الليالى والايام والسنين والاعوام لاجل ما اكلنا مع بعضنا الطعام لانه حرمة وزمام وما ينكره إلا كل لئيم ابن حرام وانا لك من جملة الغلمان والخدام ولكن ياسعدون اطلق هؤلاء الاسارى الذين عنـــدك لانهم رجال كرام ورد عليهم

مالهم وجميع ما أخذ منهم ومن رجالهم ونوقهم وجمالهم فأجابه سعدون بالسمع والطاعة ورد عليهم جميع ما أخذ منهم من البضاعة وأطلقهم من وثاقهم ورد عليهم جميع ما كان لهم من مالهم إكراما لهذا الأمير وحش الفلا الفارس النحرير (قال الراوى) وبعد ما أطلق سعدون الرجال قال لهم امضوا إلى حال سبيلكم سالمين وكونوا على أنفسكم آمنين لأنكم من أولاد الكرام لهذا الفارس الهمام والسيد المقدام فمضوا فرحين ولوحش الفلا داعين وبعد ما رحل هؤلاء الرجال أمر وحش الفلا سعدون بالارتحال فأجابه إلى ذلك المقال ثم إن سعدون أمر العبيد السودان الأجلاد أن يركبوا الخيل الشداد ويسيروا مع وحش الفلا فى البر والمهاد فأجابه عبيده إلى ما أراد ثم أن العبيد قدموا خيولهم ولبسوا عدتهم واعتقلوا برماحهم وتقلدوا بصفاحهم وخرجوا من باب الحصن إلى البر والهضاب بعدما أخذوا جميع ما كان فيه من المال والثياب وكان عدتهم ثمانين عبدا أنجاب كأنهم أسد الغاب وساروا يقطعون البرارى والقيعان والهول والوديان ووحش الفلا أمامهم كأنه الأسد الغضبان وإلى جانبه اليمين المقدم سعدون الزنجى كأنه الليث الحردان وإلى جانبه اليسار الملكة شامة بنت الملك أفراح وقد زاد به السرور والأفراح وزالت عنه الهموم والأتراح وهو فى بسط وانشراح وصاروا يقطعون البرارى والبطاح فتذكر ما جرى له من الإيضاح فرجع إلى طبع العرب فاعرب وأطرب وجعل ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

صفت لى أيامى ونلت مطالبى ... ونلت ما أرجوه بغير شقاق
وأصبح سعدون بحى صادقا ... وأضحى رفيق بل أعز رفاق
أتيت مريدا حربه ونزاله ... وأيقنت أن يرديه حد رقاقى
ودارت علينا الحرب وهى شديدة ... بضرب وطعن وازدياد خناق
وأوقعته بعد الصراع على الثرى ... وكنا تعانقنا أضر عناق
فأسلمنى من نفسه روح ماجد ... ذليلا وفانى أرق تلاق
فزايلت هذا الشر بينى وبينه ... على رغم من يسعى بكل نفاق
وصرت به أسطو بجد على العدا ... وصار حسامى لايود فراقى

(قال الراوى) ولما فرغ وحش الفلا من ذلك الشعر والنظام طويت له العبيد الكرام وشكروه وأثنوا عليه فى ذلك الكلام وساروا يقطعون البرارى والآكام فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما جرى لهم من الإيضاح وأما كان من أبى شامة الملك أفراح والحكيم سقرديون القرنان الملعون فانهم بعد رواح وحش الفلا إلى سعدون كانوا كل يوم يخرجون إلى ظاهر المدينة ويسيرون فى البر إلى أن يطلع الحر ويصيروا

قريبا من نصف النهار ثم يعودون إلى الديار فخرجوا يوما من الأيام على ماجرت عادتهم والأحكام فقال الملك أفراح للحكيم سقرديون يا حكيم الزمان يا هل ترى ماذا جرى لوحش الفلا مع العبد سعدون فقال له الحكيم سقرديون من زمان قتله وشرب كأس المنون مات وشرب كأس الوفاة هيهات هيهات يا ملك الزمان أن يرجع إلى الأوطان وتنظره بالأعيان فبينما هم يتحدثون في هذا الأمر والشان وإذا بالغبار قد ثار وسد الأقطار وانكشف بعد ساعة وانجلى وبان للنظار وظهر من تحته رجال شداد متقلد بسيوف حداد وبرماح ذات امتداد وتحتهم خيل جياد وهم يقطعون البر والبقاع يتقدمهم فارس يزيد في الطول عن الجميع بذراع وهو كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من الجبل وهو بالحديد مسربل وإلى جانبه فارس آخر مسربل بالحديد والزرد النضيد وهو غلام أمرد كأنه الحسام المجرد ووجهه يلوح من تحت اللثام كأنه البدر التمام وهم سائرون في ذلك البر والآكام وخلفهم ثمانون عبدا من السودان على خيول كأنهم الغزلان وهم على ظهورها كأنهم العقبان (قال الراوي) وكانت هذه الغبرة غبرة وحش الفلا فارس الملا والمقدم سعدون الزنجي وعبيده السودان لأننا ذكرنا يا سادة يا كرام أنهم ساروا يقطعون البراري والآكام إلى أن أشرفوا على الملك أفراح والملعون سقرديون في ذلك المكان فلما انكشف الحال وبان ما تحت اللثام نظر الملك أفراح إلى سعدون وهو مقبل من البر وهو أطول من الرجال بذراع فلما عرفه تحير في أمره والتفت إلى الحكيم سقرديون وقال أيها الحكيم هذه جلبتك ومشورتك فقال له وما جلبتي فقال انظر كيف جاء الينا سعدون وهو مثل المجنون وأنا أظن أنه لما قدم إليه وحش الفلا ووقف بين يديه وسأله عن حاله فأخبره بتفصيله وإجماله وعن سبب مجيئه ومن أرسله إليه حتى يخطف روحه من بين جنبيه قد قال له أرسلني الملك أفراح لأقتلك وأزيل بك الهموم والأتراح وآخذ مهر شامة رأسك وأسكنك رمسك وما أظن إلا أنه قتله هناك وسقاه كأس الهلاك وقد وفد الينا يخرب ديارنا وينهب أطلالنا ويقتل عسكرنا وفرساننا لأني أعلم هذا العبد جبار لا يصطلى له بنار ولا يخفر له جوار وكذلك العبيد الذين معه فانهم لا يخطر لهم الموت على بال وهم أبطال أقيال لا يخافون الموت ولا يرهبون الفوت ثم أنه لوى عنان جواده وطلب الهرب فتبعه سقرديون وجد وراءه في الطلب وكل من كان معهم من العسكر ولوا منهزمين وللديار طالبين حتى وصلوا إلى المدينة فدخلوها وأمروا بغلق أبوابها وطلبوا الحصار وطلعوا على الأسوار وتحصنوا بالجدار وعند الصخور والأحجار وصاحت الكبار منهم والصغار وأيقنوا بالهلاك والبوار من هذا الفارس الجبار (قال الراوي) وبعد ساعة من النهار أقبل سعدون من البر والقفار وإلى جانبه وحش الفلا وكان يتحدث معه في ذلك البر والخلا وكانت الملكة شامة لما قربوا من المدينة فارقتهم ووصلت إلى محلها وقبل وصولهم

إليها بحيث لا ينكر عليها أحد من أهلها لا أبيض ولا أسود فلما رأى الملك أفراح وحش الفلا وسعدون إلى جانبه فرح الملك بذلك واستبشر وزال عنه ما كان يجده من الضرر وصاح على الغلمان افتحوا الباب يا رجال فهذا وحش الفلا مردى الأبطال فعندها تجارت الرجال والشباب إلى فتح الباب وقد فتحوه وهم فرحون وبما نالهم مسرورون فدخل وحش الفلا وسعدون إلى جانبه وعبيده من ورائهم ما مرة واحدة فخرج أهل المدينة كلهم يتفرجون على سعدون الزنجى وقد خرجت النساء والأطفال والصغار والعيال والبنات والمولدات والرجال والأبطال وخرج أهل المدينة جميعا يتفرجون على العبيد ومقدمهم سعدون لأن ذكره قد شاع فى بلاد الحبشة والسودان وجميع ما جاورها من البلدان فصار سعدون ينظر شمالا ويمينا والخلق مزدحمون بعضهم على بعض من عظم هيبته وقد أقبلوا من خلف وأمام لعظم خلقته حتى وصل إلى قصر الملك أفراح وهو فى سرور وانشراح وسلم عليهم ورحب بهم الملك وأمرهم بالجلوس فجلس وحش الفلا بين ذلك الملا ولم يجلس المقدم سعدون فى ذلك المكان لا هو ولا عبيده السودان فقال له الملك أفراح لأى شىء لم تجلس أيها الجحجاح فقال له كيف أجلس وأنت أرسلت تطلب قتلى وأخذ مهجتى وسلب نعمتى لبس هذا أضاقت عليك الدنيا فلم تجد مهر بنتك شامة إلا رأسى وهدم أساسى (قال الراوى) فعندها قال له الملك أفراح يا بطل الزمان وفريد العصر والأوان أنا ما لك حاجة يا سيد الفرسان وصار يعرفه ويغامزه بالإشارة إلى الحكيم سقرديون أخى الحكيم سقرديس الملعون فقال له الحكيم نحن رضينا بهذا المهر وقد وصلنا من وحش الفلا ثم أن الحكيم سقرديون التفت للملك أفراح وقال له أتغمز على يا ملك الزمان فقال يا حكيم أنا أموت وحدى بهذا الغبين بل نموت نحن الاثنان وبعد ذلك التفت الحكيم سقرديون بمكره وفعاله وحيلته ومحاله وقال لسعدون يا ملك الزمان نحن ما فعلنا ذلك الأمر والشان إلا لأجل أن تأتى إلينا فى هذا المكان وتبقى من حزبنا وقد رضينا من وحش الفلا بهذا المهر يا سيد العصر والأوان ثم أنه أخذه بيده وأجلسه إلى جانبه ومكثوا يتحدثون مع بعضهم ساعة من النهار حتى نضج الطعام فأحضروه الغلمان والخدام فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا ثم أن الملك أفراح أمر الحجاب أن يجعلوا لهم منازل فى القصر وقد زال عنهم الهموم والحصر فقال له سعدون أيها الملك الهمام نحن ما ننزل إلا فى الخيام خارج المدينة فى البر والآكام فأجابه الملك إلى ما طلب من الأحكام وأمر الغلمان بنقل الخيام إلى البر والوديان وقد نصب لسعدون صيوان عظيم الشان يساوى ألف دينار يصلح للملوك الكبار أصحاب الأقاليم والأمصار وقد نصبوه فى البر والقفار وبعد ذلك قام سعدون وطلب الانصراف فقال وحش الفلا للملك أفراح يا ملك الزمان أنا مرادى أن أنزل مع رفيقى وصديقى سعدون إلى الخيام ونقعد فى البر والآكام فقال له الملك شأنك وما تريد فنحن من

أمرك ما نحيد ونحن الك من جملة العبيد (قال الراوى) فنزل سعدون إلى الخيام هو وهؤلاء العبيد ومعهم وحش الفلا البطل الهمام وقد صاروا كل يوم يسيرون إلى الديوان ويجلسون بين الفرسان ويتحدثون بين الشجعان مدة أيام فذات يوم من الأيام التفت سعدون إلى وحش الفلا وقال له متى تطلب زوجتك ياسيدى قال فى غداة أطلبها عند الصباح أخذ لهاثم باتوا تلك الليلة على الإيضاح إلى أن جاء الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فجاءوا إلى ديوان الملك أفراح وقدامهم وحش الفلا بتحية الصباح فرحب بهم الملك وأمرهم بالجلوس فجلسوا بعدما سلموا إلا وحش الفلا فانه لم يزل واقفا على قدميه ولم يجلس كعادته فناداه الملك أفراح لم لا تجلس ياولدى فقال له لا أجلس حتى تقضى حاجتى فقال الملك وما حاجتك فقال حاجتى ياملك الزمان الست شامة سيدة النسوان (قال الراوى) فعندها التفت الملك أفراح للحكيم سقرديون وقال ما الذى ترى ياحكيم فى ذلك الأمر والشأن فقال دعنى أكلمه ويكلمنى حتى أرد عليه جوابه ثم إن سقرديون سكت قليلا والتفت إلى وحش الفلا فى الحال وقال يابطل الأبطال نحن طلبنا منك المهر والصداق وما اتفق عليه من الاتفاق فجئت لنا به وقد قبلناه وقد صارت شامة لك وأنت لها من دون الأنام ولكن بقى عليك شىء أيها البطل الهمام (قال الراوى) فلما سمع وحش الفلا ذلك الكلام أيقن ببلوغ المرام وقال وماهو ياحكيم الزمان من الأمر والشأن ولا تطلب منى شيئاً إلا تعجز عنه ملوك الزمان فقال الحكيم ياولدى الحلوان فقال وحش الفلا وما الحلوان فقال تأتينا بكتاب تاريخ النيل أيها الملك الجليل فانه حلوان شامة سيدة النسوان وماهو بكثير عليها ياسيد الفرسان فقال وحش الفلا وأين يوجد هذا الكتاب فقال سقرديون لا أعلم اما وحق زحل فى علاه والنجم وماسواه إن لم تأتى به فلا لك عندى زواج أبدا فقال وحش الفلا وإيش مرادك بهذا الكتاب وما فائدته فى هذه الأرض والهضاب فقال الحكيم أيها البطل الفضيل والسيد الجليل من يبقى عنده هذا الكتاب تصير جميع الحبشة والسودان تحت عماله وغلمانه وتعطى له العفارة ملوك هذه البلدان ويصير حاكما على جميع ملوك ذلك الزمان فاجابه وحش الفلا بالسمع والطاعة وحلف وشدد فى الأقسام والإيمان إن لم آت لكم بهذا الكتاب ياحكيم الزمان وإلا فان شامة على حرام على طول السنين والأعوام ثم انفض المجلس على تلك الأحكام وانصرف إلى مكانه معوسار سعدون وغلمانه إلى أن نزلوا فى الخيام وجلس إلى جانبه وحش الفلا والعبيد قدامهما قيام فالتفت سعدون لوحش الفلا وقال ياسيدى إيش هذا الضمان الذى ضمنته على نفسك ومالك إليه طريق ولا متسع ولا مضيق ولم تعلم هو فى أى أرض من الأودية والبطاح فقد حرمت عليك شامة بنت الملك أفراح فدعنا نأخذها ونمضى إلى حال سبيلنا ونرحل بها إلى حصننا وادخل بها عندنا فلو اجتمعت أهل الدنيا ما عرفوا لها مكانا يأتونها فيه رجالا وركبانا (قال الراوى) فلما سمع وحش الفلا من

المقدم سعدون الزنجى ذلك الكلام وصعب عليه ذلك الابرام التفت اليه وقال له ويلك ياسعدون إيش هذا المقال معاذ الله لا آخذها سفاحا وما آخذها إلى نكاحا فلا تعود إلى مثل ذلك القول أبداً ولابد من ذلك الأمر ولو سقيت كأس الردى ثم مكثوا يتحدثون بما دار بينهم من الكلام إلى أن طلبت العين حظها من المنام فقام وحش الفلا وصعد إلى السراية ودخل حجرته التى انفردت له برسمه وأراد أن ينام وإذا بشامه قد دخلت عليه وسلمت وقبلت يديه وهى باكية العين حزينة القلب وهى تقول جرمتنى عليك يافارس الزمان على طول السنين والأزمان فقال لها لا تخافى يانور عينى وروحى التى بين جنبى ولابد أن تقرى عينك وأتزوج فقالت له كيف تأتى بكتاب النيل ومالك اليه سبيل يازين الفرسان ولكن الرأى عندى أن تأخذنى وأخرج أنا وأنت وأى مكان نزلنا عليه أقمنا فيه إلى حين تدركنا الوفاة فقال لها لا أفعل ذلك أبدا ولو سقيت كئوس الردى فقالت له إن لم تفعل ذلك الأمر تندم حيث لا ينفعك الندم فقال لها نحن قوم عرب إذا وعدنا وفينا وإذا قدرنا عفونا وإذا قلنا نعم لا نقول لا وإذا قلنا لا لا نقول نعم فلما سمعت شامة منه ذلك الكلام صعب عليها وكبر لديها وانحدرت دموعها على خدودها وأشارت تودعه وهى تبكى وتشتكى وأشارت اليه تنشد وتقول هذه الأبيات صلوا على كثير المعجزات

عدمت رشادى فى الهوى إن سلاكم فؤادى وقلبى أو أحب سواكم
خذوا معكم جسمى كما قد وهبتكم جسما مغرم حاشا يمل هواكم
ونادوا على قبرى إذا مت يافتى هوانا يلبيكم فؤاد فناكم

(قال الراوى) فلما سمع وحش الفلا منها ذلك الشعر والنظام زاد به العشق والغرام وجد به الوجد والهيام فأشار اليها يودعها بهذا الكلام

يترجم طرفى عن لسانى فتعلموا ويبدى الهوى مثل الذى كنت كتم
ولما التقينا والدموع سواجم خرست فصارت أدمعى تتكلم
تشير لى عما تقول بطرفها وأومى اليها بالبنان فتفهم
حواجبنا تقضى الحوائج بيننا فنحن سكوت والهوى تتكلم

(قال الراوى) ثم إنه ودعها وودعته والاثنان يبكيان ألم الفراق وبعد ذلك خرجت شامة من عنده وهى تبكى على فراقه هذا ووحش الفلا لم ياكل فى تلك الليلة طعاما ولا شرب مداما ولا ذاق جفنه مناما فقام من وقته وساعته واستوى على ظهر جواده واعتد بعدة جلاده وسار فى ظلام الليل وهو يقطع الأرض والبطاح إلى أن جاء الله بالصباح وأضاء الفجر بنوره ولاح فسار يقطع البرارى والقفار والسهول والأوعار وهو لا يدرى أين يسير فى طريق ولا محل يعرفه فى الفلوات ومازال على ذلك الحال أول يوم والثانى والثالث وهو ياكل من

نبات الارض وشرب من غدرانها وهو سائر فريدا وحيدا فصار يتسلى بنشيد الاشعار فى تلك البرارى والقفار وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

تحيرت والرحمن لاشك فى أمرى ووافتنى الاحزان من حيث لا ادرى
ساصبر حتى يعلم الناس اننى صبرت لفقد الصبر إذ خاننى صبرى
واعلم ان الصبر داء وحمله دواء وهل شيء أمر من الصبر
فيادهر كم جرعتنى منه كؤوسا فى فرقة الاحباب ضرب من السكر
ولو ان مابى بالجبال تدكدكت وبالنار اطفاها وبالريح لم يسر
ومن قال إن الدهر فيه حلاوة فأولى به ان يطعم التبن كالعبر

(قال الراوى) ولما فرغ وحش الفلا من ذلك الشعر والنظام صار يقطع البرارى والآكام مدة ستين يوما بالتمام وهو يقطع الطرقات فى البرارى القفرات ولم يجد فى طريقه احدا من المخلوقات فاشرف على جبل عال وحوله روضة نزهة للناظرين بها اشجار باسقة وانهار دافقة واغصان مورقة وماء متدافقة والطير ناطق يسبح إلى الله الخالق وفى جانب تلك الجبال من اعلاه صومعة فسار حتى وصل إلى تلك الصومعة وهو يقول لعل الله تعالى ان يحمل فى ذلك المكان منفعه ولما وقف على باب تلك الصومعة سمع من داخلها حس إنسان يذكر الرحيم الرحمن وهو يقول ياحنان يامنان ارحم عبدك الفان انت الباقى وكل من عليها فان فلما سمع وحش الفلا حس ذلك الإنسان اطمان قلبه ولكن مايعلم ان كان هذا من الانس او من الجان فتقدم وحش الفلا إلى باب الصومعة وصاح السلام عليك يا ايها الساكن هذا المكان ان كنت من الانس او من الجان لانى مارايت غيرك فى هذه الوديان وإذ ذلك الشخص قال له وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وأهلا وسهلا بملك بلاد اليمن وغيرها من الامصار والد من الحاكم على هذه الاقطار وساق النيل من بلاد الحبش إلى اراضى الامصار مانع الظلم والفتن حاكم صنعاء وعدن وصحارى الحبش ويتبعها من القرى والمدن الملك سيف بن ذى يزن انزل ملك عن الحصان واربطه تحت الصومعة فى تلك الصخرة واصعد إلى فى هذا المكان ياملك الزمان حتى اتأنس معك بالكلام وتريح نفسك من كرب السفر والآلام فإنك تعبت وأنت سائر شهرين بالتمام فلما سمع وحش الفلا ذلك المقال قال ياعمى لمن تقول هذا المقال وأنا إسمى وحش الفلا بين الرجال فقال له صدقت ياملك الزمان فى هذا المقال واعلم أن هذا الاسم سماك به الملك افراح واما اسمك الاصلى فهو سيف من عند الملك الفتاح فاطمأن وحش الفلا ونزل عن حصانه وخلع منه لجامه وتركه يرعى فى تلك الاراضى المتسعة ثم إن وحش الفلا صعد إلى الصومعة ودخل فوجدها صومعة مزخرفة مبدعة فقام إليه ذلك العابد وقال اهلا وسهلا فتقدم وحش الفلا إلى ذلك العابد وقبل يده ثم تأمله وإذا به اسمر اللون طويل القامة وبين عينيه

شامة فقال وحش الفلا ياسيدى هذا الاسم الذى ما سمعته من غيرك فقال ياولدى اسمك الحقيقى سيف بن ذى يزن على اهل الكفر والمحن لانك تقيم العدل فى الاحكام وتؤيد الإسلام وعلى يديك تنفذ دعوة نبى الله نوح عليه السلام فانت ياولدى من الذى تعبد فقال ياسيدى أنا على قدر فهمى أن المعبود هو الله ولكن لم أجد من فهمنى شيئا حتى كنت اتبعه انا رأيت هؤلاء السودان يعبدون زحل فقال له الشيخ ياولدى لايعبد بحق إلا الله عز وجل الذى خلق الارض والسماء واجرى بقدرته البحار وفجر الانهار وهو الله الواحد القهار فاعتمد ياملك سيف على عبادة الله ولاتركن إلى سواه فقال له ياسيدى وايش اقول من القول المبين حتى اكون من الفائزين فقال له ياسيف ياولدى قل اشهد ان لا إله إلا الله وان إبراهيم خليل الله وان محمدا رسول الله وهو آخر الانبياء وخاتمهم الذى يبعث فى آخر الزمان من نسل معد بن عدنان صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الكرام أولى الفضل والاحسان فلما سمع الملك هذا الكلام اخذه الفرح والابتسام وقال له اريد ان تكون واسطة لى وتعلمنى ماعلمك الله فقال له امدد يدك فى يدى فوضع يده فى يده فقال سيف بن ذى يزن اقول على يديك اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان إبراهيم خليل الله وهو أبو الانبياء واشهد ان محمدا رسول الله خاتم الانبياء والمرسلين وهو نبى آخر الزمان الذى يبعثه الله من نسل عدنان فقال له الشيخ العابد وكان اسمه الشيخ جياد احسنت يا ابن الاجواد وإلى اى الجهات انت مسافر حتى اتيت إلى وكان هذا سببا لسعدك على يدى فقال إنى خطبت شامة بنت الملك افراح فطلب مهرها منى رأس سعدون وبعدها طلب منى حلوانها وهو كتاب النيل وها انا مسافر كما ترانى ولا احد دلنى عليه ولا هدانى فقال له الشيخ جياد وانت إذا طفت الدنيا من المشرق إلى المغرب لاتعرف طريق هذا الكتاب إلا إذا كانت لك عناية من الملك الوهاب ولكن حيث إنك دخلت فى دين الإسلام يلزمنا مساعدتك يا ابن الملوك الكرام أقم عندى هذه الليلة حتى تبلغ المرتبة الجليلة وتصير لك على المساعدة وسيلة فقال سيف ياعم افعل بى ماتريد فأنا عن رأيك لا احيد فقام الشيخ واخذه واتى به إلى العين وقال له توضأ معى وصار يعلمه حتى توضأ وبعدها اجلسه للذكر والعبادة والتضرع لله صاحب المشيئة والإرادة ثم وقف الشيخ وبسط يديه وقال اللهم ارزقنا وانت خير الرازقين فنظر سيف وإذا بقرصين وضعا قدامهما فقال الشيخ جياد ياسيف خذ واحدا ولكن لاتأكل حتى تقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال سيف والله ياشيخ هذه وسيلة لانظير لها وسمى واكل مثل الشيخ وباتا يذكران ويستغفران وعند الصباح قال الشيخ جياد ياملك سيف ياولدى توكل على الله وقم وامض إلى حاجتك فالله ينصرك ويساعدك وأما حصانك فاتركه فى هذا المكان فانه ليس لك به منفعة واما انت فاطلع من على هذا الجبل وانزل من جانبه الثانى تجد بحرا جاريا فاجعله

على يسارك وسر أنت ذات اليمين فاذا عطشت فاشرب من الماء وإن جعت فكل من الخضرة وسر هكذا ثلاثة ايام حتى تصل إلى ارض بطحاء متسعة وبها واسع لم يعرف له حدود فاذا وصلت إلى ذلك قف على شاطىء البحر إلى وقت الغروب تلقاك دابة من دواب البحر هايشة كبيرة الجثة واعلم ياولدى أن هذه الدابة خلقها الله تعالى وشغلها بالشمس فإذا نظرتها وهى مشرقة من المشرق تدور بوجهها اليها وتروم ان تخطفها فلا تلحقها وعند نزولها للغروب تنقلب إلى جهتها وتروم ان تلتقمها بفمها فلا تلحقها فمن إغاظتها تخيط رأسها فى الارض حتى تدوخ فيدركها النوم فتنام إلى ميعاد إشراق الشمس فتفيق من نومها فتجد الشمس قد ظهرت من المشرق فتنحرف إليها تريد خطفها فتكون الشمس ارتفعت فتدور معها وهى ناظرة اليها إلى ان تغرب وهكذا وهى دابة هايشة كبيرة فاذا وصلت اليها فاطلع على راسها أو ظهرها أو على أى جهة منها فإنك لو قعدت فى عينها لاتبالى لكبر بدنها فإنها توصلك إلى البر الثانى ولا لك من يعديك البحر غيرها ويلزمك أن تعدى البحر لاجل قضاء حاجتك فإذا عديت وبقيت فى البر الثانى فإن أمامك من هى قاعدة لك يامك فى الانتظار وذلك تدبير الملك الجبار والعزيز الغفار وهو الله الذى لا إله إلا هو الواحد القهار فقال له الملك سيف ياسيدى ومن هى التى قعدت فى الانتظار فقال الشيخ جياد لاتخف هذا مافيه اضرار وانا لولا انى اعلم ان الله عز وجل يغير ويبدل كيف يشاء فى خلقه كنت اعلمك بما تفعله الحكيمة عاقلة وما يجرى من بنتها طامة وهى زوجتك الثانية وكذلك شامة زوجتك البادية وانما ياولدى ستقاتل فى الكفار فإذا وقعت فى قتال فاذكر اسم الله الملك المتعال لاجل ان ينصرك ببركة اسمه على اهل الضلال فقال سيف وايش اقول ياعم عند وقت المضايق فى المجال فقال له قل الله اكبر الله اكبر ولا تفتر عن قولك الله اكبر واضرب فى الكفار بالحسام البتار واطلب النصر من العزيز الجبار فانه ينصرك ولا يصيبك فى الحرب ضرر ولا دمار فعند ذلك صدقه الملك سيف فى كلامه وبات عنده الليلة الثانية فبات الشيخ جياد يعلمه قواعد الإسلام وعبادة الملك العلام حتى نهض الله بالظلام واقبل النهار بالابتسام فقال الشيخ ياولدى توجه على بركة الله تعالى فقال له ياسيدى قصدى منك الدعاء فقال له توكل على الله ولا تفتر عن ذكر الله فإن صاحب الدعاء حاضر واليك ناظر فعند ذلك ودع سيف الشيخ جياد وتوكل على الملك الجياد وقصد البرارى والوهاد ولم يزل سائرا ولكن بعد ما اطلق حصانه قدام تلك الصومعة ونزع عنه عدته ووضعها الى جنب الصومعة فقال له الشيخ اتركه ولا تسأل عنه فهو عندى وانا وذلك الحصان يرزقنا الرحيم الرحمن فتعجب سيف بن ذى يزن من اعتقاد ذلك الشيخ وودعه وسار كما ذكرنا ثلاثة ايام وهو بجانب البحر وفى اليوم الرابع وصل الى البطحاء المتسعة التى ذكرها له الاستاذ الشيخ جياد وكان وصوله آخر النهار ونظر الى ذلك البحر ولم يجد له برا ثانيا لانه بعيدا لا يدرك النظر اليه وغايته ولا رأى ساحلا يوصله

اليه فقال فى نفسه هل ترى أين الدابة الهايشة التى أخبرنى عنها الشيخ العابد ثم أنه قعد و توضأ كما علمه الاستاذ وصار يذكر رب العباد و يستغفر حتى تم النهار فما شعر إلا و تلك الهايشه قد أقبلت وهى فى وجل وكل من رآها يظن أنها جبل و لما وصلت جذبت نفسها حتى بقى فى البر نصفها وهى مع ذلك لو كان قدامها مدينة باسوارها لهدمتها ونظرها سيف على ذلك الحال فذكر الله الكريم المتعال وصبر عليها حتى خبطت راسها فى الارض مرارا عديدة لانها قوية شديدة وبعد ان ادركها النوم نامت فى مكانها كل هذا يجرى وسيف واقف ينظر ويرى فقام إليها وطلع عليها كانه طلع على جبل عال وقعد بين أرياشها ثم صار يذكر الله عز وجل حتى طلع الصباح فادارت تلك الهايشة وجهها إلى البر الثانى تروم أن تخطف الشمس كما هى عادتها فوثب من فوقها حتى نزل على الارض وتامل اليها فرآها تخبط راسها فتركها وقال فى نفسه سبحان من خلقها وخلق غيرها وهو الذى خلق السماء والارض والملك والملكوت وهو حى لا يموت واما سيف فانه سار وطلب البرارى والقفار من الصبح إلى عصر النهار فما شعر إلا وغبرة قدامه طلعت وانكشفت عن فارس فى الحديد غاطس وراكب على جواد اصفر مثل الذهب طويل الذنب وذلك الفارس ومتقلد بحسام كانه رسول الحمام ومتقل برمح اسمر كعوب معتدل القوام وذلك الفارس على وجهه لثام وله عينان ترميان من وسط الجنون بسهام وهذا الفارس معجب بنفسه فى متن الجواد كانه اسد من الآساد ولما اقبل الليل على سيف بن ذى يزن صاح فيه وقال قف يا هذا ولا تنتقل من مكانك واعلم ان هذا اليوم آخر زمانك فلما رآه سيف لم يرد عليه جوابا وأرد أن يلقى طعناته وضرباته ولم يلتفت إلى حملاته وسطواته وكلما يكبس عليه الحصان فيرد الحصان بيده بلا ضرب ولا طعان وهكذا ساعة كاملة من الزمان والفارس كلما يضرب سيف بن ذى يزن بسيفه أو يطعنه بالسنان لم يؤثر فيه الضرب والطعان وسيف يرد ضرباته باطلة بعدما تكون واصلة فانبهر الفارس من أفعاله وقال له أما تضربنى يافتى مثل ماضربتك وتحاربنى كما حاربتك فقال سيف له يافتى انى اراك ما انت من اهل القتال ولا لك مقدرة على ضرب ولا نزال ولا فيك جلد للمخاصمة والجد الا ما انت إلا جاهل من الجهال وقد اغتررت بالجواد الذى انت راكبه ورأيتنى ماشيا فى طريق فقلت من جهلك انا احمل على ذلك الفارس واحاربه وانا نظرتك بعين الاحتقار لانك صبى جاهل صاغر مالك على حروبى جلد ولا اصطبار ولو كنت من ارباب الحرب والانصاف ما كنت تركب فى طريق الخلاف وتأتينى وتأمرنى بالوقوف وتحمل على وانت راكب وانا ماش على الاقدام وهذا ماهو شأن الفرسان الكرام ولو كان غيرك من ارباب الحرب والقتال وفعل معى هذه الفعال كنت جعلته ملقى طريحا على الارض والرمال وإن اردت أن تفهم صدقى فى المقال فأنا أفعل هكذا فى الابطال ومسك عنق الجواد بيده اليمين وارفع الفارس بيده اليسرى وقال هكذا تفعل الرجال الذين لهم

خبرة بالقتال ثم كما كان فى وسط سرجه فانبهر الفارس وكثر هوجه وقال صدقت يا ملك ملوك اليمن ويا صاحب أقطاع صنعاء وعدن ومبيد أهل الكفر والمحن ومطهر الأرض من الكهانة والفتن أما أنت سيدى الملك سيف بن ذى يزن فقال له نعم ومن الأطفال الجهال ومن أبوك وما اسمه بين الفرسان والأبطال حتى عرفتنى وطلبتنى بالقتال فقال له ما أنا ذكر وأما أنا من الأبطال بل أنى بكر من البنات الأبكار ربات الخبأ والأستار ولا أتيت فى هذه القفار وفعلت معك هذه الأفعال إلا أخوفأورأفه عليك ياسيد الأبطال لأنى أنا اسمى الملكة طامة وأمى حكيمة كاهنة اسمها الحكيمة عاقلة والسبب مجيء إليك هو أن أمى لما ربتنى قلت لها انظرى من أتزوج أنا من الرجال فضربت الرمل وخرجت الاشكال قالت لى أن زوجك من بلاد اليمن وهو الملك سيف بن ذى يزن فقلت لها وهذا إيش بجمعنى عليه وهو فى بلاد بعيدة فقالت إنه يخطب بنت الملك أفراح ويطلب منه كتاب تاريخ النيل فى مهزها وخلواتها فيأتى فيأخذه من هذه البلاد وأنا أساعده على أخذه ويقاسى التعب الشديد وأنا الذى أقوم وأنجدة لأجل أن أزوجك إياه ورامت أمى على ذلك الحال وهى كل ليلة تجتهد لى فى القيل والقال إلى أن كان فى تلك الأيام قالت لى الملك سيف طلب الزواج وعارضه الحكيم سقرديون وبعدها توجه من قلعة الثرية وصحبته حبيبته فقالت لها اعرفى هذه الصبية حتى تظهر لنا العلامة فقالت أما الصبية فهى زوجته شامة ومن شفقتها عليه خوفاً من أن يشرب كاس المنون سارت معه إلى قلعة سعدون وأنقذته من الهلاك بعدما وقع فى الاشراك وبعد ذا اصطلحوا مع سعدون وبعدها قالت لى سيف طلب شامة ثانيا فطلبوا منه كتاب النيل وبعدها قالت لى أمى سيف قادم على هذه البلاد ولكن تعوق فى صومعة الشيخ جياد وعلمه الذكر وتوحيد رب العباد وفى هذه الليلة قالت هو راكب على الماشية تعديه من البحر وفى غداة غد يأتى إلى هذه البلاد وأنا خائفة عليه من الهلاك والنفاد فقلت لها ومن إيش تخافين عليه يا أماه فقالت لى هذه المدينة لها أرصاد فإذا دخل غريب صاحوا عليه يقولون يا أهل مدينة قيمر دخل على مدينتكم غريب فادركوه فاذا خرج أهل البلاد إلى الخلاء يخرج شخص من السوار اسمه العيار زيدهم على مكان الخصم حتى يتبعوه ويأتوا به ويقتلوه ثم قالت له طامة يا بنى وكل هذه الأرصاد والغاز صنعته الحكماء المتقدمون من خوفهم على هذا الكتاب تاريخ النيل وأن أهل مدينة قيمر جميعاً وملكهم الملك قرون يعبدون الكتاب وقد جعلوه معبودهم واتخذوه عن آبائهم وأجدادهم وإذا أتى الملك سيف بن ذى يزن وصلح الأرصاد والغاز عليه ارتبك سيف وبقى فى أيديهم فما يدخل الملك قرون إلا وهو الف قطعة من أهل المدينة فضلا عن أهل الدولة والوزراء فقلت لأمى كيف يكون العمل حينئذ وأنت وعدتينى أنك تزوجينى به وعلى أخذ كتاب النيل تساعديه فاعلمينى

كيف الحيل والعمل حتى أقوم أنا وأسعى فيه وإن رأيته فى ضرر فبروحى أفديه فقالت لى أمى اركبى جوادك واعتدى بعدة جلادك واخرجى على هيئة الصيد والقنص وشرقى إلى جهة تلك البطحاء فاذا وجدت إنسانا قادما من هناك وحده وليس معه أحد فاحملى عليه واوهميه انك تقتليه واضربيه بالسيف فانه لا يؤثر فيه وضيقى عليه بتمكين حتى يخطفك من على الحصان بيده الشمال ويعلق الجواد بيده اليمين فإذا فعل ذلك فاعلمى أنه هو المطلوب فاعلميه أنه يأخذ الحذر ومن باب المدينة لا يكون له ممر حتى يأتى تحت البرج العاشر وأنا أطلعه على المنجنيق فعسى الله يبلغنا الفرج بعد الضيق فلما سمعت من أمى ذلك المقال صدقتها وركبت جوادى فى الحال وقصدت البرارى الخوال حتى رأيتك على تلك الحال وحملت على حربك والقتال وفعلت هذه الفعال وجرى ما جرى وقد أعلمتك يامالك سيف بكل ما قالت أمى عليك ورأيت كلامها صحيح ما شك ولا تلويح وأنك يامالك إيش تريد أن تفعل حتى أرى ما تعمله من العمل وانظر ما دبرت أنت من الحيل فقال الملك سيف أنا لا يدخل على هذا الكلام إلا كانه أضغاث أحلام وما أظنك إلا فارسا بطلا أتيت لى تريد القتال وقد رميت على ضربا مثل فتوق الأعداء ولما رأيت نفسك تحت الغلبة والاذلال ادعيت أنك بنت من ربات الحجال وبعده حكيت لى حكاية طويلة ما اعلم لها باطنا من ظاهر ولا كنت لها حاضرا ولا ناظرا وأنا لا أعرف كتاب النيل ولا أتيت فى طلبه ولا أنا هو الذى ذكرته وانت ضارب لثامك على وجهك وهذا شيء ما أعرفه فقالت له صدقت وبهذا اعلمتنى أمى وقالت لا يصدقك فى كلام إلا إذا رفعت عن وجهك اللثام وها أنا أثبت لك صدقى يا إمام ايها الفتى القدام ثم انها بعد ذلك كشفت عن وجهها اللثام فانجلى عن وجهها كانه البدر التمام وهو وجه مدور كانه ترس من البللور الأنضر وخدود عليهم الورد منشور صنعه الملك الغفور وعيون كعيون المها أوريم الغزال وألحاظ ترمى بسهام ونبال تصيب المقاتل والرجال وعنق كانه قالب جوهر مركب على صدر مثل لوح المرمر من تحته مزدوج جوز نهود تخضع له أعناق الأسود فلما نظر الملك سيف بن ذى يزن إلى ذلك الحال وما أعطيت الملكة طامة من الحسن والجمال تاه فكره ولحقه الانذهال وقال لها دارى وجهك يا بديعة الحسن والجمال فقد أوقعتينى فى الهوى والبلبال وزدتينى عما أنا فيه من الأهوال فقالت له لا بأس عليك ولا ترى إلا ما يقر الله به عينيك وأنا عائدة من هنا إلى أمى الحكيمة عاقلة واعلمها بقدومك وأما انت فلا تصل إلى باب المدينة بل اجعل الباب على يسارك واتركه ثم سر إلى الأبراج فاترك تسعة أبراج وقف قوام البرج العاشر

فتلقى خشبة طويلة خارجة من فوق البرج معلقاً فيها ومعلقاً فى الحبل صندوق فادخل فى ذلك الصندوق ونم فيه وأقفل غطاه عليك ودق فى قلب الصندوق برجليك فقال سمعاً وطاعة وركبت طامة على جوادها وعادت إلى مدينة قيمر بلدها ودخلت على أمها وأعلمتها بقدوم الملك سيف وقالت لها قومى حينئذ واجتهدى فى زواجى فقالت لها على السمع والطاعة (ياسادة) وكان السبب فى ذلك أن ملك هذه المدينة وهو الملك قرون صاحب مدينة قيمر يعلم جيداً ان كتاب تاريخ النيل هذا هو معبود اهل هذه المدينة وكذلك قرون يعبده لما يعلم فى اعتقاده وأهل بلده وقد وضعه فى مكان سوف نذكره فى مكانه وأن عنده ثلثمائة وستين حكيما لهم معرفة بالسحر والكهانة والمناقلة والحاكم على الجميع الحكيمة عاقلة وهى أم طامة وانها جاوزت فى العمر مائة وخمسين عاما لم ترزق بنتاً وغلاماً وفى آخر عمرها احتظى بها حكيم فى السحر ذكى فهيم واسمه حكيم طيحون ولكنه فى الحكمة شاطر جبار ومجتهد فى الكهانة والاسحار وبعد ماصارت له ضجيعة أراد منها ان تطلعه على ماتحت يدها من الألواح والعمار فقالت له إن هذه اسرار ولايطلع عليها أحد لامن العبيد ولا من الاحرار فألح عليها فى الكلام وانتهى الأمر إلى الخصام وبعد ذلك وقع الحرب والصدام وأن الحكيمة عاقلة كانت أقوى منه فى علوم الأقلام ورأته جباراً لايرام فخافت أن يفترسها فصارت له حربة مسمومة وغافلته حتى تمكنت منه وضربت بتلك الحربة عينه فقتلته وكان يحكم على مائة وثمانين حكيما فأتوا الحكيمة عاقلة وحاربوها فغلبتهم وأطاعوها وصاروا من تحت يدها وهى أيضاً لها مائة وثمانون فصار الذى تحت يدها ثلثمائة وستين حكيما والجميع من تحت أمرها وكل يوم يحضر واحد منهم ويقعد فى خدمة الملك يوماً ويقعد فى غفر الكتاب يوماً ومتى خدم هذين اليومين يقعد بقية العام لايلتزم بغفر ولا بأحكام وهذا كل حكيم عليه فى السنة يوم فى الديوان ويوم فى غفر الكتاب وحاكم الجميع عاقلة لأن الملك قرون لايعتمد إلا عليها ولايفعل شيئاً إلا بمشورتها فان مملكة المغرب وماحولها من الأقطاع والمدن والقرى هى أدرى وأعرف بأحوالها وتحكم على جميع الحكماء المقيمين فيها ولما كانت تلك الأيام عرفت أن هذا الأوان باذن الملك الديان وأن الملك ذى يزن مات وخلف ولده سيف الفارس النبيل وهو الذى يأخذ كتاب تاريخ النيل ويجرى البحر على يديه بأذن الملك الجليل ولابد له من ذلك وهذا بأمر مالك الممالك وأنه يتزوج بابنتها ولو أرادت أن تعارضه فانه يخذلها فان قدر الله أقوى من قدرتها وغيرها فأرادت أن تجامله حتى تعز منزلتها من قلبه ويزداد ودها له حتى تزوجه بنتها لما علمت أن لابد له منها ومضى هذا الاتفاق بأمر الملك الخلاق (قال الراوى) ولما عادت طامة لأمها وأعلمتها بأن الملك سيف قادم خلفها قالت مرحباً به وأهلا وسهلا وطلعت وصنعت خشبتين قدام بعضهما مثل السوارى وجعلت واحدة وعلقت بكرة

فى وسطها حبل طول بعبارات ومراقع خشب تمنع الصندوق أن يلمس السور ولا أحد يمسكه بل هى نفسها تجذب الأحبال حتى أن الصاريين الخشب يميلان إلى خارج السور حتى يرتفع الصندوق إلى فوق مثل المنجنيق وينزل من داخل البلد حتى لا يمس السور لا فى الطلوع ولا فى النزول وكان الأمر كذلك وأعلمت طامة سيفا بذلك وأقبل ورأى ذلك الصندوق فقعد فى قلبه وكان فى البرج الحكيمة عاقله وبنتها طامة وجوادها فجذبت الأحبال فارتفع الصندوق ونزل داخل البلد وكانت الحكيمة لها مكان قد رصدته بكل ماتقدر عليه من الأمور والشان فلما نزل فيه الملك سيف قامت الحكيمة عاقله إليه وأجلسته وسلمت عليه سلام الأحباب وأكرمته بالكرامة والارتحاب وأمرت باحضار الطعام فأتى به الخدام وجلست الحكيمة عاقلة إلى جانبه وهى تحادثه وتلاعبه وفرحت بذلك طامة وأن لها الخير والسلامة فبينما هم كذلك وإذا بالشخص الغماز صاح وهو يقول ياقمرون دخل غريب فى ظلام هذا الليل وهو الذى يأخذ كتاب تاريخ النيل فأدركوه وبأسيافكم قطعوه وإذا رأيتموه لاتبقوه العجل العجل قبل خيبة الأمل فهناك سمعت أهل المدينة والناس والعساكر والحراس، وركب الملك قمرون من وقته وساعته وركبت من خلفه أرباب دولته وأهل مملكته وحجابه ونوابه وضج أهل المدينة بالصياح والبكاء والنواح وعلا الضجيج من كل جانب ومكان وصاحت الرجال والنساء ودار التفتيش فى المدينة كلها حاراتها وأسواقها من الحانات والبيوت والاماكن وكل المساكن وكل ذلك فى طلب الغريم فلم يجدوا له خبراً ولا اطلعوا له على جلية أثر فتضايق الملك قمرون كأنه المجنون وكادت مرارته ان تنفطر ورجع إلى سرايته وكاد عقله أن يخرج من رأسه ويهدم مهجته كل ذلك والحكيمة قاعدة تباسط الملك سيف ولا عندها من ذلك الشيء خبر فالتفت إليها وقال لها ياحكيمة عاقلة مالى أسمع فى المدينة هرجاً وجلبة وصياح ناس وكركبة إيش الأسباب التى هى لذلك محبوبة فقالت له ياسيدى إن الغماز حكى عنك دخلت البلد فيأمر الملك قمرون بالتفتيش عليك وصاروا يفتشون ولكن أنا ما أخلى أحداً يعرفك وأريد منك أن تطاوعنى ولا تخالفنى فيما أفعله لأن فى هذه المدينة ثلثمائة وستين حكيما عند ذلك الملك العظيم وانا أحكم عليهم لكن كل منهم يريد الافتخار ويطلب رفع منزلته عند الملك حتى يبقى له الذكر دونى وإن عرف طريقك انك عندى ابقى عند الملك من المنافقين ولا يمكننى أن أتخلى عنك لأن طامة بنتى قد أحبتك محبة زائدة وأنا من أجل خاطر بنتى طامة لابد لى ان اساعدك حتى اعطيك هذا الكتاب وهو كتاب النيل ولا أخلى لأحد عليك سبيل فقال لها افعلى مابدا لك كل ذلك يجرى والتفتيش دائر فى المدينة فالتفتت الحكيمة عاقلة إلى بنتها وقالت لها يانور عينى أريدك أن تساعدينى فقالت طامة قولى على طلبك وأنا أساعدك

فقالت لها قومى إلى خالد العبادى جارنا وقولى له هل عندك سمكة تجعلها لنا طعاماً فإن عندنا ضيوفاً كراماً لا يأكلون بقراً ولا أغناماً فقامت طامه وعادت بالصياد ومعه سمكة كبيرة وقال ياحكيمة وحق زحل ماعندى غيرها فقالت إنها مليحة ثم أعطت له درهما ومضى الصياد لحاله وأما الحكيمة ففتحت بطن السمكة وسلختها ولفت الملك سيف فى جلدها إلى أبطه وتركت رقبته ورأسه خالصين ثم ربطته من تحت إبطه وكان عندها طير اسمه الرخ فشقت صدره وركبت رجليه على أكتاف الملك سيف ووضعت يديه من داخل صدر الطير وربطت الجميع بحبل طويل ودلتهم فى بئر بيتها وقالت لاتبرح حتى أعود وربطت طرف الحبل فى وتد ودقته فى الأرض وطلبت الركوب إلى الديوان وقالت لبنتها طامة أنت تراعيه حتى أعود وأغلقت المكان على سيف وطامة معه وركبت على بغلتها وسارت إلى الديوان فلما نظر اليها الملك قرون قام إليها واقفاً على قدميه وقال لها ياحكيمة الزمان أدركينى فأنا ضاقت بى الدنيا وأرى ملكى يزول فقالت له لا بأس عليك ياملك الزمان ملكك محفوظ عليك وبركات زحل واصلة إليك ولكن أعلمنى ياملك إيش الذى أصابك وماسبب هذا الإنزعاج فقال الملك السبب فى ذلك ياحكيمة أن الرصد الغماز أسمعنا وصاح علينا وأعلمنا عن خصم داخل المدينة وهو ملك نبيل وهو قاصد أن يأخذ كتاب تاريخ النيل فانزعجنا من ذلك وأحضرت الحكماء وقلت لهم انظروا أين الغريم دخل فإن كان دخل البلد فلأى شىء ماتكلمت أرصاد الأبواب وإن كان دخل من غير الأبواب فهل ترى هو مقيم فى أى مكان فقالوا لى ياملك هذه شغلة جسيمه فلا يمكن عملها إلا على يد الحكيمة فقلت لهم وهل أنتم ماتعرفون بدونها فقالوا نعرف ولكن ياملك أنت مطيــــع أمرها فعلمت الحكيمة أن هؤلاء الحكماء ماهم إلا أخصامها وإن اطلعوا على أفعالها كشفوا سرها فقالت فى نفسها إذا لم أهلك جميع الحكماء وإلا أوقعونى وكشفوا سرى .

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثانى

وأوله فقالت ياملك الزمان

(قال الراوى) فقالت ياملك الزمان أنت عندك ثلثمائة وستون حكيما مقيمون فى البلد وهم قطاع وديران فلأى شىء مايقضون الاشغال ويعلمونك بغرمائك ويبلغونك الآمال فقال لها ياحكيمة ها انت حضرت فقالت له قصدى أن انظر الشخص فقامت وقام معها الملك إلى الشخص الغاز وإذا به انفطر وعنقه مائل على قفاه كأنه انكسر فقالت له الحكيمة ياملك هذا انفطار الغاز يدل على ان شغله فرغ من الان فصاحبنا مابقى ينفع فقال لها انا رأيت ذلك وقلت لارباب دولتى ماتقولون فى انفطار ذلك الغاز فقالوا ياملك لانعلم لذلك سبيلا لان هذا شىء يعرفه الحكماء وفى غداة غد اطلبهم فى الديوان فانهم يكشفون لك عن البرهان والغريم فلما سمعت ذلك اتيت إلى مكانى وها انت حضرت فقالت ياملك عد بنا إلى الديوان وانا اظهر البرهان فعاد الملك إلى قصره وجلس وجلست الحكيمة عاقلة بجانبه فقال لها اما سمعت صياح الغاز فى هذه الليلة فقالت سمعته ولكن ياملك ماخطر ببالى وايش قال الحكماء ياملك فقال لها هم قاعدون فقالت له انتخب من الحكماء ستين حكيما يضربون تخت رمل بين يديك حتى ترى ماذا يكون من فعلهم وماهم عليه من شغلهم واحبس الباقين حتى يتبين لنا منهم البراهين ففعل الملك ماأمرته الحكيمة وحبس ثلثمائة حكيم واحضر الستين وقال لهم اضربوا تخت الرمل اجمعين فضربوا الرمل اولا وثانيا وثالثا وهم باهتون فقال الملك ايش رأيتم فى رملكم وماالذى بان لكم فقالوا له اعط لنا الأمان فقال لهم لكم الأمان فقالوا له ان الغريم الذى دخل بلادنا كان فى صندوق من الخشب وطار به الصندوق حتى رماه فى المدينة وقد ابتلعته سمكة وانقض عليه طير الرخ فصار ثلثا جثته فى بطن السمكة والثلث الثالث قبض عليه والطير فى ارض ظلماء والسمكة واقفة فى الماء والطير معلق فوقه فلا السمكة تطلقه ولا الطير يتركه وهو باق على ذلك الحال فالتفت الملك إلى الحكيمة عاقلة وقال لها هل سمعت ماقال الحكماء إن الغريم دخل فى صندوق طائر وابتلعته سمكة وطير قابض عليه وهو على قيد الحياة فهذا الكلام مافهمت معناه (قال الراوى) فقالت الحكيمة عاقلة أنا أنهاكم عن أكل المغالطات فلم تنتهوا وهذا المأكل يغلظ العقل ويخيم على الذهن ويبلد الطبع فعندها نفر الملك فى الحكماء وقال اذهبوا من وجهى ياكلاب فخرجوا من بين يديه وهم مطردون ومنه خائفون فأمرته الحكيمة أن يفض الديوان وقالت له لاتخف ياملك الزمان فأما أنا أبلغت مناك وركبت بغلتها ونزلت من الديوان إلى بيتها ودخلت إلى البئر التى فيها الملك سيف وأخرجته منها فلما رآها أطمان قلبه وقال لها ايش فعلت فى هذا النهار فقالت له أحضرت الحكماء وشاغبتهم وأعميت

عنك نواظرهم وغدا أفعل ملعوبا يكون أكبر مما جرى فى هذا اليوم من العجائب فطاب قلب الملك سيف بكلامها وشكرها على اهتمامها وبعدها طلبت الطعام فأكلوا وشربوا على قدر كفايتهم حتى زال النهار وأقبل الليل بالاعتكار وتحدثوا فى كلام ونثر ونظام وبعدها قالت الحكيمة عاقلة ياملك سيف أنا مرادى اسألك ولى الامان فقال سيف اسألى يا اماه كل ما اردت فانا اجبك ولم يكن بيننا سر مكتوم أتيت إلى أرضنا فى طلب حاجتك التى جئت بسببها وإذا قضيت حاجتك تروح بلادك بسلام ولم تبلغنا منك مرام فقال الملك سيف وما الذى تريدينه منى بعد قضاء حاجتى إذا بلغتنى امنيتى فقالت اريد أن أزوجك بطامة ابنتى فانى أوعدتها بك منذ أيام ومنعت عنها الخطاب الذين أتونى وبذلوا لى كثيرا من الاموال وانى راغبة فيك واخبرت طامة بزواجك وأن تكون لها بعلا وهى تكون لك اهلا وقلت لها لا تتزوجى إلا الملك سيف يا أماه إن كان لى فيها نصيب أو لها رزق بين يدى سوف تصل إليه لأنى أقسمت على نفسى اجل الاقسام انى لا اتزوج بأحد قبل شامة بنت الملك افراح اما طامة بنتك فهى عندى روح الارواح ولكن عندما عرفت عذرى فقالت الحكيمة ياولدى هذا شىء لا احتاج أن تعلمنى به فانى عرفت به من قديم وكلامك عندى صادق مستقيم وباتوا فى هناء وأمان حتى ظهر الفجر وبان فقالت الحكيمة هاتى ما عندك ياطامة فأحضرت لها غزالا كان عندها فقالت لها ما بقى عندك شىء فقالت لا ياأماه فقالت لها هاتى أجنحة النسر التى عندك ليتم بها ما أريد فقالت طاما سمعا وطاعة ثم أنها غابت وعادت بأجنحة النسر فاعطتها لها فأخذتها وربطتها فى عصا وجعلتها منشورة كما يكون الطير فى طيرانه ناشرها وجعلتها على ظهر ذلك الغزال فلقى مثل النسر ذات اليمين وذات الشمال وربطت العصا من وسطها فى طرف حبل وجعلت الطرف الثانى فى بكرة وسحبت ذلك الحبل فصعد الغزال إلى اعلى المكان وفوقه تلك الاجنحة كانه فى همة الطيران ثم جعلت بكرة على مقدم الغزال قبالة رأسه وبكرة خلفه قبالة رجليه وجاءت بلوح خشب وأمرت الملك سيف أن ينام فوقه وربطت اطرف اللوح فى حبلين وانفذتهما من الابكار وامسكت هى الحبل الاول وبنتها امسكت الحبل الثانى وتعاونا حتى رفعتا الملك سيف من الجهتين وصار هو واللوح تحت بطن الغزال وقد صار رأسه تحت صدره ورجلاه تحت ذنبه وصار هو والغزال سواء معلقين فى الهواء وشبكت أطراف الحبلين فى كلاليب حديد فى جانب البيت يمينا وشمالا ثم قالت له خليك ياملك هكذا حتى أروح الديوان وأقضى الاشغال فان ذلك اليوم فيه تغيير فهم الرمال وركبت بغلتها بعد ان لبست عدتها وسارت إلى الديوان وترجلت ونزلت عن البغلة وشمرت أذيالها وسارت قدام الملك قمرون فى الديوان فوجدت الديوان متكاملا بالوزراء والنواب وهم مما أصابهم فى إستشارة وكلام وقال وقيل وأوهام فلما رأوا الحكيمة

عاقلة أقبلت قاموا لها واقفين على الأقدام فبدأتهم بالسلام فردوا عليها سلامها وهم على حالهم قيام فأمرتهم بالجلوس الخاص منهم والعام وجلست الحكيمة عاقلة فى موضعها ورواق المجلس فسلمت على الملك قرون وقالت له يا ملك الزمان مالى أرى الحكماء كلهم قاعدين فقال الملك كلنا فى انتظارك حتى تحضرى وتشيرى علينا برأى مستقيم من أجل القبض على ذلك الغريم الذى دخل فى مدينتنا بغير علمنا ويروم أن يسرق كتاب تاريخ النيل من عندنا وها أنت قد حضرتى فدبرى ما فيه الصواب فقالت الحكيمة عاقلة ها أنا حضرت فقوموا أيها الحكماء واضربوا تخت الرمل بحضرة كل من كان واظهروا يا حكماء الزمان ما عندكم من البرهان وها أنا أذنت لكم فلا تقولوا كلام غائب مثل الذى صار منكم بالأمس فقالوا سمعا وطاعة وطربوا الرمل وحققوا الاشكال ونظروا الداخل والخارج فتبين لهم الحال وعسر عليهم المقال من عظم ما عاينوا من الأهوال فنظروا فى البخت ساعة زمانية وهم اليه يلهتون يريدون أن يحققوا تلك القصة فكانت أمورهم غير مرضية ووقع بهم الخوف والفزع لاجل سطوة ملكهم ونظروا إلى بعضهم وضاقت بهم الدنيا فلخبطوا التحوت الرملية ولما رأى الحاضرون تلك الفعال زاد بهم الانذهال وأما الملك قرون فبقى كأنه مجنون وأراد أن يبطش بهم وقال للحكيمة عاقلة إيش رأيت يا حكيمة الزمان فى هؤلاء الحكماء وكيف ضربوا تحت الرمل ولم يقولوا ما رأوا فيه وبعد ذلك لخبطوا فقالت الحكيمة عاقلة اصبر يا ملك الزمان حتى يستحصوا الأوزان ويوضحوا لك الدلائل والبرهان ثم قالت للحكماء إن كان لم يظهر لكم من التخت معانى فاضربوا التخت ثانى وطولوا بالكم فى تختكم وحققوه وبينوا لنا هذا الأمر وأظهروه ولا تخفوه ثم قالت ياملك الزمان لا تعجل فكل تخت له اشكال وأوزان فسكت الملك على مضض وزاد به الغيظ والحرد أما الحكماء فانهم ضربوا تخت الرمل وهم فى اجتهادهم وغابوا قليلا والاشكال بين أياديهم تتكاثر وتتحول وطلع التخت مثل الأول فلخبطوه ولم يزالوا يضربوه ويلخبطوا وكلما لخبطوا الرمل يزداد الملك بالغضب إلى سبع مرات وهم على تلك الحالات فصاح الملك بملء رأسه إيش رأيتم فى ملكى يا كلاب الحكماء يا قليلين المعرفة والفهم فقالوا اعلم أيها الملك أن الغريم الذى نحن فى طلبه داخل المدينة ولكن دخوله طائر فى صندوق خشب والآن قد أخذه وحش من وحوش البرية وهو طائر به على الأرض وطالب السموات العلية ذلك الوحش بأربع قوائم مثل الجاموس والبهائم وله جناحان كبيران مفرودان وهو صغير الخلقة كأنه غزال أو عنز على هذا المثال وأجنحته منشورات يمينا وشمالا ولها أوصال من الحبال وحديد ذات اليمين وذات الشمال وهو على خشب مطروح يتحرك وتتردد فيه الروح وهذا الذى رأيناه فى الرمل والأشكال وقد صدقنا فى المقال (قال الراوى) فلما سمع الملك منهم ذلك

المقال طاش عقله ولحقه الاندهال والتفت لأكابر دولته وقال لهم رأيتم أو سمعتم أن وحشا من وحوش البر يخطف آدميا ويطير به فى السماء وله أربع قوائم طوال مثل الجاموس أو مثل الغزال أو مثل العنز على الحال باجنحة منشورات طوال ولها اتصال بحديد وأحبال فقال الحاضرون يا ملكنا هذا شيء لم نسمعه نحن ولا آباؤنا ولا اجدادنا وما ذلك القول إلا هذيان ولا رآه احد بالعيان ولا يدخل عقل إنسان فقالت الحكيمة عاقله اما نهيتكم مرارا عديدة عن اكل المغالطات التى تجلب لكم العمى مثل البصل والبقولات ومثل الثوم والفجل والكرات وكم آمركم بأكل الطعام الذى يجلب المسرات مثل العسل المنزوع الرغوة فلم تنتهوا ولم تأكلوا إلا الذى تشتهونه فلم يبق فيكم خير ولا منفعة مادامت محاسنكم مضيعة فان الذى ذكرتموه من الكلام لا يدرك ابدا ولا تحتوى عليه الأفهام فلما سمع الملك قرقون كلامها قام على قدميه وجذب الحسام بيده وهزه حتى دب الموت فى افرنده وقال للحكماء يا كلاب إيش هذا الكلام الذى تقولونه وإيش هذا التخت الذى تضربونه وإيش صنعتكم عندى حتى يتمكن الغويم من بلدى مرامه أن يأخذ كتاب تاريخ النيل من تحت يدى وضرب واحد منهم على ورديه فاطاح رأسه من بين كتفيه وضرب الثانى فقسمه نصفين ولقحه على الارض قطعتين وضرب الثالث فجعله على الأرض ناكث فتجارى الحكماء من يديه وهربوا من الديوان واعتراهم الخوف والهوان ونظر الملك إلى الحكماء وقد طلبوا الهرب فجد خلفهم فى الطلب فلحق منهم ثلاثة فسقاهم شراب العطب وهرب الباقون وما صدقوا أن ينجوا سالمين وعاد الملك من خلفهم وهو فى أشد الغيظ والغضب وضاق فى وجهه كل مذهب وعاد إلى الديوان وقد ضاقت به الأسباب وإذا أحد من الحاضرين كلمة لم يرد عليه جواب والتفت إلى كل من كان حاضرا فى الديوان وقال لهم انصرفوا إلى أما كتكم فانا غنى عنكم وعن رأيكم ومشورتكم فانصرفوا جميعا من بين يديه وبقى قاعدا وحده وتمكن الغيظ منه حتى صار لا يعرف ما بين يديه كل ذلك والحكيمة عاقلة قاعدة تنظر كل ما جرى وقد أحكمت الكيد وأظهرت الصبر والجلد وقوت جنانها وانسر بذلك الفعل قلبها وبعد ذلك قامت من الديوان فركبت بغلتها وسارت إلى بيتها فوجدت طامة بنتها واقفة على مقالى النار وهى لها فى الانتظار فلما أقبلت أخذت طامه بنتها وطلعت إلى سطح الدار وفكت الأبكار والأحبال وفكت الملك سيف وأنزلته وطمنته بالمقال وهى تضحك على ما فعل قرقون بالحكماء وما قتل منهم ظلما وعدوانا فقال لها الملك سيف وطامة وإيش أبدعت يا أم الحكماء من الفعال فقالت لهما أنا فعلت فعلا تذل لهوله الأبطال وتشيب منه رؤوس الأطفال لأن الحكماء هذه المدينه جميعا يعلمون بما جرى وإذا ضربوا تختا أطلعوك وعرفوا طريقك ولو كنت تحت أطباق الثرى ولكن يا ولدى ما بهم إلا تعلم الاحتيال والاشتغال حتى تبلغ الآمال بلا حرب ولا قتـــال وها أنا أفسدت

علينهم عملهم وحيرتهم فى أمورهم ورددت عليهم تدبيرهم وقتل منهم ستة أنفار فى هذا النهار بالحسام البتار وسوف أهلك الباقين بمثل هذه البراهين ثم قالت للخدام احضروا الطعام فاحضروه فاكلت هى والملك سيف وطامة وبعد ما أكلوا الطعام وطلبوا الراحة للمنام حتى طلع النهار بالابتسام ومضى الليل بالظلام فقامت الحكيمة عاقلة على الاقدام وقالت ياطامة هاتى الغزال الذى كان معنا بالأمس فقدمته بين يديها فعند ذلك اخذته الحكيمة بيدها وذبحته فى طبق من النحاس وصفت دمه فى ذلك الطبق واضافت إليه جانبا من الماء حتى بقى الدم ملء ذلك الطبق بين يديها واحضرت هاونا من الذهب وكفأته فى وسط ذلك الطبق فصار الدم حواليه ثم وضعت ذلك فى وسط طبق اكبر منه ثم صبت فى ذلك الطبق الكبير لبنا فصار دائرا حول الطبق الصغير الذى فيه والهاون الذهب واوقف الملك سيف فى ذلك الهاون الذهب وقالت له قف هكذا حتى اعود من الديوان وركبت بغلتها وطلعت من مكانها إلى الديوان وهى مثل الحية الرقطاء ولما وصلت نزلت عن البغلة وصعدت إلى الديوان وابتدات بالسلام فقاموا لها جميعا على الاقدام ورحب بها الملك قرون ومن عنده من الزام فجلست مكانها قدر ساعة من الزمان ثم التفتت إلى الملك قرون وقالت له يا ملك الزمان ما الذى تجدد من الأمر والشان وهل علمتم بغريمنا من اى البلدان ودخل فى اى مكان وهل سكت الحكماء او اجتهدوا فى اظهاره إلى العيان فقال لها الملك قرون ياحكيمة عاقلة هذا شيء متعلق بك وبالحكماء الذين هم فى تبعك فانت الكبيرة عليهم وانت لك الأمر والنهى وهاانت قد حضرت فافعلى ما تريدين ان تفعلى فقالت له ها انا حضرت وهاهم الحكماء حاضرون فامرهم حتى يضربوا تخت رمل وينظروا الغريم التفتت الحكيمة عاقلة إلى الحكماء وقالت لهم اضربوا تختكم واجتهدوا فى اعمالكم التى تخصكم فقالوا سمعا وطاعة وضربوا تخت الرمل وحققوا فيه ودققوا على الأفكار واستخرجوا خروجه ودخوله وولدوا وتاملوا فيه ساعة زمانية وبعد ذلك لخبطوه وعادوا ثانيا فضربوه وتاملوا وعادوا فلخبطوه وهكذا ثلاث مرات وقالوا لحكيمة ياأم الحكماء نحن جميعا رعاياك وأنت الحاكمة علينا ولك الأمر والنهى فينا وما احدمنا يعلو عليك وكلنا خاضعون بين يديك فانظرى انت فى الاشكال وافرقى بين الرشد والضلال فاننا عن فعلك عاجزون وعن الذى تعرفينه مقصرون فلا تتركينا للملك يهلكنا فلا احد غيرك انت يملكنا فقالت الحكيمة ما انا عاجزة عن امساك الغريم وإنما انا مرادى انظر حالكم كيف رايتم وتعلمتم وصار لكم اقطاع ودي، ان عند الملك ولما دعت الحاجة لكم فما نفعتم ولا قضيتم للملك حاجة فمن هذا يعلم الملك أنكم لستم له ناصحون ولابقضاء اشغاله فالحون فقال لها الملك قرون

يا حكيمة عاقلة إن كان هؤلاء الحكماء مالهم خبرة فى تلك القضية هل ترين أن نتركها ويملك هذا الغريم قيادتنا ويأخذ كتابنا الذى نحن عليه عاكفون فأنا لا أبقى على الحكماء بل اقتلهم اجمعين فقالت الحكيمة هدئ ياملك روعك حتى ابلغك اربك وانجز لك طلبك فان هذه فتنة وسوف تخلص منها عن قريب ثم قالت للحكماء إيش رأيتم فى تختكم فقال الحكماء يا حكيمة هذا الغريم أذهل عقولنا واذهب معقولنا فان الذى نراه فى التخت مايدخل عقل عاقل والذى يسمعه يصبح ذاهل نحن رأينا أن الغريم هناك وسط المدينة مقيم وواقف على جبل من الذهب وذلك الجبل فى بحر من الدم وسور ذلك البحر من النحاس وحول السور نهر جار من اللبن ودائر اللبن سور من النحاس والغريم واقف على ذلك الجبل لابس فى رجليه مداس وواضع يديه الإثنين على رأسه وانت حكيمة وصاحب فهم وإدراك فانظرى كيف يكون الخلاص من ذلك الضيق واسعى لنا فى الفكاك فقال الملك قرون ياأم الحكماء انت سمعت ماقاله هؤلاء الحكماء الكاذبون الذين على دوانى منافقون ويدعون انهم حكماء صادقون وليس لهم دلائل ولا براهين نحن فى مدينتنا من اين فيها جبل من ذهب وبحر من الدم وسور من نحاس ونهر من ابن وهذا قول يحير الأفكار ثم قام وجذب حسامه وضرب واحدا فقتله وثانيا وثالثا فقامت الحكيمة إليه ونفرت فيه وردته عنهم غضبا وقالت له لاى شىء تقتلهم مافعلوا ذنوبا يستحقون عليها الموت وانت طالب الغريم وانا سوف أحضره بين يديك وأما الحكماء فأولادى على كل حال ثم أمرت الحكماء بالانصراف وقالت ياملك الغريم مايقدر ينفذ من بين ايدينا ولابد لنا من قبضه وإنما انا خائفة من كونى صرت كبيرة غائبة الصواب وعن قريب اموت واسكن التراب ويبقى الملك لايجد احدا يقضى اشغاله والذين ربيتهم مامنهم أحد نفع وهذا الخوف الذى قد اعترانى قدامك ياملك قرون وبعد هذا يهون عليك دخول الغريم بلدى ويسرق كتاب تاريخ النيل منا أما هو عليك عار وشنار فقالت الحكيمة ياملك الزمان لاتخف من ذلك الحال انا اقبض لك على الغريم واسلمه إليك لتشهره بين ملوك الأقاليم فقال لها الملك فى أى وقت يكون فقالت له حتى ينتهى الشهر الذى نحن فيه ويستهل الهلال الجديد وندخل على ذلك الكتاب فنسأله عن تلك الاسباب فهو يرشدنا إلى الطريق الصواب فقال الملك افعلى ما بدا لك فانا لا أخالف مقالك (قال الراوى) وإن هذا الكتاب هو معبود أهل مدينة قرون ولم يعرفوا لهم معبودا سواه واعتقادهم انه هو الذى يجلب لهم النار ويجرى المياه ويزرعون زرعهم على الأرض والماء تسقيه فمن ذلك يعتقدون أن هذا هو المعبود عندهم وكلما يستهل الهلال يدخلون عليه ويسجدون قدامه دون رب الأرباب الملك التواب الذى انزل القطر من الغمام والسحاب وخلق آدم من تراب وذلك الكتاب موضوع فى صندوق من الخشب الأبنوس الأسود مصفح عليه بصفائح الذهب الأحمر

والصندوق موضوع فى تابوت من الخشب الساج ومصفح بصفائح فضة وموضوع عليه مقام عال من الخشب وعليه ستارة من الحرير الملون ومبنى عليه قبة محكمة من حجر الرخام الأبيض وبابها من الحديد الصينى واقفالها من الحديد البولاد ومفاتيح تلك الاقفال عند الملك قرون لا يأمن عليه أحداً غيره ولا يفتح القبة أحد سواه وكلما يستهل الهلال تحضر أكابر البلد جميعاً والوزراء مع الأمراء والنواب والحجاب وكل من كان له طرف فى المملكة فإنه يحضر ذلك اليوم مع الملك فيأتى الملك ويفتح باب القبة ويفتح بعده باب التابوت وبعده يطلع الصندوق ويفتحه وينظر إلى الكتاب ويسجد له دون رب الارباب فإذا فعل ذلك ورآه أرباب دولته سجد يعلمون انه سجد لذلك الكتاب فيسجد أرباب الدولة جميعا اتباعا لسجود الملك وكذلك الامراء والوزراء يسجدون فتنظر الرعايا سجودهم فيسجدون جميعا تبعا لهم هذا اعتقادهم لانهـــم ناس مثل البهائم ولا لهم أئمة تدلهم على الشرائع بل حكماؤهم يتعاطون السحر والكهانة وملوكهم معتكفون على ذلك الكتاب فسبحان مسبب الأسباب .

(قال الراوى) ولما كان ذلك النهار قالت الحكيمة عاقلة للملك قرون وأنا اكشف الأخبار واريحك من العناء والاضرار وانصرفت الحكيمة إلى بيتها وتلقتها طامة بنتها وسألتها عما فعلت فقالت ماحصل إلا كل الخير امضى إلى الملك سيف وبشريه وعن الهاون نزليه فسارت طامة إلى سيف وانزلته واتت به إلى امها فقامت إليه وهى مبتسمة وقالت ياولدى ياملك سيف اناتعبت اليوم ولولاى كان الملك قطع رؤوس الحكماء وهاهو قد اهلك منهم تسعة وهذا كله بسبب البدعة فقال لها الملك سيف والملك إيش أغراه على قتل الحكماء والأصحاب وإيش له فائدة بذلك الكتاب فحكت له كما ذكرنا وقالت فى آخر كلامها انه لم يكن لهم معبود غيره يعبدون وإذا كان ميعاد طلوعهم تجتمع الناس اجمعون ويخرجون للقبة والكتاب ساجدين وكل من تأخر عن ذلك فيكون قليل الدين ماعنده اعتقاد ولا يقين وإذا علم الملك قرون باحد من مملكته انه تأخر عن الوقوف يوم فتح القبة والنظر إلى الكتاب فإنه ينتقم منه وينزل عليه العذاب ويتوبه من فعل تلك الاسباب فقال الملك سيف بن ذى يزن ومتى يكون اجتماعهم حتى يدخلوا إلى الكتاب يسجدون فقالت له بكرة يفوت وبعد بكرة الاجتماع أيها القرن المناع (ياسادة يا كرام) ثم إن الحكيمة عاقلة تحكى للملك سيف ذلك الكلام وطامة تحضر لهم الطعام فلما اقبلت طامة قعدت بجانب الملك سيف وصارت تتامل فى صورته وتميز فى حسنه وجماله وما كساه الله تعالى من البهاء والقد والاعتدال ومال قلبها إلى محبته وزاد بها البلبال وقدموا الطعام فاكلوا حتى اكتفوا وبعده الشراب فشربوا وطربوا كل هذا وطامة باهتة فى حسن الملك سيف ابن ذى يزن وزاد بها البهاء والشجن فقالت لامها يا أماه ونحن فى غداة غد نروح إلى القبة

وتسجد للكتاب بين الوزراء والحجاب فقالت لها وأنت وأنا إيش يلزمنا بتلك الفعال لأن العبادة متعلقة بالرجال هل سمعت أن النساء يحضرون وإلى الكتاب يسجدون فالتفت الملك إلى طامة وقال لها يا اختى اريد ان اروح بصحبة امك واتفرج على اجتماع الناس في تلك الرحاب ومايفعلون في عبادتهم لذلك الكتاب فقالت له يانورعيني وإيش ينفعك من هذه الفعال أنا سمعت عنك انك تعبد الله الكريم المتعال وتقول إن عبادة الكتاب زور ومحال ونفاق وضلال ومن حيث ذلك فاترك عنك هذا الحال فانك لست من اهل هذه البلاد وانك ابيض وجميع العالم راكبهم السواد فإذا وقفت بينهم لابد أن يعرفوك وإذا علموا بك قتلوك واسكنوك التراب وابقى انا اطيل عليك البكاء والانتحاب فقالت عندى احسن من الكتاب ومن كل مالى فى هذه المدينة والاهل والاصحاب فقالت الحكيمة ياملك سيف اعلم ان الحكماء جميعهم صاروا مخذولين ومن سطوة الملك بقوا خائفين وجلين ومابقى عند الملك لنا معاند ولا مضاد وانا فى غداة غد اعرف إيش مااقول له من المحال ادخل عليه بزخارف الضلال حتى اشغل قلبه عنك فإذا ترك سبيلك وسكت عن طلبك أدبر أنا فى أخذ الكتاب وأبغيك طلبك واسفرك من ههنا بسلام وتبقى عندك هذه الجميلة اول الجمائل فى هذا المقام وانا اعلم ان الجميل عند مثلك مايضيع فان مرادى أن أزوجك بنتى طامة وأملك حسنها البديع أيها الملك الشجيع فلما سمع الملك سيف من الحكيمة عاقلة هذا الكلام اخذه الفرح والابتسام وقال لها ياحكيمة الزمان لاعدمتك ولا عدمت طلعتك البهية فإن أحوالك كلها مرضية وإن انصفنى الزمان وارتقيت إلى علو الشان فسوف اقابل فعلك الذى فعلتيه من الجميل بالإحسان فقالت الحكيمة عاقلة ياولدى عاوز تجازينى فإنى لم يكن على شيء بعيد وإن أردت أموالا فعندى وإن اردت مملكة بلاد فانا ابلغ بصناعتى كل ما أريد وإن أردت خدامين فإن أرهاط الجان عندى أطوع لى من عبيد ولكن ياملك الزمان إذا أردت أن تجازينى بفعل الإحسان والكرامة ولايبقى لى عليك عتب ولاملامة فانا اريد منك ان تتزوج بنتى طامة وتبقى لك زوجة مثل شامة فقال الملك سيف ياحكيمة انك تعلمين أن هذا قسم ونصيب فإن كان لى نصيب فيها فلا مانع وذلك عين بغيتى ولكن أنك تعلمين انى انا فى هذه الحاجة مشغول وإذا قضيت حاجتى فسوف يحصل المطلوب والمأمول وترك الحكيمة وهى مشتغلة فى كهانتها وحكمتها والتفت إلى طامة وقال لها ماقلت ياطامة ياحبيبتى انك تأمرى امك أن تأخذنى فى صحبتها إلى محل الكتاب حتى اتفرج على عبادة أهل هذه الأراضى والرحاب فان مرادى أن أنظر إلى دولة الملك قرون واحصى عساكره وماعنده من الفرسان وأميز ابطاله والشجعان قلبى مشغول بهذا الشان وليس الخبر كالعيان فقالت له طامة وإيش بيليك بهذه البلوى أما تخاف أن يظهر امرك ونحن قصدنا كتمانه

سرك فقال الملك سيف ياطامة لاأستريح ولا أقر إلا إذا فعلت ذلك أو أشرب كاس المهالك فقالت طامة ياأخي مايمون على افرط فيك بل انا فى وسط قلبي اخبيت خليك عندى واقعد هنا فى منزلى فقال لها سيف باطامة انا على كل حال بقيت منك وإليك واعلمى انه إذا كان نصيب فمصيرك ان تكونى زوجتى فالواجب عليك أن تقضى لى حاجتى فإنه مابقى لى مستند إلا انت فى جميع أحوالى وشدتى وأريد ان تتسببى فى رواحى مع امك اتفرج على محل ذلك الكتاب حتى أبلغ الأمل والاراب فإن لم تفعل امك معى هذه الفعال اسيرا انا بنفسي إلى قضاء تلك الأشغال فسمعت الحكيمة عاقلة المشاجرة فقالت لبنتها إيش الذى يطلبه اعلميني حتى ابلغه ما يشتهى واجعل روحى فداه فقالت طامة انه يريد ان يطلع معك ياماه الديوان ويكون معك فى امن وامان حتى يتفرج على ديوان الملك قرون وينظر عساكره واهل دولته ومملكته وفرسانه ويميزهم بالعيان ويعرف الشجاع منهم والجبان ونهيته انا عن ذلك فاينتهى ولا يفعل إلا مايريده ويشتهى فلما سمعت الحكيمة هذا الكلام قالت ياولدى لأى شيء تبتلى بهذا الامر الجسيم لان هذا ملك عظيم صاحب بلاد واقاليم وإن علم بك مايسكت عنك وإن قبضت مايبقى عليك وأنا لاأقدر أن اتخلى عنك بل أقاتل كل من تقدم إليك وافديك بروحى من كل مايؤذيك وانت ياولدى عندنا غريب واحيد فريد ولكن إن أردت ذلك فأنا ما أمنعك بل أنا على مرادك وأطاوعك ولكن إذا سرت معى فلا تكلم أحدا بخطاب ولا تبتدى بجواب فقال الملك سيف وانا إيش لى بالناس حتى اكلمهم اويكلمونى وانا لا اعرفهم ولا يعرفونى فقامت الحكيمة وقالت له اخلع ثيابك فخلع ثيابه فجارت بقزازة مملوءة بدهان أحمر وقالت له اطل جسدك بهذا الدهان ففعل ماامرته فصار احمر حبشى اللون والبسته ثياب غلام مثل غلمانها وبعد ذلت أعطته حقيبة من الجلد ملانة فيها الأسطر بالات واليارزجات وفرشات التخوت وجميع ماتحتاجه من آلة الحكمة والكهانة ولما فرغت من شغلها قالت له ياولدى هذه الحقيبة احملها على كتفك كانك غلام من جملة غلماني وتسير معي ولكن اجتهد فى ستر نفسك فقال لها ياأماه الأمر بيد الله وركبت الحكيمة على بغلتها وأخذت الملك سيف بصحبتها وسارت حتى وصلت الديوان وترجلت عن البغلة والملك سيف معها كانه غلام من غلمانها ودخلت على الملك قرون وبداته بالسلام فقام إليها على الاقدام ورد سلامها بالتحية والإكرام وجلست فى مرتبتها ووقفت الغلمان فى خدمتها ثم التفت لها الملك قرون وقال لها ياحكيمة الزمان أنا فى هذه الليلة ماذقت شيئا من طعام ولا التذت جفونى بمنام مما دخل على قلبى من الأوهام وأنا متفكر فى امر ذلك الغريم وأصبحت فى العذاب الاليم فقالت له الحكيمة ياملك الزمان واترك عن قلبك تلك الهموم والاحزان لما تركت الأمر إلى فأنا أضرب التخت وأظهر لك خبر ذلك الغريم بدلائل وقواعد وفعل مستقيم والتفتت إلى الملك سيف وقالت هات الحقيبة

ياغلام حتى أنظر ماينجدد من هذه القضية والاحكام فتقدم اليها الملك وناولها الحقيبة ففتحتها واخرجت منها تخت الرمل واعطتها له ثانيا وقالت له قف قدامى هنا فوقف كما أمرته بين الغلمان كانه الاسد الغضبان والحكيمة ضربت الرمل وميزت اشكاله وتاملت فى الرمل



(هذه صورة الحكيمة الكهينة وبيدها كتاب الزمان)

ساعة وهى تحسب الأشكال بالزور والمحال وتبسمت ثم قالت أيها الملك السعيد الرشيد اعلم أن ذلك الغريم دخل بلادنا واراد ان يسرق كتابنا ولم يقدر على ذلك لان الكتاب له كرامات ظاهرة ومن جملتها انه يحفظ نفسه من الغريم ولو كان ملكا جبارا جسيم ولما دخل ذلك الغريم إلى المدينة وسمع ماجرى بينك وبين الحكماء وعلم انك ملك عظيم خاف على نفسه وهيبة الكتاب خوفته لئلا يقع فى يدك فتقطع رأسه فما كان منه إلا ان هرب وذهب فى البر والسبسب وها انا اعلمتك يامالك الزمان فاترك عن قلبك هذه الاحزان وانا اضمن لك هذا الكتاب انه لم يتمكن هذا الغريم من اخذه ولايصل إلى عنده ولو ركب على ظهر السحاب فقال لها الملك قمرون ياحكيمة الزمان ايش هذا الكلام انا اعلم وكل من فى هذه الديار يعلم وانت والحكماء يعلمون تلك الاسباب وله دلائل عند أولى العقول والالباب ان الغريم هذا إن وصل مدينتنا بقى فى هذه الرحاب مايطلع منها إلا ومعه الكتاب وغريمنا ملك ثقيل وفارس نبيل ضمن ان يأخذ كتاب تاريخ النيل ويشيع له بذلك تذكار ويسوق النيل من هذه البلاد والاقطار ويوصله إلى بلاد الامصار فقالت الحكيمة اصبر أيها الملك السعيد اما الغريم فقد قال فيه الغماز رجل واحد فريد وانا مابان لى فى هذا التخت ايضا إلا انه وحيد فريد ولما هرب لم ياخذ شيئا من تلك الاراضى والبيد فقال الملك قمرون اما انا فهذا القول لا اصدقه ابدا وان هذا

اليوم اول هلال الشهر فقومى معى حتى نفتح القبة والمقام وتقدمى انت إلى الصندوق الذى فيه الكتاب وتنظريه إن كان موجودا أو مفقودا فقالت الحكيمة عاقلة الامر اليك قم ياملك الزمان وسر على هذا الامر والشان فقام الملك قرون والحكيمة عاقلة وركبت معهم الوزراء والنواب والحكام والحجاب جميعا قاصدين القبة والمقام ومحل الكتاب والملك وسائر صحبته الحكيمة عاقلة وهو يبارى تلك الجموع بالمناقلة والحكيمة عاقلة تقول الملك قرون إن كان الكتاب ياملك موجود فقد نلنا المقصود ولا أصابنا عدو ولا حسود وإن كان فقد فأنا الضامنة لك عودته سريعا فقال لها الملك ياحكيمة هذا شىء لايكون فان الكتاب هذا يأخذه ملك عظيم ويجرى به النيل الجسيم ومنه يروى ارض واقاليم ويبقى به ملك مستقيم فلا تقولى إنه إذا راح يرجع ان هذا الكلام لايسمع وحذرنا هذا كله لاينفع فقالت الحكيمة وعلى موجب ذلك أن كان الكتاب باقيا فلا بد ان يروح هذا والملك سيف يسمع الكلام ولا يلتفت لاحد من الانام وقلبه مشغول بشامة بنت الملك أفراح ولايلتفى من شرك حبه لها براح ويقول فى نفسه لابد من أن آخذ الكتاب فى هذا اليوم ولا ابالى بالعتب واللوم فلا حظت عليه الحكيمة وتقدمت اليه وقالت له ياولدى أخبرك بشىء تكون منه على حذر فقال لها وماهو فقالت إن الملك فى هذا اليوم يفتح القبة ويدخل إلى الصندوق لينظره وانت مرصود ولك ان تأخذه ولا أحد يقدر عنك بمنعه وهو مرصود عليك فان دخلت القبة معنا فان اهل البلد والملك قرون جميعا يجهلونك ولا يعرفونك واما ارصاد الكتاب فانهم جميعهم يعرفونك ولا ينكرونك وإن دخلت القبة وبقيت من داخلها فان الصندوق بالكتاب مرصود لك وانك حال ماتخطى من العتبة يدور الصندوق فى وسط القبة على القاعدة ثلاث دورات وينتزع من مكانه ويأتى بين رجليك فإذا جرى ذلك ونظرك الملك والدولة والوزراء فتميل عليك الصفوف ويأخذوا حدك على حدود السيوف مثل القطن المندوف لانهم مئات وألوف وأنت وحدك ياولدى فريد وحيد ولانك مساعدى أنا ما اقدر ان ارد عنك وإن مانعت عنك ينسبونى للنفاق فاحذر ياولدى غاية الحذر ولا تدخل القبة ولا فيها تحضر فقال الملك سيف هذا لا تخشى منه ولا تسالى عنه فقالت ألا يصح فيك المثل حيث قيل

يا من غــــره جهله	وزاد يوفى الدجى نوحه
كأن خالى أصبح مشبوكه	حواط استكى رواحه

وأنا نصحتك والسلام وتركته وسارت ولكن قلبها عليه مشغول وتعلم أنه مايسمع كلامها ولو قالت له مهما تقول صارت حتى لحقت الملك قرون وبقيت معه راكبة على بغلتها وصارت معه واكابر دولته خلفه سائرون ومازالوا حتى وصلوا إلى القبة وتقدمت الرجال والشباب وقد فتحوا الباب ودخلت الناس بعد مادخل الملك والوزراء ومن يلوذ به من الجلاس

ودخلت العساكر والدساكر واهل المملكة جميعا فدخلوا القبة وفتحوا المقام ونظروا فى الصندوق فوجدوا الكتاب على حاله فخروا له جميعا ساجدين من دون رب العالمين هذا والملك سيف واقف على باب القبة وقصده يدخل وبقى متحيرا بين أمرين خطيرين أحدهما أن الحكيمة عاقلة قالت ياولدى لاتدخل هذا المكان وعاهدها على ذلك وقد حذرته عنه وحلفته عليه ايمان والثانى مابقى يقدر أنه عرف أن هذا محل الكتاب ولا يمكن أن يفوته بل يأخذه ولو جرى ماجرى وأيضا هو مشتاق إلى بلاده ليأخذ شامة زوجته ويقضى مراده وأعجب من هذا أن قصدها إغاظة الملعون المفتون الذى هو أصل هذه الدعوة سقرديون كل هذا وحاسب حساب الحكيمة وقولها له لاتدخل ثم أنه ثبت قلبه وقوى جنانه وخطى من داخل العتبة القبة فوجد الخلق جميعا ساجدين فتأملهم وأراد أن يفعل كفعلهم ويسجد لله رب العالمين وقال فى نفسه كل من سجد يسجد لمعبوده وأنا سجودى لله وأراد أن يسجد وإذا بالمقام اهتز وارتفع وتعالى إلى فوق ووقع الصندوق الذى فيه الكتاب ودار فوق القعدة ثلاث دورات وانحدر من مكانه بشهيق حتى بقى بين رجلى الملك سيف ونظر الملك قمرون إلى ذلك الحال فساءت به الأحوال وكذا كل من كان حاضرا من الأبطال والرجال والوزراء والحجاب والنواب وعلموا جميعا أن هذا الغريم الذى أتى ليأخذ الكتاب وهو الآن قد ظهر وكل من الناس عاينه بالنظر لابقى ينفعه خوف ولا حذر ونظر الملك قمرون إليه فصاح بأعلى صوته هذا الغريم خذوه وبأسيافكم قطعوه هذا عدونا هذا الذى أتى لمدينتنا يريد أخذ كتابنا ومن أجله قتلت الحكماء فعند ذلك تماوجت الرجال وهاجت الأبطال وأنيخت الأفيال وجذبوا كل حسام فصال وحملوا على الملك سيف اليزن فى الحال ليسقوه كأس الوبال ونظر الملك سيف إلى هذه الفعال فعلم أنه خاطر بنفسه فى دخوله تلك القبة والاستعجال ولا بقى ينفع الإمهال وإن سكت شرب كأس الوبال والنكال ولا بقى ينجيه من هذه الأهوال إلا قدرة الله الملك المتعال والصبر على ملاقاة الأبطال والضرب بالحسام والفصال فعندها رمى الحقيبة للحكيمة عاقلة وكانت اليه ناظرة وناقلة ونظر إلى حاجب من الحجاب قادم عليه وبيده حسام فصرخ فى وجهه وكبب له يده ولكمه فى صدره فخسفه إلى حد ظهره وأخذ منه الحسام وزمجر على الأعادى اللئام كما يزمجر أسد الآجام وهدر وزمجر ودمدم كما يدمدم الأسد وغضب وحردوا انتقل من حال إلى حال وقد استعان بالله الواحد المتعال وصاح الله أكبر الله أكبر على كل من طغى وتجبر الله أكبر على من كفر واتخذ مع الله إلها آخر ثم أنشد يقول :

إذا جمع الجيوش على حالا ... وقد كذبوا المواضى والنصالا

وازمع رأيهم بغيا وظلما ... على قتلى ولم يبدوا مقالا

ولا سيف ولا رمح بيدى ولا مهر أخوض به المجالا
وكنت بوسط أعدائى فريدا ولم أملك فرارا وانتقالا
اقول لهم تعالوا بادرونى ودو وا بى يمينا والشمالا
سافنيكم بعون الله وحدى بحد مهند يزهو صقالا
أنا سيف بن ذى يزن عروس الحرب أشبعكم قتالا
فكم من غابة اخليت منها سباع البر قد هجروا الدحالا
وسيفى لايروم الغمد لكن إذا ماهزه كفى تلالا
وأمنع صاحبى سيفى ورمحى وقلبى ليس يكترث الرجالا
فدونكموا القتال وبادرونى ولا تتذكروا قيلا وقالا
ساجعل لحمكم للوحش رزقا والاطيار مأكولا حلالا
أنا سيف بن ذى يزن اليمانى أجل الخلق أسلافا اصالا

(قال الراوى) وسمع كلامه الملك قرزون فزاد به الجنون وصار يصيح ويقول اقتلوه ولا تبقوه فسمع الملك سيف هذا المقال فايقن بالهلاك والوبال فصار يضرب ضربا لا يبقى ولا يذر وكان الحسام الذى أخذه من الحاجب حسام فصال فابادبه الجماجم والأوصال وأجرى الدماء مثل السيل السيال وسطح الأجساد فى تلك القبة وملأها جثثا ورماوا نزل على الأعداء كاس العذاب وابلاهم بالويل والخراب حتى بلغ الخلا وملأ الأرض بالقتلى وكانوا ركبوا عليه ظهور الخيل ونزلوا عليه نزول السيل وانثلم منه الحسام واشتد عليه الزحام فنظر إلى فارس اقبل عليه وبيده رمح معتدل فصبر عليه لما طعنه وقبض على الرمح وجذبه فاخذه منه وصار يطعن فى الصدور حتى جعل الدماء على الأرض تفور وزعق بصوته وكان له صوت جهورى فقال ياكلاب أنا أخذت كتابكم ولا بد لى من هلاككم وقتل ملككم ولا أبالى بجمعكم وكلما سمع الملك قرزون كلامه يوبخ أقوامه وينادى ياويلكم فرد رجل ولا له حصان هذا فناكم وحده بالسيف والسنان بن نخواتكم وعزماتكم هذا والملك سيف ما مال على جمع إلا ومزقه ولا موكب إلا وفرقه حتى مضى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه والناس تاتيه من اليمين والشمال وهو يقبض أرواحهم ويرمى على الأرض أشباحهم فبينما هو ينثنى ويميل ويهلك الاعداء بباعه الطويل جاءت رجله على جمجمة قتيل وكان فى ظلام الليل وقد عدم القوى والحيل وأراد أن يقوم فتكبب عليه الحجاب والوزراء والنواب وأمسكوه قبضا باليد وشدوه الكتاف واحكموا ربط السواعد والاطراف وقد ساقوه وإلى بين أيادى الملك قرزون قدموه وقالوا له ياملك الزمان هذا عدونا الذى أتى من بلاد بعيدة إلى بلادنا لياخذ منه كتابا وقد أبادنا وأهلك رجالنا وأبطالنا فقال لهم لا ترونى وجهه ولا عينى تراه لانى أريد أسقيه كاس فناه فامضوا به إلى الجب الذى فى الجبل وهو جب الهلاك حتى لا يبقى من الموت

فكاك فانه يموت من الكمد ولا يدرى بموته أحد هذا والملك سيف ساكت لم يرد جوابا ولا يبدى خطابا وقد أيقن بالفناء والذهاب وكان هذا الجب فى وسط جبل ويسمى جب الهلاك والوجل لأن عمقه ثمانون ذراعا وله ستون عاما مافتحه أحد وعليه غطاء من الرصاص لا يرفعه إلا خمسون رجلا من الرجال الشبان الخواص وقد جعله أبو هذا الملك للمغضوب عليه فان غضب على أحد من الجبابرة رماه فى قلبه إذا كان جسيما ذنبه فلما أمر الملك رجاله أن يمضوا بالملك سيف إلى ذلك الجب ويرموه فيه فامتثلوا قوله وقيدوه وربطوه ووكلوا عليه الحرس حتى يطلع النهار وبات الملك قرون مسرور الفؤاد فلما أصبح الصباح قامت الرجال وانتبهت الأبطال وطلبوا من الملك الإذن فأذن لهم وأخذوا الملك سيف وساروا به كما أمرهم وساروا يقطعون البرارى والقفار والملك سيف يبكى ودموعه على خدوده غزارا فعاد إلى طبع العرب وأنشد يقول:

مالى أرى الأيام تبدى عداوتى ... وفى كل يوم تبتلينى بنكبة
وتوقعنى فى كيد أعداى راغما ... وهذا من الأيام أسوأ عادة
أيا دهر ماهذا الغرور غدرتنى ... وقد كنت لى تبدى صفاء المودة
رعى الله أياما تبدى سرورها ... وبعد سرورى أحزنتنى وخانت
لقد سرت قصدى أرض قيمر لحاجة ... وظنى أن الدهر يسخو بحاجتى
لآخذ كتاب النيل من أرض قيمر ... فعادتنى الأيام شر عداوة
وجاء الأعادى بالسيوف وبالقنا ... فقابلتهم جميعا بجهدى وطاقتى
فلما وهى عزمى وقعت على الثرى ... وصرت رهينا فى وثاقى وكربتى
وقد أمروا أن يطرحونى بجبهم ... وقد ضاعفوا قيدى ليرمونى قتلتى
سألت إله العرش ربى وخالقى ... إله تعالى عالم بالسريرة
يخلصنى مما أنا فيه عاجلا ... وينقذنى من بأسهم والمشقة

(قال الراوى) وقد أخذه الأعداء حتى صعدوا به إلى الجبل وقد أقبلوا به إلى ذلك الجب وأوقفوه بينهم وتعاونوا على الغطاء وهو طبق من رصاص حتى رفعوه فظهر هبابه أسود ودخان برائحة منتنة قذرة فصبروا ساعة حتى انقطع وأرادوا أن يطرحوه هذا ماجرى وأما الحكيمة عاقلة فانها صعب عليها ذلك وقال لها الملك قرون كيف رأيت ياحكيمة الزمان وقوع الغريم فى ذلك المكان فقالت الحكيمة اعلم ياملك أن هذا الغريم له فهم فى السحر والكهانة ويختفى عن العيون ولو مكثنا نفتش عليه ما كنا عرفنا طريقه وأنا ياملك ما أشرت عليك بفتح القبة إلا لعلمى أن الكتاب يدلنا عليه وأما من غير الكتاب فما كنا نعرفه وأنا لما عرفت هذه الأسباب قلت لك نقوم ونكشف على الكتاب إن كان حاضرا أو غاب لعلمى أن الكتاب

صاحب كرامة وهو يدلنا على الغريم ويظهر لنا العلامة وأما لو قلت لك إن الكتاب يمسك عدونا فما كان الغريم اتبعنا وهذه كرامة من الكتاب أيها الملك المهاب وقد أهلكنا عدونا وكتابنا بقى عندنا فلما سمع الملك من الحكيمة عاقلة هذا الكلام أبدى الضحك والابتسام وقال لها صدقيني يابنت الكرام فمثلك من يدبر أمور الأحكام ثم إن الحكيمة استأذنت الملك فى الرواح فأذن لها فركبت بغلتها وسارت إلى ديارها وخدمها معها فلما صارت وركضت البغلة وهى مطردة على عجلة حتى وصلت إلى الجب فوجدت الناس رفعوا الطابق فقالت لهم اوقفوه ولا تطرحوه فى الجب وإنما هاتوا أحبالا واربطوه حتى يصل إلى الأرض سليما ويقعد يقاسى عذابا أليما من شدة الظلام ومن عدم أكل الطعام ولا يموت إلا بسبب الجوع والعطش فقالوا لها أصبت ياحكيمة الزمان وأحضروا حبلا طويلا على قدر عمق الجب وربطوا الملك سيفا من تحت إبطيه وقووا ربطه بين كتفيه ودلوه حتى وصل إلى الأرض وقالت الحكيمة سيبوا الحبل فوقه فسيبوه وكان سيف عارفا بالحيلة فتأخر من تحت الحبل حتى وصل إلى الأرض وبعد ذلك أغلقوا الجب كما كان وقعد الملك سيف وحده فى ظلمة ذلك المكان وأيقن أنه عدم كأنه ما كان فلما رأى نفسه على ذلك الحال تنفس الصعداء وأبدى لوعة البرحاء ورفع رأسه إلى سقف الجب وتوسل بعالم الغيب وهو يتضرع ويقول هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على صاحب المعجزات :

الشدة أودت بالمهج ... يارب فعجل بالفرج
والأنفس أمست فى حرج ... وبفضلك تفريج الحرج
يا من عودت اللطف أعد ... عاداتك باللطف البهج
الفضل أعم ولكن قد ... قلت ادعونى فلنبتهج
أدعوك بقلب مجتهد ... ولسان بالشكوى لهج
أصبحت إلهى فى قيد ... ووثاق مشدود سمج
ورميت بجب فى ظلم ... من لى ولقلبى المنزعج
ووقفت ببابك مرتجيا ... من هذا الضنك أكون نجى
فاقبل شكواى وخلصنى ... وامنن بالنصر وبالفرج
فأنا مالى من يرحمنى ... الارب للناس رجى

(قال الراوى) فلما أتم الملك سيف هذه الاستغاثة حتى نظر إلى أثر نور فى ذلك الجب من غير طاقة تفتح ونظر إلى حائط الجب فرآها سوداء وقد ظهر منها شخص طويل رأسه فى سقف الجب ورجلاه فى الأرض وتنفس فشم نفسه الملك سيف فرآه كرائحة العطر ولكن تخيل سيف فى نفسه إلا أنه صبر على مضض ولم يتكلم وقال فى نفسه على أى حال أنا هالك وان قتل ذلك

الشخص لى أخف أن أقاسى عذاب الظلمة والجوع والعطش وإذا بالشخص انحنى حتى صار مثل القنطرة وقبل يد الملك سيف وهى مربوطة فى الكتاف وكذلك قبل رجله فى القيد وقال له ياملك الزمان انا بك مستجيرا تنقذنى من الهلاك والتدمير انا فى جيرتك فإنى فى اشد الهلاك والضيق ولا لى من ينقذنى غيرك أيها الملك الكبير فقال له الملك سيف وقد تعجب منه ومن تذلله بين يديه مع أنه مطلق السراح والملك سيف فى القيد المزيد والكتاف الشديد ياهذا ما أعمى بصيرتك اما تنظر ما انا فيه من القيد والكتاف وإقامتى فى ذلك الجب المظلم الذى اشرفت فيه على التلاف فقال له الشخص ياملك الزمان إطلاقك من هذا المكان ماهو بعيد واما انا فإنى فى ضنك شديد وانا اخلصك قبل الكلام والمقال وبعد ذلك اعلمك بما اصابنى من الاهوال ثم إن ذلك الشخص تقدم وفك يد الملك سيف ورجليه فقال له الملك سيف أريد السوط الذى كان معى المطلسم فمد يده من حائط الجب وإذا يد الشخص دخلت فى الحائط واخرجها بالسوط وقال له خذ سوطك هذا ولكن لاتسحبه فإن فعلت ذلك تقتلنى فقال الملك سيف ياهذا من تكون انت ومن الذى أتى بك إلى ذلك المكان فقال الشخص ما انا ذكر انا انثى وانا اختك ايها الملك فى الرضاع لأن أمى أرضعتك من ثديها وأنا على كتفها وأنا إسمى عاقصة بنت الملك الابيض ونحن قوم مؤمنون بالله رب العالمين على دين الخليل إبراهيم أبى الانبياء والمرسلين ونحن ساكنون فى جبال القمر ومنبع النيل وعندنا أناس مثلك ياملك مسلمون وعندنا شيخ صالح مقيم عندنا فى صومعة يعبد الله فتعلمنا منه العبادة وهدانا الله على يديه ولكن ياملك الزمان سكن عندنا مارد جان كافر من الكفار يقال له المختطف الاقطع يعبد النار دون الملك الجبار فاتفق أنه نظرنى مرة فأعقبته النظرة الف حسرة واحبنى حبا شديدا ثم طلبنى من أبى على انه يتزوجنى فانعم له أبى بزواجى من خوفه لأنه جبار والمعنى ان ابى زوجنى له فكرهته ولم ارضى أن يكون لى بعلا ولا اكون له زوجة ولا اهلا ولما ضاق صدرى اتيت إلى العابد الصالح الذى عندنا فى القبة وشكوت إليه حالى فقال لى المارد جان ولا لك من يديه مخلص ولا فرار إلا إذا جاءه الملك التبعى الحميرى حاكم اليمن ومبدل الفتن ومبيد اهل الكفر والجن الملك سيف بن ذى يزن فقلت له فى أى مكان هو فقال لى اسألى امك عنه فانها امك وامه فاتيك إلى امى فسألتها عنك فقالت لى ياعاقصة هذا رماه الملك قمرون فى الجب فسيرى إليه فأخرجيه وما هو فيه اطلقيه وخذيه معك وإلى المختطف اوصليه فإنه اخوك بل اعز من اخيك وواجب عليه ان يحمك وقد اتيتك فى هذا المكان ولا يخلصنى غيرك ياملك الزمان قال الراوى وإن هذا المختطف كان له حديث فى أول كلامنا لما أتى يأخذ شامة بنت الملك مدة ما كان عند عطمطم خراق الشجر وجلس بها فى الخيمة وحضر الملك سيف من عند عطمطم وضرب المختطف بالسوط المطلسم فقطع يده وجرى ماجرى كما وصفنا وإن ذلك المارد لما

قطعت يده بعدم صبره وجلده ما رجع للعجمي الحكيم ولا نظر وجه سقرديون بل هرب هاربا على وجهه فى القفار حتى وصل إلى جبال القمر ومنبع النيل وسكن فى تلك الديار وقر به القرار وخافت شره جميع الصغار والكبار واتفق على أنه مر على محل الملك الأبيض فنظر إلى عاقصة وهى تتمايل كالعروس ولها وجه كأنه القمر إذا بدر ليلة اربعة عشر فوقف حتى مرت به وتأملها بالنظر فزادت بها الاشواق والفكر فأتى إلى أهل الحى وسأل عنها وقال من أبوها وما إسمها فقالوا له هذه بنت الملك الأبيض واسمها عاقصة فلما علم بأبيها سار إليه وهو ذاهل لا يبصر ما بين يديه ودخل على الملك الابيض فلما نظر إليه اسرع قائما على قدميه وأجلسه وأكرمه وبجله وعظمه وقال له هل من حاجة نقضيها لك فإننا لا نبخل بأرواحنا عليك فقال له الملعون المختطف انا جئتك خاطبا وفى كريمتك راغبا فلا تردنى خائبا مما انا له طالب فلما سمع الملك الأبيض ذلك الكلام كأنه ألجم بلجام ولم يقدر إلا على الإجابة لأنه نزيله فى تلك الديار وبنى قصر فى تلك القفار وزينه حتى لم يبق له نظير فى ذلك الزمان وأغار على البنات والنسوان والملك الابيض لا يقدر أن يكلمه بل خاف من شره وتجبره على الجان وأنه لما خطب من الملك الأبيض بنته لم يقدر على أن يرد حرمته فرفع رأسه إليه وقال له اهلا وسهلا وأمتى لك أمة ونحن لك من جملة العبيد والخدم فقال له المختطف لولا أنك اجبتنى وعجلت بكلامك لكنت عجلت بحمامك وجعلت هذا اليوم آخر أيامك وأملاك فقال الملك الابيض لا تقل هذا يا مختطف فانا لك على ما تريد واعوانى لك من جملة العبيد وانصرف المختطف وأتى بقاض من الجان فى الحال وعقد عقدة الزواج بالكمال وقال له صارت زوجتك فى الحلال فلما بلغ الخبر عاقصة بذلك الامر الشديد بكت بكاء ما عليه من مزيد لان الملعون شنيع الخلقة كبير الجثة وأن الملك الابيض واعوانه مسلمون ومؤمنون برب العالمين وهذا المارد يعبد النار دون الملك الجبار فصارت حتى أتاها أبوها وقالت يا أبى إما رأيت من تزوجنى به إلا المختطف الاقطع هو كافر يعبد النار دون الملك الجبار فلا ارضاه يكون لى بعلا فقال لها ابوها وما كنت أقول فأنا دفعت بك عنى وعن الرجال شره المهول وخفت على قبيلتى من شرب كأس الوبال فلما سمعت عاقصة من ابيها ذلك المقال علمت انه فى ذلك معذور وإن سكتت فضحها هذا الكافر المغرور فهربت على وجهها فى البرارى والقفار ودموعها على خدودها غزار حتى وصلت إلى الشيخ الصالح الذى هو مقيم عندهم فى تلك الديار وكان اسمه عبد السلام فقالت له ياشيخنا انجدنا من ذلك الكافر الفاجر فإنه أراد أن يتجرأ على زواجى وأنا مؤمنة وهو كافر فقال لها ياعاقصة أمضى إلى الملك سيف فإنه يهلكه ولا يقدر غيره عليه ولا يملكه فقالت عاقصة ومن هو الملك سيف ياسيدى فما أملك تعرفه وهو فى مدينة قرون فعادت إلى أمها رسالتها فقالت لها امضى فى الجب وأدركيه وما هو فيه خلصيه فيه أخوك ومن

عدوك بحميك هذا وأعلمتها أنها أرضعته عليها فأتت عاقصة وهى فرحة إلى الملك سيف وأعلمته بما جرى وقالت له آخر كلامها وها أنا ياملك الزمان قد أتيت إليك وحمايتى وحمى عرضى واهلى على الله وعليك لاجل ان اخلصك وآخذك الى بلدى واضيفك عندى رتصير فى ارغد عيش وانا الذى احملك إلى بلادك واخدمك ياملك واكون من اجنادك بعد ماتقتل هذا المارد وتكفينا من شره وتريح الأرض من تجبره ومكره ثم أنها تقدمت إليه وحملته وضربت الأرض فانفتحت وخرجت من حيثما اتت وطلبت الجو الاعلى وطارت به حتى نزلت به على قبة الشيخ عبد السلام فلما نزلت إلى الارض وارادت ان تستاذن الشيخ فى الدخول سمعت الاستاذ يقول ادخل ياسيف بن ذى يزن فعندها أخذت عاقصة يد الملك سيف هى وهو فنظر الملك سيف إليه فرأى محل سجوده لعزينة بين عينيه والنور يلوح عليه فنظره الشيخ وقام على القدمين وسلم عليه بملء الاحضان وقبله بين العينين وقال له اهلا وسهلا بالملك سيف هن هذا المقاو وعاقصة تركته عند الشيخ عبد السلام وطارت فى الروا لآكام وأما الشيخ عبد السلام فإنه قال للملك سيف ياولدى أنت مقيم الليلة عندى الى غداة غد فأنا موعود بك حتى تأتى عاقصة إليك وتأتى وتأخذك وتمضى بك إلى قصر المارد المختطف فاجابه الملك سيف بالسمع والطاعة وقام عنده فى صلاة وطاعة إلى الصباح وإذا بعاقصة قد أقبلت وسلمت على الملك سيف وعلى الشيخ عبد السلام وقالت للملك سيف قم بنا فقال له الشيخ توجه معها بلغت الله قضاء حاجتك فصارت عاقصة مقدار ساعة ثم نزلت به إلى الارض وقالت ياملك سيف انظر أمامك فنظر الملك سيف وقال رأيت سواداً على بعيد فى ذلك البر والبيد فقالت له هذا قصر الملعون سحاب المختطف فقال اوصلينى إليه حتى اريك مافعل بسوطى هذا فى بدنه فقالت له لا أقدر أن أخطو خطوة واحدة فى هذه البرارى والتلال فتركها وسار وحده حتى وصل القصر وطاف حوله فلم يجد له منفذا ولا سلما يصعد منه ذلك القصر عالى متعلق بالسحاب طوله خمسمائة ذراع وعلوه مائتان وخمسون ذراعا وهو على اربع عمدان لايوجد مثلهم فى ذلك الزمان فوقف الملك سيف ينظر إليه ويتفكر كيف يكون يصعد حتى يبلغ أعلاه وإذ به رأى شبابا كالنفتح من ذلك القصر وأشخاصا هناك يطلون من ذلك الشباك وهم يشيرون إليه ويقولون هيا الينا واصعد ياملك الدنيا فقال لهم كيف يكون الصعود وانتم عالون فان كان عندكم حبال أحضروها حتى اربط نفسى وتعاونوا وارفعونى فكان هؤلاء بنات وكان فى القصر حبال بكثرة فربطن بعضها فى بعض حتى اوصلنها إلى الارض فربط نفسه الملك سيف بلافزع ولا خوف فلما علموا أن بالاحبال مسكوه تعاونوا حتى رفعوه إلى اعلى القصر ادخلوه فلما دخل وجد اربعين بنتا صبية كأنها الأهلة البادية وهم يقولون اهلا وسهلا بملك أرض اليمن وهو الملك سيف بن ذى يزن فقال لهم الملك سيف انتم من تكونوا ومن الذى

أعلمكم باسمى ولأى شيء أنتم مقيمون بهذا المكان فقامت منهم بنت بديعة فى الجمال وقالت له ياسيدى أنا اعلمك بحالتا كلنا ثم تقدمت إليه وقبلت يديه وقالت انا الذى عرفت هؤلاء جميعهم باسمك وكشفت لهم عن رسمك فقال لها وانت ما اسمك وهو على حسنك وجمالك شاهد فقالت أنا اسمى الملكة ناهد بنت ملك الصين الأعلى وهؤلاء البنات كلهن مسبيات وهم أولاد ملوك كبار أصحاب اقاليم وامصار وكلنا بنات ابكار خطفنا هذا المختطف من سرايات اهلنا واتى بنا إلى هنا ووضعنا بذلك المكان ولنا مدة من الزمان فى هموم وأحزان إلى أن كان يوم من الأيام اتانى فى منامى يقول لاتحزنى ياناهد فقد سبب الله لكم الخلاص فى هذا العام على يد الملك بن ذى يزن بقتل المختطف الملعون ويريح الله عنكم تلك الغبون وهو الذى قطع يده فى بلاد الحبشة والسودان فإذا أفقت من منامك ولذيذ أحلامك تجديه واقفا تحت الشباك فأطلعوه عندكم فهو الذى يقتل عدوكم ويردكم جميعا إلى مستقركم (ياسادة ياكرام) ثم قالت ناهد فأفقت من منامى وانانى فكر وحكيت للبنات على ما رأيت من العبر فقالوا لى إنها اضغاث احلام وكان هذا الهاتف يبشرنى انت تتزوج بى وتكون بعلى وتأمرنى أن أدخل فى دينك واتبع يقينك فإنى أكون رفيقتك فى الجنة وسألت الهاتف على دينك وما تعبدك فقال لى هذا يعبد الله تعالى الذى لا إله إلا هو فافقت من النوم وانا اقول لا إله إلا الله فقلت للبنات على ما رأيت فقالوا لى إن كلامك لاشك صحيح وليس فيه كذب ولا تقبيح ونحن كلنا ندخل فى دينه ونتبع يقينه وقمنا جميعنا وفتحنا الشباك فرأيناك واقفا قدامنا فقلت البنات هاهو المطلوب وفى هذه الأيام تنفرج الكروب ثم اتفق رأينا أن ندلى لك الأحبال ونأخذك عندنا فى القصر والظلال على يديك يموت هذا الملعون المختطف ويشرب كأس الوبال فبحق الإله لدى تعبده ما انت الملك سيف بن ذى يزن التبعى الحميرى ملك حمراء اليمن وهاتيك الاطلال والدمن فقال نعم أنا ملك سيف الذى ذكرت وعن قريب إن شاء الله تعالى أهلك هذا الملعون وما أراده الله سوف يكون فقالت الملكة ناهد ياملك الزمان مد يدك إلى حتى أوريك ما يجرى الك معى فمد يده إليها فوضعت يدها فى يده وقالت له أقول على يديك حقا صدقا عدلا اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان سيدنا إبراهيم خليل الله امنك بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فلما راى البنات معاها قالوا لها ياملكة ناهد علينا فنقول كما قلت فقالت لهم يعلمكم سيدى الملك سيف فأتوا إليه وقالوا ياملت علمنا حتى تدخل فى دين الإسلام فصار الملك سيف يعلمهم الشهادة كما قالت الملكة ناهد واسلموا على يده جميعا ففرح الملك سيف ابن ذى يزن بانتقال هؤلاء البنات الابكار إلى دين الإسلام وإنقاذهم من عبادة الكواكب مع الكفار فقالوا له ياملك ها نحن بقينا منك وإليك وإن تركتنا لذلك المارد يبقى عيب عليك فقال الملك سيف يابنات الملوك انا إذا رأيته لا تاخر عنه إلا اذا قتلته وارحت

الدنيا من شره ومن غائلته ولا تهينونى إلا إن تأخرت عن قتاله وحربه ونزاله ولكن يا ناهد خبرينى عن هذا الملعون سحاب المختطف إيش يريد أن يفعل بهؤلاء البنات الأبكار ولأى شيء جمعهم هنا فى هذه الديار فقالت له يا سيدى ما يفعل بهم شيء من الأضرار وإنما يوقفهم قدامه ويشرب على وجوههم الخمر والعقار وما قصده بذلك الاضرار ملوك الإنس الكبار وكلما وجد بنتا من بنات الإنس مليحة يأخذها من بين اهلها خطفا وما قصده إلا أذية الانس اما انا فخطفنى من مملكة الصين وهذه بنت ملك الهند وهذه بنت ملك الغرب وهذه بنت ملك الزغاو وهذه بنت ملك بابل وهكذا ولما خطفنى وأتى بى إلى هنا ما كان عنده إلا بنات قليلات وصار يخطف حتى اجتمعنا أربعين فيوما قلت له يا سيدى أطلت علينا فرقة اهلنا وإيش قصدك باجتماعنا فقال يا ناهد انا خطفت عاقصة بنت الملك الابيض ومنتظر ان ادخل عليها وأردكم جميعا إلى اماكنكم واطلق سبيلكم فقال الملك سيف إذا أراد الله تعالى قتل ذلك الملعون ارسلكم إلى اهلكم وما قدر سوف يكون ثم قال لها اين هو ذلك الملعون فقالت ناهد هذا وقت مجيئه يا ملك الزمان وما تمت البنت كلامها إلا والدنيا اظلمت والغبار فى الجو قد ارتفع فهربت البنات وراحت كل واحدة إلى مكانها لما نظروا إلى هذا الحال فقال الملك سيف لاى شيء صرتم هاربين وما لى اراكم متحيرين فقالوا يا ملك خذ الحذر على نفسك لقد أتى المارد ووصل إلى هذا المكان يا ملك الزمان وفى الحال نزل إلى القصر وله رجلان كانهما صوارى وفوقهما ادخنة تصورت عفريتا شنيع الخلقة بآذان كالادراق وحنك كانه الزقاق ومناخير كالابواق واسنان كل واحدة منها كانها كلاب وعينان مشقوقتان صفروان كانهما الذهب الوهاج فلما نظر ذلك العفريت إلى الملك سيف عرفه وحققه وقال له يا قطيعة الإنس ويا ولد الزنا انت قطعت يدى فى بلاد الحبشة والسودان من ايام مضت ولاى شيء أتيت إلى هذا المكان واليوم آخذ ثأرى منك واقطع يديك الإثنين وأخليك بلا أيدى واستوفى منك الدين ثم أراد المارد مد يده إلى الملك سيف واراد ان يقبض عليه فضربه الملك سيف بالسوط المطلسم فوقع على يده الثانية فانقطعت فقال له يا ولد الزنا يا قطاعة الإنس أولا قطعت يدى واليوم قطعت الثانية فاضرب عنقى وارحنى من عذابى لانه بعد قطع اليدين ما لى عيشة فارحنى بالموت فأراد الملك سيف أن يضرب عنقه فسمع النداء ارجع يا سيف لا تعد الضرب عليه فرجع الملك سيف فقال له المارد اضربنى يا انسى فقال سيف انا ما اعيد الضربة على احد إن كان فيك رمق قم حاربنى ثانية وإذا بيد المارد قد طلع منها دخان وبعد الدخان شرار وبعد الشرار طلع منها نار هذا والمارد يصيح مما به من العذاب حتى احترق وصار كوم تراب ثم مات ونفذت فيه الآفات واقبلت عاقصة وقالت له يا أخى يا ملك سيف أراحك الله كما ارحتنى من هذا الجبار يا أخى هذا ما كان أحد يقدر عليه لا من الانس ولا من الجن ولا يقدر احد ان يضربه بالحسام غيرك يا همام فلا

شلت يداك ولا كان من يشناك ومن بعد ما قتل هذا الملعون فأنا ياأخي ما بقيت أفترعن خدمتك فان كان لك حاجة قل لي عنها حتى اقضيها وابلغ نفسي في خدمتك مناها فقال الملك سيف انت يابنت الكرام تقولي انك اختي وانا ما اعلم إيش هذه الاخوة انا انسي وانت جنية فقالت له لاتتبرأ مني ولا تحيد عني فإني اختك إن اردت أو لم ترد فقال لها أما من جهة الصداقة فرحبا بك انا بروحي افديك واردعنت اعاديك فقالت له ياسيدي وحق من شعشع الشعاع وشق الابصار مع الاسماع إني ياأخي اختك من الرضاع وامي ارضعتك أولا وانت طفل جنين وبعد ذلك أخذتك من عند الملك افراح واقمت عند امي حتى تكامل عمرك ثلاث سنين وإن كنت ياملك ما تصدق قولي فأنا آتيك بأمي ثم أنها أشارت على أمها لحضرت فلما رآها الملك سيف قال لها هذه امي فان وعيت على من ارضعني غيرها فقالت عاقصة اذا كانت هذه امك بيقين فانا بنتها فصدق الملك سيف كلامها وقال لها ياأختي حيث كان مرادك قضاء حوائجي فاعملي فاعملي معروف ووصلي هؤلاء البنات الى أهاليهم فقالت عاقصة سمعا وطاعة وحملت واحدة وصلتها وأتت فاخذت الثانية وقالت من اى البلاد انت فقالت من الغرب فوصلتها وكلما وصلت واحدة تضعها على سقف سراية اهلها وتقول نادي اهلك لاجل ان ياتوك ويجتمع بهم شملك فتنادي البنت حتى يطلعوا اهلها فيجدوها على حالها فتقول لهم عاقصة هذه بنتكم كانت عند المارد سحاب المختطف وكان خلاصها على يد ملك بلاد اليمن ملك التابعية الملك سيف بن ذي يزن واسلمت على يديه وصارت على دين الإسلام فيأخذها ويشكروا فضل الملك سيف ويتمنوا انهم ينظرونه وبارواحهم يفدونه ومازالت عاقصة كذلك حتى وصلت البنات كلهن وصارت كل بنت عند اهلها ولم يبق في القصر الا الملكة ناهد فأرادت عاقصة أن تأخذها فلم ترض فقالت للملك سيف هل لك من حاجة قال نعم وصلي ناهد الى مملكة الصين وصليها لاهلها كما فعلت بغيرها فقالت له ناهد ياسيدي انا موعودة بزواجك وأسلمت على يديك وانا اعلم ان اهلي جميعا يعبدون النجوم واذا وصلتني اليهم رجعوني الى ملتهم وحيث انى من نسائك فلا تردني لاهلي واتركني اقيم عندك فانا زوجتك وانت بعلي فقال لها ياناهد آليت على نفسي اني لا اتزوج بأحد قبل شامة بنت الملك افراح ولا اضاجع نساء قبلها ابدا وهذا امل بعيد فقالت له وانا منتظرة حتى تنقضي ايام الفراق وتحظى بالتلاق ولا تردني لأهلي وتحرقني بنار الفراق فقال لها أنا مالي مكان حتى اجعلك فيه فقالت ياملك اقيم في هذا القصر ولا انتقل منه حتى تنقضي الايام وتنفذ الاحكام فقال لها هذا القصر قتلنا فيه المختطف وان اقمت فيه فلا بد أن الجن يهلكوك ولا انفعك أنا ولا أهلك يروك فقالت له سالتك بالله العظيم ونبيه ابراهيم وبدين الإسلام ان تبقيني عندك اخدمك حتى تنقضي لأيام ولا تحرمني منك ومن رؤيتك يا ابن الكرام فقال لها لا تشغلي بالي فاني مهتم بقضاء

أشغالي ولن تركتك في مكان اخاف عليك من نوائب الزمان ثم صاح على عاقصة وقال لها إحمليها وإلى اهلها وصليها فعند ذلك قالت ناهد اسال الله العظيم بحرمة الخليل ان يسوقك يا ملك سيف إلى ارضي وبلادي وتكون عريانا مكشوف الراس بادي الحواس حتى اشفي قلبي منك بين الناس ويكون خاطرك مكسور كما كسرت خاطري فقال الملك يتقبل الله دعاك وتكوني مريضة عمياء ويكون على يدي شفاك ودواك ولكن اغتاظ الملك سيف وصاح إلى عاقصة وقال لها احمليها وإلى اهلها وصليها فخطفتها عاقصة وتعلقت بالجو وسارت بها حتى أدخلتها إلى بلادها وانزلتها في قصر ابيها واجتمعت بأهلها وكان ابوها يحبها محبة عظيمة لانه مارزق اولادا غيرها ولما دعت على الملك سيف استجاب الله منها دعاءها وطلبت ان الملك سيف يتزوجها ولو تكون غشاوة على عينيها ويكون على يد الملك سيف شفاها ويتزوج بها ويعود بها إلى ارض الحبشة وتقتل طامة بنت الحكيمة عاقلة في كلام إذا وصلنا اليه تحكى عليه والعاشق في جمال النبي يصلي عليه وعادت عاقصة إلى الملك سيف وقالت له هل بقى لك حاجة حتى اقضيها فقال لها وصليني إلى مدينة قيمر أزور الشيخ الصالح عبد السلام فقالت له سمعا وطاعة وحملته على كاهلها وطلعت به إلى الهواء وقطعت الفيافي والآكام حتى وضعته بجانب قبة الشيخ عبد السلام فلما نزل الملك سيف استاذن في الدخول فقال الشيخ ادخل يا ملك سيف بلا فزع ولا خوف فدخل الملك سيف عنده وقبل يده وفرح به وحياه واكرم مثواه فقال الشيخ قتل الخاطف وانقضت الحوائج وراح البنات إلى اهليهم فقال الملك سيف نعم فقال الشيخ لك في ذلك ثواب عظيم ولكن زعلت ناهد فدعت عليك وانت ايضا دعيت وصاحب الدعاء ناظر وشاهد ولكن بت عندي هذه الليلة حتى أتودع منك فإني أتاني الطلب وأنا مسافر لطلب سيدي وإن شاء الله الاجتماع في الدار الثانية فقال الملك سيف نعم فأقام عنده وهم في ذكر واستغفار إلى آخر الليل فقال الشيخ عبد السلام ياسيف لما اموت غسلني من هذه العين وتحت رأسي هنا كفني فارفع هذه الوسادة تجده تحتها وادرجني فيه فانه من حلل الجنة وبعد ذلك قف على باب القبة وناد الصلاة على الجنازة يرحمكم الله فيأتي المصلون يصلون علي وبعد ذلك ادفني في محرابي هذا فقال سمعا وطاعة وصار الشيخ عبد السلام بعد ذلك يتضرع إلى الله تعالى ويستغفر حتى طلع الفجر فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا إبراهيم خليل الله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين وانتقل الشيخ عبد السلام وشرب كأس الحمام فقام الملك سيف فغسله وكفنه ثم طلع على باب الصومعة وصاح الصلاة يرحمكم الله فأتى إليه خلق لا يعلم عددهم إلا الله وصلوا عليه والملك سيف يتعجب من هذا الحال وتقدم وحفر القبر كما أمره ودفنه في محرابه وبات ليلته وهو يذكر الله على تربته ويستغفر حتى طلع النهار ويتفكر كيف

عاش هذا الشيخ عمرا طويلا وما عرفه الملك سيف إلا آخر أيامه فالله يفعل مايريد ثم أنشد يقول صلوا على طه النبي الرسول :

أصبحت جار الله فى التراب ... مستأثراً تحت ثرى مذاب
وقد تركت الأهل مع أصحابى ... كل العدا فارقت والأحباب
ياجاهــلا بالموت لاتصابى ... فكل مخلوق لهــذا الباب
وسوف يلقى الحشر مع عقاب ... والعرض والنشر مع الحساب
تبا لدهر خائن مرتاب ... نميمه يتبـع بالعقاب
أستغفر الله مع المتــاب ... رب الورى مسبب الأسباب

(قال الراوى) وبعد ذلك أقبلت عاقصة إلى الملك سيف وقالت له ياملك الزمان مرادى افرجك على الدنيا وما فيها من العجائب فقال لها يا أختى افعلى مابدالك فتقدمت إليه وحملته على كاهلها ولم تزل سائرة بهمة فى البرارى والقفار وقالت له وهى حاملة له أنا يا أخى لم آتيك وانت فى الغار كان على شىء أقهار تحكى لها عن كتاب النيل فقالت له أنا أفرجك على ما ينتج من كتاب النيل وما يصير منه ثم نزلت به عند جبل عال وقالت له انظر امامك فنظر الملك سيف إلى قبة على بعد فى الجبال لم يكن عندها احد ولا فيها ابيض ولا اسود فقال لها هذه قبة فى الجبل فقالت له سر إليها وتفرج عليها فإنك لابد لك فيها من أحوال فقال لها سيرى معى حتى تدلينى على ما أفعل من الأفعال فقالت يا أخى مالى إليها وصول وأما انت يا اخى فإنك إنسى وملك وكل ما فعلته مقبول فسر وتوكل على الله فسار الملك سيف فى طلب القبة حتى وصل اليها وإذا بالماء يجرى منها وهو أبيض من اللبن واحلى من العسل ورائحته أزكى من المسك الاذفر وهو يخرج من اربع جوانب تلك القبة منهم نهران إذا خرجا من القبة يغوران تحت الارض ونهران ظاهران فتقدم الملك سيف ووقف وتوضأ من احدهما وصلى ركعتين واتمهما بالسلام على ملة الخليل إبراهيم عليه السلام وبعد ماصلى دخل تلك القبة فرأى فيها صخرة من الياقوت الأحمر ولها لمعان يأخذ بالبصر فتقدم الملك سيف إلى هذه الصخرة وصعد إلى اعلاها وصلى ركعتين فوقها وهو يتلو صحف إبراهيم عليه السلام وبعد ذلك صاح على عاقصة أن تأتى إليه فنادت وقالت ياملك سيف أنا لا أقدر أن أقرب منك ولا خطوة واحدة وان تقدمت إلى هذه البحيرة تحرقنى صواعق هذه الصخرة فقال الملك سيف ها أنا واقف فوقها فقالت له لولا ان لك عند الله اعلى المنازل لما كنت تقدر ان تعلو عليها فقال لها قصدى ان اسألك عن هذه الانهار ومسيرها فى البرارى والقفار فقالت له أما النهران الظاهران فهما سيحون وجيحون سائرين إلى بلاد الترك والروم بإذن الله تعالى الحى القيوم وأما الغائران الباطنان فأحدهما الفرات وأما الثانى فاسمه النيل يجرى على يديك ايها الملك الجليل فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام قال

ياعاقصة أما هو الذى أتيت أنا فى طلب كتابه الذى طلبه منى سقرديون حلوان شامة بنت الملك افراح فقالت له نعم يافارس الابطال وليث البطلح وقد استعجلت ودخلت القبة والكتاب رمى عليك بعد مادار على القاعدة واتاك وانت بين الاعداء وتكاثر عليك اهل المدينة والملك قرون وأرادوا أن يسقوك كأس المنون فقال الملك سيف هل تعرفين ياعاقصة إيش جرى فى الكتاب قالت لاتخف عليه فانا الحكيمة جعلته لك علامة حتى تأتى لطلبه ومرادها تزوجك بنتها طامة مع ان ذلك لايكون إلا بعد ما تتزوج بنت الملك افراح شامة ولكن يااخى انا مشغولة البال على مالنا من الاطلال وإلا كنت فرجتك على عجائب وأهوال فقال لها الملك هل تعرفين عجائب هذه الاطلال ثم خطى من القبة اليها وقال لها اى عجائب تفرجينى عليها فقالت له بعد أن أنظر أهل قبيلتنا واهلى والأخوان وأرجع أفرجك على السبع مدائن المطلسمات التى بذلك الاقليم كل مدينة انشأها حكيم من حكماء الزمان وصنع فيها عجائب وغرائب الاوصاف والالوان وتحير فى وصفها كل إنسان إذا رآها بالعيان ولهم سبع وراء كل مدينة حولها واد عظيم الشأن واسع الاركان ذات أشجار وأنهار وأطيار توحد الملك العزيز القهار وهذه صناعة حكماء اليونان وكلهم حكماء وكهان يستخدمون الانس والجان ومن جملة فراستهم ان مطلق اعوان الجان لايقدرون ان يدخلوا اوديتهم ولايفوتون من اعاليها ولا من تحتها وكذلك الإنس لايدخلون إلا للتفرج ولالهم يد يمدونها إلى ماينظرون وهذا من سطوة أصحابها فانهم على مايقولون يقدرون فلما سمع الملك سيف بن ذى يزن من عاقصة ذلك الكلام قال لها ياعاقصة انت شغلتينى بتلك الاماكن وتلك الأودية ومافيها من هذه العجائب التى ذكرتيها وانا من حيث انى سمعت هذا المقال وانت كما ادعيت انى اخوك كيف يطيب قلبك ان تذهب إلى منازلنا والاوطان واقيم فيها وانا مشغول البال واريد منك ان توصلينى إلى تلك الاماكن والاودية حتى اتفرج عليها واتمتع برؤيتها وإلا فما يطيب لى عيش ولايقر لى قرار وابقى دائماً فى شواغل وافكار فقالت عاقصة سلامتك من الحيرة يا اخى انا اروح معك اوصلك اى مكان اردت وافديك بروحى من كل اذى واكون لك الفدا ولكن ياسيدى انا اقربك إلى باب كل مدينة وانت تدخل فيها واما انا فلا اقدر ان اقرب من نواحيها فقال الملك سيف ماريدك تدخلين وإنما توصلينى إلى قربها وقفى بعيداً عنها فقالت له سمعاً وطاعة وحملته على كاهلها وطارت به فى الهواء قاصدة تلك الوديان وما زالت طائرة مقدار ساعة من الزمان ونزلت عاقصة فى مكان وقالت للملك سيف يااخى هذا اول واد فقم وتفرج عليه كما تريد وانا واقفة لك من بعيد فنظر الملك سيف إلى واد متسع الجنبات كثير الاعشاب والأزهار والنبات فقالت عاقصة امض يااخى إلى الوادى وانك آمن كيد الاعادى فما بينك وبين الوادى إلا شىء قليل فسار الملك سيف وحده يقطع البر

والقفار حتى وصل إلى تلك الأشجار فرأى من الأنهار والأزهار والنخيل والأطيار مايوحد الملك الغفار كما قال القائل فى المعنى المقبول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول :

واد وأشجار ونهـــر جارى بحدائق تختـــال للنظار
شبهتها فى جريها بحمائم تهفو بأجنحة إلى الاوكار
والزهر يلبس خلعة من سندس قد زينت ألوانها بخضار
والغصن يمسى معجباً بفروعه متحملا من طيب الأثمار
والطير من فوق الغصون مسبح وموحد الرب القـديو البارى
تجرى المياه إلى الغصون لسقيها جرى المحب إلى حبيب بار
وترى البلابل فى الدجى من رجعها تقضى البكاء بغير دمع جار
يبكى السحاب فدمعه قطر الندى والزهر يضحك للنسيم السارى

(قال الراوى) فسار الملك سيف يتفرج فى ذلك الوادى فرأى من داخله مدينة من حجارة الرخام الابيض والمرمر الاحمر ولها اسوار عالية البنيان ولها ثلثمائة وستون برجاً على كل برج منار من النحاس الاصفر وابواب المدينة من الرخام الملون على سائر الالوان وفيه صناعة المعلمين أرباب الهندسة والبنائين وعلى رأس المدينة شخص من الفضة هو على صفة بنى آدم الكاملة لم ينقص منه إلا الروح فقط اما الأصابع والاظافر والشعر وما اشبه ذلك فانه متكامل بالتمام لم ينقص منه إلا الروح والسلام وهذا الشخص فى فمه بوق من الفضة قد قبض عليه بيده اليمنى وبدن الشخص كله مكتوب عليه اسماء وطلاسم بالذهب الأحمر بالقلم السريانى وقدام باب المدينة سبع خيول من اخير الجياد المعدودة للحرب والجلاد وعليهم عدد من الذهب الأحمر الوهاج قد ركب عليهم سبعة فوارس كأنهم الآساد كل فارس منهم كأنه طود من الأطواد أو من بقايا قوم عاد متقلدين بسيوف حداد ومعتقلين برماح مداد وهؤلاء الفوارس يتحدثون مع بعضهم ولهم اصوات عاليات تزلزل الجبال الراسيات فلما نظر الملك سيف إلى تلك الهيئات تعجب من تلك الصفات ولكنه قوى قلبه وجنانه وتقدم إلى تلك الفوارس واطلق لسانه واراد أن يسأل هذه الأشخاص وإذ هو يجد هؤلاء الفرسان صاحوا على بعضهم ودفعوا إلى نواحى بعض ختولهم ووقع بينهم الضرب والطعان وجرت دماؤهم من الابدان وتضاربو بكل سيف يمان فصاح الملك سيف عليهم بصوته المعروف وقال لهم يا كرام الشجعان إنى اراكم مثل بعضكم فى الزى والشان وأنتم من أحسن الشجعان ولا شك أنكم قرائب وإخوان ماسبب قتالكم بالسيف والسنان فى هذا المكان فقال واحد منهم اهلا بك وسهلا أيها الفارس الجليل فانك فى ظن عابر سبيل ولكن أنا أعلمك أننا كلنا اخوة من أم واحدة وأب واحد وكان أبونا حكيم اسمه

الحكيم أفلاطون وقد خلف لنا ذخيرة عظيمة كل منا يريد أن يأخذها وقتالنا هذا من أجلها فقال الملك سيف وما هي الذخيرة الذى خلفها أبوكم لكم فقالوا هي قلنسوة وكل من يلبسها يختفي عن الجن والإنس حتى ان الإنسان إذا لبسها فانه ينظر الجن والإنس وهم لاينظرونه فقال الملك سيف وأين هي القلنسوة فقالوا له هي مع كبيرنا فقال لهم انزلوا عن خيولكم وانا احكم بينكم ايها الانجاب فانكم اخوة واولاد حكيم الزمان وإثارة الفتن عار بين الإخوان فوضعوا القلنسوة بين يديه وكل منهم ناظر اليه فقال لهم هاتوا لى قوساً ونشاباً حتى افعل معكم امراً صواباً وأفصل بينكم بفصل الخطاب فأتوه بنبل وقوس فأوتره وقال شبكوا أذيالكم فى مناطقكم فانا اضرب هذا النبل فى الهواء وانتم تتبعونه بالجريان بالحيل والقوى فكل من اتانى بالنبل قبل رفيقه كانت له القلنسوة فقالوا رضينا بذلك فعند ذلك ضرب الملك سيف النبل فخرج كانه المتجنيق وله زفير وشهيق فنجارى خلفها السبعة الأولاد وطلبوا البر والمهاد وهم خلف بعضهم يتجارون وإلى محل وقوع النبل يتلاحقون فلما ابعدوا عن الملك سيف وضع القلنسوة على راسه وقال فى باله ان كان قولهم صحيحاً واختفيت عنهم ولم ينظروك فامض إلى حال سبيلك فلما لبسها إذا واحد من السبعة مقبل والنبل فى يده وهو يجرى على عجل من غير مهل وإخوانه له تابعون ولما وصل ووقف جنبه إخوته وساروا يلتفتون يميناً وشمالا ويقولون ياشيخ ياغريب وياعابر سبيل هات ايها الفارس النبيل فعلم الملك سيف انه اختفى عن ابصارهم فعاد إلى مقصده ومازال حتى وصل إلى عاقصة فوجدها واقفة له فى الانتظار فقال فى نفسه أنا جربتها فى الانس وبقيت على تجربتها فى الجن فلما خطر له ذلك الخاطر صاح ياعاقصة فصارت عاقصة تلتفت يميناً وشمالا فلم تر له زوالا فقالت له ياملك الزمان كأنك اخذت القلنسوة التى احتكمها الحكيم افلاطون وتركت اولاده من اجلها يتحصرون فقال نعم اخذتها وهى على راسى لبستها فقالت ماتت ملوك الدنيا بحسرتها ولم يقدر احد فى هذا الزمان على صفتها ولكن انا ما اقدر على حملك وانت لابسها فاعطنى إياها احفظها لك إلى وقت حاجتها فأعطاها القلنسوة لتحفظها وحملته وطلبت الجو الأعلى وسارت ساعة زمانية ونزلت به إلى الأرض وقالت له هذا ثانى واد ياملك الزمان فادخل وتفرج وانا قاعدة لك فى ذلك المكان وتفرج على المدينة والإقليم الثانى وها انا مقيمة مكانى ولكن لاتغب ياملك الزمان فقال سمعاً وطاعة ياسيدة بنات الجان وتركها وسار ومازال سائراً حتى دخل الوادى فوجده ذات اشجار وانهار وازهار وأثمار واطيار توحد العزيز الجبار كما قيل فيه هذه الأبيات صلوا على كثير المعجزات:

روض كجنات النعيم يحلوا به … مر النسيم صوت البلابل حوله
يشفى جوى قلب السقيم وياصاح … يمم نحـــوه متنزها فيه مقيم

واشرب به من كوثر كاس يطوف بها النديم من ذا يرى أغصانه
رقصت تميس ولا يهيم والطير أعرب شاديا عن ذكر مولانا العظيم

(قال الراوى) فلما نظر الملك سيف إلى ذلك المكان تحركت أعضاؤه بذكر الرحيم الرحمن وسار حتى كان فى آخر الوادى فلق مدينة كاملة البنيان عظيمة حصينة مكينة بأسوار وأبراج وفى أسوارها قلالى ودور وأماكن وقصور من حجر المسن الأخضر وبنيان حيطانها من الحجر الأزرق والأحمر وهى على قناطر معقودة من الرخام وتحتها بحر جار من الماء وعلى باب تلك المدينة شخص من النحاس الأصفر راكب على حصان من الحديد الصينى وفى فم ذلك الشخص بوق من الفضة البيضاء المحلية ووجد على باب المدينة الف فارس من الحديد راكبين على خيول شداد متقلدين ماح مداد متقلدين بسيوف حداد وهم على ظهور الخيل كأنهم الأسود فسار سيف بن ذى يزن ينظر اليهم وهو فى خوف ووجل ولم يعلم بما كتب على جبينه من الأزل حتى وصل إلى باب المدينة وأدخل رجله اليمين من العتبة وأراد أن يرفع رجله الشمال وإذا بالشخص تحرك وزعق فى البوق وقال غريب يا أهل المدينة وهو غريمكم خذوه إلى ملككم وكان صوته أعلى من ذلك النفير فسمعه كل أهل المدينة صغير وكبير فتجارى إلى نحو الملك سيف أهل المدينة كبار وصغار ومالوا عليه وداروا به من كل جانب ومكان فنظر الملك سيف إلى ذلك الحال فوضع يده فى السيف وقال الله أكبر وقاتل وماقصر كانه الليث القسور ولكنه وحيد فريد وأطبقت عليه الناس من اليمين والشمال فصار يمانع عن نفسه بحد الحسام الفصال وهذا والشخص يزعق والناس على الملك سيف تطبق ومازال يدافع عن نفسه حتى أتاهم الليل وعدم الملك سيف القوى والحيل وتعثر فى القتلى وقد أظلم عليه الفلا وقاس الأهوال والبلاء وارتخت أعضاؤه وبقى عبرة لمن يراه فتكاثروا عليه وقبضوه قبضا باليد بعد ماملكوه وأوثقوه بالكتاف وقووا منه السواعد والاطراف هذا كله يجرى وعاقصة واقفة تنظر وترى ولكن ماتقدر أن تقدم اليه ولا تقرب عليه فصارت كانها الوالهة الثكلى والحية على القلى وأما العساكر فانهم أخذوا الملك سيف وهو مكتوف اليدين وقدموه إلى ملك المدينة وهو رافضى أعجمى اسمه عبود خان فلما أوقفوا الملك سيف أقدامه ونظر وجهه ورأى الشامة والخال على خديه وهو صبى لانبات بعارضيه صرخ عليه فلم يتزعزع الملك سيف منه ولا من صرخته فقال له من تكون من البيضان وما الذى أتى بك إلى هذا المكان فقال له الملك سيف أنا من خلق الله تعالى وحائر عابر سبيل ولا أخذت منكم شيأ لا كثير ولا قليل أنتم قاتلتمونى ولا أعلم لأى ذنب قاتلتمونى فقال له الملك عبود خان ما أنت صاحب الخال الأخضر الذى تجرى النيل من الحبش إلى الأمصار وتجعل الحبش والسودان عبيد والصبيان أحرار فقال الملك سيف متى فعلت أنا هذه الفعال وما هو إلا كلام محال فقال له الدليل على ذا المقال هذه الشامة التى على خدك وذلك الخال فلا تطيل المقال أنت

غريمنا على كل حال وصاح الملك عبود وقال ائتونى بالقبطان فتجارت الخدام وأتوه بالقبطان فلما حضر قبل الأرض بين يديه وكان رجلا كهلا أسود وله قلب كأنه جلمد وشجاع وقرن مناع وعلى كبره جبار فلما حضر قال له الملك عبود خان ياعبد نار خذ هذا الإنسان الأبيض وحطه فى زكيبة من الخيش واربطها عليه وعلق بها حجرا كبيرا على فمها وحجرا ثانيا مثله فى أسفلها وأنزله فى قارب وسر به فى البحر حتى يجىء بجانب القناطر التى تحت القصر فاربط القارب فى فم مجاز الماء وانظرنى وأنا طال عليك من هنا وأشير لك بيدى أول مرة فضعه على جانب القارب وأنا بعينى أنظره وأشير لك بيدى ثانيا فارميه فى البحر فيدخل مع التيار بين الصخور والأحجار فيأكله السمك ودواب البحار ونرتاح منه ومن جميع الأشرار فقال القبطان سمعا وطاعة وتسلم الملك سيف من تلك الساعة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك عبود خان له ذخيرة ورثها عن أبيه وأجداده وهو خاتم جوهر مطلسم وهذا الخاتم كان اصطنعه ملك هذه المدينة أبو هذا الملك وكان اسمه كالوث خان يعبد النار والدخان وهو راصد عونا عن السيف والسنان ويه ارتاح من الحرب والطعان والسبب فى ذلك أنه إذا كان بيده الخاتم وكان له عدو مبين من ملوك أو مقدمين وجاءت عينه عليه فيومى بيده إليه فما يشعر إلا ورأسه طارت من كتفيه فإن كانت عساكره تقعد لا بأس وإن أرادت أن تقاتله فيقف قدامهم وكل من أومأ بيده إليه قتله فما يكون لهم إلا الهرب ولكن الرصد على تلك المدينة فقد وهى الثانية فى المدن المطلسمة واتفق ان الملك كالون مات فاحتوى ابنه هذا عبود خان على الخاتم ووضعه فى أصبعه بعد أبيه وكذلك أهل البلد والوزراء وأرباب الدولة اطاعوه ولما عرفوا انه احتوى على الخاتم وصار ملكهم خافوه فاتفق أنه جلس يوما من الأيام وجميع أرباب دولته وقال لهم مرادى اسألكم هل تعرفون أن هذا الخاتم يأخذه منى أحد فقالوا له ياملك الزمان هذا السؤال متعلق بالحكماء والمنجمين وأرباب السحر والكهانة هم الذين بذلك عارفين فاحضر الحكماء واسالهم عن هذه الحال فاحضرهم وسالهم فقالوا حتى تنظر فى علومنا ثم أنهم دوروا فى علومهم وقالوا له يا ملك الزمان نحن على قدر ما رأينا نعلمك لكن بعد ما تعطينا الأمان فعند ذلك قال لهم لكم الأمان الشافى والزمام الوافى فقالوا له يأتى ملك من التبابعة الحميرية وهو مؤمن على دين الخليل إبراهيم ياخذ الخاتم منك ويقتلك ويحتوى على ملككك وبلادك وتطيعه كل عساكرك وأجنادك ويامر الناس بترك عبادة النار ويامرهم بعبادة الملك الجبار وهو ملك ملوك اليمن مبيد أهل الكفر والمحن اسمه الملك سيف بن ذى يزن وهو ملك عظيم الشان ويأتى بلا جنود ولا له أعوان يقتلك ويأخذ خاتمك عيان وأهل هذه البلاد يطيعونه ويكونون له انصار وأعوان ويبطل عبادة النيران ويأمر الناس أن يعبدوا

الملك الديان و بعد ما يفتح هذه البلدان يرجع إلى دياره والأوطان فى أمن وأمان فقال لهم وهل تعرفون صورته وصفته فقالوا له حتى نطلع فى رملنا فقال لهم افعلوا ما تريدون فضربوا الرمل ثانيا وقالوا له صبي صغير أمرد لا نبات بعارضيه وعلى خده اليمين خال أخضر مثل قرص عنبر وفى وسط الخال شامة وهذه فيه أكبر علامة فقال لهم أريد منكم أن تعملوا إلى دليلا أعرفه فقالوا له نعمل لك من كهانتنا على باب البلد شخصا مرصدا إذا رآه دخل البلد يقول لك عليه فإذا وقع فى يدك فافعل به ما تريد أيها الملك السعيد ثم أنهم صنعوا له ذلك الشخص ووضعوا فى فمه البوق وأمر ألفا من أكابر العسكر الذين يعتمد عليهم أن يكونوا مستحضرين له فيقبضوه وبين أيدى ملكهم يقدموه وأقبل الملك سيف كما ذكرنا وقاتلهم كما سلفنا وجرى ما جرى وقبض الملك عبودخان على الملك سيف وسلمه للقبطان عبدنار كما ذكرنا ولما وصل عبدنار إلى مكانه والملك سيف فى الحديد ففى حال دخوله أمر بإحضار تنور النار والتفت إلى الملك سيف وقال له إن أردت يا هذا أن تخلص من الاضرار فادخل معى فى عبادة هذه النار فقال الملك يا ملعون لا يعبد بحق إلا الله الملك الجبار الذى خلق الليل والنهار فاغتاظ عبد النار من الملك سيف وشبحه فى أربع سكك حديد وضربه ضربا شديدا ما عليه من مزيد وقعد يتعاطى الخمرة حتى دخل الليل وطلع نجم سهل وبقى الملك سيف فى أشد ما يكون من التنكيل فرفع طرفه إلى المولى الجليل وصار يستغيث ويقول صلوا على طه الرسول :

قصدت باب الرجا والناس قد رقدوا	وبت أشكو إلى مولاى ما أجد
وقلت يا أملي فى كل نائبة	يامن عليه لكشف الضر اعتمد
أشكوا إليك أمورا أنت تعلمها	مالى على حملها صبر ولا جلد
وقد بسطت يدى بالذل خاضعة	إليك يا خير من مدت اليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة	فبحر جودك يروى كل من يرد

(قال الراوى) ولما فرغ الملك سيف بن ذى يزن من شعره وما قاله من نظمه ونثره الذى أحاط لطيف فكره واذا بالقبطان نازل وهو يبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وتقدم الى الملك سيف وقبل رأسه وحله من كتافه وشداده وكذلك فك قيده من رجليه وصار يقبله ويبكى ويعتذر اليه فقال له الملك ما حالك ياقبطان وما الذى أصابك من تقلبات الأزمان فقال القبطان ياسيدى أنا أقول على يديك حقا صدقا عدلا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وهو النبي العربي الذى يبعث آخر الزمان من سلالة معد بن عدنان وأشهد أن إبراهيم نبي الله وهو خليل الرحمن الذى جاء بالصحف والبيان والبرهان آمنت به من هذا اليوم وأنى برىء من معبود غير الله وأنا اتيت إليك يا ملك لتسامحنى فيما جنيت فإنى جرت

عليك وتعديت وبعد ذلك الكلام بكى ونزلت دموعه سجام فقال الملك سيف اخبرنى ياعبدنار عن هذه الأخبار فقال له ياملك لا تقل عبدنار فأنا اسمى عبد الصمد الملك الجبار وهو الله الواحد القهار ولا بقيت أعبد النار ولا أذكرها فان الذين يعبدونها كفار فقال الملك سيف يا أخى أفلحت إن صدقت لكن اعلمنى عن سبب ذلك فاتك نجوت من جميع المهالك فقال عبد الصمد ياسيدى أنا بعدما ضربتك فى هذا النهار وأنت من الضرب لم تتململ ولم تستغث حصل عندى غيظ وزودت الضرب عليك وقصدى بذلك أن تستجير بى وتقوه لى فى عرضك فأنت لم تفعل ذلك فتضايقت منك وزودت عليك بالضرب أيضا وبعد ذلك قلت فى نفسى هو ميت على كل حال وأنا أتركه حتى يطلع الملك إلى قصره وأثقله بالأحجار وأضعه فى الزكيبة وأرميه فى البحار حسب ماأمر الملك عبد دخان وبعد ذلك قعدت فسكرت حتى غلب على النوم فدخلت محل نومى وإذا برجل اعترضنى ومعه حربة من النار يتطاير منها شرار قال لى أين تذهب ياعدو الله بعدما تعديت على ملك الإسلام وضربته ياابن اللئام ولا تخشى من الملك العليم وقبض على خناقى وقال لى إيش تقول فى دخولك إلى دين الإسلام وتعبد الله الواحد الأحد وتبدل اسمك من عبد النار إلى عبد الصمد فقلت له سيدى وأنت من تكون من العباد الكرام فقال أنا الخضر عليه السلام ورأيت مافعلت بالملك سيف فأردت أن أعاقبك على فعلك وأقتلك وأعجل من الدنيا مرتحلك فسمعت النداء من العلى الأعلى وقائلا يقول لاتعجل عليه فان الله تعالى سوف يهديه واعرض عليه دين الإسلام والإيمان عسى أن يكون من المجاهدين وها أنا صبرت عليك حتى أرى منك مايرضيك فان آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله نجوت من الانتقام وإن دمت على كفرك فلابد من قتلك ومصيرك إلى النار فأسلمت على يديه وقلت كما علمنى أشهد إن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وهو النبى العربى الذى يبعث من معد بن عدنان فى آخر الزمان يظهر من بين زمزم والحطيم صاحب الدين القويم الهادى الى الصراط المستقيم ويظهر دين الخليل ابراهيم عليه أفضل الصلاة والتسليم فقلت كما قال لى انت بقيت من أهل الإيمان ولكن عليك القصاص بما فعلت فى حق الملك سيف من الآلام والإنقاص فقلت له ياسيدى أنا كنت معذور بما أنى لم أعرفه .

ومن الآن أتوب وأكون من جملة حزبه واصدقائه واعيش تحت زمامه واقاتل بين يديه كل اعدائه فقال لى ياعبد الصمد ان كان يسامحك لاماغ واما اذا لم يصفح عنك فلابد من مضاعفة العذاب عليك ولا احد من خلق الله ينجيك فانصرف عنى وانا اتيت اليك وقصتى احكيها بين يديك ولا بقى لى معتمد بعد الله عليك وكنت بين اليقظة والمنام والى الآن يا ملك على لسانى حلاوة الإسلام فلما سمع الملك سيف بن ذى يزن هذا الكلام خر ساجدا للملك العلام واخذه

حن ذلك الفرح والابتسام وقال له ياعبدالصمد وايش فى نيتك أن تفعل من الفعال إذا كان الملك أمر بقتلى ورميى فى البحر فقال عبد الصمد ياملك وحق دين الإسلام ومن هدانى اليه لو كان الملك يقول لى اقتل الملك سيف وإلا أقتلك فأنا أرضى بقتلى وأفديك بروحى ومهجتى ولا أبخل بروحى عليك وتطير رأسى فى محبتك وبين يديك ولكن ياملك أقرب من ذلك والتدبير لله مالك الممالك ثم أنه أحضر له الطعام وطلع إلى أهل بيته وأولاده جميعا وعرض عليهم الإسلام إلا الجارية بيضاء كانت محظيته لكونها جميلة وهو يحبها وكان أصلها أهداها له الملك عبودخان فلما ذكر لها دين الإسلام والإيمان قالت له هذا لايكون وهى عن عبادة النار لاترجع وإن كلمها لاتسمع وقالت لابد لى غدا فى الصباح أن اسير إلى الملك واعلمه بمافعلت ودخولك مع اهلك واولادك إلى دين الإسلام حتى يعجل لك الانتقام فقال لها ياملعونة أنا بعدما عرفت الإيمان ما بقيت ان اسأل عن ملك او عن سلطان وانا اعتمد على الملك الديان الرحيم الرحمن ثم امر الجوارى بالقبض عليها فقبضوها وعرض عليها الإيمان ثانية فلم ترض فأمرهم فخنقوها ووضعوها فى زكيبة وخلا رجلها من خارج الزكيبة حتى يراها الملك عبودخان انهما بيض فيظن ان الذى فيها هو الملك التبعى السعيد ونزل للملك سيف واخبره بما يريدان يفعل وان الجارية فى الزكيبة وأريد ان ارميها قدام الملك فى البحر حتى يطمئن ويعلم ان غريمه مات وبعد ذلك تفعل أنت كل ماتريد يا الملك السعيد فقال الملك سيف افعل ما بدالك انجح الله افعالك وبعد ذلك امر غلمانه باحضار الطعام فأكلوا حتى اكتفوا وناموا فى اهنى مبيت .

ولما اصبح الله بالصباح اخذ القبطان عبدالصمد الزكيبة والجارية فيها ونزل القارب واما الملك سيف فانه قعد مع اتباع القبطان فى البر ينتظره حتى يعود وصار له مناظر حتى بقى القارب تحت القصر والملك عبودخان ناظر اليه فأشار بيده ان يقدم تحت الشباك فتقدم بالقارب الى ان بقى تحت فم القنطرة التى فى القصر وركب عليها فأشار الملك الى القبطان بيده أن ارميه فى ذلك المكان فرمى الزكيبة عاجلا ونظر الملك الى الزكيبة لما وقعت فى البحر وراى رجليها ظاهرتين بيض ففرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد وسقف بيده وكان سكران ويداه من خارج الشباك فوقع الخاتم من يده فى البحر والملك سيف راى الخاتم لماوقع لكن لم يعلم انه الخاتم او غيره وبعد ماعاد عبد الصمد الى البر واجتمع بالملك سيف واخبره بمافعل وانه رمى الجارية فى البحر ولن الملك عبودخان اعتقد انها الملك سيف غريمه فقال الملك سيف نعم مافعلت ياقبطان ولكن هل رايت انت مثل مارايت انا عيان فقال عبد الصمد وانت ايش رايت ياملك الزمان فقال الملك سيف ان الملك لما اشار اليك بيده ان ترمى الزكيبة بمافيها فى البحر سقط من يده شىء يلمع فى البحر ولمعانه يأخذ البصر فقال القبطان ياملك وانا ايضا رأيت ذلك عيان وحق زين الإيمان فقال

الملك سيف ما أظن إلا أنه الخاتم المذكور عينه والله تعالى حرمه منه ولعله يقع فى يدى حتى أبلغ من قبل هذا الملعون مقصدى فقال القبطان عبد الصمد يا ملك أنا أقوم أسير إلى البحر وأنزل فى القارب وأسير إلى قصر ذلك الملك وأرمى حبال الصيد لعل الله تعالى يفعل ما يريد فاعل لك يا ملك قسمة فى ذلك الخاتم إن كان وقع فى البحر فقال الملك إن كان وقع فى البحر إيش لنا فيه فائدة إلا إذا كانت قدرة الله مساعدة فقال القبطان وإن لم نجد شيئاً فنصطاد شيئا من السمك ونعود وكل منا يبلغ ماهو به موعود فقال الملك قم على بركة الله تعالى فقام القبطان عبد الصمد والملك سيف وساروا حتى وصلوا إلى البحر ونزلوا فى القارب حتى صار تحت القصر ورفع يده بالشبكة وكان ذلك فى الثلث الاول من الليل والدنيا ظلام وطرح الشبكة وقال يا بركة دين الإسلام ورماها فاندق فيها فرخ بياض قدر الآدمى سمين جسيم عظيم فجذبه القبطان حتى بقى عنده فى القارب وتوكل على الملك الغالب وأراد أن يطرحوا الشبكة ثانيا فسمع مناديا من بعيد وهو يقول ياسيف مطلوبك حصل فى يدك وقد أهلك الله ضدك من توفيقك وسعدك فقال الملك سيف ارجع بنا يا عبد الصمد ولا تعارض رب القدرة فيما أراد ولا بقينا نصطاد فطاوعه وعاد حتى طلع على البر والملك سيف مشغول بما سمع من المنادى ما يقول فقال الملك يا عبد الصمد افتح لى بطن تلك السمكة فان قصدى أن أشويها هنا وآكل منها فقال عبد الصمد سمعا وطاعة ثم تقدم وذبح تلك السمكة وشق بطنها وإذا بالخاتم فى جوفها وقد أضاء وظهر نوره من بين الفضاء فقال عبد الصمد خذ ياسيدى وهذا خاتم الملك عبود خان الذى يفتخر به على خدمه والغلمان .

فلما رأى الملك سيف تلك الحال خر ساجداً لله الكريم المتعال وقال ما أعظم قدرة الله ذى الجلال فقال عبد الصمد يا ملك لا تعجب فان تحت قصر الملك دائما السمك مجموع لأنه بعدما كل الملك وأكل باقى دولته ينفضون السماط فى البحر فتجد السمك دائما واقفا منتظر إلى ما يقع من ذلك الشباك فيأكله وفى وقعة الخاتم وكان ذلك الفرخ البياض واقف منتظر فلقط الخاتم فى حلقه وإنما العجب من قدرة الله الملك الديان حيث أن الله سخره لنا وألهمنا حتى أتينا نحن للصيد ولم يقع لنا إلا تلك السمكة أيها الملك السعيد فهذا من تقادير ربنا المبدىء المعيد فعند ذلك أخذ الملك سيف الخاتم ولبسه فى اصبعه فرآه كأنه عمل على قدره بالسوى بقدرة الله فالق الحب والنوى فقال القبطان عبد الصمد يا ملك الزمان أنا وأولادى وأتباعى نزيد عن مائة نفر وإذا أنت أردت تقتل ذلك الملك عبود خان فنحن بين يديك فقاتل من طغى وكفر فقال الملك سيف لعله يؤمن بالله تعالى ولا يحوجنا لقتال فان إسلامه وإقامته فى بلاده خير من قتله ونهب ماله ولكن يا عبد الصمد هل تعلم أن هذا الخاتم هو خاتم الملك صحيح وإن كان هو ففائدته انه يقتل كل من اومى به اليه من

كل إنسان مغضوب عليه قال عبد الصمد يا ملك هو صحيح فقال الملك سيف انا اطلع لذلك الملعون عبودخان وآمره بالإسلام فان اسلم كان الذى كان وإن خالف اطحت. اسه بالسيف اليمان فقال عبد الصمد ما يحتاج إلى تعب منك إن اومأت بيدك بالخاتم طارت راسه عن الهام من غير ان تضربه بحسام فلما طلع النهار وسار الملك سيف حتى بقى على شاطىء البحر وقال يا عبد الصمد مرادى ان تعدينى فقال سمعا وطاعة انزل فى القارب فنزل وجدف حتى بقى فى البر الثانى وقال للملك سيف تفضل يا ملاك السلام توكل على الملك العلام فطلع الملك سيف ومشى حتى دخل من باب المدينة فصاح ذلك الشخص ثانيا وقال غريب فاتى الناس اليه فقال لهم يا ناس لا احد يتحرك خذونى للملك من غير حرب ولا قتال وانظروا ما يجرى من الاهوال فقالوا الهسر قدامنا فسار حتى طلع قصر الملك فوجده قاعدا فلما رآه قال يا غريب بالامس اغرقتك وايش الذى اعادك ثانيا سالما فقال له يا ملك نجانى الله الحى الدايم وها انا اتيت اليك احذرك فان قبلت مقالى والكلام تدخل فى دينى وتتبع يقينى وتترك عبادة النيران وتقدم طائعا على عبادة الملك الديان الرحيم الرحمن وإن خالفت هذا الكلام اطحت. اسلك قدام فقال له يا كلب بين الانام بأى شىء تقطع راسى يا ابن اللئام فقال له بهذا الخاتم فنظرت ارباب الدولة الخاتم مع الملك سيف وهو مرصود واطاعة كل من حمله عليهم فالتفتوا إلى ملكهم وقالوا له اين خاتمك يا ملك الزمان اعلمنا به فقال لهم عندى فى الصندوق لم ينظره قط مخلوق فقال لهم الملك سيف يا ناس ما اعمى بصيرتكم هذا الخاتم معى وبلادكم صارت ملكى فقالوا لملكهم يا ملك هذا الخاتم عنده بيده ونحن من اتباعه وجنده فقال لهم كذبتم فى مقالكم وخاب نظركم لأن الخاتم عندى منشال وما احد يعلم به من الرجال فقالت الوزراء هذا أمر معلوم والخاتم حاله مفهوم ونحن لكل من ملك هذا الخاتم خدم وعبيد هات خاتمك عبودخان اومىء به إلى سيف واسقه شراب الهلاك والتفتوا للملك سيف وقالوا له يا ملك هذا كذبنا مرارا ونحن له اعوان وانصار فاومىء بيدك اليه حتى تقع رأسه من كتفيه ونحن نصير أعوانك وغلمانك فقال لهم لا أفعل ذلك إلا إذا عصى عن دخوله الإسلام وعبادة الملك العلام فقالت له الدولة تبرأ عن عبادة ذلك وتكون للملك سيف من جملة الأنصار فقال هذا لا يكون وإذا بالملك سيف أومأ بيده اليه فوقعت رأسه من بين كتفيه ونظرت الدولة إلى تلك الحال فقالوا للملك سيف يا ملك الزمان نحن لك خدم وغلمان فقال لهم اتركوا عبادة النيران واعبدوا الله الملك العلام فقالوا له علمنا يا ملك ماتقول فقال لهم قولوا جميعا نشهد أن لا إله إلا الله وأن ابراهيم خليل الله وكل من كان له معبد فليخرج به فقالوا جميعا كما علمهم وجلس الملك سيف على كرسى البلد وجعل وزيره على اليمين عبد الصمد وأقاموا فى أمن وأمان والملك سيف يعلمهم طرائق الإيمان مدة شهر كامل حتى أن المدينة وما يليها صارت كلها إيمان

رجال ونساء وشيوخ وشبان وصار يعلمهم من صحف إبراهيم الخليل عليه السلام ويعرفهم توحيد الملك الجليل حتى امتزجوا بالعبادة وبقى احلى ماعندهم الشهادة وبعد ذلك جمع كبراء الدولة وقال لهم إن كنت محتاجا حاجة من بلدكم وقضيتها وهى فتحها بالإسلام وتوحيد الملك العلام والحمد لله الذى بلغنى ما اريد وأنا قصدى أعود إلى بلادى فاختاروا لكم من يكون عليكم ملك فقالوا يا سيدى نحن لكل من ملك الخاتم فهو علينا ملك وحاكم فقال لهم هذا فى أيام عبادة النار وأما فى الإسلام فلا تستعينوا بهذا الخاتم بل الإعانة من الملك العلام وانا اخذت الخاتم ومرادى ان تؤمنوا بالله الواحد الاحد ولعنة الله على من طغى وجحد وانا جعلت عليكم نائبى الوزير عبد الصمد فتكونوا له طائعين وتؤمنوا بالله رب العالمين فقالوا سمعا وطاعة فقام الملك سيف واخذ بيد عبد الصمد واجلسه على كرسى المملكة وقال له انت نائبى وكل من خالفك فهو خصمى وانتم يا اهل البلد تكونون إليه طائعين وتعبدون الإله رب العالمين وسلمه كل ذخائر الملك التى خلفها وقال له هذا عندك أمانة لما أطلبه وتودع الملك سيف من أهل المدينة ومن الملك عبد الصمد وطلع من المدينة وحده حتى وصل إلى الوادى وبعد ما طلع من الوادى صاح ياعاقصة فقالت له نعم وكانت قاعدة فى الانتظار وقالت له ما حالك وما الذى جرى عليك وما لك وانا نظرت إليك لما حاربوك ولا اقدر أخطى إليك وإلى الآن مشغولة عليك حتى رايتك فاخبرها بما جرى عليه وكيف اخذ الخاتم بعد جهد جهيد ولا فى الإعادة إفادة إلا التذكر والتوحيد عبادة ثم قال لها ياعاقصة روحى إلى الإقليم الثالث فقالت له كانك يا اخى مرادك ترمى روحك فى الهلاك حتى تهلكنى معاك أنا يا أخى ما بقيت أوديك على أقاليم ولوانك تسقينى كاس الحميم ثم انا حملته وهو يظن انها رائحة به إلى إقليم فما يشعر إلا وقد نزلت به على مدينة قيمر بجانب الجب وقالت يا اخى من هنا اخذتك وهنا رجعتك والخاتم الذى أخذته معك وخذ هذه القلنسوة أيضا فإنها تنفعك ومنى عليك السلام فقال لها لاى شيء ياعاقصة فعلت هذه الفعال فقالت له انت رجل جسور مقدام فى كل الامور وانا اخاف ان تقع فى مصيبة زائدة لا اقدر اخلصك منها مثل هذه النوبة وانا أنظر الاعداء يقاتلونك وأنا لم أقدر ان أصل إليك من الارصاد التى فى تلك الاقاليم والبلاد فلا بقيت أروح معك ولا أحملك فقال لابد ان تفرجينى على باقى الاقاليم غصبا عنك فقالت له إيش تغصبنى والله أنا مابقيت اتبعك أبدا ومن يرضى أنه يأخذ اخاه ويهلكه وأنا ما يهون على وطارت من بين يديه فصار يشتمها وهى لا تلتفت إليه ولا ترد عليه وصارت إلى اهلها وخلت مكانها ولها كلام إذ وصلنا إليه نحكى عليه والعاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه وأما الملك سيف فتذكر أنه إذا أراد أن يدخل الغاز يصيح عليه كما كان إلا أنه قصد البرج الذى كان دخل منه أولا عند الحكيمة عاقلة وبنتها طامة فصار قاصدا

ذلك البرج (قال الراوى) ومما وقع من الاتفاق العجيب أن طامة بنت الحكيمة عاقلة من حين مارات الملك سيف تولعت بمحبته ولم يبق لها صبر ولا جلد على فرقته ولما علمت ان الملك قمرون رماه فى الجب ضاق صدرها وعيل صبرها فقالت لامها ياامى كيف ان الملك سيف هذا الذى تقولى أنه يتزوج بى رماه الملك قمرون فى الجب فزواجى به كيف يكون قومى انظرى ايش جرى فيه فقامت الحكيمه عاقلة وبنتها طامة قدامها وفرشت الرمل وقالت لها الملك ارتمى فى الجب ثم ضربت الرمل وقالت طلع من الجب سليما والذى اخذته بنت جنية اسمها عاقصه بنت الملك الأبيض ثم وصلته إلى قصر سحاب المختطف الأقطع وتقاتل معه وقطع يده الثانية وأمر الجنية ان توصل البنات إلى اهلهن وحملته عاقصة إلى السبع اقاليم المرصودة ودخل اول اقليم واخذ القلنسوة لاجل الاختفاء وسار ثانى اقليم فقبض عليــه وانضرب وخلص وقتل عبود خان وأخذ الخاتم وانقلبت البلد كلها إسلام وبعد ذلك حملته عاقصة وجاءت به عند الجب وفاتته واعطته القلنسوة والخاتم وتركته وراحت وسار إلى البرج فقومى ياطامة انده على الملك هاهو تحت البرج وقولى له يدخل من باب البلد ولا يخشى من احد فقالت طامة والغماز مايصيح عليه فقالت لها انت ابطلت حركات الغماز من يوم ماكان هنا سيف وجرى ماجرى واستحفظت على كتاب النيل حتى يأتى يأخذه ياطامة يابنتى هذا سيف ماهو قليل هذا يعلو قدره على جميع الملوك كل ملك يبقى تحت يده مملوك وتطيعه الإنس والجان ويخدموه حكماء وكهان ويسود على ملوك الزمان قومى يابنتى هاتيه ومن باب البلد ادخليه ولا تحسبى حساب الغماز ولا تخافيه فبينماهما فى الكلام وإذا بالباب يطرق فقالت الحكيمة عاقلة هاهو أتى بلا تعب وارحنا من التعلل والنصب فقامت طامة وهى تقول ياهل ترى صحيح أياتى الملك وسارت إلى الباب وفتحته ونظرت إلى الملك سيف فتقدمت إليه ولصدر هاضمته وبالسلامة هنته وبين عينيه قبلته وقالت ياسيدى نحن فى يقظة او فى منام الحمد لله على سلامتك وكيف كان خلاصك من الجب ياابن الكرام فابتدا الملك سيف يحدثها وهى سائرة ويده فى يدها إلى ان بقوقدام الحكيمة عاقلة فقامت إليه وسلمت عليه وقالت له ياولدى كيف جرى عليك وأنا والله قلبى عليك ولكن أنا اعلم أن الله حافظك وناصرك فحكى لها الملك سيف على ماجرى له فقالت الحكيمة اناعندى علم بما جرى لك فالحمد لله على سلامتك وبعدها طلبوا الطعام فلما حضر واكلوو وشربوا ولذوا وطربوا اهدا وطامة لم ترح عينيها من النظر الى وجه الملك سيف وقلبها بمحبته قد استهام وداموا على ذلك حتى جن الظلام وقد طلبوا الراحة للمنام ولما اصبح الله بالصباح واضاءه بنوره ولاح جلست الحكيمة عاقلة وأجلست الملك سيف الى جانبها فقال لها ياحكيمة عاقلة أنا من أمرى على عجل وايش يكون العمل فى أخذ الكتاب والتوجه الى بلادى وتلك الرحاب فقالت ياولدى هذا شىء لابد لك منه وماأجد

يمنعك عنه وإنما الذى يعارضك كأنه يعارض القضاء والقدر الذى حكم به ربنا بارى الصور فقال لها
وكيف العمل اادخل على الملك قرون بالسلاح وإلا كيف يكون التدبير فقالت فى غداة انا اركب
واروح الديوان وانت معك القلنسوة تعلق الحكيم افلاطون وعندك الخاتم تحلق عبود خان فهاتان
ذخيرتان لا نظير لهما وهذا النهار يفوت وبكرة أول الهلال فأنا اركب وأروح إلى الملك قرون وأنت
تكون معى فإذا وصلنا وانفتحت القبة لعل العسير يهون وما قضاه الله سوف يكون لما كان اليوم المعلوم
ركبت الحكيمة عاقلة على بغلتها وأخذت الملك سيف بصحبتها وسارت حتى وصلت للديوان فقام الملك
قرون إليها ورحب بها واجلسها إلى جانبه ووقف الملك سيف قدام الملك قرون وهو لابس القلنسوة
ويختفى عن العيون فقالت الحكيمة عاقلة يا ملك الزمان حتى تفتح القبة وتفعل عادات الكتاب وتطلع
عليه وتسأله النصر على كل خائن مرتاب فقام قرون وسار إلى المقر والحكيمة معه وارباب الدولة كلهم
صحبه وركب العساكر حتى وصلوا إلى باب هيكل الكتاب وتقدم الملك قرون كانه اسد الغاب وفتح
ودخل لينظر إلى الكتاب فوجده على حالة فسجد الملك قرون وأطال السجود وسجدت دولته جميعا
اهل الغرور والجحود وكل من كان من اهل تلك البلد سجد للكتاب من دون رب الارباب فلما نظر الملك
سيف وكان واقفا بجملة الوقوف والقلنسوة على راسه وما احد إليه يشوف فلما وصل الملك
سيف وخطى من باب القبة وأراد الدخول وإذا بالصندوق دار على القاعدة ثلاث دورات
وانحدف من مكانه إلى جهة الملك سيف وبقى بين رجليه والناس جميعا وقوف وهم ينظرون إليه
فمد يده الملك سيف واخذ الكتاب بلا خوف ولا ارتياب ونظر الملك قرون إلى الكتاب لما دار
وطار فطار عقله من رأسه ولطم على وجهه ورأسه حتى تنعنعت أضراسه وشق ثيابه وعلا بكاؤه
وانتحابه وماجت جميع الخلق والامم وضاق الهيكل وازدحم وبقى على القدم الف قدم وبعدما
امر الملك جميع دولته ان يتفرقوا حول المدينة يمينا ويسارا ففعلوا ما امرهم وطلعوا إلى البر
والقفار وغابوا طول النهار ولم يجدوا للكتاب آثار فعادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور
واعلموا الملك ان الكتاب ماظهر ولا بان ولا عرف له احد منا مكان فركب الملك قرون
والحكيمة بجانبه وهى تقول ياملك الزمان هدىء روعك وقل هلوعك فانا اعيدلك الكتاب
واحضره لك اينما كان وأجيب لك الذى أخذه عيان وإن كان من الإنس أو من الجان ومازالت الحكيمة
عاقلة تطيب قلب الملك بمثل هذا الكلام حتى طاب خاطره وهدات سرائره بعد ذلك ركبت بغلتها
وعادت طالبة مكانها وإقامتها وكان الملك سيف سبقها إلى مكانها واقام والكتاب معه منتظر
قدومها فلما دخلت ورأته هناك والكتاب بصحبته وماله من يده فكاك فقالت له هناك
الله ياملك بما أعطاك وها أنت بلغت أمنيتك يا ولدى وأريد أن أبلغ أمنيتى وقصدى منك

لما قضيت حاجتك أن تقضي لى حاجتى ولا تخالف كلمتى فقال لها وما حاجتك حتى أقضيها فقالت له تتزوج بنتى طامة التى لا يوجد لها نظير فى ارض تهامة ولا فى اليمن ولا فى ارض اليمامة فقال لها ما اقول لك فانا اسمعه وجميلك عندى لا اضيعه وبنتك طامة هى ست الملاح وروح الأرواح ومالى منها براح ولكن انا لا اتزوج بأحد إلا بعد ما اتزوج شامة بنت الملك أفراح فلا تطيلى ياماه على الكلام ولا تكثرى عتب ولا ملام وها أنا اعلمتك والسلام فقالت الحكيمة وانا ما اخليك تتزوج قبل بنتى احدوها انت عندى فقال لها لا أفعل ذلك ابدا ولو شربت شراب الردى وبعدما دار بينهم الكلام طلبوا راحة الاجسام واضجع الملك سيف بن ذى يزن ونام وجعل الكتاب والقلنسوة تحت راسه وكانت طامة سمعت ما قال الملك سيف لامها من الكلام فامتلأت غيظا وغرام ومال قلبها وهام فصبرت إلى الليل وسرقت القلنسوة مما اضنى الوجد والجوى وبات الملك سيف وأصبح فلم يجد القلنسوة فسأل الحكيمة عاقلة عنها فقالت يا ولدى والله ما أخذتها ولا لها عندى خبر فقلق من ذلك وتحير فقال لها اضربى لى تخت رمل وانظرى لى مكانها حتى اجتهد فى طلبها فقالت له طامة هاهى عندى والذى سرقها أنا ولا اعطيها لك حتى تتزوج بى فقال الملك سيف خذيها بارك الله لك فيها ويا ليتكم ما عاينتمونى ولا بالخير جاملتمونى وبعد ما اصلحت احوالى بدلتم المعروف وقابلتم بدله المتلوف وانا ما اتوكل على القلنسوة لان الذى يساعدنى هو الله فالق الحب والنوى واخذ الكتاب وطلع فى البر والهضاب متوكلا على رب الارباب وهو الذى لا إله إلا هو الكريم التواب وأما الحكيمة عاقلة فركبت على بغلتها وسارت إلى الديوان ودخلت على الملك قمرون فقام وقال لها مرحبا مالى اراك منزعجة الحواس ومتحكم منكم الغيظ فى الراس فقالت له اعلم يا ملك ان الذى اتى بلادنا واخذ كتاب تاريخ النيل سائر فى البر الطويل على طريق الهايشة فإنى من أمس مجتهدة فى كشف الأخبار حتى علمت ما كان منه وقد اقتفيت الآثار فإن اردت يا ملك ان تقبض على غريمك لترجع كتابك كما كان فدونك والبرارى والكثبان ولا تقول الحكيمة عاقلة اعلمتنى ولما ضاع الكتاب تركتنى فصاح الملك قمرون وبقى كأنه مجنون وقال الخيل يا اربابها وتفخذت الرجال على سروجها وتحدرت فرسانها واطردوا من كل الجهات وطلبوا البرارى والطرقات طول النهار وعند الغروب قعدوا على ماء فأكلوا وشربوا وبعد ذلك ساروا ولو كان لهم اجنحة لطاروا واما الملك سيف فقد سار وحده فى البرارى والهضاب وهو فرحان بأخذ الكتاب ومازال يقطع البرارى والقفار أول يوم للغروب فنزل بجانب غدير فأكل من الأعشاب الموجودة فى الأرض وشرب من الغدير وأخذ الراحة وقام على الأقدام ثانى الأيام وثالث يوم وهو سائر وإذا بالخيل طلعت عليه من كل جانب وهزوا القنا والقواضب وقالوا له اين ينجيك الهرب ونحن لك جميعا فى الطلب تريد

أن تسرق كتاب تاريخ النيل وتنجو به فى ذلك البر الطويل فما بقى لك فى الدنيا عمر إلا القليل فنظر الملك سيف إلى أعداءه وقال لا حول ولا قوة إلا بالله وانفرد بالجرى فى وسيع الفلا وهو كانه الطير الطائر يقطع البرارى والمحاجر ومازال يجرى ويقطع الدروب حتى لقى الشمس مالت إلى الغروب فغاص بين الصخور والأحجار وستر عليه الليل بغياهب الاعتكار ونظر الاعداء إليه فلم يقعوا له على آثار فزادت بهم البليات وضاقت عليهم الطرقات وأيقنوا بنزول الآفات وتفرقوا من كل جانب ومسكوا الطرقات والمذاهب والملك توكل على الطالب الغالب رب المشارق والمغارب ولما انتصف الليل تفكر الملك سيف فى نفسه وقال أن الهاشية الآن رأسها إلى جهة الشرق وأنا لماذا الحقها وراسها فى ذلك البر فاركب عليها حتى تعدينى وإن تاخرت فإن الاعداء حقا يقبضونى وعن سفرى يعوقونى ثم انه قام ليلا وسافر طالبا جهة البحر وقصده أن يلحق الهاشية فاستيقظ الأعداء وبقيت العساكر فى بعضها ماشية وهو سائر يقطع ماقدامه من الملا حتى بقى على شاطىء البحار وكان وصوله عند انفجار الفجر الهاشية فى سكرها فطلع الملك سيف على ظهرها واختفى بين أرياشها وعندما اقبل عساكر الملك قرون وهم على أثر الملك سيف يتبعون فكانت الهاشية أفاقت من غفلتها ونظرت إلى الشمس فرأتها ارتفعت من الارض وفاتتها فصاحت بصوت دوى به البر وسمعوا عساكر الملك قرون صرختها فخافوا من رزيتها وهالهم صوتها وتعجبوا من خلقتها وقالوا ان الغريم وصل إلى ناحيتها وما بقى له خلاص من قبضتها وهو من حين وصل اليها ظن فى باله أنها أرض او جبل فطلع عليها وهاهى بقيت فى البحر ومابقى لاحد منا اليها وصول ثم انهم عادوا إلى الملك قرون خائبين وهم من شدة التعب مغتاظين وحكوا له على ماجرى وما رأوا حتى وصلوا خلف الغريم إلى البحر فاختطفته الهاشية وهذا آخر عهدنا ياملك الزمان فكادت حرارته ان تنفطر وقال احضروا الحكيمة عاقلة فلما حضرت حكى لها على كل ماجرى وان العساكر راحوا خف الغريم وعادوا خائبين فقالت له ياملك اصبر لما ادخل محل حكمتى واجتهد فى كهانتى ولا تلزم الكتاب والغريم إلا منى وإن كانت ما أكلته تلك الهاشية فقال لها افعلى مابدالك فانا لا اخالف مقالك واما الملك سيف فإنه فضل على ظهر الهاشية حتى وصلت براسها إلى البر الثانى وهو صابر ومتوانى حتى وصلت إلى الشمس بالنظر تريد أن تلتقطها فى فمها لحقتها مثل ماهى على عادتها فخبطت رأسها إلى الأرض فتركها الملك سيف ونزل من عليها وطلب البر والمهاد قاصدا مكان الشيخ جياد ودخل عليه فقام إليه وقال له أهلا ياملك الزمان أنت قتلت الملعون المختطف الأقطع ورددت البنات إلى أهليهم وأخذت القلنسوة والخاتم ولكن الخاتم مع عبد الصمد بجعله له علامة وأما القلنسوة فأخذتها منك طامة

وأنت أخذت الكتاب بأذن مسبب الأسباب وأنا ياولدى عملت الك سايس للحصان وبقيت استحق منك الاجرة يا ابن الكرام فقال له مرحبا بك ياعم فقال له بت عندى الليلة وبكرة انا مسافر السفر البعيد يعنى مفارق الدنيا وقاصد دار السلام فافعل معى كما فعلت مع اخى عبد السلام واغتنم الثواب من الملك العلام واخرج إلى خارج الصومعة بعد ما تغسلنى بيديك تجد الكفن حضر لى فكفنى وقل الصلاة على من حضر من المؤمنين ولك الاجر من رب العالمين فعند ذلك بات الملك سيف عند الشيخ جيادوهم يذكرون الملك الجواد حتى طلع الصباح فاصفرلون الاستاذ واضطجع للقبلة واحسن الشهادتين وشهق وفارق الدنيا فسبحان الحى الذى لا يموت فقام إليه الملك سيف وغسله وكفنه وطلع ونادى الصلاة على من حضر من اموات المؤمنين فاتوا القوم الصالحين الذين اصطفاهم رب العالمين وصلوا عليـــه وانصرفوا واما الملك سيف فإنه لحر فى وسط محراب الصومعة ودفن الأستاذ وقرأ عليه شيئا من صحف الخليل وقال فى نفسه :

ادفن الجسم فى الثرى ... وليس فى الجسم منتفع
إنما السر فى الذى ... كان فى الجسم وارتفع
أصله الجوهر النفيس ... وإلى اصـــله ارتجع

وبعد ذلك قام الملك سيف وشد على حصانه عدته وركب على صهوته وطلب البرارى والقفار قاصدا مدينه الملك افراح وهو فى غاية السرور والانشراح والكتاب بصحبته وهو سائر الليل والنهار (وله كلام) هذا ما جرى وأما ما كان من المقدم سعدون الزبجى فإنه لما كان فى خيمته قدام المدينة كما ذكرنا وكان وحش الفلا تارة يبيت عنده وتارة يبيت فى قصره المعدله فلما كان فى ذلك اليوم الذى حصل فيه الكلام بين وحش الفلا والحكيم سقرديون وطلب منه كتاب تاريخ النيل وركب وحش الفلا على جواده آخر الليل وطلب البر الطويل ولم يعلم من أين يأتى بذلك الكتاب ولكن توكل على رب الارباب واصبح المقدم سعدون الزنجى فركب جواده وسار إلى باب المدينة وسأل حاجب الحجاب الذى هو مقيم على الباب وقال له هل علمت بوحش الفلا إن كان ركب أو مقيم فى المدينة فقال له الحاجب والله يامقدم سعدون إن وحش الفلاه ركب فى آخر الليل على ظهر الجواد وطلب البر والمهاد وهذا آخر عهدى منه ولكن سمعت أنه طلب من الملك افراح ان يزوجه بنته شامة ويقيم له الافراح وطلب منه سقرديون الحكيم كتاب تاريخ النيل فقال وحش الفلاه أنا احضره وركب وسار إلى هذه الحاجة فقال سعدون هذه مكايد أفراح والكلب سقرديون وحصل عنده غيظ شديد وطلع الديوان فى الحال ودخل على الملك أفراح من غير استئذان ولما دخل صاح بصوت كالرعد القاصف كل من سمعه يظل راجف وقال ياملك أفراح أين سيدى وحش الفلاه الذى كان عندكم أمس مقيم

وطلع النهار فما وجدناه فقال الملك أفراح اعلم يامقدم سعدون أن وحش الفلا صار زوج ابنتي وأنا قاسمته فى نعمتى وما بقى لى فيه مشارك ولا مماحك وقدسافر يأتى بالحلوان من البرارى والآفاق كما أتى بك أنت فى المهر والصداق وقبلناك منه ووقع الاتفاق ومتى أتى بالحلوان أزوجه بنتى شامة على رؤس الأشهاد وتنجلى القلوب من الأحقاد ولايبقى بيننا غير المحبة والوداد فقال المقدم سعدون إيش هذه الحكاية الطويلة التى عملت لها قواعد وأرباح ياملك أفراح هل ترى الكلام الذى قلته أنت الذى وصيته أو من سقرديون هذاسمعته واجتمعت أنت وسقرديون على سيدى وحش الفلا وقلت له هات الحلوان حتى غيبتموه وعن أرضكم أبعدتموه وأنا وحق البيت وعصاتى ذات الذوائب لا أرحل من هذه المدينة ولا أترك هذه الديار حتى يظهر خبر أستاذى وحش الفلا فان أتى سالما على قيد الحياة قابلناه وبالسلامة هنيناه وإن مات فى هذه النوبة أو ما بان له خبر قتلتكم عن آخركم وخربت مدينتكم وقتلت فرسانكم ورجالكم وسبيت حريمكم وعيالكم ونهبت أموالكم وأول ما أقتل سقرديون وأعذب أفراح العذاب الأليم وها أنا على باب المدينة مقيم حتى انظر عاقبة هذا الفعل الذميم وطلع المقدم سعدون الزنجى من الديوان وهو على الملك أفراح غضبان وقال آخر كلامه يا أفراح وحق زحل فى علاه لولا ماأخاف أن يكون وحش الفلا طيب يأتى ويمانعنى ما كنت انزل من ديوانك إلا بعد إخراجه واظهر فيه الجنون ولا انزل إلا براسك ورأس هذا الحكيم سقرديون ولكن هنا مايفوتكم وعن قريب سوف يكون وإلا فما أنا المقدم سعدون ونزل من الديوان وهو حردان وكان سقرديون يسمع وكبده يتقطع فقال الملك أفراح وإيش رأيت ياحكيم فى هذا الوبال العظيم أنت غيبت وحش الفلا وجلبت لنا ذلك البلا فقال سقرديون أنا أدبر لك هلاكه وسوء ارتباكه ثم أن سقرديون من اغاظته كتب كتابا من وقته وساعته وأرسله إلى أخيه سقرديس حكيم مدينة الدرر وهى مدينة الملك سيف أرعد ملك ملوك الحبشة والسودان يقول فيه ياأخى على ماتعلم أنه قد نشأ فى مدينتنا غلام أبيض من العرب وهو جميل الصورة والأصل فى هذا الغلام أنه أتى به افراح من البر وكانت ترضعه غزالة وعلى خده علامة التبابعة وهو الخال الأخضر كانه قرص عنبر فانا أغريت الملك أفراح على قتله مرارا فلم يقبل كلامى فيه وأن الملك أفراح معه بنت خلقتها مثل خلقته وعلى خدها شامة مثل شامته وكنت أنا قلت لأفراح إما أن تقتله وتبعده عنا فأرسله مع عطمطم خراق الشجر حتى علمه خداع الحرب ومراقع الطعن والضرب فاتفق فى غياب وحش الفلاة إنه اعترض بنت أفراح من الجان واحد يقال له سحاب المختطف وحكم على أبوها يخرجها له مزينة فأخرجها فاتفق مجىء المارد ووحش الفلا فى ساعة واحدة وأن وحش الفلا ضرب المارد فقطع يده فهرب المارد بعد ان قطع يده وعدم صبره وجلده ثم إن الغلام طلب

شامة بنت الملك افراح يتزوجها لكونه خاصها من المارد فقلت له انا يامالك افراح لا تنعم له فان هاتين الشامتين إذا اجتمعوا على فراش واحد فإن ملك الحبشة يخرب فقال والله ما اقتله لأنه خلصها من هذا المارد فقلت له اطلب مهرها راس سعدون الزنجي فطلب منه ذلك فسار الغلام ورضى بذلك المهر ولما راح قلعة الثريا فعل مع سعدون افعال واوراه غلبات الرجال واصطلح معه واتانا وصحبته سعدون الزنجي وصار له صاحب ورفيق عند كل شدة وضيق وكان قد غاب مدة يسيرة واتانا وسعدون معه بالحياة وتوابعه صحبته فى خدمة ذلك الغلام ولما اقبل سعدون قال إن كنتم قد طلبتم راسى فى مهر بنتكم فأنا اتيت بالحياة إلى عندكم فقلت له اما المهر فوصلنا بالتمام ونريد منك الحلوان وهو كتاب تاريخ النيل فرضى بذلك وخرج طالباً بلاد الكتاب وقصدى بذلك يا اخى عدم اجتماع الشامتين على الفراش لأجل عدم خراب ملك الحبشة ولا تنفذ دعوة نوح فى بلادنا والآن فقد ابعدنا الغلام وله مدة طويلة ما بان له خبر واظن انه مات وانقبر ولكن سعدون الزنجي حاطط على مدينتنا وكل يوم يأتينا ويهددنا ويخوفنا فكتبت لك هذا الكتاب واريد منك ان تصف للملك الأكبر حسن هذه البنت شامة بنت الملك افراح وتخبره بالقصة من اولها إلى آخرها وترغبه فى اخذها حتى يرسل لأبيها ويأخذها منه فاذا فعل الملك الأكبر ذلك وصارت شامة عنده انقطع امل الغلام ومابقى له كلام ولكن يا اخى يكون ذلك على عجل ووحش الفلا غائب من قبل ما يجرى شيء لم يكن فى الحساب ويأتى الغلام ويكون زحل ساعده وجاء بالكتاب فإنه إذا جاء بالكتاب يتزوج البنت ويبطل العتب والملام وتنفذ دعوة نوح عليه السلام وها انا اعلمتك بالخبر وانت بذلك اخبر وارسل الكتاب إلى سقرديس التعيس النحيس خليفة الأباليس. فاخذ العبد الكتاب وسار يقطع البر والفدفد حتى دخل مدينة الدور وهى مدينة الملك سيف ارعد ودخل على الحكيم سقرديس وقبل الأرض قدامه وناوله الكتاب فاخذه سقرديس من العبد وقراه وفهم رموزه ومعناه وقام فى الحال ودخل على الملك سيف ارعد وقرا عليه ذلك الكتاب واعلمه بتلك الأمور والأسباب وقال له ياملك الزمان وحق زحل فى علاه إنى لك ناصح وأكبر نصيحتى لك زواج هذه البنت شامة بنت الملك افراح صاحب مدينة الحديد فان فى زواجها فوائد كثيرة اولها انك تحظى بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها فانه لم يكن فى بنات الملوك مثلها فى العربان ولا فى الحبشة ولا فى السودان والثانية ان هذا الغلام الذى عند الملك افراح نحن متزاوين منه ان يكون عدو الجيش ويبقى ملك عظيم صاحب عسكر جسيم ويحكم على امصار واقاليم وهو يحب البنت فإذا عاد وراى مثلك اخذها وبعدت عنه ولم يقدر على خلاصها منك لم يجد له صبر على بعدها فاما انه يتنهد

ويموت بالكمد او يمرض منه الجسد ويموت بالكيد والحرد فان داء الحب شديد والخلاص منه بعيد والثالثة أن اسمها شامة ولها على خدها شامة وأن هذا الغلام الأبيض له على خده شامة وأن جميع الحكماء قطعوا في علومهم على أن اجتماع هذين الشامتين على فرش واحد بأنه خراب ملكك وإذا جرى ذلك وتزوجت أنت بتلك البنت فتكون احتويت عليها وبفضل ملكك ياملك عمار على كيد الأعادى والفجار فقال له الملك سيف أرعد يا حكيم الزمان وإيش مرادك هذا الوقت فقال له مرادى ترسل تخطب شامة بنت الملك أفراح وتتزوج بها وتعطى الملك أفراح مهما أراد فى مهرها حتى تبقى مملكتك عمار فقال الملك سيف أرعد يا حكيم هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب وقام الملك سيف أرعد وحضر أربع عقود جوهر وأربع بدل من صنعة الحرير المدثر ومائة أوقية من الذهب الأحمر وخمسة آلاف دينار ذهب وزن الواحد مثقالين وعشر خيول جياد بعددها من يعددها من الذهب وعلى كل حصان بدلة زرد بخوذتها ومنطقتها وسيف وخشت حبشى ورمح أسمر وعشرين بنت حبشية وألف ناقة وجمل وقدم الجميع قدام الحكيم سقرديس وقال له مرادى أن أجعل هذه هدية للملك أفراح وأجعل مهر ابنته أن أرفع عنه خراج بلده سبع سنين مدينة الحديد وما يتبعها من البلاد التى حولها حتى أرغبه فى مصاهرتى ويكون من حزبى وحاشيتى فقال الحكيم سقرديس بعد هذا ياملك الزمان ما بقى له عليك امتنان لكن أرسل ذلك صحبة حاجب جبار فقال الحكيم لا تسأل عن ذلك وكان عند الملك سيف أرعد حاجب جبار وهو فارس دولته وحامى مملكته يقال له مناطح البغال وهو بطل من الأبطال وشجاعته تضرب بها الأمثال فأحضره الملك سيف أرعد وقال له مرادى أن أجعلك نائبى تخطب لى بنت الملك أفراح فان أنعم وأجاب سلمه هذه الهدايا والأموال وإن رأيته تمنع ودخل عليه من باب الغرور والضلال أشبعه حرب وقتال ولا تأتينى إلا وهو معك فى الشد والاعتقال وإن عارضك سعدون الزنجى فبعبع أو دافع عن أفراح فلا تبقيه وأهلكه هو ومن معه من العبيد وأهرق دماءهم على الأرض والصعيد ولا تعدلى يامناطح البغال إلا بقضاء الأشغال وبلوغ الآمال وانتخب له ألف عبد كلهم أبطال أقيال يقاربونه فى شجاعته هم أقارب وأولاد أعمام وأولاد أخوال (قال الراوى) ولقد سألت عن هذا الاسم يعنى مناطح البغال فإنه ليس اسم رجال ولا أطفال فقيل لى إن أصل اسمه فى منشأه دربال ولما كبر وكان عند أرباب دولته الملك سيف أرعد بقرات يطلقوا عليها خيل فوضعت وأصل تلك الفعال كانت ذكرت بين يدى ملك الحبش إن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما أراد النمروذ أن يفعل فى حق خليل الله ما فعل كان الذى حمل الحطب ابغال لكونها أولاد زنا فالبعض قال إنهم تناسلوا من خيل وحمير والبعض قال إنهم تناسلوا من خيل وبقر كذا نقلت فى السير عن كل راوى معتبر فلما كان فى ذلك الزمان اطلقوا خيلا على بقر وعلى حمير وقصدهم بذلك أن ينظروا الخلف منهم كيف

يكون فخلفوا البغال البعض أشبه بالخيل ولكن عليهم بلادة البقر والبعض مثل البقر وعليهم همرات الخيل وكان دربال هذا طفل صغير بجملة الأطفال فكان يصارع البغال ويناطحهم وبلغ الملك سيف ارعد فأحضره بين يديه واطلع على ما يفعل من الفعال فعند ذلك ترك اسم دربال وسماه مناطح إلى أن كان في هذا اليوم وأرسله ملك الحبشه في هذه النوبه إلى الملك افراح كما وصفنا وانتخب له الف فارس من امثاله ليعاونوه على سعدون الزنجي وحربه وقتاله إذا تعرض له في افعاله فلما سمع مناطح البغال من الملك سيف ارعد هذا المقال قال له ياملك الزمان انا ما احتاج تروصيني لما ندبتني إليه ولا تلزم سعدون الزنجي والملك افراح في الشد والاعتقال إلا مني وانا يكون ذلك في ايام قلائل وانا خدامك دربال مناطح البغال ثم انه انتدب له الفرسان كما ذكرنا كلهم بالعدد الكاملة والزينة وهم الطراطير الريش والأحواص النحاس والخشوت الماضية السنان والسيوف والسكاكين وكلهم في عز وتمكين واما مناطح البغال فانه سار قدامهم وهو فرحان يقطع الأرض والبيد حتى انه وصل إلى مدينة الحديد وبلغ الخبر الملك افراح من الحكيم سقرديون وقال له انا اعلمت اخي واخي اعلم الملك وعن قريب يأتينا مناطح البغال يقتل سعدون يوم يطلع الديوان ويهدد الملك افراح بالهلاك والقلعان والملك افراح صار يتجلد ولا يورى له عداوة إلى ان كان في بعض الأيام وإذا بغبار انعقد وثار وسد منافذ الأقطار وبعدها انكشف عن الف فارس كأنهم الجن والأبالس وهم بالطراطير التي من جلد الغنم الغزير الصوف والبعض منهم له شراريب من ذيل الثعالب وهم عراة الأبدان وكل منهم حامل درقة من جلد الحيتان ترد مضارب السيف وطعن السنان فطلع الملك افراح بنفسه إلى لقاهم ولما رآه مناطح البغال مقبل ترجل عن الحصان وقدم للملك افراح وقبل يده فانحنى عليه الملك افراح وقبله في راسه وخده وسار إلى المدينة وهم في افراح وزينة ونظر المقدم سعدون الزنجي إلى هذا الحال فعلم حقيقا ان هذا تدبير على مفاسد وضلال وقال في نفسه لابد ان اعرفهم شؤم تدبيرهم واجازيهم على ما يفعلوه من خبثهم ومكرهم وصبر على مضض وبات ليلته وعند الصباح سار إلى الديوان ومعه ثمانون عبدا برفقته وكان الملك افراح استقبل مناطح البغال وانزله في اعلى مكان وصنع له وليمة ومناطح البغال قدم للملك افراح الهدايا التي ذكرناها وقدم له الكتاب ففتحه الحكيم سقرديون فوجد فيه باسم زحل في علاه والنجم وماسواه اعلم ياملك افراح اني اخترتك من دون الملوك ان تكون صهري وتبقى انت صاحب نهيي وامري وانا ارسلت لك هذه الهدية على قبول الصحبة والاشفاق واطلب كل ما تريد من المهر والصداق فإن أنت انعمت لي بزواج ابنتك منعت الخراج سبع سنوات عن مدينتك وما يليها من المدائن ثم إن حاجبي مناطح

البغال نائى فى هذه الأشغال فعندما التفت الملك أفراح إلى سقرديون وقال كيف يكون التدبير
فقال له الحكيم أنعم له يا ملك واطلب رضاه فان طاعته لازمة على كل الملوك والولاة فقال الملك
أفراح وإن جانا وحش الفلا كيف يكون جوابنا معاه فقال الحكيم سقرديون وحش الفلا عمرنا
ما بقينا نراه وإن حضر أيضا تقول له أخذ شامة ملك الحبش وإن أردت أخذها دونك وإياه
فبينماهم كذلك وإذا بالمقدم سعدون داخل من باب الديوان وعيناه فى رأسه كأنهما سراجان فلما دخل
المقدم سعدون إلى الديوان قام على حيله الملك أفراح والحكيم سقرديون ولا أحد كان قاعدا إلا
وقام فى الحال إلا مناطح البغال فانه دخل فى نفسه الغرور فما قام للمقدم سعدون البطل المشهور لما
يعلم فى نفسه أنه صاحب الملك سيف أرعد ونظر سعدون الزنجى إلى عدم قيامه فصاح عليه صيحة
ارتعدت منها الأبدان وارتج القصر من جميع الأركان واندهل كل حاضر فى ذلك المكان والتفت
للملك أفراح وقال له من هذا الكلب الذى لم يقم لى على الأقدام هل هو أكبر منكم جميعا يا كرام
هل هو أعظم قدرا من الملك أفراح أو من الحكيم سقرديون واعلمونى عن هذا الكلب إيش
يكون وما سبب مجيئه إلى هذه الأرض والبلاد اصدقونى بصحة القول عن هذا السبب وإلا وحق
من تعالى واحتجب اخلى هذا القصر بكم ينقلب وأميل عليكم بالحسام المشطب ولا أخلى منكم
رأس ولا ذنب وأجعلكم مثلا يضرب عند الحبشة وأبناء العرب فقال له مناطح البغال أعلم
يا هذا أننى صاحب حجاب الملك سيف أرعد وأرسلنى إلى هذه الأرض والبطاح لأخطب
له شامة بنت الملك أفراح لاجل أن يتزوج بها ويتصل النسب بينه وبين الملك صاحب هذه
الارض والنواح فاقعد فى أدبك ولا تعارض الملوك وأنت فقير صعلوك فقال المقدم سعدون وأما
تستحى أن تقول لى هذا الكلام يا بن اللئام وتقول إنك تخطب زوجة استاذى الملك الهمام
صاحب الرمح والحسام وهو الملك وحش الفلا والله يا كلب إن ما قمت من هذا المكان وأنت
مخذول من غير أن يكون لك على ما أنت طالب وصول وإلا ضربتك بهذا السيف المصقول
وجعلتك أول مقتول وفى است أمك وأم الملك سيف معك أبول لانه أذل واحقر من أن
يخطب شامة وهى قد حازها ملك الملوك وحش الفلا وعن قريب يأتى سالم غانم ومعه كتاب
تاريخ النيل والغنائم فاغتاظ مناطح البغال من ذلك المقال وقام على الأقدام وجذب فى يده
الحسام وهجم على سعدون فلما نظر سعدون إلى ذلك الحاجب مناطح مبغال وما فعل من الفعل
جذب حسامه من غمده وهزه حتى دب الموت فى فرائده ورفع الحسام بيده وضرب مناطح البغال
على وريديه فأطاح رأسه من بين كتفيه فنظر الحكيم سقرديون إلى ذلك الحال فاظهر الخبث والامحان
وقال للملك أفراح كأنك يا ملك تقدر وتقاوم الملك سيف ارعد إذا كان أرسل لك حاجب حجابه
بصفة وسول يصير فى وسط ديوانك مقتول من الذى بقى ينجيك من الملك سيف ارعد إذا علم أن

حاجبه قتل فى ديوانك فيرسل لك عساكره وتخرب بلادك وتهلك عساكرك واجنادك وانت يا ملك هدمت بيديك اساسك ولا تقع الحرارة كلها إلا فى راسك قم يا ملك امسك سعدون وعسكره ومن معه واقبض عليهم وإلى الملك ارسلهم وإذا بقوا بين يديه كل ما اراد يفعل بهم فعند ذلك صاح الملك افراح فى رجاله ونبه جنوده وابطاله وهجم وصاح على رجاله دونكم وهذا العبد سعدون اقبضوه وبأسيافكم قطعوه ولا تبقوه فجملت على المقدم سعدون الرجال واحاطت به الأبطال فصاح سعدون على رجاله ونبه ابطاله وقال والله يا ملك افراح ما بقى لك فى يدى براح حتى اسقيك من سيفى السم القراح فهنالك حملت الثمانون عبدا توابع المقدم سعدون وحمل قدامهم كانه المجنون ودارت رحى الحرب كما تدور الطاحون واسقاهم ريب المنون وضرب فى اوساطهم وفرق شملهم وسار يحمى رجاله كما يحمى الأسد اشباله ويضرب بالسيف مثل حجارة المنجنيق حتى مزق الأعداء تمزيق وفرق جموعهم تفريق وهو تارة يحمل يمين وتارة يحمل يسار حتى خرج من المدينة إلى الخلاقوة واقتدار وملك البرارى والقفار وقال يا ملك افراح ما بقى لك من يدى براح ولا بد من هلاك عساكرك وقبض الارواح واطعم الوحش اجسادكم والاشباح فهناك صاح الحكيم سقرديون الغادر والخائن المقاون فصاح الملك افراح فى عساكره وامرهم أن يركبوا الخيل ويميلوا على سعدون ومن معه كل الميل فلما راى سعدون هذا الحال قال لأصحابه الاقيال احوا ظهرى انتم يا رجال وانا القاهم وحدى فى القتال وكان سعدون آيس من الحياة وطاب به الموت واستحلاه فأنشد يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول:

اتانا الاعادى بأشكالها تهز المواضى بأنصالها
على الصافنات تهز القنا وزلزلت الارض زلزالها
فدونك افراح ضرب الصفاح وطعن الرماح وامتلالها
وخلى رجال نطاح البغال تخوص المجال لاهوالها
فريب المنون على سيف سعدون يفرى البطون بأوصالها
غدوتم اعادى وخنتم ودادى انا الحرب زادى بإشعالها
تقدم امامى وذق من حسامى شرب المنايا واوحالها
حويت الندابة إذا رمت شامة ولست لها كفء اعدالها
وقد غاب وحش الفلا يريد الكتاب وطاب منونى باقيالها
سأخرب بلادك وافنى رجالك واسبى النداء بأطفالها

(قال الراوى) وبعدما انشد سعدون الزنجى ذلك الشعر والنظام تقبل الخيل تحت العجاج والقتام وجرد الضرب بالحسام ومن خلفه رجال كرام وفعلوا فى الاعداء كما تفعل الذئاب

فى الأغنام ويرى رماح الأعداء كبرى الأقلام وسقاهم شرب الهلاك والانتقام ورجاله من خلفهم كأنهم أساد الآكام وداموا على ضرب الحسام وطعن الرمح اللهذام حتى ذهب النهار بالابتسام وأقبلت غياهب الظلام وافترقوا عن ضرب الحسام وابطلوا الحرب والخصام وخفيت مواضع الاقدام وعادوا سكارى من غير مدام ونزل سعدون فى خيامه بين أصحابه وأقوامه وهو يعض على كفيه غيظا وحنقا وبات تلك الليلة وعند الصباح ركب هو ورجاله وقال لمن حوله من الابطال أنتم ما عليكم قتال ولا تباشرون حربا ولا نزال وإنما احموا أنتم ظهرى من الاغتيال وأنا اشبع هؤلاء الكلاب حرباً وقتالا فقال له أصحابه يامقدم سعدون نحن كلنا أبطال وتربية أبطال وخلقنا لنضرب بالسيوف الصقال وأشهى ما علينا الموت كما يشتهى العطشان الماء الزلال وها نحن منك وإليك ولا تطير جماجمنا إلا بين يديك ولا تحسب أننا نبخل بأرواحنا عليك فشكرهم على مقالهم ولما كان ثانى الأيام تقاتل سعدون مع عساكر مناطح البغال وهاج فيهم كما تهيج فحول الجمال وصاح سقرديون على الملك أفراح وأمره أن يساعد جماعة مناطح البغال فأمر رجاله جميعاً بالقتال فأحاطوا بسعدون الزنجى ومن معه من الأبطال وغنى الحسام الصقال إلى آخر النهار وانفصلوا عن القتال وهكذا ستة أيام ولكن ثقل العدد على المقدم سعدون وأشرف هو ورجاله على شرب كأس المنون وطمعت فيه عساكر الملك أفراح ولا بقى له من الموت براح ونادى الملك أفراح فى رجاله وقال لهم ويلكم قووا عزائمكم وميلوا على أخصامكم حتى تأخذوا بثأركم وكلما يسمع منه سعدون هذا المقال يأخذه الحنق والادغال ويجرد فى عسكره الطعن بالرماح الغوال ويضرب بالسيف الفصال على الحقيقة أن سعدون كل ومل ووهن ركنه واضمحل وطمع فيه الملك أفراح ولا بقى له من الموت براح كذلك إذا بغبرة انعقدت وبان من تحتها فارس من وسط الخلا أقبل وهو سائر على عجل وضارب على وجهه لثام كأنه قطعة غمام وعينيه تلوح من تحت اللثام كأنها عين الأرقم ولما أقبل ونظر إلى القتال يفعل فسكب على رأسه فى قربوس سرجه ودخل بين الصين وصاح على سعدون وقال له حيلك يا بطل الزمان اخبرنى على أى شىء هذا الحرب والطعان فقال له سعدون وأنت من تكون من الفرسان حتى تسألنى هذا السؤال فى هذا البر والخلا فقال أنا صديقك وحش الفلا فقال له ساعدنى على هؤلاء الكلاب الذين هم أهلك وناسك فان هذه الحروب وهذه الفتنة من تحت راسك ولا أقدر أن أحدثك عن أهلك بكلام إلا إذا انفصلنا من ضرب الحسام وبطل الحرب والصدام فلما سمع الملك سيف بن ذى يزن من سعدون هذا المقال صرخ صرخة زلزلت الاراضى والجبال وكل من سمعها لحقه الخبال وصاح الله أكبر أنا فارس الأقطار والدمن مبيد أهل الشر والقتال أنا ملك اليمن وصاحب ممالك الاراضى وصنعاء وعدن المنزل على الأعداء البلاء والمحن أنا الملك

النبعى واسمى الملك سيف بن ذى يزن فلما سمع الملك أفراح صوت الملك سيف بن ذى يزن التفت إلى سقرديون وقال له ياحكيم أما انت سامع هذا الصوت صوت وحش الفلا لا شك انه أقبل ونزل بحرب المقدم سعدون فقال الحكيم سقرديون كانك ياملك انزهلت من فعل سعدون إيش هذا الكلام الذى ما يقول له إلا كل مجنون وحش الفلامات وصار عظمه رفات واقتلعته النكبات والآفات فما تم كلامه إلا وعساكره مقبلون وهم مقطعون من عشرة ومن عشرين وقالوا ياملك اعلم ان الذى يحاربنا ماهو إلا وحش الفلا وقد نزل بنا الموت والبلا إلحقه ياملك ورده عنا وإلا افنانا عن اخرنا فلما سمع الملك افراح هذا الكلام قال لهم حق انكم انتم رايتم وحش الفلا فقالوا له نعم وحق زحل فى علاه انه ما ابادنا ولا اهلك اكثرنا إلا وحش الفلا الفارس التبيلى الذى سافر إلى مدينة قيمر طالبا كتاب النيل فلما سمع الملك أفراح ذلك الكلام أمر المنادى أن ينادى فى العسكر بالكف عن الصدام وأن يرفعوا الرمح والحسام وسار بالحصان حتى وصل إلى الفرقة التى لسعدون الزنجى فرأى الملك سيف فالتوى على ظهر الجواد حتى بقى الأرض والمهاد وأراد أن يقبل رجل الملك سيف فى الركاب راكباً فرجل الملك سيف إليه واعتنقه وسلم عليه فقال سعدون رجعت إلى الخبث والنفاق أنت وسقرديون الذى انت وهو رفاق وخفتم من القتال والمحاق ولماضاق بكم الخناق فقال الملك سيف ايش ذنب المقدم سعدون حتى قاتلتموه وقاتلكم فقال الملك أفراح ياملك إنه بعد سفرك فى طلب كتاب النيل أقام سعدون يخاصمنا ويقول أنتم ارسلتم أستاذى لأجل أن تهلكوه وعن البلاد ابعدتموه فاتفق أن الملك سيف أرعد أرسل لنا حاجبه مناطح البغال ومعه هدايا وأموال وطلب شامة ليتزوجها ملك الحبش فأنا قلت له هذه زوجها الملك وحش الفلا وسار يأتى بكتاب النيل حلوانها فكان سعدون وقع بينه وبين مناطح البغال مشاجرة وكلام وان سعدون قتله فصعب على لكونه فى ديوانى وفيه استصغار لشأنى فقاتلت سعدون واتيت انت جميعا خلصنا من شرب المنون فقال الملك سيف الحق فى يد المقدم سعدون فانه والله نعم الصاحب لنا والرفيق وأنت ياملك أفراح ما يطيب على قلبك أن تعطى شامة إلى سيف ارعد فقال الملك افراح أما مع عدم وجودك ياولدى فأنا لا أقدر عليه ولا اقدر ان امنع شامة عنه وما من حيث أنك سالم فما بقى إليها وصول ولا على ذكرها محصول ولكن انا فيك متحير كيف كان خروجك من عندنا واسمك وحش الفلا وإيش الذى غير اسمك حتى بقيت سيف بن ذى يزن قال الراوى وكان الملك سيف بن ذى يزن لما طلع من صومعة الشيخ جياد بعدما دفنته فى التراب وجرى ما جرى واخذ الحصان وسار طالبا مدينة الحديد تاه فى الطريق فوقع فى ارض متسعة لا انيس فيها ولا رفيق وصار يقاسى مشقة زائدة وأقام مدة شهرين كاملين وهو يأكل من نبات الأرض هو والحصان ويشرب من متحصلات الأمطار ومن بعض الغدران إلى ليلة قعد فيها يتضرع إلى الله تعالى ويشكو إليه ماهو فيه من الجوع والضنك والضيق

من ضلال الطريق وعدم السعادة والتوفيق ورفع يده إلى السماء وقال اللهم اسألك ياعظيم العظماء اللهم إنى اسألك بحرمة نبيك وخليلك الخليل إبراهيم عليه السلام وأسألك بأولاده وذريته وبالصحف التى انزلت عليه ومافيها من الكلام ان تنجينى من شر هذه الاراضى والاكام انك انت الملك العلام اللهم بحق النبى الذى يبعث فى آخر الزمان وبالصدق والوفاء ويكون ظهوره مابين زمزم والصفا أن تجعل لى ولإخوانى المؤمنين من كل ضيق فرجا من كل هم وبلاء مخرجا انك على كل شىء قدير ياالله ياالله ياغياث المستغثين ويا ارحم الراحمين وبعد ذلك بكى الملك سيف تحدرت دموعه كالامطار وانذعر فنام وإذا بالنادى ينادى ياسيف قم فالحق سعدون الزنجى صاحبك فإنه اشرف وجادته على عدم النجاح من الملك افراح وذلك كله من اجلك ياليث البطاح فقام الملك سيف وركب حصانه وطلب البرارى والقفار فاشرف على سعدون ضحى نهار وادركه تحت الغبار فجرى ماجرى وفرج عنه واجتمع الملك افراح ووقعت بقدمه الافراح واقبل السعد والنجاح وقال الملك افراح للملك سيف اخبرنى عن سبب تغيير اسمك من وحش الفلا إلى الملك سيف بن ذى يزن فقال له ياملك الزمان انا جرى لى عجائب وأهوال تشيب روس الأطفال ثم حكى لهم على ماوقع له من سفره واجتماعه بالشيخ جياد وإسلامه على يديه ووصاه على ان يعدى البحر على الهايشة واجتماعه على طامة وماجرى له معها ودخوله على الحكيمة عاقلة وصياح الغماز ودخوله على اهل البلد واجتماع الحكيمة ومافعلت معه حتى افسدت الرمل ودخوله القبه ودوران الكتاب وانطباق العالم عليه وقتاله حتى قبضوه ورموه فى الجب وقدوم عاقصة واخذه المارد وقتله وإرسال البنات إلى اهلهم إلا ناهد فارسلها إلى اهلها رغما ودعت عليه ورواحه إلى السبعة اودية وكيف اخذ من اول وادى القلنسوة وأخذ الخاتم من الوادى الثانى واسلام عبدالصمد وإقامته قائبا عن المدينة وعودته على مدينة قيمر واخذ الكتاب وطامة اخذت القلنسوة عندها رهنا وعدت ثانيا ودفنت الشيخ جياد وقبله كنت دفنت عبد السلام حتى اتيت إلى هذا المقال ولكن أنا أعيد لكم ماجرى لى بالشعر والنظام وانشد وقال هذه الابيات بعد الصلاة والسلام على صاحب المعجزات :

إلا فاسمعوا يا آل ودى قصيدتى ... لقد اتعبوا قلبى على مهر زوجتى
وظن السعد انى اموت بمكرهم ... وقد طلبوا موتى واتلاف مهجتى
وقد سألونى رأس سعدون مهرها ... فكنت لهم طوعا لتمسى ضجيعتى
فسرت إلى حسن الثريا لقصده ... وقد كان ذا غلق فزادت بليتى
ولما رآنى أهـــله فتجوه لى ... وصاحبتهم فى الحصن أحسن صحبة
وقاتلت سعدونا وجئت لهم به ... وكان من الاحيا برأس وجثة
وقالوا قبلت المهر قم هات غيره ... فقلت وما المقصود اعظم بغية

فقالوا كتاب النيل نبغيه يافتى   بأى مكان كان يلقى وبقعة
فامضيت هذا القول فى وسط جمعهم   وبالله ربى أستعين لحاجتى
وسرت أنا من أرضهم وديارهم   وأعلمت شامة قبل فى جنح ليلة
فلم ترض منى أن أسير لأنها   تخاف على الموت فى أرض غربة
وقالت نخلهم ونبتدرك حيهم   ونرحل عنهم فى هنا ومسرة
فقلت لها ذا القول ليس بصائب   ولابد أن أسعى لتلك القضية
فقابلت شيخا صالحا ذا عبادة   بستين يوما فى القفار الخلية
وأسلمت إسلاما صحيحا برغبة   وعلمنى دين الهدى بعد شوقى
هو الشيخ مولانا جياد ومن له   وفقهنى فى الدين فقه الشريعة
وقد قال لى عندى حصانك مودع   مقام شريف التقى والحقيقة
فسرت وجاوزت المروج جميعها   فدعه يسير فى البرارى بقوة
ولما أفاقت أحدقت بعيونها ترى   إلى هايشة بى جاوزت هول لجة
فصارت لذاك البر تخبط رأسها   الشمس سارت فى العلا واستمرت
ولما سلكت السير يوما وليلة   وفارقتها أسعى لادراك طلبتى
قارعته حتى علمت بأنه   رأيت خيالا طالبا لأذيتى
فقالت أنا طامة وأمى حكيمة   تدعى بعاقلة فريدة حكمة
فلما أتيت السور أبصرت أمها   معدة أحبال لأحكام نصرتى
وقد أصعدونى فى الدياجى بهمة   على البرج حتى صرت بين المدينة
وقد صاحت الأرصاد منى وأعلنوا   وهاجت جميع الناس يبغون قبضتى
ونادى الملك قرون جمع رجاله   اضرب تخوت الرمل يبغى فضيحتى
فنجانى المولى على يد عاقلة   وقد أفسدت أعمالهم بالصنيعة
فسل الملك قرون سيفا على العدا   وقطع منهم نحو عشرين هامة
وقال لها ياعاقلة أنت دبرى   فقالت أجى بالخصم حالا بسرعة
وفى أول الشهر الجديد تجمعوا   لقصد كتاب النيل فى وسط قبة
فقلت يا أمى خذينى لأنظرن   إلى الهيكل المعنى لهم بالعبادة
فقالت أنا أخشى عليك من العدا   فقلت لعل الله يقضى لى حاجتى
فانى قد أسلمت أمرى لخالق   اله عليم بالأمور الخفية
وسرت بعزم نحو أحسن قبة   أرى الخلق فيها لاتعد لكثرة
أراهم سجود للكتاب جميعهم   له عبدوا من دون رب البرية

خطوت إلى القبه لأنظر عندهم … وقد حرك الصندوق موقع خطوتى
ودار ثلاثا فوق قاعـــدة له … وبعد دنا نحوى ليبدى فضيحتى
فصاح الأعادى جاذبين سيوفهم … يريدون إتلافا لروحى ومهجتى
قالوا فها أنت الغريب غريمنا … فدافعت عن نفسى على قدر طاقتى
وقاتلت حتى صرت فى وسط الفلا … ومن بعدها كلت من الضرب قوتى
ووقعت فقادونى إلى حاكم لهم … فلما رآنى صار ينظر صورتى
وقال لهم فى الجب ألقوه عاجلا … فساروا وألقونى بجب الحفيرة
وناديت ربى خالق الأرض والسما … لتعجيل إنقاذى وتفريج كربتى
أنت عاقصه تشكو الذى قد أصابها … إلى المختطف من كان أصل سلامتى
وقالت أتى عبد السلام وقال لى … عليك بمن يحمى العذارى بنخوة
وقالت له أخت أنا لك يافتى … وأمى قدما أرضعتك بصبحتى
فقلت احملينى لا تخافى من العدا … فأختى أولى فائز بحمايتى
فجاءت قريب القصر ثم أحجمت … وقالت أنا مالى به من خسارة
فسرت أنا للقصر وحدى فأبصرت … عيونى عـذارى يرتجون حمايتى
وقالوا تعالى يا ملك سيف عندنا … لتنقذنا من كل بؤس وشـــدة
وقد اوقعونى بالرباط اليهم … وكانوا تمـام الأربعين بعـذره
وقد جاءنى العفريت يغلظ قوله … بخوف وتهـديد ليطلب قتلتى
فبادرته بالسوط اسـقط زنده … فمات وأخلى القصر صائب همتى
وأسلمت هاتيك البنات لأهلها … وعاقصـة كانت رسولى لوصلة
وناهد قالت ياملك لاتردنى … أريدك بعلى أنت سؤلى وبغيتى
فقلت لها عاقصـــة اوصلى بها … فدارت بها نبـكى وتنعى لفرقتى
وتدعو إلهى أن ترنى بأرضها … بجوع وعرى فى عنـــاء وشدة
ولما رجعنا صار يرقب عودنا … وعلمنا طرق الهـدى والسعادة
وقد مات هذا الشيخ وانفض أمره … وقد كان أوصانى بخير وصيه
فغسلته والصالحون أتوا له … وصلى عليه الجمع فرض الجنازة
وواسيته فى قبره حسب قوله … فأسـكنه الرحمن دار جنة
وسرت إلى نحو الأقاليم عنوة … وعاقصة رامت بذلك فرجتى
وفى أول الأقاليم سرت طالبا … قلنسوة الشيخ الحكيم بحيلة
وفى ثانى إقليم قتلت مليكه … وكان اسمه عبود ذا خان ذمتى

فأهلكته من بعد اخذ ختامه ... وعبد الصمد قد صار نائب ولايتى
وعاقصة تبــدى أمورا عجيبة ... أراها بعينى نزهة أى نزهة
أرى أربع الأنهار تمشى بسرعة ... بوجهين منها ظاهر وخفية
وقد أخبرتنى عاقصة عن أصولها ... وربى له فى ذاك اعظم حكمه
ومن بعدها عدنا لقمرون ثانيا ... وعاقصة كلت لتطويل غيبتى
وقابلت هاتيك الحكيمة وبنتها ... وعاقلة حنت وطامة اعودتى
تحايلت حتى ان اخذت كتابهم ... وساعدنى ربى بعزم الحكيمة
ارادت لتزويجى بطامة فقلت لا ... فليس يكن من قبل شامة عروستى
وقد اخذت طامة قلنسوتى التى ... بها تختفى عن اعين الخلق صورتى
اخذت كتاب النيل ثم تركتها ... على رهن ان ارجع لطامة حبيبتى
وسافرت وسط البر والبحر جرته ... على الهائشة من بعد هول وشدة
وشيخى جياد بعد موت شهدته ... كما كان مع عبد السلام وصيتى
اخذت حصانى ثم سافرت عامدا ... ارى الملك افراح وسعدون رفقتى
يثيرون حربا والجيوش تزاحمت ... على بعضها والأصل فى ذاك غيبتى
فصالحتهم لما راونى وبادروا ... إلى وقد سروا جميعا بعودتى
ولما راوا عندى كتابا تباشروا ... بنيل المنى جمعا وتأييد نصرتى
وهذا ما جرى من حين فارقت أرضهم ... ودرت إلى أن سهل الله عودتى
وأستغفر الله العظيم من الخطا ... إله تعالى راحما للخليقة
أو علمكم أن لسيف بن ذى يزن ... سأحكم حكما بارتفاعى ونصرتى
يكون دعا نوح النبى قد انقضى ... وكان رجائى فيه صدق الإجابة

(قال الراوى) ولما أن فرغ الملك سيف بن ذى يزن من شعره وما أبداه من نظمه ونثره تعجب الملك أفراح واضطرب من ذلك القول المباح وقالوا جميعا لافض الله فاك ولا كان من يشناك ياملك الزمان وياقاهر الإنس والجان ولكن أعد علينا ثانيا ما جرى لك فان هذا الحديث يجب علينا أن نجعله طراز فاعاد عليه ماقاله ثانيا من أوله إلى آخره حتى صار كل منهم كانه حاضره لأنه كشف لهم باطنه وظاهره كل هذا يجرى والحكيم سقرديون يسمع ويرى فضاقت به الأسباب وتفطرت مرارته وقلبه ذاب وقال فى نفسه راح من عندنا واسمه وحش الفلا فجاءنا واسمه الملك سيف وحقيقة هذا سيف قاطع لبلاد الحبشة فما كان له إلا أنه قام من الديوان وهو تاته الفكر حيران وقد جمع مافضل من عساكر الملك سيف ارعد الذى كان قد أتى بهم مقاطع البغال فلما اجتمعوا وحضروا بين يديه قال

لكم من الأمور وقولوا له يا ملك الزمان كل الذى جرى علينا من القتال وذهاب الأرواح أصله من فعل الملك أفراح وهو الذى أمر العبد سعدون الزنجى بقتل حاجبك مناطح البغال وهلاك ما معه من الفرسان والابطال وكنا اشرفنا على سعدون لولا حضور هذا الولد ابن الزنا فهو أتانا ثم انه اعطاهم كتابا إلى الملك سيف ارعد يقول فيه يا ملك حال وصول هذا الكتاب إليك ترسل لهم عسكرا يخرب ديارهم وننتقم منهم على فعالهم وبعد ذلك أعطاهم كتاب تاريخ النيل سراً من غير أن يعلم الملك أفراح ولا الملك سيف بذلك وقال لهم سلموا هذا الكتاب إلى أخى سقرديس وقولوا له احتفظ على هذا الكتاب جهدك فانه كتاب تاريخ النيل واحتفظوا عليه جدا حتى تسلموه إليه فأخذه العسكر وهم الذين كانوا صحبة مناطح البغال وكان الذى تبقى منهم ثلثمائة وعشرون فقط وأما بقية العساكر الذين أرسلهم الملك سيف أرعد مع مناطق البغال فانهم هلكوا جميعا على يد سعدون الزنجى وراح من عساكر الملك أفراح قدرهم وأزيد وأما هؤلاء فانهم أخذوا الكتاب من سقرديون وكتاب النيل وساروا إلى مدينة الدور وما داموا سائرين حتى وصلوا إلى مدينة الدور ودخلوا إلى الديوان وهم فى حالة مكروهة بلا ترحيب يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور ويقولون الأمان الامان ولما وقفوا قدام الملك سيف أرعد قبلوا الأرض بين يديه فقال لهم ما بالكم وما الذى تم عليكم وأين الحاجب الذى كان معكم فقالوا الحاجب قتل يا ملك الزمان ثم أنهم أخبروه بما جرى من أول سفرهم إلى عودتهم وقالوا يا ملك أن الملك أ[illegible]اح الذى خامر علينا والحكيم سقريون كان ينهاه عن المخامرة فلم يسمع ثم أنهم تقدموا إلى الحكيم سقرديس وناولوه كتاب سقرديون وكتاب النيل فلما رآه فرح وقدم قدام الملك سيف أرعد وقال له يا ملك الزمان هذا كتاب تاريخ النيل كان أصله فى مدينة قمرون عند الملك قمرون وأخى سقردون احتال عليه ولد من البيضان طالباً أن يتزوج بنت الملك أفراح فقال يا أخى لا يمكن إذا اتيت بكتاب تاريخ النيل فأتى به إلى أخى وجعله له حلوان ذلك الزواج وأخى سقرديون أرسله لك يا ملك هدية على يدى وأنا الرأى عندى يا ملك أن تحتفظ عليه لأنه ملكه أحد غيرك ينفصل النيل من الحبشة إلى بلاد الأمطار وهذا يا ملك من أكبر العار والذل والشنار فأخذ الملك الكتاب وأدخله فى خزائنه ثم يقع له كلام إذا وصلنا إليه نحكى عليه والعاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه (قال الراوى) وفى ذلك الوقت دخل حاجب الحجاب قدام الملك سيف أرعد وقبل الأرض وقال يا ملك الزمان إن على الباب رجلا يقول إنه مظلوم ويريد الوقوف بين يديك ليقص دعوته عليك فقال الملك هاتوه وحتى نسمع ما يقول فعاد إلى باب الديوان وقال يا رجل كلم الملك صحبة الحاجب فلما صار قدام الملك سيف أرعد حكى وترجم وبأفصح لسان تكلم ودعا للملك سيف أرعد بدوام البقاء والنعم وقال

يا ملك الزمان أخربت ديارنا ونهبت أموالنا وقتلت رجالنا وأولادنا وسبيت نساءنا وأطفالنا وضاقت بنا الأسباب فأنجدنا يا ملك وخلصنا من العذاب فقال الملك سيف أرعد يا شيخ من أنت يقال لك بين الرجال ومن أى العرب أنت أمن العرب أم السودان والأقيال ومن هم الذين ظلموك فى هذه الأطلال اكشف لى عن قضيتك وأخبرنا عن مظلمتك فقال يا ملك الزمان إن الملك ذى يزن لما استولى على ملك الأعراب وبنى مدينة حمراء الحبش وانت يا ملك أرسلت قرية جعلها محظية واتصل بها أياما حتى أدركه الحمام وعند وفاته أحضر الحجاب وأنا كنت حاجب حجابه فقال اعلموا أن قرية هذه حامل منى وأنا أوصيكم بعدى أن تحفظوها بعد موتى وتطيعوها مثل طاعتى وراعوا محلها حتى تضع فإن وضعت غلاما ذكرا فسموه سيفا ودعوه وتكون قرية ملكة عليكم إلى أن يكبر ولدها فيتولى مملكتى وهى تلزم قصرها ويكون هو ملكا وسلطانا على طول الزمان وإن وضعت أنثى فأيضا تكون قرية ملكة عليكم إلى أن تدخل فى ديوان الزواج وزوجوها لمن تريد والذى يتزوج ابنتى يحكم على تحت مملكتى وبعد ما أوصانا بذلك مات ونفذت فيه الآفات فتولت قرية على الملك من بعده ونحن يا ملك خدمناها وامتثلنا أمر ملكنا حتى أنها وضعت غلاما وسميناه سيفا ونزلت به بعد أسبوع وأرته لنا وقالت هذا ملككم وابن ملككم ففرحنا به وأخذته بعد ذلك وأطلعته إلى مكانها وبعد الأربعين ما رأيناه ولم نعلم إن كان قد مات أو على قيد الحياة وكلما يستهل شهر من الشهور نقول لها يا ملكة قرية أرينا ابن ملكنا فتقول لنا انا خائفة عليه من العين والنظرة لأن عيون الحاسدين أقوى من ضرب السيوف الماضية فصدقناها وصارت ترسل فى طلب عبيد وسودان وجيش وغلمان وعربان وتجعلهم لها جندا وأعوان ونحن يا ملك نزرع لها الزراعات ونجلب لها الأموال من القرى والبلدان وهى تنفق على عساكرها أكثر ما تنفق علينا وتقول لعسكرها أمسكوا البلاد أنتم وتأمرنا أن نسلم الحكم لنوابها ونحن بعد ما كنا حجابا جعلتنا رعايا وعساكرها الذى ربتهم جعلتهم حجابا وحكمتهم على جميع الأبواب فامتثلنا كل ما أوصانا ملكنا وطال الأمر علينا وانقطع ابن ملكنا وما بقينا نراه من حين كان عمره أربعين يوما وبعده صارت عساكرها تضرب عساكرنا وهى تقويهم علينا ونحن صابرون خوفا من إلقاء الفتنة وخراب المملكة ونحن أربعين حاجبا فالكل رحلوا واتخذوا لهم بلادا وأقاموا فيها وبعد ذلك انتدبنى الوزير وقال لى يا عمار أنا مقصدى أروح مدينتى أعمر فيها وأنا منتظر أخباركم إن ظهر ابن ملكنا وحكم البلاد مع انه ما هو محتاج وزير ولا مشير فان كان لاحدكم تعب فليأتى إلى مدينتى ويقيم بصحبتى وركب واخذ عساكره وراح بعدها أقمت أنا مدة إلى ذات يوم قلت لها يا ملكة قرية إن كان ابن ملكنا موجودا فلابد أنه ما بلغ مبالغ الرجال فهاتيه لنا يحكم علينا وإن كان قد مات اعلمينا فقالت لى انت ما لك شغل بينى وبين ولدى فان اردت ان تقيم وإلا فارحل فانا غنية عنك وعن خدمتك فأتيت يا ملك إليك بعدما قلت إن كان الملك

ذى يزن مات فالملك سيف ارعد موجود واتيت إليك يا ملك استجير بك ان تساعدنى انا ورفقى على تلك الخائنة قمرية إن كان ابنها ملكنا موجوداً نحضره ليحكم علينا وإن كان مات تعلمنا حتى نمضى إلى حالنا فلما سمع الملك سيف ارعد ذلك الكلام التفت إلى سقرديس الحكيم وقال له يا حكيم هذا قمرية اصلها جاريتى وانا ارسلتها إلى الملك ذى يزن على علمك وذى يزن مات فلأى شىء ما تريد لى خراج البلاد نحوا من عشرين عاما من حين بنيت هذه المدينة فيا هل ترى حملت نفسها مثلى على الملك فكأنى صرت لى قسيم فى ملك الحبشة والسودان وهى هذه الكلبة قمرية فقال له الحكيم يا ملك هى قمرية جاريتك وانت الذى غمرتها بالاحسان فى نظير ما اراحتك من ذى يزن لأن المدينة فى ارضك وبلادك من غير امرك ولو كنت حاربته كان حاربك فأرسلت له قمرية وكانت اصل هلاكه والآن ما بقى إلا ان تطلب منها خراج البلاد مدة إقامتها من حين حكمت إلى الآن فان اوردت الأموال فلا بأس وان خالفت فلنا حديث آخر كل ذلك والوزير بحر قفقان الريف قاعد يسمع ولا يتكلم فالتفت الملك سيف ارعد وقال له هل علمت يا وزير ما تجدد من هذا الأمر النكير وما فعلت قمرية من انها حكمت البلاد واطاعتها العساكر وبقيت مثلى لها وزراء وحجاب ونواب فقال الوزير يا ملك الزمان اتأذن لى ان ارد الجواب واعرفك الخطأ من الصواب قال الملك تكلم يا وزير فانت لى نعم المشير فقال يا ملك إن هذه قمرية طمعت فى الملك وكبرت نفسها عليك وانت إن ارسلت عساكر فربما انها تكسرهم لانها بقيت فى عدد وعديد وإن حصل ذلك انكسر ناموس المملكة ويقال إن ملك الحبشة والسودان ارسل عسكره إلى حرمة من بعض النسوان فسرته بالحرب والطعان فتنقص عند الملوك منزلتك واعلم يا ملك انك ارسلت مناطح البغال وهو كان سيف نقمتك ومعه الف مقاتل وقد سمعت انه افترس سعدون الزنجى لولا مخامرة الملك افراح والغلام الذى رباه هو الذى قتل مناطح البغال فقال الملك لا يا وزير الذى قتل مناطح البغال فهو سعدون وافراح اتحد مع سعدون على قتله واما الولد الذى رباه افراح فهذا يحكى عنه الحكيم سقرديس يقول إنه كان طالب أن يأخذ بنت الملك أفراح ليتزوج بها ومن حيث أنه من العرب فتعللوا عليه بأنه يجىء برأس سعدون فراح إلى أن وصل إلى قلعة الثريا واجتمع على سعدون اتفق معه كما يفعل أولاد الزنا فأخذ سعدون وجعله من حزبه واشكاله وقال إن أفراح طلب مهر بنته رأسك فركب سعدون مع الولد وسافر إلى مدينة الحديد وعتب على أفراح فاستحى الملك أفراح من سعدون الزنجى وقال المهر وصلنا ونريد الحلوان كتاب تاريخ النيل وسافر الغلام فأرسل إلى الحكيم سقرديون يطلب منى أن أطلب البنت لأنه متزاول لكونه راى الغلام له على خده شامة والبنت مثله واسمها شامة فأردت ان اتزوجها انا حتى لا يجتمع الشامتان وتنفذ دعوة نوح فى الحبش وارسلت انا مناطح البغال بعد ما ارسلت الرسول وعاد خائبا ومناطح البغال قتلوه فقال الوزير يا ملك إذا كان الذى قتل مناطح البغال

سعدون الزنجي والذي خامر على قتله الملك أفراح بقى الغلام إيش ذنبه حتى تسبب فى هلاكه وعطبه فقال الملك سيف أرعد هذه مجازرة من الحكماء خوفا من هذا الولد الأبيض أن يتعاطى حكم العرب وتنفذ على يده دعوة النبي نوح فلما سمع الوزير بحر قفقان قال يا ملك هذا محال ومن علم الغيب حتى تقول هذا المقال والمتقدمون عنا يقولون .

أرباب اللوم لقد أشرتم　　على بما أراه كالهباء

كنوز الأرض لم تصلوا إليها　　فمن أدراكم خبر السماء

وهذا يا ملك ما أحد يعلمه إلا رب زحل وهو رب كل شيء ونحن يا ملك الزمان لا نعلم إلى متى نعيش لكن يا ملك الممالك تحتاج الناموس وإلا يبقى صاحبها موكوس واعلم أن قمرية بقيت عاصية عليك ومانعة عنك الحمل والخراج وأما الملك أفراح فقد قتل حاجبك مناطح البغال وأن سعدون الذى قتل فهو منسوب إليه لأنه قتل فى بلده فالصواب أنك ترسل له الأمان والعفو والإحسان وتأمره بالركوب على قمرية ويكون معه سعدون الزنجي ووحش الفلا وكذلك ترسل لقمرية وتأمرها أن تستعد لحربهم فكل من هلك من الفرقتين استرحنا منه ومن شره تضعف على كل حال شوكة الباقين والذى يتبقى يبقى هلاكه قريبا لأن قمرية جاعلة نفسها أكثر منك رجالا وأغزر مناء مالا فقال الحكيم سقرديوس هذا هو الرأى الصواب والأمر الذى لا يعاب وصدق الوزير فيما نطق من فصل الخطاب فعند ذلك قام الملك سيف أرعد من مكانه وأحضر هدية عظيمة لها قدر وقيمة وكتب كتابا إلى الملك أفراح يقول فيه باسم زحل ونجن نوحد الله القديم الأزل أما بعد فالذى نعلم به الملك أفراح صاحب مدينة الحديد سابقا طلبنا منكم بنتكم شامة فاهان عليكم وأرسلت لكم مناطح البغال فقتلتموه ومن معه من الرجال فذلك منك ما كان صوابا لكن أنت عندنا ملك كبير ما أنت صغير ولا نتغير عليك لأنك عندنا غالى المقدار وقد صفحنا على ذنبك فلا نؤاخذك بفعلك والقصد منك أن تجمع عسكرك ورجالك ويكون معك سعدون الزنجي وولدك العزيز وحش الفلا وينزلوا على قمرية ليهلكوا جميع عسكرها وأجنادها ويملكون مدينتها وبلادها فاتونى بها مصفدة فى القيود والأغلال حتى أذيقها العذاب والنكال وها قد أرسلت إليك خاتم الأمان فاجتهد فى أمرك إن كنت لى طائعا ولكلامى سامعا ولدولتى تابعا ومن عندنا يسلم عليك الحكيم سقرديس وهو الذى أسس هذا التأسيس وختم الملك الكتاب واعطاه لحاجب من الحجاب وسلمه الهدايا وجميع ما ذكرناه وسار الحاجب من وقته وساعته حتى طلع من مدينة الدور والقصور يقطع البر والبيد حتى وصل إلى مدينة الحديد وارسل من طرفه رجلا يخبر الملك افراح بقدومه وامر عساكره بالنزول قرب المدينة فسار هذا الرجل حتى دخل المدينة ووقف قدام الملك افراح وقال له اعلم يا ملك الزمان انى اتيتك ببشارة استاهل عليك منها الإحسان فقال الملك افراح وما هى البشارة يافارس العربان فقال اعلم ياملك انت ومن حضر فى ذلك المكان أن الملك سيف

أرعد ملك الحبش والسودان قد رضى عنك بعد ما كان غضبان وها هو قد أرسل لك الهدايا والتحف وخاتم الأمان وسيقدم بذلك حاجبه البطل النبيل المسمى بصدغ الفيل وهو الآن بظاهر المدينة وقد أقبل وعساكره حوله فى جحفل فلما سمع الملك أفراح بذلك سر سرورا عظيما لأنه يعلم أن الملك سيف أرعد يغضب ويطلبه بالحرب والقتال من أجل قتل حاجبه مناطح البغال وهو قاعد يفكر فى ذلك الحال فأتاه ذلك الرجل وأعلمه بمجىء الحاجب صدغ الفيل فبقى بين المصدق والمكذب فقال له الملك سيف بن ذى يزن يا ملك أفراح إن كنت شاكا فى ذلك وتخاف أن تكون مكيدة فقم بنا نركب للقاء الحاجب صدغ الفيل أنا وأنت يتبعنا عساكرنا وجنودنا وأما المقدم سعدون الزنجى فنجعله يحفظ أوطاننا من عداتنا فربما يكون هذا تدبير على خراب ملكنا ونهب أموالنا وإن ظهر لنا منها آثار ضرر ونكد فأنا أقطع لك رأس هذا الحاجب بالصارم المهند وأهلك كل من معه من العساكر والعدد ولا يبقى منهم واحد وفى است أمهم وأم الملك سيف أرعد إن كانوا قادمين كما يزعمون بالأمان ادخلناهم معنا إلى الأوطان وقبلناهذا أيام ووالبناهم بالإحسان هذا وسقرديون يسمع الكلام ولا يقدر أن يعيد ولا يبدى لأنه كثر خوفه من سعدون الزنجى فقال الملك سيف بن ذى يزن أيش قلت فى هذا الرأى ياحكيم فقال الحكيم سقرديون ما كلامك إلا مستقيم فركب الملك أفراح وركبة الى جانبه الملك سيف بن ذى يزن وساروا إلى خارج المدينة فلقوا الحاجب مقبلا فقام إليهم وتلقاهم وقبل يد الملك أفراح وقبل يد الملك سيف وتأمل فيها وتعجب من حسن صورته وقوته وبراعته وشجاعته وهمته فأمر الملك أفراح بالركوب فقال ياملك انا معى كتاب فقال الملك سيف الكتاب والهدايا لا يكون تسليمها إلا فى الديوان بين الملوك والأعوان فقال له الحاجب صدقت يازين الفتيان وركب الجميع وساروا وهم فى أفراح وأمان حتى وصلوا الديوان فنزل الملك أفراح وجلس على سرير ملكه واجلس الملك سيف بن ذى يزن عن يمينه وجانبه المقدم سعدون واجلس الحاجب عن يساره وجانبه الحكيم سقرديون ثم أمر بنصب كراسى للقادمين فى جانب الديوان فوضعت وقعد كل فى مرتبته وراق الديوان ووقفت أرباب الخدم والغلمان وأمر الملك باحضار الطعام فأحضره الغلمان والخدام واكل الخاص والعام والنشأت أوانى الطعام وأمر الملك باحضار المدام الذى صفا وراق كأنه مدامع العشاق ودارت على الجميع الكاسات والطاسات وبعد ما انتهوا من اللذات قام الحاجب على الأقدام وقدم الهدايا التى بصحبته بين يدين الملك افراح واعطى له الكتاب ومنديل الأمان فأخذ الكتاب الملك أفراح وسلمه إلى الوزير فقرأه والملك يسمع والملك سيف بن ذى يزن وسعدون الزنجى يسمعان وعلموا أن الملك سيف أرعد يقول لهم انهم يركبون على المملكة قمرية ويأخذون منها مدينة حمراء الحبش فلما سمع الملك أفراح وسعدون والملك سيف ذلك الكلام فكل منهم فرح واتسع صدره وانشرح

والتفت الملك أفراح إلى سيف بن ذى يزن وقال له ياولدى أنا طائع الملك سيف ارعد ولا أخالف له مقالا فقم انت والمقدم سعدون فى هذه المدينة وأنا أركب برجالى وابطالى وأحارب هذه قرية اللعينة وأخرب أرضها والأطلال جزاء اعصيانها على الملك سيف أرعد الملك المفضال فنهض الملك سيف قائما على قدميه وقال ياملك من يقول ذلك المقال وكيف انا نقعد فى البلاد وأنت تركب للحروب ياملك خلى أنا والجلاد وأنا اضمن قرية وكل من يتبعها من الفرسان والأوغاد وقال سعدون الزنجى مثل ماقال سيف ولا عندوهم من هذا ولا خوف فقال الملك افراح إذا كان كذلك فاننا نقبل كل شيء نركب ونسير إلى مدينة الدور وندخل على الملك سيف ارعد ونسلم عليه ونأخذ منه الإذن ونمتثل لأمره والذى يأمرنا به نفعله بما يمدنا برجال من عنده وابطال يعاونى ناعلى الحرب والقتال ونسير إلى مدينة قرية ونحاصرها ونأخذ منها مدينة حمراء الحبش فان تلك المدينة نزهة الناظرين فقال الحاضرون هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب فأمر الملك أفراح حجابه ونوابه أن يتجهزوا للسفر ويأخذوا أهبتهم للرحيل وسرعة الجد والتحويل وركب الملك افراح وركب عساكره وأجناده وركب الملك سيف بن ذى يزن وركب سعدون الزنجى وساروا حتى خارج البلد واجتمعوا فى البر والقفار وساروا يقطعون تلك السهول والوعور حتى وصلوا إلى مدينة الدور عند ذلك أرسل الملك افراح واحد من قومه يعلم الملك سيف ارعد بقدومهم فلما وصل إلى الملك واعلمه بقدوم الملك افراح وسعدون الزنجى أمر حجابه أن يخرجوا إلى لقاهم من خارج المدينة فركبت الحجاب الكبار وظلموا إلى البرارى والقفار وتلقوهم من أبعد مكان وسلموا على الملك أفراح والملك سيف بن ذى يزن وسعدون الزنجى ومن معهم من الأبطال والفرسان ومشيت للفرسان والحجاب فى ركاب الملك افراح إلى أن وصلوا إلى الديوان ولما دخل الملك أفراح تزحزح له الملك سيف ارعد واجلسه بجانبه وبعده تقدم الملك سيف بن ذى يزن وخدم وسلم وجلس بجانب الملك افراح وكل من كان من دولة الملك افراح وقبلوا الأرض إلا سعدون الزنجى فإنه ما فعل شيئا من ذلك فإنه لما رأى الملك سيف خدم الملك سيف ارعد توقدت عيناه وبقيت كأنها الجمرة فى وسط راسه ولما جلس الملك سيف بن ذى يزن قام سعدون نظر الملك سيف ارعد إلى الملك سيف بن ذى يزن قعدو سعدون وقف ولا خدم وسلم فقال للملك افراح ومن هذا الأبيض ياملك افراح ومن هذا الاسود البطل الجحاج فقال له الملك افراح اعلم ياملك ان وحش الفلا انا ربيته وأسمه سيف بن ذى يزن سمته به امه وهو رضيع اللبن فقال الملك سيف ارعد انت تقول إن امه غزالة فقال يا ملك هو ذلك لكن له ام من الجان كان لها ولد ومات ولقيت هذا فى الخلا وقبل الغزال وارضعته من البانها وسمته سيفا وخافت منه لما راته جذب من ثديها اللبن وتركته وصار فى البرارى والدمن وجاءت الغزالة فأرضعته وأنا اخذته وربيته إلى الآن واما هذا الأسود فلا يخفاك أنه سعدون الزنجى فلما سمع الملك سيف ارعد ذلك صاح وقال سعدون

فقال سعدون وعلة ياملعون لأنك ما أنت إلا رجل مجنون لأى شيء تصفع الأرض قدامك الناس كأنك بقيت شديد الباس قوى المراس وتقولى ياسعدون إيش تطلب منى هل ترى أنت مرادك أن أفعل كما فعل أفراح وأمرغ وجهى كما فعل على الأرض والبطاح أو مرادك أن اتقدم عليك وأقبل يديك وكأنى تحت حكمك فقال الحكيم سقرديس يامقدم سعدون أنت عند الملك سيف ارعد مقامك عالى ومن الذى أمرك أن تصفع وتبوس يد أحد والتفت للملك وقال ياملك هذا كما تعلم به رجل جبار وله وقعات مذكورة وأيضاً أنت محتاج له حتى ترسل لقمرية كما وقع الاتفاق وفى هذا الوقت الكلام ليس له داع لأنك إذا أحببت أن تغيظه لايهون على سيف البيضان والملك أفراح وتثور الفتنة فالصواب أنك تحمل على بساط حلمك فقال له صدقت ثم التفت لسعدون وقال له يا مقدم سعدون نحن نتحمل كل ما قلته لنا بلسانك لأنك وطئت بساطنا من عصيانك فقال سعدون والله يا ملك أنا ما كنت أرحل بلدك ولا أبالى بك ولا بجندك ولكن أنا الذى أتحمل وقوفى بين يديك وأستاذى الذى ألزمنى أن انظر إليك فقال الملك من استاذك فقال له ملك العصر والزمن وصاحب الأراضى والدمن الملك سيف بن ذى يزن فقال هذا إسم ثالث وهو الذى أقدمك علينا حتى أطلعك حكمى فقال سعدون وإيش يكون حكمك أما والله انت ودولتك ليس لكم عندى مقام ولا إلكم بقر وأغنام ياملك سيف ارعد اتركنى والاقل لقومك تحاربنى حتى اريك كيف تكون الطاعة والعصيان فالتفت الملك سيف بن ذى يزن إلى سعدون وقال له اسكت يا سعدون والزم ياأخى الأدب واقصر كما فعلت أنا فانى وأنت بقينا مثل الأخوين فسكت سعدون حياء من الملك سيف ابن ذى يزن وأما الوزير بحر قفقان فقال للملك سيف ارعد ياملك انت اخذت بالك من سعدون فى الكلام وجعلته مثلك فى كل نقض وإبرام وانت ملك همام فلا تتعب قلبك فيه ولا يغيظك ياملك منه ولا تباديه فقال الملك صدقت ياوزير وامر باحضار الطعام فقدمته الغلمان والخدام فاكلت الملوك العظام وبعدها الوزير وأرباب الدولة الكرام وبعدها الغلمان والخدام فكان سعدون فى اول من اكل مع الملوك وكان قصده بذلك اغاظه الملك سيف ارعد وبعد اكل الطعام امر الملك باحضار المدام فدخلت به الغلمان الحبش الملاح وبأيديهم الاباريق والطاسات والأقداح وصبوها فى تلك الكاسات حتى تكرر وصفا ورق وصار أصفى من مدامع المشاق إذا تباكوا من الم الفراق ولما عملت الخمرة بينهم وطاب لهم الحديث والكلام التفت الملك سيف ارعد إلى الملك سيف بن ذى يزن وتحدث معه فاعجبته فصاحته وتأمل فى صورته فرآه قالب الجمال وهو كما قيل فيه :

سطا فى العاشقين برمح قد ... وجاوز فى التعاشق كل حد
غزال صاد قلبى اى صد ... له خال على صفحات خد

وينصفنى على رغم الأعادى له قد يقسد به فؤادى
والحاظ كاسياف تنادى على عاصى الهوى الله أكبر

(قال الراوى) فلما تأمل الملك سيف ارعد إليه التفت للحكيم سقرديس وقال له ياحكيم الزمان أنا أقول المحاسن والجمال الفتان لاتكون إلا فى البيضان وأما جميع الحبشة والسودان من بنات أو صبيان فما فيهم جمال فقال الحكيم يا ملك الزمان هذه محبة الحبشة والسودان أطلب من زحل أن يقصف عمرة ويكفينا شره لأنه ينتج منه الأتلاف على بلادنا ويهلك عساكرنا وأجنادنا فقال له سيف ارعد ياحكيم مارأينا منه شيئا من ذلك الذى تذكره ولكن هانحن أرسلناهم كما ذكرت فان هلكوا ارتحنا منهم وإن هلكوا قريه أرحونا من هذه القضية ثم التفت الملك سيف بن ذى يزن وقال له أتعلم أنت والملك أفراح والذى أرسلت إليكم من أجله هل لكم مقدرة على هذه الملكة وخلاص من هذه القضية وأنا أيضا أمدكم من عندى بعساكر على قدر ما تريدون وإنما أنتم تكونون ملوكا على الترتيب وأنا على ارسال العساكر حتى يبقى أولهم فى حمراء الحبش وآخرهم فى مدينة الدوو فقال الملك سيف بن ذى يزن ياملك وإيش قدر هذه الحرمة التى أنت حامل همها وتريد أن تقدم لنا على قدر ذلك عساكر من أجلها أما قول ان الملك أفراح عساكره تقوم بمقامها وأما أخى سعدون الزنجى وحده فكفء لها ولأمثالها ولا نريد ياملك الزمان إلا أن تكون فى أمان من غير الزمان وأى ملك تعاصى عليك أرسلنى إليه حتى أقوده بين يديك أسيرا واجعله على الثرى جندلا عقيرا فتعجب الملك سيف ارعد من كلامه وقوة قلبه وقال لابد أن تأخذوا معكم عشرة آلاف من الحبشة والسودان لأجل أن يعاونوكم على الحرب والطعان وفى الحال أمر بتجهيز عشرة آلاف فارس من السودان تجهز الجميع فى ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أمر الملك سيف ارعد بالرحيل وسرعة الجد والتحويل وعرضت عليه العساكر فكانوا خمسة عشر ألفا منها خمسة آلاف عساكر للملك أفراح وعشرة آلاف عساكر للملك للملك سيف ارعد فما كتملوا خمسة عشر وأما سعدون الزنجى وجماعته فانه قال للملك سيف بن ذى يزن يا سيدى إيش نفعنا بذلك العسكر فأنه يزاحم الطريق ولا يأتينا منه سعادة ولا توفيق فقال الملك سيف يا سعدون سر وأنت مثلنا لك ما لنا وعليك ما علينا ثم انهم ساروا وجدوا فى المسير وهم لابسون الحديد الزرد النضيد وفى أوائلهم الملك سيف بن ذى يزن كأنه محنة من المحن وعلى يمينه الملك افراح ملك مدينة الحديد وعلى يساره المقدم سعدون الزنجى وساروا على هذه الهمة والحمية طالبين أرض الملكة قرية والملك سيف بن ذى يزن يقول لا بد لى من هدم ابراجها واسوارها وأهلاك كبارها وصغارها وصار يهتف بذلك الافكار ولم يعلم بما قضاه الملك الجبار (قال الراوى) وأما ما كان من الملكة قريه فانها محتوية على المدينة كما ذكرنا بعد ما تجبرت على أكابر الدولة فشىء تركها

وسار إلى بلاد غير بلادنا وشيء اقام فى الجبال وشيء بقى عندها تحت الاذلال وانها طغت وبغت على جميع الرجال واجتمع عندها خلائق بعدد المطر حبشة وسودان وعربان فهى ملكة البلاد والحاكمة على جميع العساكر والاجناد فانفذ وأن الخبر وصل إليها على السنة السفار أن الملك سيف أرعد عليك غضبان وقد جهز لك عساكر وفرسان سودان وحبش وعربان وأمرهم أن يخربوا بلادك ويهلكوا عساكرك وأجنادك والسبب فى ذاك أنك قطعت عنه الخراج والعناد وكل الملوك خلافك يدفعون له مال البلاد فهذا السبب فى غضبه فقالت قمرية وأنا مالى به ولا بعسكره لأن هذه البلد بناها الملك ذى يزن وأمر العساكر أن تكون تحت حكمى وايش أدخل ملك الحبش حتى يطلب منى خراجا أو عنادا ونحن خيولنا شداد وسيوفنا جداد ورماحنا مداد وماله عندى إلا الحرب والجلاد ثم أنها حصنت الأسوار وأخذت الحذار من ذلك الجيش القادم عليها ورتبت لها ديدبان على الطرقات يأتيها بأخبار العساكر القادمات فبينما هى كذلك وإذا بالديادبة أقبلوا عليها وقالوا لها ياملكة قد ظهر علينا غبار فى واسع الأقطار يدل على قدوم عسكر جرار وبعدها أقبلت الجواسيس وقالوا ياملكة إنكشف الغبار عن عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس على الخيل العربية وهم فى همة قوية متقلدين بالسيوف الهنديه معتقلين بالرماح الخطية فقالت لهم أنا سمعت من السفار أن الجيش القادم علينا خمسة عشر ألف تقولون أنتم عشرة فقالوا ياملكة لم نعلم (ياسادة) وكان السبب فى ذلك أن الملك سيف بن ذى يزن عند الملك سيف أرعد وأعطى له الملك عشرة آلاف عنان وساروا فى أمان إلى أن قربوا من قمرية فقال الملك سيف بن ذى يزن للملك أفراح ياملك عد أنت إلى مدينة الحديد فما هذا شيء يحوج أن تكون معنا فعد أنت ياملك إلى مدينتك وأنا أنوب عنك فى فتح بلاد قمرية وأريحك من هذه القضية فعاد الملك أفراح إلى بلاده واقام عند اهله وأولاده ورجعت معه عساكره وجميع اجناده وسار الملك بن ذى يزن حتى وصل إلى مدينة حمراء الحبش آخر بلاد اليمن فرأى المدينة محصنة بالرجال ولها أسوار من الحجر عوال والتفت المقدم سعدون وقال له يا أخى ان هذه الملعونة ما خرجت للقتال ولا كأننا خطرنا لها على بال ثم أنه أمر العساكر بالنزول فى تلك الأرض والطول فنزلت الرجال الكرام وضربوا اقدام المدينة الخيام وركزوا الاعلام والمنازل الملك سيف واستقر به القرار كتب إلى قمرية كتابا يقول فيه أما بعد فيا ملكة قمرية إن الملك سيف أرعد عليك غضبان ولا أعلم بما فعلت فى العربان وتجارأت على البغى والعدوان فان اتيت إلى مطيعة فى غاية الخضوع والإذلال أحاسبك على خراج هذه البلاد والاطلال والا دهمك فى الحرب والقتال فإن اتيت كما قلت لك ودفعت الأموال حميت نفسك وبلادك والا فدونك وما تلاقى من الاهوال وسوء الأحوال وهذا ما عندى والسلام وأرسل الكتاب مع نجاب وقال له سلمه إلى الملكة قمرية وإتنى برد الجواب فسار النجاب حتى وقف على باب البلد وهو مقفل فتصايحت عليه الحرس وقالوا له من انت وما تريد فقال أنا نجاب من عند

الملك سيف بن ذي يزن ومعي كتاب للملكة قرية صاحبة هذه الاراضي والدمن فساروا واعلموا الملكة قرية فقالت علي به فعادوا اليه وفتحوا له الباب واخذوا النجاب وأوقفوه بين يديها فلما وقف خدم وقال ياملكة انا نجاب ومعي كتاب ثم انه ناولها الكتاب فأخذت الكتاب وقرأته وفهمت ما فيه واعطته للنجاب وقالت له عد إلى صاحبك معززا مكرما وقل له نحن ما نهدد بقتال ولا نخاف من كثرة الاهوال وما بيني وبينه إلا الحرب والصدام وضرب الحسام الصمصام وفلق الهام وهشيم العظام فعد واعلمه بذلك الكلام فعاد النجاب إلى الملك سيف وناوله الكتاب واعاد عليه ماسمع من الملكة قرية من رد الجواب وما قالت من الكلام فقال الملك سيف هذا النهار مضى وفى غداة غد إن اراد الله الرحمن سوف اعرفها قدرها فى الميدان إذا التحمت حلق البطان وبعدما استقر بالملك سيف المقام قدموا له الطعام فاكل وبعد الاكل قام لعبادة الملك العلام فى دياجى الظلام ومازال يتعبد على ملة الخليل إلى ان مضى ثلث الليل وإذا بالخادم دخل عليه وقال ياسيدى واقف على باب الصنوان رجل جليل القدر ويريد الحضور بين يديك فقال عد إليه وقل له تعالى فى النهار إن كنت مظلوما فأنت بجار فعاد الخادم وغاب ورجع ياسيدى هذا يقول انا الملكة قرية صاحبة تلك البلاد وقصدها الوقوف بين يديك فقال علي بها وظن الملك سيف انها طائعة فلما سار الخادم عاد ومعه قرية فلما اقبلت قبلت وقدمت وسلمت فرد عليها الملك سيف سلامها فقالت له ياملك سيف إني سمعت عنك انك فارس الفرسان وقرن من الاقران وانا مقصدى ان يكون حقن دماء الفرسان ويكون بيني وبينك المقارعة من دون كل انسان وما أتيت وحدى الا لعلمي انك منصف بغير ظلم ولا تعدى فأريدك ان تصارعني واصارعك وكل من قهر صاحبه يحكم فيه بما يطلبه إن أنت قهرتني فى الصراع سلمتك هذه المدينة والقلاع وان انا اسرتك تكون مطاوع وتبقى عندى من جملة الاتباع فقال الملك سيف وانا بذلك القول رضيت حتى لا اكون ظلمت ولا تعديت فقامت الملكة قريه وقلعت ما كان عليها من الثياب فبان عن جسم ابيض كانه الفضة النقية ولبست قميصا رفيعا اذا هفه الهواء يضيع وبان كل ما تحته من الصنيع وهو طويل كانه قضيب خيزران وطية بطن باعكان وسرة ملانة دهن بان وتحته شيء كانه ارنب مقطش الآذان خلقه الملك الديان كما قال فيه القائل هذه الابيات الحسان بعد الصلاة على سيد ولد عدنان :

سلامى على ما فى الثياب من القد	وما فى بساتين الخدود من الورد
سلامى على من تيمتنا بحسنها	مرجوجة الارداف بارزة النهد
كأن الثريا علقت فى جبينها	وفى صدرها باقى الكواكب كالعقد
يكاد لطيف الماء يخدش خدها	اذا اغتسلت بالماء من رقة الجلد
ويثقلها خصب الحرير ولينه	قد طيبت من عطفها أرج الندى

وتلطفت أن مرت بأعطافها الصبا ... فياليتنى من عطفها كالصبا النجدى
ولو تفلت فى البحر والبحر مالح ... لأصبح ماء البحر أحلى من الشهد
ولو واصلت شيخا يدب على العصا ... لأصبح هذا الشيخ مقتنص الأسد

(قال الراوى) وأن الملعونة قرية أرادت بتلك الفعال أنها توقع الملك سيف فى بحر الهوى والضلال لأنها بديعة فى الحسن والجمال والقد والاعتدال فلما رآها الملك سيف بن ذى يزن قلعت ثيابها وكشفت جسمها وقالت له دونك والصراع أيها البطل الشجاع فقال الملك سيف معاذ الله أن أصارعك وانت عريانة البدن ولا أرضى انا بتلك الفتن ولا تتصارع إلا بثيابنا حتى لا يبقى أحدمنا له حجة على صاحبه ويبدل روحه دون عسكره وحبائله فقالت له قرية إيش يا ملك هذا المقال ولا نتصارع إلا على تلك الحال لأن الصراع على ما تعلم نوع من انواع الحرب والقراع وإذا كان الإنسان لابس ثيابه فلا يأمن فى الصراع من مصابه وما زالت الملكة قرية مع الملك سيف بزخارف المقال حتى رضى بالصراع معها وهو خال من الثياب على ذلك الحال وقام وقلع ثيابه وما بقى إلا بالسروال فتأملت قرية إلى سيف بن ذى يزن وإذا فى رقبته عقد من الجوهر أضوا من الشمس والقمر ونوره يأخذ بالبصر وكان ذلك العقد وضعته قرية بجانبه عندما وضعته فى البر الاقفر وهو صغير كما ذكرنا فى أول السيرة فلما نظرته عرفت جيد المعرفة أنه ولدها فقالت فى نفسها إن هذا لعجب عجيب وحق زحل إن هذا أمر غريب ثم إنها صاحت عليه وقالت له يا ولد الزنا أنا رميتك فى البرارى والفلا وأنت ابن اربعين يوما وأنا ظنى انك قتلت واندثرت حتى ما أشعر إلا وأنت حى وعمرك عشرون عام وأتيتنى تريد الحرب والخصام وكان كلامها بلغة الاعجام وعادت بعد هذا إلى المكر والاحتيال وصاحت بملء فيها وقالت انت ولدى وقطعة من كبدى ثم هجمت عليه وقبلته بين عينيه فقال لها الملك سيف دعى عنك يا قرية هذا الكلام المحال واتركى الزور وزخارف الضلال فانا لا يدخل على محال فقالت لا تكن يا ولدى جحودا فأنا حقيقة أمك وأنت ولدى وأنا معى خلط جنون نارة أكون عاقلة وتارة يذهل منى عقلى وكنت مذهولة ورميتك فى البرية وهذا أصل تلك القضية وأما أنت فأبوك ذى يزن الحميرى وأنا أمك وعندى شهود يعرفونك وهم حجاب ووزراء أبيك فلما سمع ذى يزن ذلك الكلام انبهر وقال لها متى رميتينى ووضعتينى فسكتت لأنها زمته فى الخلاء من سبب الجنون وهذا العقد كان عقدى وزميته صحبتك فقال لها لا بد ان تحضرى لى الشهود الذين عندك حتى اسمع كلامهم فقالت سمعا وطاعة ثم قامت ولبست ثيابها واظهرت الفرح والسرور وخرجت وركبت جوادها وسارت إلى مدينتها وغابت ساعة واتت اليه ثانيا ومعها اربعة فرسان لهم هيبة ووقار وهم حجاب الملك ذى يزن السبب فى ذلك انها مضت إلى سرايتها وطلبتهم إلى حضرتها وقالت لهم اعلموا ان الملك سيف ابنى وهو ملككم وابن ملككم الملك ابن ذى يزن كانت اخذته من عندى جارية وهربت به ولا اعلم لها مستقر وها هو الآن قد ظهر وهو قائد هذه العساكر الذين قدموا علينا وانا عرفته وقلت له انا امك فلا

اقتنع بكلامى وطلب منى بينة على صدقى فى هذا الكلام وانا ما عندى بينة غيركم لانكم حجابه وهو ملككم فهل ترى إذا رأيتموه تعرفوه فقالوا لها كيف لا نعرفه اقل ما يكون معرفتنا له بالخال الذى هو على خده مدور كانه القرص العنبر واما صورته فهى مثل صورة ابيه لا تزيد ولا تنقص فقالت لهم انا كنت فرجتكم عليه وهو صغير فهل تعرفونه اليوم وهو كبير فقالوا نعم نعرفه جيد المعرفة وهذا امر ما فيه خفا قالت امضوا معى اليه واشهدوا الى انه ولدى وقطعة من كبدى حتى اسلم له ملك ابيه وكل ما تحتوى يدى عليه فاجابوها الى ما طلبت وساروا معها وقالوا لها يا ملكة لو كنت اعلمتينا عندما ذهبت بها الجارية كنا بحثنا عليه واتينا به اين كان فقالت لهم الذى مضى لا يعاد وانه ولدى وانتم تكونوا شهاد وسارت بهم الى الملك سيف بن ذى يزن فلما رآه الحجاب عرفوه بالنظر وحققوه فتقدموا اليه وقبلوا الأرض بين يديه وقربوا منه وقالوا له هذه الليلة لم يسمح لنا الدهر بمثلها إذ رأينا ملكنا عاد الينا يا ملك نحن جميعا حجاب ابيك وانت اسمك الملك سيف ابن ذى يزن ابن الملك التبعى اليمانى ابن الملك اسد البيداء ابن الملك سام اخى حام وجدك نوح عليه السلام وهذه المدينة يا ملك مدينتك وهذه الملكة قمرية والدتك قم وادخلها بعسكرك فما بالك فيه معارض فافعل فى بلدك كما تريد واحكم علينا حكم الموالى على العبيد فتعجب الملك سيف بن ذى يزن من ذلك الاتفاق الذى يجب ان يكتب ويسطر فى الأوراق والتفت الى امه وقال لها كيف هان عليك ان ترمينى فى ذلك الخلا والتلال وتفعلى معى هذه الأفعال حتى أن الله تعالى حنن على الغزالة وارضعتنى من ثديها وغذتنى وانا طفل جنين فقالت له يا ولدى انا ما رميتك إلا من الذى اصابنى فى عقلى والآن يا ولدى كان الذى كان فقال لها الملك افراح اخذنى وربانى فى مدينته بين اهله وعشيرته وتعلمت الشجاعة والقوة والبراعة ولو تعلمين ما جرى لى كنت ترعينى فى ربايتى وابقى عندك غاليا فانى قطعت يد سحاب المختطف لأجل شامة ورحلت إلى قلعة الثريا وصاحبت المقدم سعدون الزنجى الفارس المنسوب وبعده سرت فى طلب كتاب تاريخ النيل فسهله لى الملك الجليل واتيت به من مدينة قيمر من عند الملك قمرون وخاوتنى اختى عاقصة وصارت لأخصامى قانصة وهى بنت الملك الابيض وهى نعم الاخت والألاف وقتلت من اجلها سحاب المختطف وكفيت الناس شره ووالبت الشيخ عبد السلام والشيخ جياد نسل الكرام] وهو الذى كان اصل هدايتى لدين الإسلام وعرفنى بتوحيد الله الملك الفلاح وكان اسمى وحش الفلا فى سائر البلد والزمن فسمانى بالملك سيف بن ذى يزن مبيد اهل الكفر والمحن ثم إن الملك قص قصته وكل ما جرى له لامه الملكة قمرية من الاول إلى الآخر وقد تحقق وتيقن انها امه لامحالة واخذ فى تفكيره ان افراح ليس هو اباه والغزالة ما هى امه وقد وبخها كيف رمته من حين وضعته فقالت له اما قلت لك إن معى بعض الجنون وما هو ردك على الذى إذا اراد يقول

للشيء كن فيكون فقال الملك سيف صدقت وتدبر فى هذه الأمرو وتعجب وأنشد يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول :

لك الحمد يا ربى بأفضل واجب ... على كل ما أوليتنى من مواهب
وأشكر فضلا منك شكرا على الولا ... جميلا على طول المدى فى تعاقب
فكم لك يامولى الورى من مكارم ... لدى وإحسان جزيل المطالب
بفضلك قد صورتنى خير صورة ... وسخرت كل الخلق لى بمآربى
وربيتنى طفلا وأمى تبرأت ... وحقك منى فعل وغد الاجانب
وظن سخيف العقل أنى ابن زانية ... فتباله من ناقص العقل خائب
وقد عرضنى للوحوش برميها ... ولا ذنب لى طفلا ولست بعائب
فأرسل إلى الرحمن منه كلاءة ... وحفظا من الأعداء حفظ المراقب
وحنن لى الرحمن منــــه كلاءة ... لترضعنى من ثديها هو حالب
وصادفها أفراح يطلب صيدها ... فولت فرارا منه خفية طالب
وأبصرنى من بعد ما غاب شخصها ... طريحا وحيدا فى الثريا والسباسب
فجاء لأخذى وهو ينظر فعلها ... وقد تبعه مثل اشفاق راهب
وكان معى كيس وعقد منضد ... فنالهما منى بنهبة ناهب
وزاد به الأعجاب بى بين قومه ... وراح ينادى بالسكرن العجائب
وسخر لى ربى من الجن مرأة ... لترضعنى حتى بلوغ المآرب
وثالث عام أنزلتنى بحبها ... إلى الشهم أفراح ضياء الغياهب
وقالت أبا أفراح هــــذى وديعة ... وطفل تربيه سليل الأطايب
فقال الملك أفراح سمعاً وطاعة ... وكان إلى ما أشتهى خير راغب
وجاء عطمطم بعد قوة ساعدى ... فسلمنى أفراح قطعا لجانبى
إليه فلما أن أراد بى العذا ... هلاكى حمانى منهم بالقواضب
وعلمنى خرقا للأشجار بالظباء ... ولما رآنى بارعا فى التجارب
أبى صحبتى واغتاظ من فرطقونى ... وقال ارتحل عنى فما أنت صاحبى
فأنت عدوى كم تخالفنى إلى ... مرادك ياوحش الفلا غير زاهب
فقلت له لولا الوداد حفظته ... لكنت ترى منى هياج المحازب
وسلمت للرحمن أمرى مسافرا ... إلى أرض أفراح لنيل المطالب
فلاقيته فى غاية الضنك والشقا ... يدار عليــــه قالب بعد قالب
أتاه سحاب الجن يبغى تعديا ... لشامة يسبى عرضها غير خاطب

دخلت على شامة فقصت حديثها   فضاقت بما قد حدثتنى مذاهبى
صبرت إلى أن جاءنى العون مسرعا   وصاح هل كنت خير مجاوب
وكان معى للجن سوط مطلسم   له فى رقاب الجن صدق المضارب
فمد يدا لما رآنى مصمما   على قتله يغتالنى الكافر الغبى
فبادرته بالسوط أسقط كفه   وولى كأمس فى الولالات ذاهب
وجاء الملك أفراح والجند خلفه   يحيى مقامى بالسلام كغائب
وأدخلنى ديوانه فى كرامة   وأرغد عيش وهولى خير صاحب
وطلبت لديه أن أتزوج شامة   فلبى مجيبا لى بخير الكواكب
وقال إذا رمت الزواج فرحبا   ولكن تؤدى المهر أول واجب
وما القصد إلا رأس سعدون مهرها   بحصن الثريا فيه كل العجائب
فسرت إلى حصن الثريا لقصدهم   زواخيت سعدون كبعض الأوقات
وهن بعد أهوال وحرب وشدة   فواخيته من بعد تلك التجارب
وجئت به أفراح بالذل خاضعا   فنادى سقرديون هل هو طالب
وأما جياد فهو شيخى وسيدى   وعلمنى دينى وصدق المذاهب
وواريته تحت الثرى بعد موته   كأمس الذى ولى وليس بآيب
ومنه طلبت وشامة احتظى بها   وقد تجمع الأيام شمل الحبايب
فعارضنى ذاك الحكيم وقال لى   أرى مهرها رأس العدو المجانب
ومن بعد هذا المهر حلوان عاجلا   تجىء به ياذا العطا والمواهب
فقلت وما الحلوان آتى به لكم   فقالوا كتاب فيه كل الرغائب
كتاب يعود به التاريخ للنيل غائب   فقلت سآتيكم به غير كاذب
ويممت نحو القصد أسأل كل من   لقيت ومالى فى الورى من محارب
فقاسيت أهوالا وفوجئتهم به   بحمد إلهى فهو خير المكاسب
وأختى جاءتنى وتدعى بعاقصة   ومن نسل سادات كرام النجائب
من المختطف تشكو وقد رام أخذها   وقصت حديثا نابها شر نائب
وقد حملتنى ثم سارت لقصره   فأبصرت أبكاوا سمان الترائب
فناديتنى كى يستعين بهمتى   فكنت لهن القوت عند النوائب
ومن بعد قتل العون أرسلت جمعهم   إلى أهلهم فى شرقيا والمغارب
ولما أتانى العون أسقطت زنده   بضربه سوط صادق الضرب صائب
وسيرت هاتيك البنات لأهلها   على يد عاقصة إلى كل جانب

وناهد قالت ابغنى لك يا سيدى ... فقلت لها لست المراد لجانى
وســيرتها للصين منزل اهلها ... وقد انعشت نفسى وقلبى وقالى
وقد فرجتنى عاقصة فى مسيرها ... على كل شىء من كبار العجائب
ومن بعد هذا جئت اطلب شامة ... فلاقيت اهوالا طوال الذوائب
انت قطعت الحمل على سيف أرعد ... فأنقذنى نحوك بجمع المحارب
وملة إبراهيم دينى ومذهبى ... وربى قوى غالب كل غالب
ومن بعدهذا سيف ارعد ارادنى ... لأسقيك طعن المرهفات القواضب
وها قد عرفنا بفضلنا فى لقائنا ... انا ابنك إن الإبن خير الأقارب
فطيبى وقرى وافرحى يا اميمتى ... سأحمى حماك بالرماح الكواعب
واستغفر الله العظيم من الخطا ... إله جواد ذو عطا مشعاقب

(قال الراوى) فلما فرغ الملك سيف بن ذى يزن من ذلك الشعر والنظام تعجبت الملكة قمرية غاية العجب وقالت له والله يا ولدى من يوم ما فارقتك وانا لا ألتذ بطعام ولا شراب ولا اتهنى بمنام وأنا لو اعلم انك ما انت على قيد الحياة فى هذه المدة ما كنت صبرت عنك ولا ساعة واحدة وأنا ياولدى أظن انك على قيد الحياة ومن حيث أنك موجود ما بقيت أقدر أن أفارقك أبدا وإن كنت لا ترضى أن تسير معى فاقتلنى وأرح نفسك منى وانت إن قتلتنى مالى يد أمدها عليك فان شفقة الوالدة على الولد شىء عجيب فقال الملك سيف وكيف لما رميتينى فى الخلاء والبقاع وأنا كنت صغيرا فى زمن الرضاع فقالت له يا ولدى على صدق القول إنى من باب الأطماع اغرنى الشيطان على الملك يكون لى وحدى فوضعت فى رقبتك عقد جوهر وكيسا فيه ألف دينار وقلت الذى يأخذه يربيه بهذه الألف دينار والعقد الجوهر وخرجت ورميتك وجرى ما جرى وها انت حضرت والبلد والملك تعلق ابنك فدونك وبلدك وملكك وخدمك وانا عندى النظر فيك احسن من الدنيا وما فيها ثم ان قمرية انشدت تقول :

إن لى فى مهجتى سهما قريا ... قطع الأحشاء يفرك القلب فريا
ليت سهما فى الحشا مركزه ... صادف الاعدا فنالوا منه شيا
عيــل صبرك واشق حاسدك ... واكتوى قلبى بنار البعد كيا
ولدى اعطف قلبا فى أن ارى ... بعد ولدى لا ارى عطفا عليا
غرنى الشيطان إذ لم ادر ما ... كان فى الغيب من الأمر خفيا
باطراحى لك فى مقفرة ... طمعا فى الملك ان يفضى اليا
بعد هــذا عدت للقصر فما ... لذلى عيش وقد كان هنيا
ودكت فى مهجتى نار الجوى ... حين فارقتك يا هذا الكميا

وتعزيت فلم يغن العزا وجميل الصبر لى لم يتهيا
فهجرت الناس مع لذاتهم ورفضت النوم والعيش الرخيا
ثم لما أن تلاقينا وقد كنت ميتا ثم صرت اليوم حيا
مهجتى لم تتماسك فرحة بك حتى املأت نورا مضيا
لا يطيب اليوم لى أن اتخلى عنك يا من أنت منى وإليا
فاركب الآن لتحظى بالمنى وبملك كان فى طوع يديا
واحكم اليوم بما فيه صلاح واطع قولى يا باهى المحيا

(قال الراوى) فلما فرغت قمرية من ذلك الشعر وانتظام تحير الملك سيف من فصاحتها وقوة قلبها وتحقق أنها أمه لاشك وعلم أن ذلك كله يأمر الله صاحب الإرادة عالم الغيب و الشهادة وظن فى نفسه أنها فرحت به حقا وجعل كلا منها الذى قالته صدقا وأنها ندمت على ما فعلت وتحسرت على ما عملت وكان الملك سيف بن ذى يزن صافى القلب والنية فسلم أمره إلى الله رب البرية فقال لها وهل انت الآن ندمت على مافعلت وهان عليك وتخلعى نفسك من ملك أبى فقالت قمرية كيف لا أفعل وأنا لنظرى إليك خير من الدنيا وما فيها وأنا كنت هونت فى قتلك لما كنت طفلا جنينا وعمرك أربعون يوما وكنت أظن أن وزراء أبيك يتبارون على اخذ الملك منى وثانيا استوذ على الشيطان فقوى عزمى على مافعلت واما فى هذا الوقت فأنا اعلمتك وما بقى لى صبر عنك وإن اردت ان تقتلنى جزاء لما فعلت معك فأنت برىء من دمى لأنى انا جنيت جناية بليغة استحق فيها الهلاك وسوء الارتباك ثم إنها بكت وشهقت بكاء مكر وخدع فأسكتها الملك وقال لها يا امى اما انا فقد سامحتك فى كل ما فعلتيه وإن كان مرادك ملك ابى فدونك وإياه فأنا غنى عنه وعن غيره فقالت له يا ولدى إن كنت كما قلت صفحت عن جريمتى وما فعلت معك من جهالتى فلا يلزم لوم ولا إعتاب اترك ما مضى وسر إلى ملك ابيك ومدينته فأنت احق بالحق على دواليه ورعيته فقال لها وهو كذلك ولكن الليلة تفوت والذى قلت من اعمال غد فقومى وفى البلد فى بكرة النهار اجىء عندك بعد ما تعلمين عساكرك وجندك فركبت قمرية مع الأربع حجاب الذين كانوا صحبتها وسارت إلى محل مملكتها فأول ما صقعت فى جنح الليل من التواب قتلت الأربعة الحجاب الذين راحوا معها للملك سيف وعرفوه وبعد ما قتلتهم قالت فى نفسها كأن فعلى الذى فعلته فى اول الأفعال راح بطال وعاد هذا ابن الزنا سالما ويأخذ ملك ابيه منى فإن لم اهلكه والا ملك منى المدينة واعيش انا بقية عمرى حزينة وكانت قمرية فى هذه المدة استخدمت من عساكر العرب والسودان شيئا كثيرا لا يعد ولا يحصى واستمالت قلوب الناس حتى اجتمع عندها عساكر تملأ الفضا وتسد المستوى وسلمهم على عساكر الملك ذى يزن القدماء وصاروا يفترسونهم بالأذية لكونهم

عساكر قمرية وإذا شكو لقمرية من العسكر الجديد تقول لهم هؤلاء عساكرى وأنا عنهم لا أحيد فالذى يقعد منكم والذى لا يقعد يقصد البرارى والبيد فتركها الناس والتجأوا إلى الجبال وقاموا فى ارغد عيش ويكون لهم كلام واما الوزير يثرب فإنه لما رأى أفعالها وعلم مقصودها نهاها عن ذلك وقال ياملكة قمرية إيش ذنب عسكرك القديم حتى أنك تركتيه واستخدمت عسكراً جديداً فقالت له هى ملكنى وهذا العسكر عسكر الملك سيف أرعد بن ذى يزن وأنا على كل حال اسمى حرمة وخلق مثل ملك الحبشة الملك سيف أرعد وربما أراد أن يتحرك على أخذ بلدى منى فلابد أن استكثر العساكر احترازاً لمثل ذلك فقال لها صدقت ولكن الصواب أن تحفظى عسكرك الذين هم تحت يدك من قديم الزمان ولهم على المملكة عوائد وإحسان فقالت إنهم مقيمون فنزل من عندها بغير راحة وبعد ذلك بأيام شكى له العساكر فراح لها ثانياً ونهاها فلم تنته عما تريد حتى بقى عندها ما ينوف عن خمسين ألفاً من عرب وسودان ملكتهم من البلدان والديوان وتركت عساكر الملك ذى يزن المذمة والهوان فتركوها وطلعوا من عندها وكذلك الوزير يثرب فإنه لما رأى حالها وأنها استحوزت غيره وعلم أنه إن تكلم معها ما ينفع كلامه فرحل عنها وطلب مدينته التى بناها وأقام بها وأخذ معه جميع ماله ونوقه وجماله وعسكره ورجاله وأقام بفتح الباز روجات وينتظر ما يكون من الأمور المقضيات فظهر له أن ابن ملكهم الذى هو قاعد فى انتظاره فإن أمه رمته فى البرارى والقفار بين الوحوش والأطيار ولكن ينجيه منها الملك الجبار وخالق الليل والنهار وان هذا المولود يحنن الله تعالى عليه وهو طفل جنين ويرضعه خلاف الآدميين والله يكون له معين يبقى ملكاً وسلطان ويحكم على عساكر وفرسان وتطيعه حكماء وكهان ويبقى له جند وأعوان من الإنس ومن الجان وأن يفتح البلاد ويعمر الأرض بالأجناد ويجرى البحر بماء النيل العذاب من بلاد السودان إلى بلاد العرب ويعمر عليها مدائن وقرى وبلدان ويكون هو ودولته من أهل الإيمان هذا بإذن الملك الديان مدبر الملك والزمان والأفلاك والأكوان الذى كل يوم هو فى شأن فلما نظر الوزير إلى هذه الإشارات أنشد هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على صاحب المعجزات :

بدأت ببسم الله حى ومقتدر	إله كريم كشف الغم والضرر
قدير وبرى خلقاً ونوعا وصـــفة	وسوى من الطين العظيم أبا البشر
ومن بعده التى عليه نسيمه	فنام وأنشأ منه حوا بلا ضرر
وقد صاغها المولى من أقصر ضلعه	بأحسن وصف خالق الخلق والصور
وزوجها رب العباد لآدم	بمهـــر يؤديه ومعدوداً انحصر
يصلى على خير البرايا محمـــد	صلاة تماما مثل ماجاء فى الخبر
وبعدها عشر وعشر على النبى	فصلى عليه سبعة بعدها عشر

ففى نفس تمت وباقى ثلاثة ... فكملها ياصاحى حسبما ائتمر
فكان على هذا المقدم جارياً ... وكان المؤخر بعد ياصاح معتبر
فصارت لآدم زوجة وهو زوجها ... وأكلهما أثمار من سائر الشجر
سوى حنطة قد حذر من مذاقها ... وأكلهما منها ففى أكلها ضرر
فزين إبليس لحواء أكلها ... فقالت له كل لاتخف يا أبا البشر
فلما لها ذاقا تساقط عنهما ... لباس به صار مستثنى الفكر
ففارق كل جنة الخلد باكياً ... طريداً له دمع بخديهما انحدر
فقام سنينا داعى الله طالباً ... رضاه ومن خوف الإله قد انذعر
أجاب دعاه خالق الخلق رحمة ... وعته محاما كان منه وقد غفر
حواء وكانت فى أرض بعيدة ... وقد ردها المولى اليه بلا غير
وفى عرفات ملتقاه بها بدا ... وآثاره فيها إلى الآن تعتبر
وعند اجتماع جاء منهم سلالة ... نبى يسمى شيث بالحق قد بهر
ومنه النبيون الذين تقدموا ... وآخرهم خير الورى سيد البشر
هو الصادق الوعد الأمين محمد ... وأفضل خلق الله من فضله انتشر
واصل النبى من نور ربى قبضه ... فقال لها كونى ومنها النبى ظهر
وقد خلق الأكوان من أصل نوره ... وعرشاً وكرسياً وما كان يعتبر
وفى آخر الأزمان يبعث هادياً ... لكل الورى حتى إلى الجن والشجر
تربى يتيماً فى كفالة جده ... بمكة يهدى من تولى ومن كفر
يهاجر إلى يثرب ويسكن أرضها ... ويدفن بها حقاً يقيناً كما اشتهر
وإنى لهذى قد بنيت برسمه ... يقيم بها مع صحبه السادة الغرر
وهذا دليل جاء فى الزمل صادقاً ... ولاشك فى هذا وقد صح وانتشر
وان رسول الله يسكن مدينتى ... ويظهر دين الله حقاً كما ائتمر
له معجزات باهرات لمن طغى ... فأولها نطق الجماد كما البشر
على اشمل يمشى لايبين له أثر ... ولكنه يبدو على أيبس الحجر
وإن سار فى شمس وقته غمامة ... حرارتها وانشق من أجله القمر
وضب وذئب آمنا برسالته ... كذا جمل قد جاء يشكو من الضرر
كذا ظبية قالت له مستجيرة ... به من يهوى لها صاد ماعذر
فتضمنها حتى تعــود لنسلها ... وترضعه فوراً وتأتى على الأثر
فأطلقها من صائد فغدت له ... وعادت فلما أن رأى الصائد أنبهرا

وزاد به الاعجات حتى هدى به … إلى ديننا الإسلام فورا بلا كدر
واعجب من ذا كله أن أحمدا … شفيع الورى جميعا إذا هي تحتشر
وإن رمت عدا حاصرا معجزاته … عجزت ولو كان الأنام معي حصر
وإن بلدتي هذى أتاها مهاجرا … وكانت مكاتيبي بصندوق الحجر
فيعلمـــه المولى بها مع دلائل … فيأتي إلى الصندوق معه الذى حضر
لتقرأ مكاتيبي لعرفان ما بها … فتقرأ له كل الحروف على الأثر
وأعلمـــه أنى وهبت مدينتى … إليه ومن يتبعه من صحبه الغرر
وانى على دين النبى سيدى الورى … محمدنا من قد محا حزب من كفر
توسلت بالهـــادى النبى محمد … إلى الله ينجينى من السوء والضرر
وعن ذاتى يعفو ويمحو خطيئتى … ويمنحنى توبا نصوحا من فجر
وأسأل ربى أن يقوى عزائمى … على الدين والتقوى وأرغم من فجر
ويجعلنى فى مدة العمر مؤمنا … بمن عنه كل الأنبياء لنا أثر
وإن مت على الايمان تمت سعادتى … وبجدى وأفراحى يقينا بلاكدر
واحشر فى يوم القيامة صاحبا … لامة طه المصطفى أفضل البشر
وإن رمت آباء الحبيب محمد … فبادر لتنجو من عذابك فى مقر
فانهم الأمجاد أصل مـــكارم … فمن نال شيئا حقت له الفخر
وحواء لما أن بنى آدم بها … وكان له نور على وجه يهر
بدا النور فى حوا إلى أن أتت بمن … يسمى بشيث ثم ارفخشذ ظهر
وبادر قابيل لهابيل قاتـــلا … غرورا وغدرا قاتل الله من غدر
ونوح اتى من بعدهم خير مرسل … نبى تقى صاحب الهدى معتبر
مضى قومه عنه ولم يسمعوا له … واغراهم إبليس تعسا لمن كفر
دعا ربه نوح عليهم اجابه … واوحى له ان تصنع الفلك تنتصر
فجاءهم الطوفان اغرق جمعهم … ولم ينج إلا مؤمن ربه نصر
حقيقة ذا الطوفان يرعب وصفها … فماء من التنور وماء من المطر
واولاد نوح تابعوه ثلاثة … ورابعهم قد ماله البين والقدر
فسام وحام ثم يافث قسموا … لارض على ما الراى قد استقر
وافناهم المولى ونمروذ بعدهم … اتى نسل كنعان وبالملك قد فخر
فقد ملك الدنيا جميعا بأسرها … ويعبد اصناما يراها من الحجر
ونجى إله العرش منه خليله … واهلك نمروذ ومن معه دمر

تزوج إبراهيم حقا بسارة — بعقد نكاح لا سفاح وقد مهر
وصا مطيعا أمرها غير جائر — وعاشا ولم ترزق بأنثى ولا ذكر
فقالت له خذ هاجرا قد وهبتها — اليك عسى تأتى بنسل ويشتهر
فكان كما قالت فطرب لحملها — وجاءت بإسماعيل سيد من غبر
ولما رأته سارة زاد غيظها — وزاد بها الوسواس والكرب والفكر
وقالت له باعدهما عن مكاننا — وقد جد فى الرحال والسير والسفر
فسار خليل الله عنها كما بقت — وصيرهما فى وسط بيدا بلا شجر
إلى جنب بيت الله حط مفارقا — ولكن بحفظ الله لم يحصل الضرر
وأرسل لهم قوما يقيمون معهم — وانبع لهم ماء ذلالا من الحجر
وكان لاسماعيل من معجزاته — إذا دب فوق الأرض فالماء له انفجر
ولما أقام القوم صحبة هاجر — أباحت لهم شربا وذا عنهما اشتهر
فهاجر لم تابى وربت نبيهـــا — وفى وجهه نور النبوة قد ظهر
فصار أمير القوم والكل تابع — مطيع لاسماعيل بدو مع الحضر
وكان خليل الله حقا يزوره — مرارا لها تأويل يروى ويذكر
كان من الوحى المنامى أمره — بذبح فلم يأبى وما ناله كدر
إلى أن فداه الله منا ورأفه — وطاف ببيت الله إذا حج واعتمر
وقد عمر البيت الحرام كلاهما — وأعطى له الركن اليمان مع الحجر
وسارة قد جاءت باسحق بعده — وكانت مع الأيام قد مسها الكبر
فكان خليل الله أصلا للانبيا — وجاد باسحق عليه لما صبر
ولوط نجا والله دمر قومه — وبنيه نجا واعتبر فيمن اعتبر
ومن نسل إسماعيل أنشأ قبائلا — وعربان لا تحصى كما ينبت الشجر
ومن صلب إسماعيل حقا جدودنا — خلاصة حمير من على قومه فخر
ومنه أتى اسكندر الملك الذى — ملك سائر الدنيا من البر والبحر
وأبناء الاولى يا صلح من ذكر — على كافة الألسن من البدو والحضر
هو السيد الخضر الجليل الذى له — من الله فضل فى الروايات والسير
وكل مليك أرخ الناس حكمه — وقد جملت أيامهم بعدهم ذكر
وما زالت الأنباء تنمو وتنقضى — إلى أن أراد ذى يزن قد ظهر
سلالة بنى حمير وأبدال تبع — وكان زحل معبوده ليس ينتكر
إلى أن أراد الله وقد طاب قلبه — ومال إلى الايمان بالله وافتخر

وقد آمنت أبطاله وجيوشه ... وحج لبيت الله إذ طاف واعتمر
كسا الكعبة الغراء قزا وغيره ... كثيرا من الديباج ما يبهر البصر
وأصلح بالإيمان مولاى شأنه ... ودان بدين الله فى السر والجهر
وعمرت هاتيك المدينة بفضله ... وسميتها باسمى وسعدون بها حضر
ولابد أن يأتى النبى أشرف الورى ... محمد المختار أسنى بنى مضر
واكتب له أنى وهبته جميعها ... وجعل لهذا الكتب صندوق من حجر
واجعله فى الصور يخفى عن الورى ... وارصده للمصطفى سيد البشر
ومن بعدها سرنا جميعا بجيشنا ... نزلنا بواد عمه الماء والشجر
وقدامنا ذو يزن سلطان جيشنا ... وعسكره من خلفه تشبه المطر
مدينة حمراء الحبش قد بنى لها ... ومن حولها أنشا البساتين والزهر
وأنشا لها صورا وأبراج قد علت ... وحصنها حتى غدت تدهش النظر
ولم يعتنى ملك الحبش سيف ارعد ... وما عنده فى سيف أرعد من فكر
فلما بلغ ملك الحبش كل ما جرى ... تغيظ ولكنه على الغيظ قد صبر
وقد دبر الكهان فينا مكيدة ... وقد أرسلوا بنتا جميلة كالقمر
تسمى بقمرية ومعها ذخائر ... هدايا وللمقدور ساعدها القدر
تقبلها ذو اليزن منهم وودها ... وأدخلها دارا ومنها قضى الوطر
وقد حملت منه وبان احتمالها ... فسر بها لما رأى حملها ظهر
فأوصى له بالملك من بعد مرته ... إذا كان ما فى البطن يأتى لها ذكر
وإن كان أنثى كان ملكى لزوجتى ... إلى أن تشب البنت جمعا وتنتشر
ويأتى عليها نحو عشرين حجة ... يكون جميع الملك ياصاح منحصر
لبنتى فيه النصف والنصف لأمها ... كذا المال والأملاك من كل ما انحصر
ومن رام تزويجها بها فهو حاكم ... على كل ملكى والامارة والوزر
وإن كان ما يأتى غلاما فزوجتى ... وكيلته حتى يكون قد اشتهر
فيملك ملكى مع متاعى ونعمتى ... ويدعى بسيف ثم ينجوا من الضرر
سمعنا وقيدنا جميع ما قاله ... ومن بعد ذا ذو اليزن قدمات وانقبر
تولاه مولانا الكريم وهكذا ... جميع البرايا تنقضى ثم تندثر
ولا دائم إلا الذى خلق الدنا ... فسبحان ربى بارىء الخلق والصور
فيا أسفى ذو اليزن قد كان حاكما ... وخصما إذا جيش العدا لنا ظهر
فقد كان خصما يقهر الضد فى الوغى ... ومن هيبته كم جيش قد عاد وانكسر

عليه من الرحمن أزكى تحية ... وفى جنة يعطى المقاصير والحبر
وقمرية تجزى من الله بفعلها ... فما هى إلا مثل إبليس إذا لجر
لقد ظلمتنا ثم جارت بظلمها ... وقد حكمت فينا الجيوش ومن هجر
ولما رأيت الظلم منها تركتها ... فما أحد يرضى بكيد ولا ضرر
فجاءت بمولود يدين له الورى ... وطابت لها الدنيا وما عندها خبر
أقمت لدى قومى مليكا معظما ... ولكن فى قلبى من الفاجرة فكر
فصرت لتخت الرمل أضرب كى أرى ... مكايدها وما بباطنها استتر
فشاهدتها تلقى الغلام بقفرة ... تروم بذا اهلاكه خافى الخبر
ولكن لرب العرش فى ذاك حكمة ... فيوهبه عمرا طويلا على الأثر
وينشأ فى عز ويأتى بجيشه ... فتلقاه فى صنع من المكر معتبر
وتلقيه فى سبع مهالك كلها ... ينجيه منه خالق الخلق والقدر
وتهلك عما بعدها قمرية ... على يد أنثى لاتكون من البشر
ويحكم هذ الطفل شرقا ومغربا ... بحكم صحيح ثابت الحق منتظر
ويخدمه أهل العلوم لأنه ... يكون له حكم على الأرض يشتهر
ويحكم بالإيمان والصدق والهدى ... ودين خليل الله فى الأرض ينتشر
بدعوة نوح ينفذ الحكم انه ... يؤيده الرحمن بالنصر والظفر
ويجرى بذاك النيل فى أرض قفرة ... ويبنى بها مصرا والأوطان تحتمر
ويعقب أولاد ويحمى حماهم ... وسطواتهم تبقى على كل من كفر
ويفنوا ويخلفهم سواهم وهكذا ... فسبحان من يحيى الرميم إذا اندثر
واستغفر الله الذى جل شأنه ... إله تعالى خالق الخلق والبشر
من الكذب والعصيان والنطق بالخطا ... وما جاء فى بالى وذهنى وما خطر
سألت إلهى بالنبى أشرف الورى ... وطه ويس والحواميم والزمر
نبى حبــاه الله بالصدق والوفا ... وأصحابه أهل التقى السادة الغرر
يكفر أوزارى ويمحو خطيئتى ... ويغفر ذنبى إنه خير من غفر
ويغفر ذنب المسلمين جميعهم ... وينقذنا جميعا من السوء والضرر
بحق ختام الرسل طه نبينا ... وافضل خلق الله سيد من شكر
عليه صلاة الله ما طار طائر ... وماهبت الأرياح أوراق الشجر
كذاك على الآل الكرام وصحبه ... وتابعهم والتابعين على الأثر

(قال الراوى) ثم إن الوزير كتب تلك القصيدة على رقعة من الادم ووضعها فى صندوق من الحجر وجعله على باب المدينة وكتب فى لوح رخام فوق الصندوق إن هذا الصندوق فيه تاريخ بناء المدينة ولم يكن فيه خلافه ولعنة الله على كل من فتحه إلا صاحب الشامة والعلامة الشفيع فى الخلق يوم القيامة ﷺ وهو النبى العربى الذى يظهر فى آخر الزمان وينزل عليه القرآن يأتى بالدليل والبرهان ويدعوا الخلق إلى السلام والإيمان ومن كان على ملته فاز بالغفران ومن خالف ما جاء كتب من أهل النيران وقال الوزير فى آخر اللوح ملعون بلعنة الله من يفتح هذا المكان حتى يأتى صاحب البرهان فهذا ما جرى هنا (ياسادة) وأما ما كان من أمر الملك سيف ابن ذى يزن مبيد أهل الكفر والمحن وما جرى له مع الملكة قمرية فانها لما عادت من عند الملك سيف والاربع حجاب صحبتها ودخلت مدينتها أمرت عبدها ليلا فقتلوا الاربع حجاب الذين علموا بتلك القضية وعادت مسرعة إلى الملك سيف تحت أذيال الظلام فلما علم الملك سيف بقدومها سألها عن سرعة عودتها فقالت له ياولدى مالقيت لك صبر أن أقعد فى المدينة ولا فى قصرى لانى أردت أن أنام فما أشعر إلا وأبوك قادم على مناما وقال لى يا قمرية أعلمى أنى تولانى التراب وهذا ولدى الملك سيف وهو ولدك وحشاشة كبدك فسلميه القلعة والمدينة وجميع أموالى وكل ما أخذتيه بعدوتى من الأموال والذخائر فأعلميه به وسلميه إليه فقلت له يا ملك الزمان هذا غلام جاهل وأظن أنه ما عنده لياقة ولا يقوم بالمملكة فقال الملك ذى يزن يا قمرية هذا يملك البلاد شرقا وغربا وتخضع له الملوك بعدا وقربا وتطيعه جميع ملوك الاقطار عجما وعربا وينصر العربان على الحبش والسودان وتنفذ دعوة نبى الله نوح عليه السلام وأنا ياولدى اعتمد أن أعطيك كل ما خلفه أبوك فقم من وقتك وساعتك وادخل مملكتك وأنا ياولدى الزم حريمى مع جوارى الذين جعلهم لى أبوك مخصوصين لخدمتى وأيضا ياولدى اعلمك حتى اخلص ذمتى بأن تتسلم أموال الملك وذخائره فانا رفعتها بعد موته على جمال وبغال وخيل وسرت الى محل فى البر بعيد عن المدينة بمسافة ثلاثة أيام وكل الذى حمل الاموال مائتى جمل حاملة مائتى سحارة هذا كله من صنف الذهب وأما من صنف الجواهر والعقيق والزبرجد والزمرد الاخضر والاصفر وحجارة الماس فهو مائة صندوق على خمسين بغل وهذا من الذى خف حمله وغلا ثمنه ولما وصلت بذلك المال والذخائر إلى هذا الوادى المنقطع عن العمارة وكنت من شدة حذرى ما أخذت معى مساعدين خلاف أربعين رجل من الحبش دفنته فى الارض وبعد دفنه عدت بنيليه دندرج بالحجر وبعد ذلك أخذت كل من حضر ذلك الفعل ووضعت لهم الطعام وجعلت فيه سما خارقا فما اكلوا حتى هلكوا عن آخرهم وما بقى أحد يعرف طريق مال الملك ذى يزن غيرى فقط فقال لها الملك سيف والله لقد أخطأت بقتل انفس حرم الله قتلها فقالت قمرية أنا ياولدى ما قلت إلا على قدر عقلى بما أنى اعلم أن هذه المدينة بناها

أبوك وأنا صرت زوجته وحامل منه وأنا أعرف أنه لابد أن ملك الحبشة والسودان مايهتدى مع ملك العربان ففعلت تلك الفعال ودفنت المال وقلت فى سرى لربما أن ملك الحبشة يركب على ويأخذ المدينة منى فيبقى هذا المال أنا أعلم به وأنا أحق به من ملك الحبشة وإن ملكت فيه فرصة حاربته وأخذت مدينتى منه وإن لم أجد فرصة يكون مالى عندى أنفق منه كما أحب وأختار ولا يطالب منى الملك سيف أرعد ولا دينار ولكن من حيث انك ظهرت انك طيب فقمرية والاجناد والاموال والمدينة بقوا ملكك وفى اى وقت اردت اركب معى وانا ادلك على محل مال ابوك وابقى إذا علمت به اى وقت طلبت احضره لك والسلام فقال الملك سيف لابد لى ان اعرف مكان مال ابى حالا ولاابت إلا وانا مطمئن عليه فقالت له ياولدى انا احمد الله تعالى الذى ارانى وجهك وتأخذ مال ابوك وبلاده وانا على ماتريد وإن ردت اركب انا وانت من هذه الساعة ولاتدخل المدينة لا انت ولاانا حتى اوريك مادفنت من مال ابوك وذخائره فى القفر والمهاد وكان ذلك من خوفى من الاعادى والحساد فقال الملك سيف وانا على ذلك عولت لاجل بلوغ اربى ولا ادخل المدينة معك حتى ترينى ذخائر ابى فقالت سمعا وطاعه اركب معى ياولدى من هذه الساعة وانا الكسبانة فى تلك البضاعة فلبست الملكة قمرية عدتها واخذت معها ولدها الملك سيف بعد مالبس عدته وتقلد بصمصامته وقال لوالدته المكان بعيد فقالت ياولدى هذا مكان قريب فطلعوا ليلا الاثنين ولم يعلم بهم احد من العسكرين هذا وقمرية سائرة تحدث الملك سيف بزخاريف المقال وتذكر له سبب جوازها لابيه وداموا فى المسير مجدين والملك سيف يقول فى نفسه العادة ان الامهات يشفقون على اولادهم ولولا انها ملعونة مفتونة وسائرة به لاتلاف مهجته ولكن الله تعالى له فى ذلك حكمة وتدبير حتى ينفذ حكمه وإرادته ولما طال الطريق وامسى عليهم المساء قال الملك سيف ياأماه انا لوأعلم ببعد المكان الذى تذكريه إلا كنت احضرت معى زاد للاكل والشرب وها هو مضى النهار وما وصلنا وانى قد اضرنى الجوع وانت ما اعلمتينى فقالت له قمرية وإن كان طال عليك الطريق فانا ما فعلت إلا الصواب لانه لو كان محل قريب إلى هنا كانوا اطلعوا عليه اتباعنا واما هذا الوقت فلم يعلم احد غيرى انا وإن كنت محتاج إلى الطعام فها انا احضرت معى طعام على قدر كفايتى انا وانت ثم انها فتحت الخرج واخرجت منه طعام مثل العافية على الابدان ونزل الملك سيف فى جانب الطريق ونزلت قمرية واكلوا حتى اكتفوا وقالت له قم فاركب فركب وسار معها طول الليل إلى الصباح وساروا هكذا إلى المغرب وقدمت له الطعام واكلت معه ثم ان الملعونة كان قصدها ان تبنجه او تذبحه او تطعمه سم فلم تقدر على ذلك لاحترازه على نفسه وهكذا وهم يسيرون وينزلون وقمرية تشاغله وتصانعه بزخارف الاقوال

ولما تتعب تقول ياولدى أنا تعبت من المسير وأريد منك أن تحرسنى حتى أنام لى شيء يسير فيقول لها دونك وما تريدى هكذا ثلاثة أيام ولما كان رابع الأيام قال لها الملك سيف أنا متعجب من عقلك بأملكة كيف أبعدتنى مال أبى إلى هذا القدر فقالت يا ولدى لولا أنى فعلت ذلك لهجموا على ونهبوه منى وما كنت أقدر أخاصه وأنا حرمة ذات ضلع أعوج ولسان متلجلج وها أنت على كل حال لك همة أكثر من همتى وعزيمة أحسن منى فقال الملك سيف وأنا ما بقى لى صبر على المسير فى ذلك البر والهجير حتى استريح لنا ثلاثة أيام ولياليها لم أنام وكل ما نمتى أحرسك وأخاف أن أنام واتركك تحرسينى فيهجم عليك وحش أو أسد وأنا نائم فما ألحق أقوم إلا ويكون افترسك فقالت له لاتخاف إن أردت أن تنام فاقعد عند رأسك حتى تأخذنى هجعة فى النوم ولكن أعرج بنا تحت تلك الشجرة فأتو نحو شجرة كبيرة أزلية تظل الفارس والمية وهى عالية الفروع كأنها السرادق المحبوك بالأعمد والضلوع فنظر الملك سيف إلى تلك الشجرة وهى أكبر من جميع الشجر وليس لها زهر ولا ثمر صنعة من علا فاقتدر فتعجب الملك سيف من خلقة تلك الشجرة ومن صنع الله جل وعلا وهو يعلم يقينا إن الله على كل شيء قدير وتقدموا اليها فوجدوا تحتها عين ماء فشربوا منها ونزلوا عن خيولهم ونزعوا لجمها وتركوها ترعى وقعدوا يتظللون تحت هذه الشجرة وقعدت قمرية تحدث الملك سيف بالكذب والمحال وزخارف القول وتذكر له صفة المال المدفون وأنهم قربوا من المكان الذى هو فيه والملك سيف مضطجع على الرمال فقالت له ياولدى اما تأكل من هذا الزاد فقال لها انا قصدى فى الرقاد ولكن حتى اصيد الك غزالة واذبحها لك وتركك تشوى لحمها حتى انام وعند قيامى من النوم يكون استوى فقالت له ياولدى انا عندى لحم ومعمول فى دهنه ومستوى فان اردت ان تأكل فدونك وماتريد فقال لها ان اكلتى معى اكلت معك فقالت له انا ما لى نفس فى اكل وإنما بعد ماتأخذ راحتك فى النوم نأكل انا وانت سواء فعند ذلك اضطجع الملك سيف للمنام ولم يدر ماقضاه الملك العلام فوضعت راسه على فخذها إشارة إلى ان ذلك من محبتها له وصارت تحادثه وهو يسمع كلامها حتى ثقل عليه النوم باذن الحى القيوم وهى باهتة إلى وجهه حتى علمت انه غرق فى النوم فرفعت راسه من على حجرها ووضعتها على حجر قريب منها وتأملت فى الشامة الخضراء التى على خده فاخذتها الغيرة والحسد ورات وجهه كانه الهلال إذا كان فى تمامه فزاد قلبها بغضا وضلالا وقالت ياولد الزنا انا رميتك وانت عمرك اربعين يوما فاتيت وانت قد بلغت عشرين وما هذه إلا مصيبة يا ابن الزنا وتربية الخنا ثم قامت على حيلها واخذت لجام حصانها فى يدها اليسرى وجذبت السيف بيدها اليمنى

وجردته من غمده حتى دب الموت فى فرنده وتقدمت إلى ولدها وقد نزع الله الرحمة من قلبها وضربته بالسيف على راسه ومما وقع من الانفاق الذى يحير ارباب العقول ان الملك سيف لما وضعت قمرية راسه على الحجر تحرك براسه فنزلت عن الحجر فصادفت الضربة جبهته والحجر بالسوية فانشقت الجبهة فاستيقظ واراد القيام فعندذلك ضربته الملعونة ضربة ثانية فوقعت على اكتافه فقطعت إلى العظم وضربته ضربة ثالثة فصاح الملك سيف بصوت كأنه الرعد فضربته ضربة رابعة على صدره فوقع مغشيا عليه فضربته على ظهره فانكسر السيف وظنت انه مات لما راته مغشيا عليه والدماء تجرى منه كافواه القرب فسحت سيفها فراته مكسور فركبت على حصانها وطلبت البر وسارت تقطع البرارى والقفار حتى وصلت إلى مدينتها رابع نهار وقد فرحت بما فعلت وايقنت أنها بلغت المقصود وله كلام إذا وصلنا اليه نحكى وعليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه واما ما كان من امر الملك سيف فانه بقى مرميا فى دمه تمام ذلك النهار حتى اظلم الليل بالاعتكار وافاق من غشيته فوجد نفسه مخضب بالدماء ولم يقدر ان يتحرك والدنيا كلها ظلام فعلم انه ليل فرمق بطرفه إلى السماء وقال يالله اللهم إنى اسألك ياعظيم العظماء يامن بسط الأرض ورفع السماء اسألك يارب بامساك السماء ان تقع على الارض إلا بإذنك يا كريم واسألك بنبيك نوح وخليلك إبراهيم الذين اصطفيتهم على خلقك يا كريم ياحليم وبحق اسمائك الرحمن الرحيم اللهم انت خلقتنى وصورتنى ولا اعلم لنفسى ضرا ولا نفعا فانك انت نعم المولى ونعم النصير اللهم إن كان أجلى قد مضى وما بقى لى عودة إلى دار الدنيا اسألك ان تهون على كل امر عسير إنك على ماتشاء قدير اللهم سبب لى من يداوينى ويبرىء جراحى ويبدى صلاحى واجعل لنا يارب من كل ضيق فرجا ومن كل هم وبلاء مخرجا إنك قادر على كل شىء مخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى يا كريم ياحليم ياعظيم يامن بكل الاحوال عليم (قال الراوى) فلما اتم تضرعه وشكواه إذا بطارين قد اقبلا من البرارى والقفار ونزلا على تلك الشجرة وكل واحد على فرع منها ووجهه ناظر إلى وجه الآخر واول ما تكلما قالا كلمة الإخلاص المنجية من القصاص لا إله إلا الله وحده لاشريك له وإبراهيم نبيه وتقيه وخليله ﷺ وكانت هذه الكلمة منهم سوية وبعده قال احدهما للاخر ارايت يا اخى ما فعلت هذه الملعونة قمرية فى ولدها ضربته بالسلاح حتى اثخنته ونحن يا اخى حضرناها ورأينا هذا الحال فما يكون عندك يا اخى من الاعمال فقال الطير الثانى لاتعرض يا عبد السلام على ما حكم به الملك العلام واعلم ان هذه قمرية والدته لاكلام وانها تفعل به سبع مكايد تمام اول مكيدة منها رمته وهو طفل صغير فى البر والهجير ولطف به المولى وهو اللطيف الخبير وارسل

له الغزالة فأرضعته والجنية ربته وحنن عليه الملك افراح حتى احسن له ورباه ومن اعدائه واراه وجادل عنه خصماه فلا تعجب فى صنع الله وهذه المكيدة الثانية نزلت فيه بالسلاح وتركته فى هذه الاراضى والبطاح فقال له الطير الاول صدقت ياشيخ جياد وهذا فعل اهل الكفر والعناد ولكن الله تعالى له فى خلقه عناية فان هذه الملعونة اضمرت انها تعجل هلاكه وفناه وجاءت به إلى هذا المكان وشضبته بالحسام وهو نعسان مع ان هاهنا يكون دواه بقدرة من خلقه وسواه .

انتهى الجزء الثانى

من سيرة سيف ابن ذى يزن

ويليه الجزء الثالث

واوله قال الراوى

الجزء الثالث

من سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذى يزن

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وإن هذين الطائرين هما الشيخ عبد السلام والشيخ جياد الذين صادفوه قبل هذا الكلام مدة ماتوجه إلى مدينة قيمر وجاء بكتاب النيل وجرى له منهم ماجرى وماتوا واحدا بعد واحد وكان على يد الملك سيف وفاتهم وهو الذى جهزهم ودفنهم وهم أحياء الدارين وحضروا فى هذه الليلة ولما حضروا تحدثوا مع بعضهم كما ذكرنا قال الشيخ عبد السلام ياأخى وما هو دواه فقال له اعلم يا أخى أن ورق هذه الشجرة إذا أخذ الإنسان منه ومضغه بأسنانه فانه يصير مثل العجين فيضعه على الجراح فانه يقطب من وقته وساعته ولو كان مرض سنين وهذه قدرة الله تعالى رب العالمين ولكن جعل الله لكل شىء سببا وهذا يكون سبب توجهه إلى إخميم الطالب ويبلغ إلى منتهى المآرب ثم قال الشيخ عبد السلام يا أخى منى عليك السلام وتودعوا من بعضهم وسار كل منهم فى طريق كل هذا يجرى والملك سيف يسمع ويرى فقال فى نفسه إن هذا شىء عجيب ولكن أنا علمت أن ورق هذه الشجرة نافع لتقطيب الجراحات وأنا مالى اليه وصول وان مديت يدى له فلا تطول ويا ليت شعرى إذا كانوا هؤلاء أصحابى فى الدنيا ويعلمون أن ذلك الورق ينفعنى كان الواجب أن يجد فى قضاء حاجتى أحدهم ويجذب لى أوراق أتداوى بها ولكن الأمر بيد الله وصبر على حاله حتى طلع النهار فضربت عليه تلك الجراحات فرمق بطرفه إلى السماء وقال إلهى وسيدى ورجائى أسألك بحق إسمك العظيم الأعظم إن كنت تعلم أن ورق هذه الشجرة نافع لجراحى فشخص لى بقدرتك من يسقط لى منه ما أتداوى به انك على كل شىء قدير يانعم المولى ويانعم النصير فما أتم الملك سيف دعاءه حتى أرسل الله تعالى ريحا عظيما نزل على تلك الشجرة بقوة فزعزعها وتعتعها ورمى كثيراً من أوراقها حتى بقى حول الملك سيف منه شىء كثير فاخذ منه ومضغ ووضعه على جرح فخذه التأم بقدرة الله العزيز الديان والتحم كما كان وبقى كانه ما انجرح ولا حصل له ألم ولا ترح فصار يأخذ ويمضغ ويضع على الجراحات حتى برئت جميعا وبقى كانه ما أصيب بشىء أبدا وصار يجس محل الجراحات فلم ير لها آثارا مطلقا فسجد شكرا لله تعالى وقام على قدميه وهو فرحان وصار يتمشى فى تلك الوديان فنظر إلى جواده وهو واقف يرعى فى ذلك المكان وكانت قرية تركته خوفا من عساكره إذا رأوا الحصان يسألوها عن صاحبه فعند ذلك تقدم الملك سيف إلى جواده وأصلح شأنه وعدله وركبه وسار ولم يعلم أى طريق يسلك وذلك لأجل قضاء الله وقدره فسار إلى آخر النهار فرأى عين ماء وبجانبها شجرة نبق طارح مستوى فأكل منها حتى اكتفى

وأطعم الحصان حتى شبع من ذلك النبق وبات تحت هذه الشجرة إلى الصباح فركب وسار فى البر والقفار إلى آخر النهار فأقبل على غابة وفيها أشجار وأثمار فنزل فيها وأكل من أثمارها فوجد الارض مخصبة بالحشيش فترك جواده يرعى طول ليلته إلى الصباح وركب وسار وهكذا ليلا ونهارا وهو سائر فى تلك القفار يأكل من النبات ويشرب من الأنهار فضاقت حيلته وقلت راحته فرفع رأسه إلى السماء وتوسل بعظيم العظماء وأنشد يقول بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد طه النبى الرسول :

إلهى فنى صبرى وما لى توسل ... سواك أيا من يكشف الضر والبلا
اغثنى فانى لم أطق ما أصابنى ... من الضيق والتشتيت فى واسع الخلا
دعوتك فاسمع يا إلهى تضرعى ... فأنت عليم بالخليقة أكملا
ومن لى يعاوننى ويكشف كربتى ... إذا ضاقت الأسباب والصبر قللا
وها أنا يامولاى فى شدة العنا ... وأنت غنيت الخلق بالرزق كافلا
فيارفنا اهدنى ويارب نجنى ... فإنى ضعيف جئت بابك سائلا
وتهت ولم أعلم طريقا أجوزها ... فكن لى يارب دليلا بذى الفلا
دعوتك بالبيت العتيق وزمزم ... وبالمسجد الأقصى ومن فيه أنزلا
لتجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ... وتوهبنى نصرا عزيزا مفضلا
وتحفظنى من شر خلقك كلهم ... ومن شر شيطان ومن جاء عازلا

(قال الراوى) فلما فرغ الملك سيف من ذلك الشعر والنظام وكان ذلك فى اليوم الحادى والستين وهو سائر فى البرارى كانه مذهول أو مجنون نظر بين يديه فرأى جبلين على يمينه جبل أبيض وعن يساره جبل أحمر فسار حتى قاربهما فرأى بينهما راية مقامة إلى جهة الأحمر الذى على يساره ونظر إلى الجبل الذى على يمينه فرأى قصرا عاليا وهو من أعجب العجائب قام عن التراب وتعلق بأكناف الغمام والسحاب وبين الجبلين بحر عجاج حائل بين هذين الجبلين وهو عميق وله موج يذهل الناظر إليه فطلع إلى الجبل الأحمر وهو الذى على يساره لكون الجبل الثانى لا يمكنه الوصول إليه بسبب ذلك البحر الذى بينه وبينه فلما صار فى الجبل لقى حصنا من الحجر الرخام وفى وسطه عمود طوله عشرون ذراعا عليه أسماء وطلاسم ونظر إلى الجبل الثانى فرأى عليه قصرا عاليا فى وسط الجبل عمود مثل الذى فى الحصن والعمودان من بعضهما متقاربان وبالكتابة مرسومان فتعجب الملك سيف غاية العجب وسار فى الجبل الذى عليه الراية حتى وصل إلى الحصن فلما قاربه أقبل على باب الحصن ونادى يا أهل الحى ويا ساكنين ذلك الحصن عليكم السلام فسمع قائلا يقول اهلا وسهلا بمن انس هذه الديار واوحش ارضه والأقطار الملك سيف بن ذى يزن صاحب الممالك والدول وانفتح له الباب وخرج منه شخص طويل القامة مليح الطلعة وعلى وجهه آثار العبادة

فلما اقبل على الملك سيف ناداه بالسلام فرد عليه الملك سيف بالتحية والاكرام وقال له ياهذا من أعلمك باسمي وما اناراً يتك إلا في وقتنا هذا فقال له الشيخ ياسيدي انا محكوم وبقضاء حاجتك ملزوم ولى مدة إحدى وعشرين عاما في هذا المكان ومنتظر قدومك ياملك الزمان حتى اقضى لك حاجتك وابلغك امنيتك ولكن حتى اصافى لك ودادى وتأكل معى من زادى فادخل معى إلى هذا المكان حتى تستريح من الم السفر وكرب الدوران فسار معه الملك سيف حتى بقي داخل الحصن فوجده بدعة لأنه حجر املس ناعم كانه الحرير وبين الحجر والحجر إذا اراد احدان يسمر الإبرة بينهما لا يمكن فوتها وابراج وازقات معقودة صناعة حكماء الزمان فتعجب الملك سيف من ذلك الحصن ومن بنائه فدخلوا إلى مجلس لطيف مفروش بجلد السمور وفي صدره سرير من البلور وفرش من العهن والقطن الأبيض المنسوج فطلع الملك سيف ويده في يد صاحب المكان لما جلسوا صفق ذلك الشيخ بيده على يد وإذا بكراسى وضعت والأوانى أصطفت ولم ير الملك سيف احد ينقلها فعلم ان هذا الرجل من اهل الكهانة فالتفت له ذلك الشيخ وقال تفضل ياسيدى جابرنى فى اكل الزاد حتى تتصل المحبة بيننا والوداد وتأكل ما تسد به رمق الفؤاد فقال له الملك سيف ياهذا انا لااقدر ان آكل طعاما مجهولا فان كان قصدك ان آكل معك الزاد ويتصافى بيننا الحب والوداد فانا اولا اسألك عن الذين وضعوا لك هذا الطعام وثانيا اسالك عن سبب إقامتك فى انتظارى مدة سنين واعوام فقال له الشيخ نعم والله إحدى وعشرون عاما وكان قبلي حكيم مقيم يرصدك مدة اعوام وتولى عليه الموت وشرب كاس الحمام وانا التزمت بهذا المقام لأن لنا ملوك تامر علينا وتنهى وحكام والزمونى ان اتولى هذه الأحكام فقال له الملك سيف ولأى شيء ترصدنى ألك عندى ديون تستوفيها ام ثارات تقاصصنى عليها فقال الشيخ ياملك الزمان ان الملك حام بن نبى الله نوح عليه السلام كان يملك ذخائر مدة حياته واوصى لك بها من بعد مماته وذلك مما بان له فى الرمل وقد وضع الذخائر فى ذلك المكان وجعلنا فى غليها وكيلا وانا ورثت التوكيل من بعد ابى برسوم الاقلام وقعدت انا هذه المدة إلى ان آن الأوان واتيت إلى ذلك المكان فقال الملك سيف هذا القول الذى تقوله تتحير فيه الأفهام كيف تقول ان حام وكل أبوك وانت ورثت التوكيل فهل ترى ابوك نظر حام فقال لا ياسيدى أنا عن أبى وأبى عن جدى وهكذا جيلا بعد جيل واما أنا فما خدمت إلا قليل فقال الملك سيف وانت ما اسمك بين الحكماء الأطايب فقال ياملك اسمى اخميم الطالب واكون اناوانت أحباب ونسايب فقال الملك السيف وإيش تكون هذه الذخائر التى تذكرها فقال له ياسيدى وانا والله مارأيتها ولالى مقدرة أمسكها فان كل شيء له صاحب وانت صاحبها ولا احد يقدر غيرك ان يعتدى عليها ولا ياخذها وبعدان تمضى الليلة هذه ويأتينا الصباح يكون

الذى يفعله الملك الفتاح وباتوا تلك الليلة وهم فى عبادة وتضرع للملك الجواد حتى مضى الليل باجنحة السواد وأقبل النهار بضيائه فقال الحكيم إخميم قم ياملك سيف فان الملك حام جاعل لك فى هذا المكان اعلام فسر معى حتى ينقطع الشك باليقين ونطلب الإعانة من رب العالمين فسار معه الملك سيف حتى وصلوا إلى برج العمود الذى فى الحصن وقال له انظر إلى ذلك العمود فان أول أمارة فيك أنك تطلع إلى آخر ذلك العمود فقال الملك سيف ياحكيم أنا لم يصعب على الصعود لأنى أرى درجات خارجة منه وحلقات لو أردت أن أضع يدى على الدرجة واطلع إلى الثانية وأمسك فى هذه الحلقات لفعلت فقال له الحكيم صدقت وإن غيرك لم ير ذلك لأن الأرصاد لا تكشف هذه إلا لك من دون غيرك فاصعد كما قلت والله تعالى يأخذ بيدك فعند ذلك صعد الملك سيف حتى بقى فوق ذلك العمود فقال له الحكيم إخميم إيش رأيت فوق العمود فقال له رأيت بطرفى الحجر قدمين بجانب بعضهما مثل مايؤثر فى الرمل اقدام بنى آدم فقال له ضع أقدامك فيهم وقف وانظر إلى الجبل الذى قبالك فى البر الثانى فوقف وقال ياحكيم إننى أرى قدامى عمودا مثل ذلك العمود المنقوش عليه قدمان مثل هذين القدمين فنط الحكيم فى جنب الملك سيف ونظر إلى قدميه وتبسم وقال له انت صاحب العلامات وأنت الملك سيف بن ذى يزن بن تبع اليمانى ابن الملك أسد البيدا بن الملك سام اخو الملك حام وجدك نوح عليه السلام وهذه النسبة لم تكن لأحد سواك وأنت صاحب هذه الذخائر الموضوعة فى هذا المكان فهناك الله بما أعطاك فقال الملك سيف ياحكيم وإيش الحكمة فى ذلك فقال له انزل الليلة وعند الصباح ترى مايكون إن شاء الله الكريم الفتاح وعاد إلى مكان إخميم وزاد للملك سيف فى الاكرام والتعظيم وباتوا ليلتهم ولما كان آخر الليل قال الحكيم قم ياملك سيف واصعد إلى العمود فاذا طلعت الشمس فاصعد أنت فوق العمود وضع رجليك فى وسط القدمين كما فعلت فى اليوم الماضى ثم قوى همتك ونط على العمود بكليتك حتى تصل إلى العمود الثانى فتنزل بأقدامك فى قدمين مثل هذين القدمين فضع أقدامك فيها فقال الملك سيف ياحكيم إخميم ومن الذى يقدر على المسافة أن يتعداها وهى مقدار ثلثمائة خطوة فلا شك أن كلامك هذا غير نصيحة ولاشك اننى أقع فى البحر واغرق فيه فقال الحكيم لاياسيدى وإنما يلزمك الاجتهاد لأنك تساعدك الارصاد حتى تبلغ المراد ولكن إياك أن تتوانى على نفسك فقال الملك سيف الأمر بيد الله تعالى وأنا اعلم من نفسى إذا وضعتنى فى منجنيق وحذفتنى إلى جهة ذلك العمود من غير تعويق فما أصل إلى ذلك العمود حقيق بل اقع فى ذلك البحر وأموت غريق واعدم السعادة والتوفيق فانا لا أفعل ذلك أبدا ولا أقدم على الهلاك والردى وإن كان صاحب هذه الذخائر يعطيها لى حتى يغرقنى فى هذا البحر واموت غريق فما لى فى هذه الذخائر حاجة فلا تكثر على اللجاجة

فلما علم اخميم الطالب أن الملك سيف آيس من تلك الذخائر فان شرب كاس الحمام رق له في الكلام لأنه ضجر من طول المقام وقال له لا تخف ولا تحزن أيها الملك الهمام ولا ينالك من ذلك مشقة ولا آلام فان الأرصاد هم الذين يرفعوك وإلى رأس العمود الثاني يوصلوك ولا ينالك من تعب ولا نصب وحق من في علم غيبه قد احتجب فقال الملك سيف أسلمت أمري لله الذي أنشأ الشتاء والصيف وطلع الملك سيف حتى بقي فوق العمود فنوسوس قلبه وقال أنا أعلم أن هذا من الجن وأنا من الانس وإيش الذي يلجيء الجني حتى يدلني على ذخائر وما هذا إلا أن العمود من الرصاص أو فيه سم وإذا طلعت الشمس يذوب الرصاص أو يسيح السم فأهلك ثم إنه نزل فقال له اخميم لأي شيء نزلت يا ملك فقال له يا أخي أنا غريب ومالي في هذه الأرض لا صاحب ولا قريب وقد خطر لي خاطر وأريد أن أسألك عنه فقال اخميم أنت إيش تعتقد من الأديان هل أنت على الكفر أم على الإيمان فقال له اعلم أني عبد الملك الديان خالق الانس والجان وأنا على ملة إبراهيم عليه السلام فقال له اخميم اترك ما خطر ببالك من الكلام وتوكل على الملك العلام فانا نصحتك والسلام فارتاح قلب الملك سيف وزال عنه الوجل والخوف وطلع صاعدا الى العمود وتوكل على الملك المعبود ولما وضع رجليه في الاقدام التي في وسط العمود قوي عزمه ونط كما أمره إخميم الطالب فما وجد نفسه إلا واقف على العمود الثاني ورجليه محكمة القدمين الذين مثل الأولين وقدامه متقاسين عليهما بالسوية فلما رأى نفسه الملك سيف بتلك القضية خر ساجداً شاكراً لرب البرية والتفت عن يمينه فوجد اخميم الطالب واقف بجنبه كانه قرينه فقال له إيش رأيت يا اخميم قال يا ولدي أنت الذي دلت عليك أرباب العلوم والأقلام وأنت صاحب الودائع والنعم وأما أنا يا ولدي نخدم لكل من حكم فانزل يا ولدي رفقك الله لما تريد فأنت والله موفق وسعيد فنزل الملك سيف من على العمود فقال له اخميم امش إلى هذا القصر الذي قدامك واطرق بابه فاذا سمعت القائل يقول من بالباب تقول لهم أنا سيف بن الملك ذي يزن تبع اليماني ابن الملك أسعد البيدا بن الملك سام أخو الملك حام وجدي نوح عليه السلام فاذا سمعوا منك ذلك النسب يفتحون لك الباب فادخل ولا تخف من شيء وأنت تكرر في بسم الله الرحمن الرحيم وتقرأ شيئاً من صحف الخليل إبراهيم وادخل الى وسط القصر والتفت عن يمينك فانك تجد سريرا من الحديد الصيني المصقي الذي لا يصدأ ولا يذوب لانه مرسوم بالحكمة فاذا رأيته اقصد اليه فاذا بقيت قدامه ارفع الستائر التي على السرير فانك تجد آدميا ميتا ونائما على ظهره ووجهه مقابل سقف المكان وعلى وجهه سبع الثامات فاترك وجهه ولا تقربه وتأمل إلى يديه اليمين موضوعة على صدره ويده اليسرى ممدودة الى جانبه وهو طويل على طول السرير فتقف على يمينه وقل له

يامالك أنت الذى تجاوزت عن ذخيرتك بعد انتقالك من دار الفناء إلى دار البقاء وقد استخارك مولاك وتركت الدنيا فإن كانت نفسك سمحت بما وعدتنى فأعطينى الذخيرة فانه إذا سمع منك ذلك الكلام بيقين رفع ذراعه اليمين فاذا فعل ذلك فانتقل إلى الجانب الآخر وقل له يامالك انت كنت فى دار الدنيا سمحت لى بالذخيرة وأنت فى دار الباطل فانجز وعدك وأنت فى دار الحق ولا تبخل بها فانى أستعين بها على الجهاد فى رضا رب العباد وأنت تحظى من الله بالأجر والثواب فى يوم الدكة والحساب يوم العرض على الله والتعدية على الصراط المستقيم يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الى بقلب سليم فانه يرفع يده الثانية بذراعه اليسار فاذا بقى ذراعاه مرفوعين انظر إلى صدره تجد لوحاً من الذهب الأحمر وله سلسلة من الفضة فى عنق ذلك الملك فاخرج السلسلة وفك كلابها وخلصها من تحت رقبته وارفع اللوح من على صدره وقل له جزاك الله الجنة واخرج من قدامه سريعاً ولاتفعل شيئاً خلاف ماقلت لك ثم تقدم عندى حتى أعلمك ماتفعل بذلك اللوح فلما سمع الملك سيف هذا الكلام قال له ياعمى ومن هو هذا الميت فقال له هذا سام بن نوح عليه السلام فسار الملك سيف حتى وصل إلى باب القصر وطرق الباب ثلاث مرات وإذا به يسمع القائل يقول من الطارق فقال أنا سيف بن الملك ذى يزن بن الملك التبعى اليمانى ابن الملك أسد البيداء ابن الملك سام أخو الملك حام وجدى نوح عليه السلام فقال له الخادم أنت ظهرت يامالك اليمن فقال نعم فقال أهلا وسهلا ادخل ياسيدى وأرحنا من هذه المحن وفتح الباب فدخل سيف حتى وصل إلى السرير وفعل كما علمه اخميم حتى ارتفعت يد الميت وأخذ اللوح وعاد راجعاً فالتقاه اخميم الطالب وقال له ما الذى فعلت فقال له فعلت كما أمرتنى وهاهو اللوح أخذته كما علمتنى فقال أخميم أرنى اللوح حتى أنظره فقال الملك سيف لأى شىء تأخذه ربما تكون صامراً لى على الغدر فقال أخميم ولاحق الإله العظيم الذى هو بكل شىء عليم فإنى لم أقدر لك على غدر ولاتحسب مثلى أن يكون غداراً فناوله الملك سيف اللوح فأخذه من يده فما أخذه حتى وقع أخميم مغشياً عليه ومابقى فيه حاجة تخفق ولا لسان ينطق فاندهش الملك سيف وتحير وخاف أن اللوح ياخذوه الخدام ثانياً من يده فأخذه فأفاق أخميم الطالب وقال لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله فقال له الملك سيف لأى شىء جرى عليك ذلك فقال ياولدى هذه الأسماء التى هى مكتوبة على ذلك اللوح لم يطقها أحد من الجان وأنا لولا أخذته من يدى لكانت الأسماء أشعلت النار فى جسدى وأنا كنت هالكا لامحالة ولكن ضع اللوح هنا قدامى وعود ثانى مرة إلى القصر فإن الملك سام منتظر عودتك تجد يده اليمنى ارتخت على صدره واليسرى مرفوعة لم يضعها مكانها فارفع طرف الفرش الذى تحت جانبه الأيسر تجد حساماً فى قرابه موضوع تحت حرف الفرش فقل له يامالك عن إذنك آخذ السيف وأجاهد به فى سبيل الله ولك الثواب من الله فان لم يرخ ذراعه فارفع السيف وتقلد به وعد إلى بسلام

ولا تفعل شيء خلاف ذلك وإن خالفتني فأنت هالك فقال الملك سيف سمعاً وطاعة ودخل القصر ثانياً فالتقى بيد الميت اليمنى نزلت على صدره والذراع اليسار مرفوع على حاله فتقدم إليه كما أمره اخيم الطالب وشال الفرش من تحت جنب الميت وأخذ السيف وتقلد به ونظر إلى جفيره وإذا هو أكلته الأرض وعلاه الصدأ فقال فى نفسه هذا الجفير عادم وأنا آخذ السيف وأرمى جفيره فافتض السيف من غمده وهزه حتى دب الموت من فرنده وأراد أن يرمى الجفير وإذا بالصدأ الذى عليه وقع إلى الأرض وانكشف ذلك الجفير وإذا به ذهب أحمر كأنه مصوغ فى هذه الساعة ففرح الملك سيف ورد السيف فى الجفير كما كان فتصايحت الخدام التى فى ذلك المكان وقالوا ياملك لا تجرده بعد ذلك هنا فانه يحرقنا بالطلاسم التى عليه خذه واطلع بارك الله لك فيه فعرف الملك سيف أن حامل هذا الحسام ما يقدرون عليه فوضع يده على قبضة الحسام وإذا به قدر يده لا تزيد ولا تنقص وهو ملء كفه بالسواء ففرح بذلك فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وأراد الخروج من ذلك المكان فوسوس له الشيطان وقال فى نفسه هل ترى ذاك الميت فيه روحية حرك بها حتى أنه رفع يديه لك حتى أخذت اللوح وثانياً أخذت هذا الحسام ولكن لو كان فيه روح كان يقدر على الكلام وإن كان مافيه روح كان بلى لحمه وعظمه وأنا أرى أن بدنه موجود بالتمام ولا بد ما أرفع عن وجهه اللثام وانظر هل هو حى بالصحة والسلام وإنما لسانه فقط ممجوم عن الكلام أو يكون مات من سنين وأعوام ومابقى منه إلا مراود العظام وتحركاته هذه من جملة الكهانة وعلوم الأقلام وثانياً إذا قلت لأحد ممن اجتمع عليه مثل عاطمطم وسعدون وأفراح وغيرهم من الأصحاب انا وصلت إلى قصر سام ابن نوح وأخذت منه سيف ولوح ربما قال لى أحد هل أنت سرقتهم أو أعطاهم هو لك فإن قلت سرقتهم كذبت وإن قلت هو أعطانى يقول الناس إن سام مات من مدة أعوام فأنا لا أخرج حتى أنظر وجهه إن كان حياً أو ميتاً ثم نه عاد حتى دخل إلى السرير وكان قد تقلد بالسيف وكان تقلده به سبباً لنجاته وتقدم ورفع اللثام الأول والثانى ورفع الثالث فحصل له هيبة فتجلد حتى رفع كامل الأستار وكل لثام وأراد أن يتأمل فى وجه نبى الله سام ففتح عينيه شاهقاً ونظر إلى سيف بعين كأنها الدم الأحمر ونفخ فخرج من فيه شرار ونار وقائل يقول ياقليل الأدب يا أخس العرب بلغ من قدرتك أن تكشف وجه أولاد الأنبياء فى هذا المكان من بعد ما والوك بالجميل والاحسان وتتابعت الصرخات والزعقات وهاج القصر من كل الجهات وخيل للملك سيف أن الأرض انخسفت ووقعت فوقها السماء وقامت عليه الخدام وهدروا كما تهدر أسد الآجام وصار لا يقدر على وقوف ولا قيام ولا قعود ولا ينطق بكلام ولولا أنه متقلد بذلك الحسام لكانوا خدام القصر سقوه كاس الحمام وزاد الصراخ وتماوجروه خدام القصر والجن ورموه من خارج القصر وهو مغشى عليه فبقى فى غشيته إلى ثانى يوم فى الميعاد

الذى دخل فيه فأفاق من غشوته وهو يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن إبراهيم خليل الله وقعد على باب القصر فالتق إخميم الطالب جالس على رأسه وهو فى غشوته يتأسف وبعض على أصبعه ونظره إخميم لما أفاق وقال له يا ملك سيف أنت كشفت وجه الميت فقال له نعم فقال إخميم أنا نهيتك عن ذلك وحذرتك عن وقوعك فى هذه المهالك وأنا ما تركتك على غفلتك ونبهتك وأنت الذى أهلكت نفسك ووقعت بعقلك وتبعت جهلك وأنا وحق النقش الذى على خاتم سليمان لو كان لى عليك قدرة لأسقيتك كأس الحمام ولكن خليك فى مكانك حتى تموت كمداً لم يدر بموتك أحد فإنى نصحتك وما بقى لى خطيئة فى رقبتى ومنى عليك السلام فإنى رايح لحالى فقد انقضت أشغالى فقال الملك سيف ياوالدى كيف أهون عليك تروح وتفوتنى فى ذلك المكان اصبر لما أعود إلى الحصن الأول فقال له إخميم ياولدى أنا مالى تصرف فى شىء وإنما أنا خدام الخدام ماله أن يتعرض للحكام وأنا استعد لنفسى واركب فإن أنت وصلت إلى الحصن سالما نجيت وصفق إخميم الطالب بيــــده فطلع قدامه زير من النحاس فركبه وضربه بالسوط فارتفع به فقال الملك سيف اصبر ياعمى لما أجيلك فقال له من أين تجىء ما يمكنك الوصول وإنما أطلع على العمود ونط على العمود الثانى حكم مافعلت فى الأول فانك ما بقى لك همة أن تنط ولا بقى لك من هذا المكان خلاص فقال له الملك سيف أقسمت عليك بحق السيد سليمان وبحق ما نقش على خاتمه من الأسماء العظام أن تقف مكانك حتى أجرب روحى فإن قدرت كان وإلا فافعل ماتشاء فوقف فلما سمع منه ذلك اليمين فصعد الملك سيف حتى صار فوق العمود واتحذف ووضع قدميه مكانهما وأراد أن يجذب نفسه فرأى روحه ثقيلا وارتعدت فرائصه فقال له إخميم يا ولدى لاتتعب نفسك واصبر على القضاء والقدر الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر وتركه وسار فى الهواء وبعد قليل غاب عن عينى الملك سيف ونظر الملك سيف نفسه أنه بقى وحيداً فريداً على العمود وما عنده أحد فبكى وأن اشتكى وتذكر تقلبات الزمان وما تحدث به الليالى من الحرمان فقال أبياتاً حسان تناسب بما هو فيه من الذل والهوان فأنشد يقول صلوا على طه النبى الرسول .

وعد الإله على الخلائق جارى	ومنفذ فى السر والاجهار
أنشأ الخلائق من بدائع صنعه	فتبارك الله العزيز البارى
الله يعلم أننى من خلقه	لا أستطيع تحمل الأضرار
جار الزمان على حتى أننى	لم ألق من بين الورى أنصار
ولقد بليت بغربة وبكربة	والله ربى وبى عالم الأسرار
إن شاء أنقذنى وفرج كربتى	فيبدل الاعسار بالايسار

يا من عوائده الجميل بفضله وبجوده يعفو عن الأوزار
كيف السبيل ولم أجد لى راحما مما بليت به ودمعى جارى
يا قادر يا قاهر يا غافر يا صاحب العظمات والأقدار
أدعوك مطرآ فأنت وسيلتى كذا مجير لى ونعم الجارى

(قال الراوى) ثم أن الملك سيف نزل من على العمود وقام وهو غائب عن الوجود وبات تلك الليلة وجعل ذكر الله وسيلة حتى مضى الليلة وطلع النهار وانتبه من منامه فلاق قدامه قدحا من الزجاج ملآن من عسل النحل وهو صافى اللون وبجانبه قرصان من خبز الحنطة وقلة ملآنه بالماء فتعجب الملك سيف من ذلك الحال وكان أصبح جوعان فأكل بعد ماسمى بسم الله تعالى وبعدما أكل وشرب وهو متفكر فى الذى أتاه بذلك الطعام وأقام ذلك اليوم إلى آخر النهار وبات بجانب العمود وأصبح فلق العسل النحل والخبز والماء فأكل رغيفا وآخر النهار أكل الثانى وبات ثالث يوم ولم يزل هكذا مدة ثلاثة أشهر فضاقت حضيرته ونوسخت ثيابه وبدنه وطال شعر رأسه واظافره فلما طال عليه الحال قال إن هذه عيشة غبن والأكل من طعام واحد سبب سقم المعدة وأنا لابد لى أن اطلع إلى هذا العمود واحذف نفسى من عليه فإما أن أصل العمود الثانى وأعود من حيث أتيت وأصل إلى الأرض فأكون قد عديت أو أقع فى البحر وأموت غريقا فى الماء واريح نفسى من هذا العناء وهذا شىء مامنه نفاذ وإن كان أجلى باقيا لابد لى من النجاة وإن كان الأجل مضى فلا اعتراض على حكم الله ثم إن الملك سيف قام من وقته وساعته وسار إلى العمود وقال سلمت أمرى للملك المعبود ووقف فى محل الاقدام وجذب نفسه بشدة واهتمام فلم يشعر إلا وهو فى قلب الماء فأراد أن يعوم فلم يقدر لثقل ثيابه فقامها من على جثته ولم يبق عليه غير السروال والعمامة والسيف معلق فى رقبته ولو جاء فى فكره لرماه ولكن ما نفكر فيه ولم يجىء فى باله لأنه من كرب البحر صار فى اشتغال وكان ذا تيار عظيم ثقيل فبقى الملك سيف محدوفا فى الماء كأنه حجر المنجنيق فصار يعوم تارة على يديه وتارة على رجليه وتارة على بطنه وكلما أراد أن يميل إلى بر لم يمكنه من شدة جرى الماء وإذا وصل بعد جهد جهيد يجد البر حجراً ناعما ولا يجد محلا يمسك فيه أو يطلع عليه فضاقت حضيرته وذهبت قوته وتعبت مهجته وكادت تخرج روحه من جثته وهو مع ذلك يرمق بطرفه إلى مكان يلتجىء إليه فلا يجد وأشرف على الموت فرفع طرفه إلى السماء وتوسل بعظيم العظماء وقال اللهم إن كنت جعلت وفاتى فى هذا المكان أسألك وأتوسل إليك بحق دين الإسلام والايمان أن تقبضنى بلا شفقة ولا عناء وإن كان فى أجلى تأخير فأسرع بنفريج كربتى إنك على كل شىء قدير فما تم دعواه وتضرعه إلى مولاه إلا وجبل قد اعترضه ودفعه

تيار الماء حتى أوصله إليه ووجد طاقة فى جدار ذلك الجبل والماء داخل منها وله هدير مثل هدير الرعد القاصف وتلك المياه الجارية كلها داخلة من الطاقة ولم يكن لها منفذ غيرها فأراد الملك سيف أن يتأخر فجذبه الماء والتيار قهرا عنه وادخله فى تلك الطاقة فيئس من نفسه وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ومد يده إلى سقف المكان فرآه حجر صوان أملس وهو مساوى الماء ولم يجد أحد فيه منفسا فسار التيار يجذبه حتى بقى سقف المكان عاليا فشرب نفسه منه وحمد الله تعالى وجذبه غصبا عنه ولم يقدر على الخلاص منه مطلقا وطال به المطال مقدار يوم كامل وليلة كاملة وهو لا يعلم إن كان فى ليل أو نهار ولم يعلم أين هو سائر فى ذلك الجرار والملك سيف يتضرع إلى الله الواحد القهار وثقل عليه الماء وغطسه مرارا عديدة وأشرف على تلف مهجته وبعد ذلك نظر على بعد إلى طاقة مثل خرم الإبره والماء سائر به إلى جهتها وكلما قرب يقرب عليه سقف المكان فأراد أن يحوش نفسه خوفا من الغرق فلم تمكنه ذلك لقوة الماء ومازال كذلك حتى أنه غطس فى الماء غصبا ودفعه الماء دفعا حتى أخرجه من تلك الطاقة مغشيا عليه فكان خروجه إلى مكان وعر وهو أحجار وصخور فصارت المياه تقذفه والأحجار تسلخه حتى أن التيار حذفه على وجهه وجذبه إليه ووضعه على البر كأنه من الأخشاب فافاق على نفسه فوجد نفسه فى واد متسع وكله أشجار وفوا كه وشجر مشمش كبيرة وهو مشبوك فى فروعها فكانت سبب نجاته من المياه فزحف وهو متعلق بفروعها حتى صار فى أعلاها وعلم بنفسه أنه تخلص من تلك المياه فخر ساجدا لله تعالى لأنه نجاه وصحا من غشوته وكان جائعا ولقى فى هذه الشجرة مشمشا الواحدة قدر الرمانة فصار يأكل حتى اكتفى وبعد ذلك نزل من فوق الشجرة جهة البر على أرض حجر وقلع خلقاته وهى السروال والعمامة فقط لأنه ما معه غيرهما فنشفهما فى الشمس ولبس السروال وستر بعمامته جسده ومشى فى ذلك الوادى ومازال حتى وصل إلى آخره فلقى مدينة كأنها الحمامة البيضاء فقال الحمد لله الذى أوصلنى إلى العمار ومازال سائرا حتى وصل إلى باب المدينة فرآه مغلقا فتقدم للباب فسمع صياحا وقائلا يقول افتحوا البلد واطلعوا إليه ولا تعودوا إلا به فانه غريمنا وجاءت به المياه إلى أرضنا فلا بد أن نسقيه كاس الفنا فلما سمع الملك سيف قال والله ما مطلوبهم إلا أنا وعاد ثانيا على عقبه حتى وصل إلى الشجرة وجلس فوقها وتستر بفروعها وبينما هو كذلك وإذا بباب المدينة انفتح وطلع رجل طويل القامة راكب على جواد من الخيل الجياد وصحبته أربعمائة فارس من كل مدرع ولابس فسار قدامهم وهم خلفه سائرون حتى صاروا قدام تلك الشجرة ونصبوا له سرادقا كبيرا وقال للعسكر انصبوا خيامكم حتى ننظر غريمنا فنصبوا الخيام واركزوا الأعلام ونصبوا لمقدم العسكر سريرا فى صيوانه من خشب العرعر وهو بصفائح الذهب وفرشوا فيه فرشا مفتخرا فجلس ذلك المقدم

على ذلك السرير وقال للعساكر فتشوا فى الوادى عليه فساروا يفتشون طول النهار وعادوا وقالوا لم نجد أحدا فقال لهم هذا لا يكون فان أبى لا يضرب رملا إلا على الصحيح ولا يخطىء رمله ولا يكذب ولا يفسد ولا يخيب قط فإن كنتم رأيتموه فاتونى به وإن لم تجدوه فلا بد أن يأتى سريعا وتعاينوه فقالوا له نحن ما وجدناه وحياة رأسك فقال اتركوه وهو يأتى على مهله فانه لم يبق له خلاص من ههنا ولا مناص وإنما أحضروا لى الطعام فقالوا له سمعا وطاعة ثم أنهم أسرعوا فى الحال وقدموا له سماطا من جميع الأطعمة والحلويات والفواكه وله روائح كأنها المسك الأذفر وقعد ذلك المقدم ليأكل من ذلك الطعام واحتاطت به الغلمان والخدام وكان الملك سيف قاعدا فوق الشجرة كما ذكرنا ومستترا بفروعها فخرجت عليه رائحة الطعام مع ماهو فيه من الجوع والألم فكاد عقله أن يعدم وكان قد مضى عليه مدة أيام ما أكل إلا من المشمش فما زاد إلا جوعا على جوعه الأصلى لأن الفواكه ما تقنع الجوف مثل اللحم والخبز ولما هبت رائحة الطعام عليه أراد أن يصيح على الناس ويسألهم أن يعطوه ولكن رجع على نفسه خوفا منهم أن يقتلوه ورأى الناس بكثرة وما معه عدة يمانع بها عن نفسه إذا هم طلبوه وقال فى نفسه إذا كان هؤلاء القوم أنا رأيتهم يدورون على فكيف أظهر نفسى لهم وإذا رأونى يقتلونى ثم انه صبر وقد أعياه الجوع ولم يزل صابرا حتى أكلوا ذلك الطعام وشربوا وانشال السماط وناموا جميعا وكان هذا وقت الظهر فلما كان وقت العصر قام ذلك المقدام من المدام وجلس بين غلمانه والخدام وطلب الطعام فأتوا به بين يديه ووضعوا قدام مقدمهم وداروا حواليه وأرادوا أن يأكلوا فقال المقدم عليهم لا يأكل أحد منكم حتى تدوروا على غريمنا وتقبضوه ويرتاح سرنا فقالوا سمعا وطاعة وأقاموا جميعا وتفرقوا يمينا ويسارا يفتشون فى البرارى والقفار وأما الملك سيف فانه لما دخلت رائحة الطعام فى أنفه ولم يقدر أن يصبر على قلة الطعام فقال أسلمت أمرى لله الملك العلام عساه أن يرزقنى المنام واتكأ على الشجرة التى هو فوقها فادركه النوم جل من لاينام والفرسان قد فتشوا الوادى يمينا ويسارا وعادوا بلا فائدة إلى كبيرهم وقالوا له ما رأينا فى الوادى أحد لا أبيض ولا أسود فقال لهم ها قدموا الطعام فاكلوا حتى اكتفوا وغسلوا أيديهم وناموا إلى الصباح فانتبه كبيرهم ونبه جميع الرجال وقال لهم فتشوا الوادى وانظروا عسى أن تقعوا بالغريم فساروا يفتشون فوق ساعة وعادوا إليه خائبين فقال لهم هاتوا الطعام فاحضروه بين يديه فنزل ذلك المقدام من على الكرسى وجلس على الطعام وأمرهم جميعا أن يجلسوا بحسن اهتمام وكان الملك سيف قام من نومه عند الصباح ومد بصره إلى الناس جالسين والطعام بين أيديهم موضوع فاشتغل قلبه من

شدة الجوع وكان من جملة الطعام شراب التفاح وله رائحة تسلب الأرواح فتعلق قلب الملك سيف بتلك الأسباب وقال إن الانتظار إلى الطعام وعدم الأكل منه ما هو إلا أشد العذاب وهو أمر من ضرب الرقاب وأنا أعلم يقينا ما يزيد لأجل إذا كان العمر فرغ والخوف ما ينجي الإنسان من شرب الموت والجزع وأنا لابد لي أن أنزل إلى هؤلاء القوم وأطلب منهم أن يطعموني وان أرادوا قتلي مانعت عن نفسي حتى يسكنوني رمسي وأنا أعلم أن هؤلاء أربعمائة إنسان وانا إذا كنت راكبا على ظهر الحصان ويكون بالأكل جوفي شبعان أفنيهم بالسيف والسنان ولم أبق منهم إنسان وإنما الصحيح أنهم يفترسوني مادمت جيعان فإن أعضائي مالها همة للحرب والطعان ولا معي عدة كنت أحارب بها وأتقي العدى في هذا المكان ولكن الأمر في ذلك لله العزيز الديان وأنا أنزل أعرفهم بنفسي وقبل ما أفعل شيئاً آكل غصبا من هذا الطعام وأشبع جوفي عيان حتى إذا قتلوني بعد الأكل أموت شبعان ولا أموت جيعان ثم ان الملك سيف صاح بملء رأسه وقال يا أهل هذه البلاد ومن هم محتاطون بهذا الطعام والزاد اعلموا أني رجل غريب عن دياري وعن الأوطان وبعيد عن أهلي والاخوان ومفارق الاحباب والجيران ولا لي هنا رفيق ولا صديق إلا الله تعالى وهو الملك الديان وأنا لي مدة أيام وأنا قاعد على تلك الشجرة عربان وجيعان وبردان وأريد منكم أن تطعموني من زادكم الذي بين أيديكم فلما سمع الناس ذلك النداء تركوا الزاد وقاموا يتجارون حتى وصلوا إلى الشجرة وقالوا انزل وسلم نفسك إلينا حتى نوصلك إلى مقدمنا وأنت سالم إلا أن بقيت على الشجرة وقطعناها إلى حد جدارها وبعد ذلك نقطعك بكل سيف معنا وإن سلمت نفسك أخذناك إلى مقدمنا فقال الملك سيف في نفسه أنا الذي عرفتهم طريق مكاني ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فقال لهم يا قوم قفوا أمامي كلكم وأنا أنزل لكم اصنعوا بي ما شئتم فإن أردتم فاقتلوني وإلا فعند كبيركم قدموني فقالوا انزل فها نحن واقفون فعند ذلك نزل الملك سيف من فوق شجرة فتقدموا إليه وقبضوه وداروا حواليه وساروا به إلى بين يدى كبيرهم وقدموه وقالوا له انظر هل هذا هو الغريم الذي أنت طالبه الذي اتعبتنا من أجله وقصدك أن تجازيه فإن كان هو فدونك وإياه فلما سمع كلامهم قام على حيله ونظر إلى الملك سيف وسار يتميز في رؤيته ساعة زمنية ثم قال له أنت من أي البلاد ومن تكون عربك وحسبك ونسبك اعلمني بصدق وإلا علوت رأسك بهذا الحسام فقال له سيف يا فتى أنا رجل غريب وجار على الزمان بالشقاء والتعذيب وأنت يا هذا أراك عاقلا لبيبا والزاد بين يديك موضوع وأنا أهلكني الجوع فانعم لي أولا بالأكل من هذا الزاد حتى أسد به رمق الفؤاد وبعد ذلك اسألني عن كل ما تريد وأنا بين يديك ما بقي لي محيد واعلم يا مقدام أن الطعام يكون قبل الكلام فقال له صدقت يا ابن الكرام دونك

وماتزيد من أكل الطعام فتقدم الملك سيف إلى الزاد وقعد على ركبتيه ومد إلى الزاد ساعد يد وجعل يأكل اكل من ايس من دنياه ويقول فى نفسه هذه لقمة من ودع الحياة وتقدمت إلى الموت رجلاه ومادام يأكل حتى اكتفى وبعد ذلك اكل جميع الحاضرين وانشالت آنية الطعام وقدموا الشراب والمدام فشرب معهم باهتمام وغسلت الأيدى وابتدؤا الكلام فقال ذلك الفارس للملك سيف هاانت اكلت فأخبرنا من تكون وما انت فيه وماسبب مجيئك إلى هذا المكان فقال الملك سيف ياهذا انا رجل تاجر آخذ المتاجر من البلاد وابيع فى بلاد واطلب المعاش والمكسب وهذه عادتى فى كل بروسبب وفى هذا العام بعت لى متجر قماش ونزلت فى مركب مع بعض التجار وقد سافرنا مدة ايام على وجه البحار وبعد مضى سبعة عشر يوما هاج البحر علينا واختلفت الرياح وهاج البحر وماج وتلاطمت الأمواج وارغى البحر وازبد وعليه الشر قد انعقد واقام على ذلك ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع ضللنا عن الطريق ولا نعلم اين نحن سائرون حتى هدا البحر وسكن هياجه وبطلت امواجه فقلت انا للريس انظر نحن فى اى مكان وطمنا على نفوسنا فطلع الريس فوق الصارى وتأمل يمينا ويسارا وبكى وان واشتكى فقلت له ياريس إيش الخبر فقال ودعوا بعضكم بعض فانه ما بقى لكم خلاص من تلك الأرض قلت له وكيف ذلك فقال لى مركبنا قد اقبلت على جبل يقال له المغناطيس ولابد للمركب من الغرق لأن الجبل يجذبه إليه ويقلع مسامير من الأخشاب وهذه تكون للغرق اسباب فودعوا بعضكم فان سلمتم فيكون لطول عمركم وان غرقتم فيكون هذا اجلكم والله تعالى يرحمنى ويرحمكم فماتم كلامه إلا والمركب قد انجذبت إلى ذلك الجبل وانخبط فيه فصار كل لوح منه فى طريق وكل من فى المركب صار غريق وتناثرت جميع اصناف الحديد لنحو ذلك الجبل وتفرقنا يمينا ويسارا على وجه البحار وغرقنا وفارقنا الفلاح والنجاح والبعض تعلق بالألواح واما انا فركبت على لوح من الواح المراكب وشاتنى الامواج وصارت ترفعنى وتخفضنى حتى رمتنى الأقدار على جزيرة فى وسط البحر فطلعت إليها فوجدتها واسعة الجنبات واسعة المرعى والنبات فجعلت آكل من اثمارها واشرب من انهارها حتى ادركنى المساء فخفت على نفسى ان يأكلنى وحش من وحش البر او تبلعنى هائشة من دواب البحر فصعدت إلى شجرة عالية وجلست فى وسطها واردت ان انام عليها واذا بطير قد اقبل ونزل على هذه الشجرة وهو قدر الجمل خمس مرات فخفت منه على نفسى واذا به جعل راسه تحت ابطه ونام جل الذى لاينام فقلت فى نفسى ان هذا الطير قد ارسله الرب القدير والصواب انى اتعلق برجليه لعله ينزل بى فى واد عمار يكون فيه ناس اقيم عندهم ثم انى نمت فى مكانى وانتبهت فى الثلث الاخير وجعلت ارتقب الطير الى ان طلع النهار وذهب الليل بالاعتكار فافاق الطير من منامه وحرك راسه

ولسانه وفرد أجنحته ولما وبعده فرد رجليه وتمطى وأفاق على نفسه وأراد أن يقوم للطيران
فمسكت انا رجليه وسلمت أمرى إلى الله وتوكلت عليه فلما أن استحس بى الطير ظن أنى أريد أن
اقبض عليه فصعد بى وتعالى إلى الجو الأعلى وأنا متعلق برجليه فتعب من الطيران ومن ثقلى عليه
تخذلت أجنحته فالله أن مال برقبته إلى ناحيتى وفتح فاه ومد راسه إلى وأراد أن يأخذنى بفمه
فعلمت أنه يريد أن يلتقم رأسى فأسلمت أمرى لمن خلق الجبال الرواسى وسببت يدى من الطير
وأنا لا أغفل عن ذكر الله تعالى فما أشعر إلا وأنا وقعت فى ذلك البحر وحدفتنى المياه إلى البر فطلعت
إلى بستانكم هذا وأنا كما ترونى عريان جيعا بردان ولما دخل الليل خفت على نفسى أن يطلع على
وحش يأكلنى وأنا نائم وإذا دابة من دواب البحر قد طلعت على تلك الشجرة ونامت عليها إلى أن
طلع النهار ومن شدة الجوع الذى حل بى لم أقدر أن أنتقل من مكان إلى مكان ولما أحضرتمونى بين
أيديكم وبقيت فى دياركم فافعلوا بى مرادكم فلما سمع مقدم العسكر ذلك الكلام ضحك عاليا وقال يا هذا
أنت حكيت حكاية طويلة لم يسمعها كذاب وأظن يا هذا أن كلامك هذا ما هو إلا كلام كذاب لوجوه
عديدة أولا ما أنت تاجر ولا تعرف التجارة ولا لك فيها بصارة وثانيا بحر المغناطيس الذى نزلت
فيه فى آخر الدنيا وثالثاً المركب تكسرت وماتت الناس والبعض طلع على ألواح كل
هذا نعم ينقاس بالنقل والطير الذى تعلقت فى رجليه وصعد إلى الجو أولا لو كان
ذلك كانت الأرياح مزقتك والثانى إذا طار الطير وأنت قابض على رجليه كانت أعضاءك
ترجف خوفا وتدوخ من الشيل والحط وهذا كلام شواهده كذب وليس فيه صدق
إلا قولك كنت باتنا على هذه الشجرة جيعان وإنما قل كلام الصدق فانه ينجى الإنسان
وأما الكذب فهو من جملة البهتان ياسادة يا كرام فعند ذلك بان للملك سيف ان المتكلم
أنثى لأن أصوات الرجال تعرف من أصوات النساء فقال له وانا كنت كاذبا أو صادقا
ياهذا إيش اغرانى على الكذب حتى ابديه بين الرجال وما أنا أعرفك ولا عمرى قط
وقفت بين يديك وما يوجبنى أن أخفى روحى عنك هل انا عندى لك دم تريد أن تقتضيه
أو دين لك عندى تريد ان تستوفيه فقال المتكلم نعم أنت غريمنا وأبى عمره ما ضرب رملا
إلا وقال الصواب وما نطق إلا بفصل الخطاب وإنما قل أنا دخلت قصر ابن نبى الله نوح
واخذت من تحت جانبه السيف ومن على صدره اللوح وبعد ما انعم الله عليك بذلك تعديت
عليه وكشفت وجهه وكان قصدك ان تعرف صورته فصعب عليه منك ولولا أنك من
ذريته كان اصابك بسخطه ونقمته وما انيت إلى العمود ووقعت فى البحر بعدما قعدت أياما
كثيرة فى ضيافة الملك ابن نوح عليه السلام وبعد ما رميت روحك فى البحر حتى وصلت ذلك
المكان فقال الملك سيف من اين علمت ذلك الحال فقالت له سوف اظهر لك الهدى من الضلال

ثم صاح على عسكره وقال لهم اقبضوا عليه حتى يحضر أبي وينظر إليه والتفتت إلى من حولها وقالت لهم هيا أحد منكم يمضي إلى أبي ويأتيني في عاجل الحال فانفرد منهم خيال وقصد إلى المدينة وأما هذا المقدم فانه قام على حيله وقال للملك سيف اما قلت لك أن كلامي حق وكل ما نطقت به فهو صدق فقال الملك سيف وما الدليل على صدقك وبأي شيء اثبت معرفتك فقال له أنا عرفتك بتلك العلامة يازوج شامة وطامة وسوف أعرف قدرك حتى أخبرك في أمرك ثم أنه قال له اقعد حتى يحضر أبي فقعد الملك سيف واما القاصد فانه غاب إلى البلد ودخل على أبيها فقال له ياملك تفضل إلى بنتك فانها قبضت على غريمها وتريد أن تحضر اليها حتى تقضي أمرها ويكون على يديك سرها وجهرها فقام ابوها وهو مجهد في قمتة حتى وصل إلى بنته فقامت له وتلقته وإلى جانبها أجلسته وقالت يا أبي هاأنا اوقعت الغريم ها هو في قبضتي وقد أحضرتك حتى تنظر حالتي وتسعى في قضاء حاجتي فقال لها احضريه حتى انظر إليه فقالت ها هو جالس في خيمتي ثم أنها سارت بأبيها إلى خيمتها فتأمل إلى الملك سيف وضحك فرحا وسرورا وقال سبحانه الذي نجاك وانقذك من الهلاك واوقعك في يدنا حتى نأخذ منك حقنا فقال له الملك وإيش حقك الذي عندي فقال له وحق النقش الذي على خاتم سليمان ما أنت إلا الملك سيف بن الملك ذي يزن ولا زيادة ولا نقصان ولأي شيء تنكر نفسك يا ملك الزمان وأنا أحمد الله تعالى الذي انقذك من العذاب والهوان وأتى بك إلى هذا المكان وأنا قاعد في انتظارك مدة من الزمان فقال الملك سيف ومن أنت من الاخوان والنائب بلغك الله غاية المطالب فقال له أنا صديقك اخميم الطالب فرفع رأسه الملك سيف وهو فرحان وطاب قلبه واتى بالأمان وقال له هكذا يا اخميم نفعل الاخوان تأكل معي الزاد وتخون الصداقة والوداد أخذت اللوح مني وتركتني غير منتبه وركبت على زيرك ومرت إلى حال سبيلك ولم تعلم أن الله ينجيني ومن الممات يحييني أو يهلكني ويقنيني والحمد لله قد خاصني ومن المهالك انقذني وهو الذي يرعاني ويحفظني فان الله يعلم بحالي الذي انقذني من العذاب الأليم وانت ابن اللوح الذي أخذته مني يا اخميم فقال اخميم ياملك اما من جهة الخيانة حاش لله ان اكون خائنا وانا ان كنت ما اخاف من الأرصاد الواقفة لخدمتك يحفظون مهمتك اخاف من الله تعالى الذي خلقك واحسن صورتك وانا والله يا ولدي لك من الناصحين وحق لا إله إلا رب العالمين ولما نصحتك ما قبلت نصيحتي وتعديت على نفسك لما كشفت وجه الملك سام وهذا عند أولاد الأنبياء حرام مثل كشف العورة أيها الملك الهمام وانا لو كنت اقدر على خلاصك ما تركتك لأن خلاصك ما هو على يدي ولكن ما هان

على أن افوتك واتيت إلى منزلى وضربت تحت الرمل وحققت اشكاله وعرفت ما يجرى عليك من أول الأمر إلى آخره وعدت عندك ثانياً ورتبت لك الأكل والشراب وهو الخبز والعسل النحل كل يوم حتى أنا سئمت من الاقامة وحدك ورميت نفسك فى البحر وجرى لك كل ما جرى وهذه آخر ما جرى من اجتماعك من بنتى فى ذلك المكان والحمد لله على سلامتك من تصاريف الزمان وايضا ياولدى لما بان لى فى الرمل قدومك إلى هذا المكان رتبت لك بنتى ومعها تلك الفرسان يرصدون قدومك فى الأرض والوديان حتى اتيت وأكلت وحضرت أنا عندك وتعارفنا فى ذلك المقام فلما سمع الملك سيف كلامه عرف أنه صادق ولو كان قادر على خلاصه لما كان تركه فقال له انا صدقتك لكن اعلمنى مع هذا المتكلم على هؤلاء الرجال وأنا أظن أنها انثى ملى ربات الحجال فقال اخميم صدقت يازين الأبطال انها بنتى صاحبة الحسن والجمال واسمها الجيزة وأنت على طول الزمان تكون لها بعلا وهى تكون لك اهلا وهكذا ظهر لى فى تحت الرمل ولكن ياولدى كل شيء يجرى فى اوانه بعون الله وسلطانه فلما سمع الملك سيف هذا الكلام خر ساجدا لله تعالى على ما أولاه من سوابغ الأنعام وقال يا اخميم واين اللوح الذى اخرجته انا من قصر ابن نبى الله نوح عليه الصلاة والسلام فقال له اخميم هاهو مع زوجتك يا سيد الأنام فقال الملك سيف يا عمى من اين لى زوجة هنا فقال اخميم أنا أريها لك يانور العين وصاح اخميم ياجيزة فقالت لبيك ياأبى فقال هاتى اللوح الذى معك فقالت هاهو معلق فى ساعدى ولكن يا أبى من هذا الذى قلت لى عنه أنه غريمنا ولما حضرت أنت إليه قعد يعتب عليك وأنت تخضع بين يديه فقال لها يا ابنتى قومى قدام فارس الزمان وملك ملوك الأرض والدمن ومبيد أهل الكفر والمحن مطهر الأرض من أهل النفاق والاحن وهو الملك سيف بن ذى يزن ابن الملك التبع اليمانى وهذا الذى دخل قصر الملك سام بن نوح عليه السلام واخذ اللوح والسيف فقالت له هذا اللوح ابن السيف فقال لها معه يا ابنتى فأين اللوح فقالت هاهو وكشفت عن زندها فبان الملك سيف كانه قضيب بلور وأخرجت السلسلة واطلعت اللوح وقالت لأبيها خذ يا أبى ونظر الملك سيف إلى الجيزة لما اخرجت اللوح فقال يا اخميم هذا لوحى فقال اخميم صدقت وانت الذى اخرجته من قصر ابن نبى الله الملك سام ولكن يا ملك اصبر حتى أريك فائدة ذلك اللوح ثم ان اخميا الطالب اخذ اللوح من بنته ومسكه بيده وإذا بخادمه صاح نعم ياملك الزمان ايش مرادك ياحكيم فقال الحكيم اخميم انت ايش اسمك فقال له أنا عيروض بن الملك الأحمر خادم هذا اللوح من عهد سيدى سام بن نوح فقال اخميم وانت تعرف هذا الواقف قدامى من هو فقال هذا الملك سيف بن الملك ذى يزن الحميرى وانا عارف اصله وفصله وكل ما يكون من فعله وهو الذى اخرجنى من قصر سيدى سام بن نوح واخذ من على صدره هذا اللوح

وهو الذى يتزوج بنتك الملكة الجيزة على طول الأيام وقد اعلمتك بذلك والسلام انت الذى ارسلت طلبتنى بهذا اللوح وقد احضرتنى فما الذى تريد منى فقال له ما أريد شيئا فى هذا الوقت انصرف إلى حال سبيلك فانصرف عيروض إلى حال سبيله فقال الملك سيف إيش هذا الخادم يا اخيم فقال له عيروض بن الملك الأحمر خادم هذا اللوح فلما سمعت الجيزة هذا الكلام أخذت اللوح من والدها وعلقته وفرحت به فقال لها أبوها إيش مرادك أن تفعلى ياجيزة فقالت لا أفعل شيئا أبداً وأنا أسمعك تقول أن هذا روحى ومن أعلمك أنى أريد زوجا ولا مرحبا ولا كرامة ولاسعدا ولا اقبال فقال اخميم هذا بعلك وأنت له من النساء وهو لك من الرجال هكذا اثبت عندى فى تخت الرمل وها أنت أخذت لوحه الذى تعب على خلاصه وقاسى من أجله الأهوال (ياسادة ياكرام) ثم أن الجيزة تولعت بحب الملك سيف ولكن أظهرت الجلد واخفت الكمد وقد سكنت على مضض وقالت للخدم هيا هاتوا لنا الطعام فان ضيفنا قد جاع فأتوا بالطعام ومد السماط الخدم ثم وقفوا للخدمة فى ذلك المقام والتفتت الجيزة للملك سيف وقالت له دونك والطعام فكل ما تشتهى وتريد فقال الملك سيف أن الزاد لايحلوا إلا بالجماعة فاما أن نأكل سوية أو ترفعوا طعامكم فقالت الجيزة نحن عندنا عادة إذا أتانا ضيف نضع له الطعام ونتركه يأكل منه وحده ونحن لا نأكل إلا بعده ونقف كلنا فى خدمته ويلزمنا إكرامه لغير منزلته ورتبته فصدق الملك سيف كلامها وقعد يأكل واشتغل وكان الملك سيف خويان لأن له مدة يشتهى هذا الاكل ونفسه مفتوحة فما صـــدق أن يرى مطلوبة وأما الجيزة فانها دعكت اللوح فحضر عيروض خادمه فقالت له أنت خادم هذا اللوح بالخصوص قال نعم يا ستى فقالت له ومن الذى حكمك حتى بلغت تلك الخدمة فقال الأصل أنى خادم الملك سام وبعده يكون سيدى الملك سيف بن ذى يزن فقالت هل له أزواج قال ياستى هذا يأخذ بنت الملك أفراح شامة وبنت الحكيمة عاقلة طامة وناهد وأنت وجمعا كثيراً ويأخذ منية النفوس فاغتاظت الجيزة وقالت أنا ملكت هذا اللوح وأنت صرت خادمى فقال لها عيروض لا تتعبى نفسك فما لك إلى ذلك مقدرة هذا يخدمه كهان وحكماء وأرباب أقلام وأما انا فأكون من جملة الخدام وله أخت بنت الملك الأبيض لا تفارقه وتفديه بروحها وكل من عاداه يقهر فقالت الجيزة وأنت مالك قدرة على قتله فقال لها كيف أقتله وتحت ابطه سيف سيدى سام فقالت له انصرف وكان للجيزة رجل من خدامها اسمه غادر وهو رجل شجاع ماهر فقالت له بالإشارة در حول هذا الرجل وهو مشتغل بأكل الطعام فاضربه بالحسام واسقه كاس الحمام فقال سمعا وطاعة وسار خلف الملك سيف

ودار حوله وهو فى شغلته وجذب الحسام وضرب الملك سيف وكانت ضربة مشبعة تمام وإذا بالسيف فى يد صاحبه دار ووقع على عنقه فقطعه من الوريد إلى وريد ونزل قطعتين على وجه الأرض والعبيد والملك سيف مشغول بالأكل لم يلتفت فنظرت الجيزة فتعجبت غاية العجب ولم تعلم لذلك من سبب وكان ذلك بسبب اخميم الطالب ابو الجيزة لانه شاهد من دين بنته الغدر وانها كرهت الملك سيف لكونها علمت انه يأخذ غيرها من بنات الملوك وتبقى عنده كمثل صعلوك فاراد فساد ما دبرت واحضر خادما من الجان وقال له إذا رايت احدا تعرض للملك سيف وقدم باذية إليه اقتله ولا تبقى عليه ففعل ذلك حكم ما امره اخميم فكان هذا السبب لان الخادم اقام ينتظر ما يجرى حتى قدم غادر للملك سيف وجذب حسامه فكان الجنى اقوى منه ورد سيفه إلى عنقه فانقطع وشرب من الموت جرع واما الجيزة فالتفتت إلى خادمها وقالت ويلكم لاى شىء تقتلون بعضكم وتعملون هذه الفعال فقال لها الرجل والله ياملكة ما احد منا تجارى على قتال فقالت ولأى شىء من دونكم هذا الرجل شرب كأس الوبال فقالوا هو الذى جذب حسامه بظلمه واجترامه فجعل الله عليه بانتقامه ولا قتل الا بحسامه فقالت لهم يا كلاب انتم فى حضرتى تقديم وتريدون ان تخلصوا حقكم بأيديكم فقال اخميم هذا الامر لا يجوز وإنما إذا احد منكم تعدى على احد فيجب على المظلوم ان يشتكى ظلامته لولاته وهى التى تخلص له ظلامته وتنتقم من ظالمه على فعلته وكان ذلك من اخميم مكرا وخديعة خوفا من بنته ان تعلم بفعلته وتحترز من غائلته داما الجيزة فانها ما تكلمت بل سكتت وكل ذلك والملك قاعد يأكل على مهله وما عنده مما جرى علم ولا خبر وانما صاحب القدرة يدبر ما يشاء فالتفتت الجيزة بعد ذلك إلى بعض عبيدها وقالت له يا عبد الخير مرادى منك ان تمضى الى ذلك الرجل الغريب الذى يأكل وتغافله وتضربه بالحسام وتقطع راسه والهام وأنا اجعلك عندى اكبر العبيد والخدام فقال العبد سمعا وطاعة وسار حتى بقى فوق راس الملك سيف وجذب حسامه بلا فزع ولا خوف وضرب الملك سيف على وريديه بالحسام البتار واذا براس الضارب عن اكتافه قد طار والمضروب لم يعلم بتلك الاخبار ولا عنده اشتغل عن الاكل والافكار فاغتاظت الجيزة وامرت رجلا من العرب فكذلك قتل مثل من قتل قبله وهكذا امرت واحدا بعد واحد حتى قتل سبعة رجال على ذلك الحال فقالت الجيزة للرجال شيلوا قتلاكم لارحم الله اياكم هذا رجل محفوظ مسعود وهذه الرجال ارادوا يقتلونه فشربوا كأس الوبال كل ذلك والملك سيف مشغول بالاكل ولا يعلم بذلك الحال وبعد ان اكتفى من الطعام قام على الاقدام وحمد الله تعالى على جزيل الانعام وجلس بجانب اخميم الطالب وجلست الملكة جيزة قدامهم وهى لا تسأل عنهم مطلقا ولا تخاطبهم بكلام حتى مضى

النهار بالابتسام وأقبل الليل بدياجي الظلام فقامت الجيزة بينهم ودخلت خيمتها وغلب عليها النوم فنامت وشمت وروحها فى الملكوت سبحان من لا ينام ولا يموت واما اخميم الطالب فانه انصرف إلى منامه وعرض على الملك سيف ان يقوم معه إلى محل مبيته وينام عنده فقال الملك ياعمي انا انام هنا فى مكانى هذا فانصرف عنه وتركه واما الملك سيف بن ذى يزن فانه لما خلاله المكان والوطن تفكر فى نفسه وقال كيف اكون انا الذى ادخلنى اخميم هذا إلى قصر الملك سام وسار واخرجت اللوح منه باهتمام وحصل لى من اجله مشقه وآلام وتأخذه هذه الفاجرة الجيزة بنت إخميم وتعبي الذى تعبته عديم ثم انه تعلقت آماله بباب من ابواب العبارة والمكر والشطاره فقام على حيله وقال ياحليم ياستار وتخطى رقاب النائمين ودخل خيمة الملكة الجيزة فوجدها نائمة على سريرها فمديده بخفه ولطافة وطلب من الله مساعدته وإسعافه فوجد سلسلة اللوح فى رقبتها فخلصها وفك اللوح من زندها وحط السلسلة فى رقبته وربط اللوح على زنده وعاد إلى مكانه واراد النوم فلم يجد له سبيلا فقعد يبقى ليلة فى هنا وازاح حتى اصبح الله تعالى بالصباح فقام إخميم الطالب ودخل على بنته فقامت إليه وقبلت يديه واجلسته ووقفت فى خدمته

وقالت له يا ابى انت تقول لى انا اتزوج بهذا الرجل الذى عندنا وانا علمت أن ازواجه كثيرة وأنا إذا تزوجته أكون عنده مثل بعض الخدم فقال إخميم ياجيزه يابنتي الله أعلم أنك ما عندى عقل أنا أول من يكون عند هذا الملك من جملة الخدم فإنه يملك الاراضى والقفار ويخدمه الحكماء الكبار وأصحاب الكهانة والاسحار ويعمر مدائن وأقاليم وقرى صغار أوكبار ويسوق بحر النيل من بلاد الحبش غصبا إلى بلاد الامصار ويخضع بين يديه كل ملك وكل فارس وكل حكيم جبار فاحذرى منه يابنتي ولا تغضبيه وكونى له مطيعة ولا تخالفيه فقالت فالجيزه أنا لا أقبله ولا أشتهيه ولا أرضى به يكون لى بعلا ولا أكون له فقال إخميم اذا كان هذا شيء سابق فى الكتاب من الذى يقدر يعارض رب الارباب فقالت الجيزة سألتك ياأبى بحق الملك المجيد لا تذكره لى لا بخير ولا شر فان قلبى ما يألفه أبداً ولا أشتهى ان أراه مطلقا فقال لها أبوها هذا كلام ما أسمعه فان الجارى فى علم الله لا أحد يمنعه لان هذا شيء لابد منه وإن كنت ما تقبليه فاعطى له اللوح وخليه يمضى إلى حاله فقالت له أنا ما أعطى اللوح ابدا ولو شربت كاس الردى فقال إخميم الطالب هذا شيء لا يكون كيف يمانعني قدرة الله تعالى اذا كنت ما تقبليه أعطيه اللوح وأما أن طمعتي فى اللوح فأنا أكتب كتابك علية على ملة الخليل ابراهيم عليه السلام غصبا فبينما هم فى الكلام واذاً بالملك سيف داخل عليهم وأبدى السلام وكان سمع ما دار بينهم من الكلام فقال الملك سيف لإخميم الطالب ياأبى لا تشغل نفسك بهذا الامر واعلم انى قد أقسمت على نفسى انى لا أتزوج بأحد من النساء قبل شامة بنت الملك أفراح أو ذاق در الله

وكانت بنتك لها نصيب عندى فلابد منه فلا تتعب نفسك فى كل شىء من ذلك فعند ذلك التفت إخميم إلى بنته وقال لها دعيه يأخذ لوحه ويمضى إلى حال سبيله فقالت ماعندى له لوح ولا خلافه فقال لها يا ابنتى بحياتى عليك تعطى الرجل حقه ولا تكونى ممن يصعب عليه فضحكت الجيزة ومدت يدها إلى ذراعها لتأخذ اللوح فما وجدت له خبرا فخرقتها وتغير لونها وقالت لأبيها ياأبى اللوح ماهو بذراعى فقال لها أنا ما أعطيته لك لعلمى أنك لا تضيعيه فقالت إنه كان أول الليل فى ذراعى ولما طلع النهار ماوجدته ولم أعلم له استقراراً فلما سمع اخميم الطالب ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام ونظر إلى الملك سيف وقال له ياولدى فقال نعم فقال له بحق دينك وما تعتقده بقينك هل أنت أخذت اللوح الذى كان مع بنتى فقال الملك سيف لقد اقسمت على بأجل الأقسام أنا أخذته حقيقة منها وهى غارقة فى المنام ولذيذ الأحلام وها هو معى وما بقيت أفرط فيه بل روحى دونه فالتفت إخميم إلى بنته وقال لها اقسم بالله عز وجل أن الحق لأصحابه قد اتصل ورجعت الأمانة إلى أهلها وهذا عين مطلوبى ومرغوبى فماذا تقولين يابنتى فى زواجه فقالت لا كان ذلك ابداً ولو سقيت كأس الردى وإن كان مراده يتزوج فهذا أمل بعيد وأما إن كان مراده يمضى إلى حال سبيله فيعطينى اللوح الذى سرقه منى وكذلك السيف الذى اخذه على يديك وأما مسيره إلى حال سبيله وهما معه فلا يتم فقال إخميم يابنتى أنت ظالمة وأنت ياملك سيف ماذا تقول فقال الملك سيف أنا قبل ما أدخل على شامة بنت الملك أفراح لا أدخل على أنثى ولو كانت مثل كوكب الصباح فلا أبطل قسمى والإيمان ولو شربت كاس الهوان فاغتاظت الجيزة من كلامه غيظا شديداً ما عليه من مزيد وقالت والله ياسيف ما أدعك تبرح من عندى حتى تتزوج بى وإن لم تفعل ذلك فسلمنى هذا اللوح والسيف وامض إلى حال سبيلك فقال الملك سيف هذا لايكون ابدا ثم أنه قام من عندهم وعاد إلى مكانه وجلس فيه وهو يحسب حساب ما يجرى وما هو فيه وما زال كذلك إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالظلام وأراد أن ينام فلم يأته نوم واشتغل باله وأما الجيزة فإنها قالت والله ما أرجع عن الملك سيف حتى أقتله فلما انتصف الليل أخذت بيدها خنجرا امضى من القضاء والقدر وطلبت مكان الملك سيف وظنت أنه نام وغرق فى المنام فسارت حتى وصلت إليه وكان الملك سيف قاعدا على ركبتيه وهو يقول إن صدقنى حذرى ولم يخطئنى زجرى فان الجيزة تأتينى تروم أن تقتلنى وتأخذ اللوح والسيف منى ولكن إذا كان الأمر كذلك فلا يكون أصوب من المسير إلى حمراء الحبش فبينما هو كذلك وإذا بالجيزة مقبلة فاخرج اللوح وحركه فقال عيروض لبيك ياملك الزمان ياصاحب الأمان فما الذى تريد أيها الملك السعيد فقال له أريد أن توصلنى

حالا إلى مدينة حمراء الحبش لأنى تركت رفيق سعدون وعساكره فى ذلك المكان وكذلك باقى الرجال والاخوان فقال عيروض سمعا وطاعة وحمله وقطع به الطريق كالبرق الخاطف أو الريح العاصف هذا ما كان من الملك سيف وأما ما كان من الملكة الجيزة فانها نظرت إلى الملك سيف وهو طائر على كاهل عيروض فندمت غاية الندم وعادت مسرعة إلى أبيها وقالت يا أبتاه أنا صرت فى هذه الساعة عند سيف وأردت الجلوس عنده فلما نظرنى خاف منى وطار إلى الجو الأعلى فقال لها اخميم يابنتى لاتحزنى فسوف يجمع الله شملك به فقالت يا أبى أنا ما أريده وما قصدى إلا هذه الذخائر التى معه ويروح هو إلى سبيله فقال أخميم علمى أن هذه الذخائر التى معه كلها تبقى تحت يديك ولكن لاتعجلى واعلمى أن كل شىء بأوان والصبر عاقبته حميدة وجعل اخميم يصبر بنته ويمهلها وأمر رجالها أخذ خيامها ودخل المدينة وابنته معه وجلس يتفكر فيما يكون هذا ماكان من اخميم وبنته وأما ما كان من الملك سيف فلما حمله عيروض وسار به فى الجو قدر ساعة زمانية قال له ياسيدى أنت بقيت فى أوائل بلادك هل تريد أن أدخل بك مدينة حمراء الحبش التى فيها والدتك قمرية والا أنزل بك من خارج أو تروح عند الملك أفراح أو كيف مرادك ها انت الآن فى بلادك فقال سيف ياعيروض أنا سامع طبولا وبوقات وزمورا وكاسات وضجات وزعقات مرتفعات هل تعلم إيش الخبر فى هذه الحالات فقال عيروض ياسيدى أنا ما أعلم لأنه بقى لى مدة من زمان وأنا فى قلب قصر سام وأنت الذى أطلقتنى إلى هذه البلاد والوديان فقال الملك سيف المراد أن تنزلنى هنا على جبل يكون منيعا وتأتينى بالأخبار سريعا فقال عيروض على الرحب والسعة والكرامة والدعة ثم أن عيروض وضع الملك على جبل وتركه وسار ليكشف الأخبار فما غاب إلا قليلا وعاد إليه وقال له ياملك اعلم أن هذا عرس ومهرجان لملك عظيم الشان وهو ملك الحبشة والسودان والحاكم على هذه الأراضى والبلدان وهو الملك سيف أرعد صاحب مدينة الدور والسبع قصور وهى قصور قريبة من مدينة حمراء الحبش وأما العروس فانها صاحبة العقل الرجاح والجمال الفاتن الوضاح والجبين الذى نوره يفوق المصباح واسمها الملكة شامة بنت الملك أفراح فلما سمع الملك سيف من عيروض هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وصلح من وجده وماجرى عليه وجرت الدموع من عينيه وحس أن الدنيا قد انطبقت عليه وقال ياعيروض هل تعلم هذا الكلب دخل بها أم لا فقال عيروض ياسيدى ماذخل بها لأنه لو كان دخل بها لقضى الامر ولا بقى خلاف وأما العروس فهم دائرون بها للزفاف والدخول لا يكون الا بعد ذلك فيعلم من حالهم أنه ما دخل إليها



الملكة شامة وهى عروس فى المدينة والأهالى دائرون بها لأجل الزفاف

فقال ياعيروض احملنى وحطنى فى خيمة العروس حتى أخلصها منهم بضرب وحرب يحير النفوس وأجعل هذا العرس على صاحبه معكوس ولكن أنت لاحظنى من بعيد فإذا رأيتنى وقعت فى أمر صعب شديد فلا تتوانى عنى واحملنى أنا والعروس سواء وطر بنا فى الهواء فقال عيروض سمعا وطاعة ثم أنه حمله وسار به إلى خيمة العروس وأنزله على بابها وتركه وعاد إلى أعلى الجبل وقعد ينظر الملك سيف وما يفعل والملك لما نزل قدام جعل ينصب من خلف الخيمة ليسمع من شامة كلامها حتى يتحقق عنده هل زواجها للملك سيف أرعد برضاها أو كان هذا على غير هواها وغصبا عنها وعن الملك أفراح أباها فوجدها تسرف بالدموع الغزار وتبكى من شدة مابها من الأضرار وتنشد هذه الأشعار وتقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول :

الدهر دوما لايزال غادرى ... وحكمه فى الناس حكم الجائر
لايرحم الصمت المعنى رأفة ... وطبعه التفريق بالتكدر
قد كان لى الفا بأيام مضت ... والوقت صاف والحبيب ناظر
وكان حام أرضنا من العدا ... وقاسما ذا البغى والكبائر
فغاب والأعدا علينا قد بغوا ... ظلما وقد حل الحمى مع ناصرى
هل مبلغ عنى السلام سيدى ... سيف بن ذى يزن المليك الخير
لعله يأتى وينظر حالتى ... منهونة وليس لى من ناصر
ياهل ترى يعلم حالى سيدى ... يذب عنى بالحسام البائر
أو هل تراه ساليا أو ناسيا ... أو عاقه عنى قضاء القادر
منى السلام عليه فى طول المدى ... عد النجوم وكل غصن زاهر

(قال الراوى) وبعد ذلك سكتت شامة حتى بلت أردانها وقالت ياملك سيف ماآن أوان التلاقى حتى أدهمتنا أيام الفراق ياسيدى لو اعلم مكانك لسافرت خلفك فى البيدا وكنت أفديك ياسيدى من البؤس والردى فاتمت كلامها إلا وسجاف الخيمة قد ارتفع ودخل من تحته شخص وقال لها شامة أنا والله ماأنساك ولا أهجرك ولا أسلاكى وأنت نور العين والروح التى بين الجنبين فتأملته الملكة شامة وقالت سيدى الملك سيف وقامت على حيلها ورمت عليه روحها وقبلت يديه وعارضته واعتقدت أنها خلصت من أعدائها وأن الملك سيف بن ذى يزن مخلصها من بلائها وقالت له ياسيدى الملك اين كان سفرتك أما تعلم كيف أصابنى فى غيبتك والحمد لله على سلامتك فقال لها وايش جرى لك حتى جئتى إلى تلك الخيمة فقالت له ياسيدى إن الملك سيف أرعد خطبنى من أبى وكان ذلك بواسطة الحكيم سقرديس وحلف بزحل إن لم يزوجنى به أبى وأنا عزيزة مكرمة وإلا اركب عليه وأخرب بلاده وأهلك عساكره وأجناده ويسبينى سبى الأمة وكان ذلك على يد الحكيم سقرديس فقال لأبى زوجه بها وإن جاء سيف بن ذى يزن تقل له مثلك له إن طابت لك شامة خذها وإن طابت لسيف أرعد يأخذها ونحن نتبرا من الفريقين وساعدهم على ذلك القول الحكيم سقرديون وقال لأبى إن سيف بن ذى يزن ما بقيت عمرك تراه لأن قمرية قتلته فى البر والفلاة فمن خوف ابى انغم واجاب وخاف من سيف ارعد ان ينزل به العذاب وعملوا الولائم والدعوات انا ابكى واتحسر على ما فات ودام الأمر على هذه الحالات حتى اتيتنى انت فى هذه الساعة وهى ابرك الساعات وانت ياسيدى اين كانت غيبتك وما الذى رايت واين كانت سفرتك فابتدا الملك سيف يحدثها بما فعلت والدته والشجرة التى اخذمنها الورق وطيب جراحه ورواحه إلى قصر الملك سام واخذ اللوح والحسام ثم انهما فى الكلام وإذا بالملك افراح قد اقبل وكان داخلا على بنته يجهزها للزواج فلقى الملك سيف قاعدا عندها فأراد ان يتقدم ليسلم عليه فقال له الملك سيف

ابعد عنى يا كلب الملوك يا غادر يا خائن كيف تزوج بنتك لغيرى بعد ما أخذت مهرها سعدون الزنجى وحلوانها كتاب تاريخ النيل الذى مات بحسرته كل ملك نبيل ثم إن الملك سيف جذب الحسام وهجم على الملك أفراح فخاف منه على نفسه فهرب من بين يديه وطلب الفرار وهو هائم على وجهه فتخيل له أن الدنيا كلها سيوف ورماح فطلب خيمة الملك سيف أرعد وهو لايصدق أن يصل إليها والملك سيف عاد إلى الملكة شامة يحدثها وتحدثه وماعندهم من خبر الملك جاء أو راح وأما الملك سيف أرعد فدخل عليه الملك أفراح وهو يستجير به من الملك سيف فقال له وأين هو قال رأيته عند ابنتى وهو جالس معها ولما رآنى جذب حسامه وطلبنى ولولا أنى هربت لقتلنى فلما سمع الملك سيف أرعد صاح فى رجاله ونبه رؤوس أبطاله وقام وقصد الخيمة وهو يصيح ويرعق ويروح، كادت أن تزهق وأمر الرجال أن يحتاطوا بخيمة العروس من اليمين والشمال وقد قطعوا أوتاد الخيمة وأرادا أن يفعلوا بالملك سيف بن ذى يزن أفعالا ذميمة ويأخذوا منه الملكة شامة وينزلوا به الذل والندامة وتصايحوا فى البر والهضاب ونبحوا نبيح الكلاب وسمع الملك سيف بن ذى يزن هذه الأحوال فجرد فى يمينه حسامه الفصال وتهيا للحرب والقتال وإذا بالدنيا أظلمت والغبار غيمت وظهر شرار ونار ورجم بالأحجار وارعاد وابراق وصياح وزعاق واسود الجو والآفاق والدنيا قامت على قدم وساق ووقع رجم الأحجار وتزلزلت الأقطار وانعقد الغبار ووقع بالناس الانبهار وكل من الناس طالب الهرب والفرار واشتعلت الدنيا كلها بالنار ودام الأمر على ذلك الغبار إلى وقت الاصفرار وانجلت تلك الزوابع وانكشف البر والبلاقع وعرف الناس بعضهم واهتدوا إلى أرواحهم وقال الملك سيف أرعدها توالى العروس الذى من أجلها جرى هذه المكوس وانظروا سيف البيضان وهاتوه من أى مكان فساروا إلى الخيمة فلم يجدوا الملك سيف بن ذى يزن ولا الملكة شامة فعادوا وأخبروا الملك سيف ارعد فقامت عليه القيامة فقال للحكيم سقرديس إيش رأيت يا حكيم الزمان فى هذا الأمر والشان وحق زحل فى علاه ماكنت طالب زواج وأنت الذى اغريتنى على هذا اللجاج فقال له اعلم يا ملك أن هذا كله من تدبير الملك أفراح وكل أفعاله من أول الأمر معك قباح وسوف يعود فعله عليه بالتدمير وأنت الك تدبير لم يكن له نظير فقال لهم وهذا الذى جرى من الشرار والنار ورمى الأحجار وأخذ شامة على أى شىء كانت هذه العلامة فقال ياملك لانعلم ولكن نحن نكشف الأخبار ونحقق الك الآثار فقال افعلوا ما بدا لكم هذا ماجرى هنا وأما الذى فعل تلك الفعال فعيروض لانه لما أوصاه الملك سيف ودخل هو الخيمة وجرى ماجرى وجاء سيف ارعد فقال عيروض أنا أفعل

ما أمرنى به سيدى ثم نفخ على تلك العساكر بالنار وحذفهم من فوق الجبل بالأحجار حتى ضاقت على الناس الاقطار ونزل من الجبل وأخذ شامة والملك سيف وتركهم فى شدة الوجل والخوف ولما قعد على الجبل الملك سيف وشامه قال ياعيروض هات لنا خيمة انصبها لنا فى هذا المكان وهات لنا طعام من سائر الألوان وهات لنا شرابا وكلما تحتاج ويكون من عند سيف أرعد حتى يزيد عليه اللجاج ويكثر على الحكماء الذين عنده الاحتجاج وأقاموا ولهم كلام (ياسادة ياكرام) وكان السبب فى هذه الفتنة كلها وبيانها من أصلها هو أن الملك سيف ارعد لما كان ارسل الملك أفراح وسيف بن ذى يزن وسعدون الزنجى إلى قمرية وكان ذلك من تدبير الحكماء وأرسل لهم الحاجب والعساكر كما ذكرنا وجرى بينهما الذى جرى وجاءت قمرية إلى ولدها وأعلمته أنها أمه وهو ولدها واحتالت عليه وأخذته تحت الشجرة وصبرت عليه لما نام وضربته بالحسام حتى جرحته الجراحات البالغة كما تقدم وأشرف منها على العدم وتركته مرميا مخضبا بدمائه وقد ظنت أنه فارق الحياة وخرج من دنياه وعادت حتى وصلت إلى مدينة الدور وسألت عن الملك سيف أرعد واستأذنت عليه فى الدخول فاذن لها فدخلت وقبلت الأرض بين يديه وسلمت عليه فقال الملك سيف ارعد ويلك ياقمرية ياخائنة ياملعونة ما الذى أتى بك عندى فى هذا الوقت أظنك أتيت هاربة من الرجال الذين أرسلتهم إلى قتالك وحربك ونزالك بعد ما كنت عاصية واحتويت يا كلبة على مدينتك وجعلت روحك بحكم نفسك أما تعلمى أنى أقدر على مدينتك أخربها من الجدار وارمى حجارتها فى البحر تظنى أن مدينتك تحميك منى يا فاجرة حتى تقطعى الحبل ولا يكون لك أسوة بغيرك من الملوك الكبار أصحاب الأقاليم والأمصار فقالت له قمرية ياملك الزمان وحق زحل فى علاه أنا ما عصيتك وأنت تعلم أنى جاريتك وأنت الذى ارسلتنى إلى الملك سيف بن ذى يزن وعلمتنى ما أفعل من الفعال فما خالفت لك مقال ودغرت له السم كما علمتنى وفعلت كل ما به أمرتنى حتى مات وانقطع منه الأمل وراح إلى لعنة زحل فكنت حاملة منه وبعد انقضاء أيام الحمل وضعته مولودا واحتويت على ماله وجلست على تخت المدينة فى يوم مسعود وطاعتنى العساكر والجنود بسبب ذلك المولود ولما بلغ المولود أربعين أخذته ورميته فى الفلا بين الوحوش والطيور وقلت لعله يكون مقبور ورجعت فأقمت هذه المدة فما اشعر إلا وهو مقبل مع حاجبك وسعدون الزنجى يرومون حربى وقتالى وعلمت أن سيفا هذا هو ابنى فاحتلت عليه وعرفته أنا والدته وهو ولدى حتى احضرت له بعض دولة أبيه وشهدوا له بذلك وتحقق أنى أمه فامن خائنتى وعملت عليه حيلة وأخذته إلى مكان بعيد وجلست معه حتى نام ونزلت عليه بالحسام حتى أسقيته كاس الحمام وتركته مرميا فى البرارى والآكام

وأتيت اليك يا ملك الزمان استجير من الأعداء الذين أرسلتهم وأنا ما حصل منى يا ملك ذنب ولا مخالفة حتى أرسلت لى حاجبك وسعدون الزنجى يحاربونى وإن وقعت فى أيديهم فما يبقونى وأنت يا ملك لو أرسلت لى وطلبتنى إلى خدمتك وتعطى المدينة لغيرى فهو أحب إلى قلبى لأن خدمتك والنظر اليك أحسن لى من كل الدنيا فقال لها سيف بن ذى يزن مات قالت تعيش يا ملك وتبقى فان عظامه صارت رفات فلما سمع الملك سيف أرعد أبدى الضحك والابتسام وقال لها أحسنت فيما فعلت ومثلك ناصح لدولتى وزكت فيك تربيتى وفى هذا الوقت إيش مرادك أن تفعلى من الفعال فقالت له أريد من الملك أن يرسل معى مكتوبا إلى الحاجب الذى عندى ومن معه من الحجاب والعساكر والأصحاب وتأمره فى الكتاب بطاعتى ويكون تحت أمرى ويسمع كلمتى وأنا احتال على سعدون الزنجى وأقبض عليه وعلى رفقاه وأقدمه بين يديك تقطع رأسه وتخمد أنفاسه وتعود اليك جميع البلاد ولا يبقى لك أعداء ولا اضداد لأن من المعلوم أن هذه الأرض والبلاد كلها لآبائك ولأجدادك وأما البيضان مالهم نائب ولا العربان فلما سمع الملك سيف أرعد من قمرية هذا الكلام زالت عن قلبه الاسقام والآلام وفرح الفرح الشديد الذى لا نكد فيه ولا تنكيد وقام من وقته وساعته وكتب كتابا إلى الحجاب وكان اسمه أبا الهول فى الكتاب من حضرة ملك الحبشة والسودان وسائر الأراضى والبلدان الملك سيف أرعد البطل المهول إلى الحاجب أبى الهول اعلم ياولدى أنى لما أرسلتك سابقا مع سعدون الزنجى وسيف البيضان فكان ذلك حيلة منا دبرناها على أعدائنا الخيان لأنك تعلم أن سيف بن ذى يزن مراده أن يتغلب على ملكى ويتقوى على بسعدون الزنجى وخلافه من الأبطال الشجعان فعملت حيلة وأرسلت للملكة قمرية على أن يحاربها ويأخذ بلادها وأرسلت لها أعلمها سرا بمطلوبى فقضت حاجتى وأهلكت سيف بن ذى يزن بالتدبير والآن ما بقى فاضل إلى سعدون الزنجى ومرادنا القبض عليه حتى أخلى مداتى من الأعادى الذين يتغلبون على أرضى وبلادى فاذا قرأت هذا الكتاب تكون مساعدا لقمرية وتطاوعها فى كل ما تقول لك عليه بالكلية حتى نقبض على سعدون الزنجى ونخلص من تلك القضية والخدم ثم الحذر من المخالفة وسلام زحل عليك وختم الكتاب وأعطاه للملعونة قمرية وعادت على عجل وكان وصولها فى الليل فسارت فى صوان الحاجب واستأذنت منه فى الدخول فاذن لها فدخلت وهى فى زى رسول فلما دخلت عليه سلمت فقال الحاجب إيش مرادك يا قمرية بالسلام وحضورك عندى فى الليل الظلام أبلاك الله بنار الاضطرام فانك خائنة وبنت حرام فناولته كتاب الملك سيف أرعد وقالت له هذا كتاب الملك الكبير اقرأه واجتهد معى فى التقدير فلما أخذ الكتاب وقرأه وعرف رموزه ومعناه قال لها يا قمرية افعلى ما بدا لك فقالت

له إذا طلع النهار أرسل جماعه من عندك إلى سعدون الزنجى يقولون له تفضل كلم الحاجب فاذا حضر بين يديك فقال له أنا مرادى أن أعمل سلالم وطلاقات وعرادات حتى أننى أملك أسوار هذه البلدة فان التطويل يضيق الصدر وتكون جماعة من جبابرة الحبش كاملة عندك والامارة بينهم وبينك إذا صفقت بيدك على بعضها يهجمون على سعدون ويكونون على أهبة فيأخذوه قبضا بينهم بالأيدى والأكف وترسله ليلا أو نهارا إلى الملك سيف أرعد ويكون أحسن ما تقول له هل تعلم يامقدم سعدون ماسبب غياب استاذك الملك سيف وانظر ماذا يقول فانه يخبرك بما يخطر بباله وأنا أكون محتبئة بين الرجال ولا يرانى إلا بعد القبض عليه فاجتهدوا كما أمرتك ولا تتوانوا عما قلت لك فقال الحاجب سمعا وطاعة وتركته قرية وعادت إلى بلدها وأخبرت قومها بما فعلت بالملك سيف وما دبرت من الاحتيال وأما الحاجب فانه رتب الرجال وجعلهم كامنين كما علمته قريه بنت الأنذال وأرسلا إلى المقدم سعدون جماعة وقال لهم امضوا اليه وقبلوا الأرض بين يديه وقولوا له كلم الحاجب أبا الهول فانه يريد أن يشاورك فى أمر عرض له فساروا جماعة وقبلوا الأرض كما علمهم وقالوا له يامقدم سعدون إن الحاجب يدعوك لأمر يريد أن يعرضه عليك فقال سعدون سمعا وطاعه وقام معهم ولم يعلم ماخبىء له فى الغيب حتى وصل إلى الحاجب فلما رآه قام قائما على قدميه وضحك فى وجهه وأجلسه فى أعلى مقام وطلب له فى الحال الطعام فقدمه الخدام فأكل سعدون الزنجى مع الحاجب وارتفع الطعام وقدموا بعده المدام فشربوا ولذوا وطربوا وكان سعدون أتى وحده ولا معه أحد من رجاله وجنده فحادثه الحاجب بطيب الكلام حتى لعبت الخمرة فى رؤسهم فصفق الحاجب بيديه فخرجت الكمناء إلى سعدون الزنجى وداروا حوله وهو سكران لا يعقل عقل الانسان فقبضوه قبضا باليد ووضعوا فى رجليه القيد الثقيل فقال للحاجب لأى شىء فعلت هذه الفعال وغدرت وفعلت فعل الانذال فقال له الحاجب يامقدم سعدون لاتعتب على فانى عبد مأمور والملك سيف أرعد هو الذى أرسل لى كتابا يطلب منى قتلك وإرسال رأسك أو إرسالك حيا إليه وأنا ما رضيت أن أقتلك فان إرسالك حيا أحب الى لعل أن يكون فى أجلك تأخير فقال سعدون وانت معذور وعذرك مقبول لكن والله الذى لا إله إلا هو لو كنت أعلمتنى لأخذتك معى إلى قلعتى وكنت أحميك من سيف ارعد ومن كل من كان عنده وكنت أهلك عساكره واجناده واهججه عن بلاده واما الملك سيف اذاكان حاضر فما يقرم لسيف ارعد قائمة ابدا ولابد ان يسبقه كاس الردى فقال الحاجب اعلم يا مقدم سعدون أن الملك سيف الذى تقول عنه مات وانقضى نحبه ولا بقيت تراه ولا يراك فانه شرب كاس الهلاك فقال له سعدون ومن الذى قتله ومن الذى

أعلمك بقتله ومن أخبرك بهذه القضية فقال الحاجب الذى قتل الملك سيف والدته قمرية وهاهى واقفة قدامك فالتفت المقدم سعدون إلى قمرنه وقال لها ياملعونة أنت رميتيه وهو طفل جنين فنجاه رب العالمين وقتلتيه ثانيا هكذا تعمل الأمهات بالبنين ولكن والله ياملعونة او أكون أنا مطاق اليدين لجعلتك بالحسام نصفين ولكن سوف ترى عاقبة البغى إذا زلت بك القدم وتندمى على فعالك ولا ينفعك الندم فاغتاظت قمرية من كلامه وقالت للحاجب خذه أنت وسر إلى الملك سيف أرعد وسلمه إليه يعذبه العذاب الشديد وأما أتباعه فانا القاهر وأطحنهم طحن الحصيد ولابد لى أن أخلى منهم البرارى والبيد فقال الحاجب سمعا وطاعة وقام الحاجب فصاح على عسكره وهد خيامه وأخذ سعدون وارتحل بالليل ولم يعلم برحيله احد إلا قمرية فإنها عادت إلى بلدها وجلست فى مرتبتها وأما توابع سعدون فانهم لما أصبحوا دخلوا مكان سيـــدهم فما وجدوه ونظروا مكان الحـاجب فرأوه رحل فعلموا أنه قبض على سيدهم وسار به إلى سيف أرعد فركبوا خيولهم واعتدوا سلاحهم وهجموا على قمرية يريدون هلاكها فمنعهم رجالها ووقع الحرب بين الفريقين وزاد الخصام وقل الكلام وهشمت العظام وغنى الحسام الصمام وداموا على ذلك المرام إلى أن دخل الليل بالظلام وافترقوا عن الحرب والخصام وباتوا إلى الصباح وتقابلوا للحرب والكفاح وجرى الدم وساح وتكومت العالم قتلى على وجه الأرض وتقدم كل فارس جحجاح وأما الجبان فانهزم وطلب الرواح هذا والناس بين غالب ومغلوب وذاهب ومنهوب وسالب ومسلوب وعاطب ومعطوب حتى دنت الشمس للغروب وداموا على ذلك الخصام مدة ثلاثة أيام ثم زاد المدد على عساكر سعدون وأشرفوا على شرب المنون وعلموا أن قتالهم نافلة وايديهم غير واصلة لانهم بلا مقدم كمثل الغنم التى بلا راعى ولسعتهم عبيد قمرية بالرماح كلسع الافاعى ولما رأوا ماحل بهم من العذاب والاضرار فما لقوا لهم أصوب من الهرب والفرار فان طعم الموت مر ما يرضاه لنفسه لا عبد ولا حر فولوا الادبار وطلبوا أرضهم والديار فأمرت قمرية بأخذ خيامهم وسلبهم وما خلفوه من رحالهم وجعلت ذلك غنيمة لها وأرسلت للملك سيف أرعد تعلمه بكل ماجرى وتجدد فلما وصل الخبر فرح واستبشر وايقن بالنصر والظفر وقامت قمرية فى مدينتها بين اتباعها وجماعتها وأما الحاجب فانه أخذ المقدم سعدون وسار برجاله إلى مدينة الدور ودخل على سيف أرعد وسلمه إليه بعد ما قبل الأرض بين يديه فضحك الملك سيف أرعد لما رأى المقدم سعدون والتفت إليه وهو مثل المجنون وقال له وقعت ياملعون فقال له سعدون ماهو أنا الملعون والملعون الذى يأخذ الناس بالخداع والمحال من عجزه عنهم فى الحرب والقتال وأنت أى فخر لك بين الملوك حتى تسفه على وأنا مكبل فى الحديد ولو كنت قلت لى

كلمة وأنا مطلق اليدين كنت جعلتك على الأرض نصفين ولكن الملك العاجز مثلك يتحايل على الأبطال يقبضهم بالخديعة والمحال وأنتا الآن فى قبضتك وبقيت عندك اسير فاعلم انك إذا اطلقتنى ومن هذا خلصتنى لابد لى من قتلك ولو تعلقت بالنجوم او غطست فى الأرض تحت التخوم فاغتاظ الملك سيف ارعد من كلامه وامر بضرب رقبته قدامه فقام إليه رجل سياف وجذب الحسام واقبل على سعدون واراد ان يقطع راسه ويخمد انفاسه فما هان على الوزير بحر قفقان الريفى فقام واثباً على الأقدام وتقدم إلى الملك سيف ارعد وقبل الأرض بين يديه وقال له ياملك الزمان إيش فعل معك هذا البطل القرمان وهو سيد الفرسان وقتله ياملك ماهو صواب وإن كان صعب عليك قلة ادبه فى حضرتك فهو معذور من وجوه عدة اولا انت الذى امرت سيف بن ذى يزن ان يأخذه الحاجب ويحارب قمرية فانفسد الحال وفعلت قمرية بولدها مافعلت وعادت قبضت على سعدون بالمكر والاحتيال مع انه ماكان عاصياً حتى قبضته وانت به من محل عصيانه بل كان مرسولا فى قضاء حاجتك هو وسيف بن ذى يزن كانوا فى خدمتك ولو ارسلت له كان اتى إليك وقدم بين يديك وثانياً لما بقى بين يديك قلت له وقعت ياملعون هو اولا ماكان عندك ولاراح لقمرية إلا من بلدك ونحن ياملك محتاجون إلى مثله فإنه بطل من الأبطال وفى الحرب بعد برجال وموته خسارة ياملك الزمان وبعد هذا وقبله انت ياملك اهدى إلى طريق الصواب فقال الملك الآن ماذا نصنع فيه لأننا قبضنا عليه ومابقى يمكن إطلاقه إلا بطريقة حسنة فان نفسه حامضة فقال الوزير ياملك الصواب انك تأمر له بوضعه فى السجن حتى تهدأ نفسه وبعده تعمل طريقة على إطاعته وخدمته عندك ياملك فانه ينفع وللعدو يدفع فأمر الملك سيف لسعدون فى السجن فانزلوه فى سجن ضيق ظلام ونبذوا له شيئاً قليلا من الطعام فأقام المقدم سعدون فى السجن والغيظ كاد يعمى بصره وكثر غيظ المقدم سعدون لكونه بلغه موت سيدة الملك سيف بن ذى يزن فهذا الذى انزل به الغيظ والمحن وضاق صدره غاية الضيق وزاد بقلبه نار الحريق فتنفس الصعداء وابدى لوعة وكداً ولما اختلى فى السجن بنفسه انشد اشعاراً تقتضى ماحل عليه وعلى الملك سيف من الأضرار وقال هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على صاحب المعجزات :

خاننى الدهر مع صروف الليالى　　بفعاله العدوان شر الفعال
ورمانى الزمان بالجور عمداً　　بعد فوزى بغاية الآمال
ليت شعرى وكيف تلك اللعينة　　تتمكن من نيل سبع الرجال
سيدى سيف فارس الطعن والضرب　　مبيد الأبطال عند المجال
كان قرما وشهماً ليوم الرزايا　　متلاف كل الأمار الثقال

ياعيونى جودى عليه بكاء بدموع تجرى كما السلسال
ليتنى كنت حاضرا افندته بسواه ومهجتى ثم مالى
كنت معه بغاية الإمن دوما لست أخشى من طارقات الليالى
فرمانى الزمان فيه الاغتيالا بخداع النسوان ذات الحجال
وأنا بعـــده أقاسى بلاء ورمانى بالقيـــد والاعلان
ان هذا الزمان الذى قضاه إلهى قد قضاه على القرون الخوالى

(قال الراوى) ثم إن سعدون الزنجى أقام فى السجن يستوفى مكتربه من القضاء والقدر الذى ما لأحد منه مهرب ولا مفر وامتثل للقضاء وعلم أن فيه لله رضاء وأما الملك سيف ارعد فانه بعد سجن المقدم سعدون جلس بين رجاله وأحدقت به جنوده وأبطاله فبينما هم كذلك إذا بالرسول الذى أرسلته الملكة قمرية أقبل وتقدم وقبل الأرض وأعطاه كتاب قمرية فلما قرأه رجد فيه اعلم ياملك الزمان أنى حاربت عساكر العبد سعدون الزنجى ونصرنى عليهم زحل واحتويت على مالهم وزجالهم وهجوا منى فى البرارى والقفار وأنا لابد أن ألحقهم إلى قلعة الثريا وأهلكهم جميعا بالـكلية فلما قرأ الملك هذا الـكتاب ضحك فقال الوزير لعل ضحكك على خير يا ملك الزمان فقال ياوزير الملكة قمرية نصرها زحل على رجال سعدون وأسقتهم شراب المنون واحتوت على أموالهم وأسلابهم وأرسلت تعلمنى فى ذلك الـكتاب فقال له الوزير هذا أبرك الأخبار قد بلغك زحل ماتحب وتختار ولـكن الوزير قل صبره وجلده وصعب عليه سعدون الزنجى وما جرى عليه وعلى رجاله وقال فى نفسه اللهم أنت أعلم بما هم فيه عبادك فانصرهم على أعدائك أنك خير الناصرين برحمتك يا أرحم الراحمين هذا ماجرى وأعجب ماجرى للملعون سقرديس أنه لما شاهد مافعل الملك أرعد بسعدون الزنجى فرح ولما أتت أيضا أخبار قمرية وفعلها برجاله زاد فرحه وسروره واطمأن فى جميع أموره ، ولـكن صعب عليه عدم قتل سعدون فانه كان قصده قتله فما بلغ أغراضه فصبر إلى الليل وصار إلى السجن ليقتله فالتقاه ماهو نائم يقظان وعنده من السجن فرع فعاد وهو مغتاظ واتاه أخوه فى تلك الليلة وسلم عليه فحكى سقرديس لأخيه سقرديون ماجرى وقال فى آخر كلامه وكان قصدى قتل سعدون فما امكننى فقال سقرديون أصبر يا أخى وأنا أرمى لك فى غداة غد فتنة يعجز عنها كل أهل الفهم والفطنة وباتوا إلى أن أصبح الله بالصباح وجلس الملك سيف ارعد على كرسيه واحدقت دولته حواليه وإذا بالحكيمين اقبلا عليه وهما سقرديس وسقرديون فقام لهما فى الحال على قدميه ورحب بهما وأجلسهما إلى جانبه وسأل سقرديون عن سبب قدومه فقال ياملك الزمان أنا جئت أزور أخى وأخبره بما عندى من

الاشتياق إلى رؤيته ولما أن حضرت إليه أخبرني بما فعلت الملكة قمرية من قتل ابنها والقبض على سعدون وكيف أنك أردت قتله فمنعك الوزير من ذلك وأنا قد دبرت لك تدبيرا وهو أحسن المسالك فقال الملك وما هو ياسقرديون فقال يا ملك هل أنت نسيت بنت الملك أفراح شامة التي لها بين البنات للجمال علامة وأنت تعلم ياملك أن سبب خراب مملكة الحبشة إذا تزوج سيف بن ذي يزن شامة بنت الملك أفراح لأنه له على وجهه شامة وأنا لي علم من مدة حام بن نوح وهو شيء مثبوت إذا اجتمع صاحبا الشامتين خربت بلاد السودان وهذا لاشك فيه ياملك الزمان وإن قتل سيف اليزني كل يوم ألف مرة لابد أن يعود الدنيا ثانيا وتنفذ على يديه دعوة نوح عليه السلام وهذا شيء لانقض فيه ولا ابرام ولا يبطل امكانه على طول الدوام وأنا ياملك أعلمتك بكل مايجرى من الأحكام وإن كانت قمرية تقول أنها قتلت ولدها سيف المذكور فهذا لايدخل عقلي ولا أصدقه وإن رأيته مقطعا فاعلم أن زحلا يحييه ثانيا لأجل نفاذ الدعوة وإن أردت ياملك إفساد ذلك لما خطب شامة أنت وخذها لنفسك واتصل بها فذلك إذا صارت زوجتك لم يقدر يتعرض لها أحد وبذلك لم يبق يذكر دعوة نوح فينا ولاغيرها وأيضا اعلمك بسبب كل بلية جرت لبلاد الحبشة من الملك أفراح وهذا سيف هو الذي يعاونه على كل البلاوى لأنني أول مرة قلت له اقتله ولا تخل هاتين الشامتين يجتمعان مع بعضهما فما رضى يطاوعني وثاني مرة لما خاص بنته من سحاب المختطف المارد قلت له اقتله فما رضى وانا اعلم انه متى اقترن صاحبا الشيعتين نفذت دعوة نوح والآن ياملك إن كانت قمرية اراحتنا منه وقتلته فلعل أن يكون بلغنا زحل مانريد بقت شامة خالصة لك أيها الملك السعيد وهي أجمل أهل زمانها وتفوق في الملاحة أقرانها أما تنظر إلى سيف اليزني وماجرى عليه من أجلها ولما طلبنا منه كتاب النيل يسعى فيه ليجعله حلوانها وخاطر بنفسه اليزني وما الزنجي يأتي به يجعلها مهرها إلى أن فات مافات والرأى عندى أنك ترسل إلى الملك أفراح كتابا من عندك تأمره باحضار بنته في الحال وتحذره من المخالفة والاهمال وهذا الذى أريد بها الملك السعيد فلما سمع الملك سيف أرعد هذا الكلام قال هذا هو الصواب وتوقع الملك سيف أرعد إلى الملك أفراح حال وقوفك على هذا الكتاب تحضر بنتك وتأتي بها عندى من غير تأخير وان خالفت أرسلت لك عساكر إلى بلدك تهدمها وتترك قتيلا غفيرا ويأتوا بك إلى اسيرا وقد نصحتك وأنت أخبر على نفسك بالتدبير وختم الكتاب واعطاه للنجاب فأخذه وسار به إلى مدينة الحديد ودخل على الملك أفراح وقبل الأرض بين يديه وناوله الكتاب فباسه وحطه على رأسه وقرأه وعرف رموزه ومعناه وعرضه على أرباب دولته ووزراءه فقالوا

له يا ملك هذه من جملة السعادة والاقبال إذا كان ملك الحبشة زوجا بنتك وتعلو بين الملوك رتبتك ومنزلتك وإن خالفت يا مولانا ركب عليك وعلينا وأهلكنا جميعاً واخذها غصباً بعدما يشتتنا شرقاً وغرباً فقام الملك افراح ودخل على زوجته وشاورها فيما يفعل فقالت له كل انثى لابد لها من ذكر ومثل هذا يكون كفؤاً لبنتك فأمرها أن تصلح شأنها وتجهزها بأحسن الزينة والملبوس فقامت امها وفرحت بذلك وجهزت بنتها بأكمل الملابس الغالية وأصلحت أمرها

فقالت شامة يا أبى إيش هذه الفعال أنا ما أريد زواج أحد من الرجال إلا زواج الملك سيف المفضال فقال لها أبوها يا بنتى الملك سيف فقد وما بان وكأنه ما كان وهذا الذى طلبك ملك الحبشة والسودان وصاحب المدائن والبلدان لا يمكن أحد يعصاه فإن البلاد كلها بلاده وأنا من جملة نوابه فاشكرى زحل فى علاه الذى رزقك بهذا الملك العظيم وطاوعيه ولا تكلفينى تعباً وعناء فمن يبقى مثلنا إذا كان الملك صهرنا ويرتفع به قدرنا ويشيع ذكرنا فقالت له شامه يا أبى والملك سيف ابن ذى يزن كيف كانت قتلته ومن أعلمك بذلك الكلام فقال الملك افراح ما أعلم وإنما هو مات بقى زوجك هذا الملك الهمام ثم أنه شد لها هودجاً على جمل بازل وأركبها هى وأمها فى هودج ثانى واخذا معهم ارباب الزف والمغانى وساروا جميعاً يقطعون الجبال والبرور حتى اشرفوا على مدينة الدور وانفذ الملك أفراح من عنده مبشرين الملك سيف أرعد بقدومه فلما علم الملك سيف أرعد أمر دولته أن يركبوا ويطلعوا فى البرارى والبطاح ويتلقوا الملك افراح وبنته الملكة شامه ست المـــلاح فركبت الفرسان وتلقوهم من أبعد مكان وساروا بهم حتى دخلوا مدينة الدور فأمر الملك سيف ارعد بنصب قبة الزفاف على نشز عالى وسط الرياض وأما الملك أفراح فنزل فى أطيب مكان وترك رجاله تنصب الخيام وراح للملك سيف ارعد لأجل السلام فلما رآه قام له على الأقدام وأخذ بيده وامر له بالجلوس إلى جانبه وامر لرجاله بالضيافات والاقامات والعلوفات والأطعمة الفاخرة ودارت الولائم على الناس من أكل الطعام وشرب المدام مدة سبعة أيام رتع فيها الخاص والعام واليوم الثامن أمر الملك سيف ارعد بنصب قبة خارج البلد للزفاف وانتقلت شامه من قبة ابيها إلى قبة بعلها وفرح بذلك ابوها وامها وجميع اهلها وتزينت البلد وكان يوماً لا يعد من الأعمار لما فيه من افراح وطيب المنادمة وراحة الأسرار ولبس الملك سيف ارعد أفخر ملابسه وركب فى موكبه الخاص واكابر دولته ركبت ودراءه وداروا حول البلد وكان قصده فى وسط الليل يصل إلى قبة الزفاف ويدخل على الملكة شامه ولا يبقى خلاف وفى تلك الساعة اقبل عيروض كما امره الملك سيف يكشف الخبر لما سمع الطبول والزمور كما ذكرنا وجرى من الأمر ماقدمنا والملك افراح نظر الملك سيف وعاد إلى سيف ارعد واعلمه واتى بالعساكر ليقيم الحروب فعيروض اخذ

الملك سيف وشامة وطارهم كما قدمنا ونزلهم عيروض على قارعة الجبل وحكت شامة للملك سيف كل ماجرى بالتمام فخر ساجدا لله الملك العلام والتفت إلى عيروض وقال له أنا مرادى أقيم فى ذلك المكان أتفرج على مايفعل ملك الحبشة والسودان وأريدك تأتينى بزاد فإنى جائع وشامه أيضا جائعة فقال عيروض اعلم ياملك أن سيف عامل سماط فيه خرفان قمات وطيور محشيات وحلاوات وفطورات فقالت شامة هات ذاك لنا ياعيروض فقال سمعاً وطاعة وصار عيروض ورفع كل ماكان فى السماط من أطيب المأكول ووضعه قدام الملك سيف وشامه فأكلوا بقدر كفايتهم وعيروض أكل الباقى وقعد الملك وشامة يتحدثان مع بعضهما وأما ماكان من الملك سيف أرعد فانه تعجب وقال لوزيره أما سمعت أن قمرية قتلت ولدها وهاهو حضر وأخذ شامة عروسته وسلط علينا الجان أهلكوا جندنا والاعوان فقال له الوزير لاتعجب من هذا الحال فان هذا حكم الملك المتعال وإن كانت قمرية ضربته ضربات خفيفات فداوى نفسه وأتانا يحاربنا أيكون ذلك الوادى معمور بالجان فترفق معهم وأعلموه بما نحن فيه وتسأل الملك زحل ينصرك عليهم فقال له سيف أرعد أما أنا فقد ضاق صدرى ولابقيت أقعد عن أخذ شامة فانى قد قل صبرى ثم صاح على الحكيمين سقرديس وأخيه سقرديون فلما حضرا قدامه قال لهم هل رأيتم ماحل بنا من سيف اليزن وقمرية أنها تقول إنى قتلته وهاهو قد أتى الينا ورأيتم ماحل بنا فقالوا ياملك هذا تدبير الملك أفراح لو أراد مساعدتنا على قتله ماكان بعد عليه وكلما نطلب منه ذلك يمتنع ونحن قد رميناه فى مهالك كثيرة ويعود منها بخيرات ومكاسب وقد زادشره وعساكرك ياملك لزمان مالها قدرة أن تقاتل الجان فإن أردت أن تقهره فارسل له رسولا يقول له يبطل كتاب الجان واخرج انت إلى الميدان إن كنت تريد ان تبق ملكا على القرى والبلدان فقال سيف أرعد كونوا أنتم الرسل إليه وكلما تعرفوا إنه موافق فاعرضوه عليه فقالوا له سمعا وطاعة ثم ان الحكيم سقرديون أخذه أخوه سقرديس وساو به إلى أن صار تحت الجبل الذى قاعد عليه الملك سيف والملكة شامة وبادروه بالسلام فرد عليهم سلامهم وقال لهم اتيمتونا وما الذى تريدون فقال له سقرديوس اعلم ياملك ان البغى عاقبته ذميمة ويجب على الانسان أنه لايمشى إلا على الطريقة المستقيمة لأن من حاد عن طريق الانصاف لايأمن على نفسه من الاتلاف وان الملك سيف ارعد تزوج الملكة شامة من أبيها وأنت أتيت من اين ماكنت واخذتها واقمت بها فى هذا المكان وهذا من البغى والعدوان وعادات الملوك أن تحارب بعضها فى الميدان بالسيف والسنان وأنت تعاونت علينا بقتال الجان وهذه طباع السحرة والكهان فان كنت تحاربنا حرب الآدميين نقاتلك حتى نفنى اجمعين أو ينصرنا زحل عليكم اجمعين ولأنك انت والملك افراح من الطاغين الباغين وان عجزت عن الفرسان واعتقدت على انك

تستعين على أعدائك بحرب الجان فالملك يرسل يحضر لك السحرة والكهان فاختر لنفسك يامالك الزمان فقال لهم الملك سيف أما قولك أنا أستعين بالجان فهذا شيء لاجرى منى ولا كان وأنا لا أستعين إلا بالملك الديان فإن كان يبارزنى فارس لفارس أتلقاه وأصبر على بلاه وإن كان يغدر ويحمل كل عساكره وكل راكب عنان فأنا أيضا آمر الجان أن يهرسوهم على الأرض والصحصحان وأما الملكة شامة فإن أول الناس أنتم تعلموا أنكم طلبتم منى مهرها رأس سعدون الزنجى وسرت إلى بلاد الزنوج ودخلت قلعة الثريا وصبرت على كل بلية وبعد ذلك طلبتم منى حلوانها كأنها ضاعت والتقيتها وصارت زوجتى تحت ملكى فان يطلبها الملك سيف أرعد ينزل بنفسه إلى الميدان فان قهرنى بالسيف أو بالسنان يأخذها غصبا وأعود أنا ندمان أو يجعلنى قتيلا على وجه الارض والصحصحان وأنا إن قدرت عليه فرجت عليه الحبشة والسودان وملوك العربان وأهيم رأسه بالسيف اليمانى واكسيه من دمه حلة أرجوان تعودوا إليه واعلموه بما سمعتم منى من الكلام اليقين ودبروا له لما ترحوا لئلا تعدموا بالسيوف الماضية ولا ينفعكم سيف ارعد ولا غيره من المحبين فقالوا له يامالك ما على الرسول إلا البلاغ المبين ثم إنهم عادوا من قدامه راجعين حتى وصلوا إلى عند الملك سيف أرعد واعلموه بكل ماجرى وتجددوا وماقال لهم الملك سيف من الكلام فقال الملك سيف ارعد حتى اسمع كلامه منه فقالوا له قم معنا فقام معهم مختفيا حتى بقى تحت الجبل فقال عيروض للملك سيف اعلم أن القادم مع الحكيمين هو الملك سيف أرعد فقال الملك سيف اليزنى يا ملك سيف ارعد مايلزم أنك تختفى إن كنت طالبا شامة تجعلها لك زوجة بعد ماتقتلنى وأناقلت لتوابعك ولابد ما اعلموك فان كان فيك نخوة رجال فانزل أنت بنفسك ودونك وماتريد وأن تعتمد على غيرك أيضا فالله على ما أقول شهيد فقال الملك سيف أرعد بكرة يكون الحرب والطعان وعاد إلى خيمته الملك سيف أرعد وأما سقرديون وسقرديس فانهم عادوا وكل منهم فرحان يجرى كأنه السرحان ويقولون للحبشة والسودان لاتخافوا من حرب وطعان فما عليكم إلا حرب سيف البيضان وقد امتنع عنكم حرب الجان ولما اصبح الله بالصباح اصطفت أبطال السودان على خيول كأنها العقبان ولما رآهم الملك سيف على ذلك الحال قال لعيروض ائتنى بجواد وعدة حرب وجلاد حتى أبرز إلى الميدان ومحل الضرب والطعان وكل من نزل من هؤلاء الحبش والسودان ضربته بد الحسام اليمانى وكسيته من دمه حلة أرجوان فقال عيروض سمعا وطاعة أنا آتيك بما طلبت فى هذه الساعة وغاب عيروض وعاد بعدة حرب وجلاد من خزينة الملك سيف أرعد وأما الجواد فانه حصان أدهم كأنه الليل مظلم فنزل الملك سيف من أعلى الجبل وبقى فى الأرض والمهاد ولبس العدة وركب الجواد وبرز إلى مقام الحرب والجلاد فبقى كأنه

قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل أو قضاء الله إذا نزل وبرز إلى الميدان وتقلب على ظهر الحصان حتى أذهل بفعله عقول الفرسان ونادى هل من مبارز يا أبطال السودان من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفا أنا الملك التبعى الحميرى سيف بن ذى يزن دونكم والقتال ومعافاة الأبطال فالتفت الملك سيف أرعد إلى فرسانه وقال لهم كل من أتى به أسيرا له عندى مائة دينار ذهب وجارية حبشية واخلع عليه خلعة سنية تساوى ألف دينار ملوكية واجعله وزيرى ومديرى ومشيرى فلما سمع كل من كان حاضرا من الفرسان طلب أن يكون السابق للميدان فقال الملك سيف ارعد لا تتدافعوا بل تقارعوا فكل من طلعت قرعته ينزل إلى الميدان فطاوعوه وتقارعوا فوقعت القرعة على يقال له فارس قرقور فمرح بوقوع القرعة عليه وكان حاجبا من الحجاب الكبار وهو بطل معوار فبرز إلى حومة الميدان حتى بقى قدام الملك سيف وجرد حسامه واطبق على الملك سيف فتلقاه الملك سيف وتقاتلا قتالا شديد يشيب لهوله الطفل والوليد فأطبق عليه الملك سيف وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه وضربه بالسيف على عاتقه خرج يلمع من علائقه فنزل إليه أخو المقتول فاخلاه يصول ولا يجول بل قتله فى الحال واخلى منه المنازل والطلول ونزل فارس ثالث فما امهله ورابع فعجل مرتحلة وما زال يقتل فارسا بعد فارس إلى نصف النهار فقتل ثلاثين وجعلهم على الأرض مطروحين فعند ذلك تأخرت عنه الرجال وامتنعوا عن المجال فقال سيف ارعد ياويلكم ليخرج منكم عشرة بالتمام والكمال فأطاعوه وخرج عشرة إلى المجال فصال عليهم وجال فى المدان ثم ضرب كل واحد بحد الحسام اليمان جعله نصفا وما مضى غير ساعتين حتى بقوا عشرين فنزل له غيرهم فعل بهم مثل الذين قبلهم وهكذا عشرة بعد عشرة حتى تناذب عليه سبعون وقتلوا اجمعين واقبل الليل وامسى المساء وعاد الملك سيف بن ذى يزن من الميدان بالسلامة فتلقته الملكة شامه وقالت له مثلك من يحمى الحريم ويفعل فعل الكريم كل ذلك وعيروض يقول له والله ياسيدى لو تأمرنى ما ابقيت من هؤلاء العدا الا احداً ابيض ولا اسود فقال له هات لنا الطعام فقال وها هو حاضر قوام فأكل سيف وشامة وعيروض قد اخذ الجواد يسيره حتى عرقه واتاه بعليقه ووضعه قدامه وحفظ عليه وعاد إلى الملك سيف والملكة شامة وقعد يؤانسهم ويباسطهم واما الملك سيف ارعد فانه تضايق من الملك سيف بن ذى يزن وما فعل من الحرب الأكيد واغتم الغم الشديد وطلب الحكماء وقال لهم إيش رايتم فى تلك الحال قد قتلت الرجال وفنيت الأبطال ولا بلغنا مرادنا من خصمنا فقالوا له ياملك الزمان إن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فان كان فى هذا اليوم النصر له يكون فى غداة غد النصر لنا فقال لهم ها انا صابر حتى انظر إيش يكون الآخر وبات إلى ان طلع عليه

الصباح ورتب العساكر للحرب والكفاح فهنالك برز الملك ابن ذى يزن وطلب القتال فبرز إليه فارس شديد كأنه برج مشيد ولطم الملك سيف فتلقاه الملك الفارس الكرار وطلع عليهم الغبار وغابا عن الابصار وطال الملك سيف على خصمه وأتبعه وأضجره وتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره فأخرجه يلمع من ظهره ونزل الثانى فأرداه والثالث فأفناه والرابع فأخلاه وهكذا إلى آخر النهار حتى قتل منهم مائة وسبعين واليوم الثالث كذلك هذا وسيف أرعد يكوم المال قدام الرجال ويقول كل من قتل سيف البيضان يأخذ منى ويكفيه من ذلك المال والخلع الحسان واعطيه من الجوار الحسان وكذا تنظر الفرسان إلى ذلك المال يأخذهم الطمع وينزلوا للمجال على تلك الحال وكل من نزل القتال لم يبلغ الآمال ودام الامر على ذلك المرام مدة عشرين يوما تماما فتضايق الملك سيف أرعد من ذلك الحال وأما الملك سيف فى جميع الاوقات يزداد قوة ونشاط وعجزت جميع الابطال عن الملك سيف بن ذى يزن وقاموا منه أشد البوائق والمحن وكل من نزل الميدان عدم رأسه من على الابدان وأما سقرديس وسقرديون فتفطرت كبودهم ونشف بقهم وأحضرهم الملك سيف أرعد وسألهم مايكون الرأى فى ذلك الفعل الذى تجدد وسيف بن ذى يزن أبلانا بالمصائب والمحن وأوقع فى رجالنا الفنا قال سقرديس ياملك الزمان اصبر عليه حتى يبرز إلى الميدان وأطلق عليه بالحبشه والسودان فوجميع الرجال والفرسان فيقطعونه بكل سيف يمان وكل رمح سنان فقال الملك ياسقرديس هذا الذى رأيته من الجواب لاجل ان يكون هو صادق وأنا كذاب ورأيك مافيه صواب ولا نبلغ به الاراب فإن الشراط الذى وقع فى المحاربة بيننا أن يكون كل فارس لفارس بالسيف والقنا وأخيرا جعلنا نأمره كل مرة أن يحمل عليه عشرة فامتثل وقاتلهم وماحصل عنده فشل وأنت تقول أن آمر العساكر يحملوا عليه مرة وربما إذا فعلنا ذلك وخالفنا الشرط يأمر العفاريت أن يحاربونا وبالاحجار والصخور يهشمونا وبعد ذلك جميع الملوك يعايرونا ويقولون فارس واحد عجزت عنه كل عساكر الملك سيف أرعد من حبش وسودان وعربان أما حسبتم حساب ذلك الشأن وهذا عار لا يمحى طول الازمان فمن ذلك قال له الوزير بحر قلقان الرينى ياملك أنا أدلك على تدبير به يهون العسير فقال له ذلك وما هو أيها الوزير فقال له اعلم أن هذا سيف بن ذى يزن فارس جليد وفى قتاله صعب شديد فإن كان قصدك أن تبلغ منه ماتريد فأنزل له فارساً مثله صنديد لتظفر بمقصودك وتنى بأيمانك وعهودك فإن ما للحديد إلا الحديد فقال الملك سيف أرعد ومن عندنا يقوم مقامه ويثبت فى الحرب قدامه فقال الوزير ماله إلا الاسعدون الزنجى أيها الملك الرشيد فقال الملك اعلم أن سعدون صاحب سيف بن ذى يزن وهو مرافقه فكيف تمن عليه نحن ونطاعنه ولم نمس ببطل غيره مما تختاره

وتراه فقال يا ملك ما عندك أحد سواه وهو الذى يأتيك به إما قتيلا أو أسيرا والسودان ما لهم صاحب ولا يعرفون إلا المال والمكاسب وسيف بن ذى يزن لما أخذه من الميدان ما كان بشجاعته وإنما وقع السلاح من يده فعدم صبره مع جلده فقال الملك إذا كان الأمر كما ذكرت فسر أنت إليه وعده عنى بكل جميل عسى أن قلبه إلينا يميل وإن قتل سيف بن ذى يزن أو أتانى به أسيرا أقانى أجعله لدولتى وزيرا فقال الوزير السمع والطاعة وقام وسار إلى المدينة ودخل إلى المطمورة التى هى مسجون فيه المقدم سعدون فدخل عليه فوجده قاعد مغبون ومن شدة تعبه أشرف على شرب كاس المنون فقعد قدامه وسلم عليه أحسن سلام وآنسه فى الكلام وصار ينقله من كلام إلى كلام حتى انتهى معه إلى ذكر الملك سيف بن ذى يزن وذكر اجتهاده ومروءاته وهمته وشجاعته وثباته فى الميدان وجسارته على الحرب والطعان وقال الوزير يا سعدون أظن أنه لم يكن له نظير فى ذلك الزمان فبكى سعدون الزنجى لما سمع بذكر سيده وتحسر وسال دمعه على خده وتحدر وقال يا وزير الزمان وحق الإله الرحمن خالق الإنس والجان لو كانت الملعونة قمرية قبل ما قتل سيف بن ذى يزن قتلت روحى أنا وتبقيه لرضيت بذلك ولا كنت أفرط فيه فعلم الوزير أنه صادق فى محبته فمال إليه وساوره فى أذنه وقال له إن أستاذك طيب بخير وعافية وما جرى له شيء جملة كافية والذى سمعته عنه كذب محال وهو محاصر على مدينة الدور وقد عجز عنه كل فارس مذكور وله عشرون يوما محاربنا وحكى له على ما جرى من قدومه وأخذا شامة من البرارى والقفار ورجم الناس بالأحجار وشراب النار فقال سعدون أحق ما تقول أيها الوزير أم أنت تضحك على وتستهزىء بهذا القول النكير فقال الوزير أنا كل كلامى حق ما فيه ضلال وتزوير وحق الملك العليم القدير فلما سمع سعدون ذلك القسم همهم ودمدم وفرح وتبسم وكاد أن يطير من الفرح وزال عن قلبه الهم والترح وقال له يا وزير أنا لو أكون مطلوق كنت اتقدم اليه واقبل يديه ورجليه واحارب كل من عصى عليه واجعل روحى له الفدا ولا تشمت بى ولا به العدا فلما سمع الوزير بحر قفقان من سعدون ما يبديه فقال له وانا ما اتيت إلا لأطلقك من الاعتقال واعتقك من ذلك الوبال حتى تطلع لأستاذك على اكمل حال ودبرت تدبيرا ما يعرفه إلا من كان بالأمور خبير او تعجز عنه صناديد الابطال ان انت قلت ما اقول لك من المقال واريد منك إذا وقفت قدام الملك سيف ارعد ان تتأدب وتقبل الأرض بين يديه فاذا قال لك اريد منك ان تخرج إلى هذا الفارس الذى اسمه سيف ابن ذى يزن ولد الزنا وتربية امه الخنا وتأتينى به قتيلا او اسيراً وانا ازوجك بنتى واقاسمك فى نعمتى فقبل الأرض ثانيا وقل له نعم يا ملك الزمان انا لى عنده ثار وانا ما كنت سايرا إلا ومرادى ان ابلغ منه فرصة واجرعه من الموت غصة اى غصه وافعل ما اريدوا الآن يا ملك بلغنى زحل ما اريد وسوف آتيك به اسيرا واجعله عبرة قتيلا عفيرا فاذا الغبرا قال لك اخرج اليه فاخرج وافعله

مابدا لك ولا ترجع السودان ولا تنظرهم وعاون الملك سيف على قتالهم وإذا وصلت إليه فاقرئه منى السلام فقال سعدون سمعا وطاعة ياوزير جزاك الله عنا كل خير ثم إن الوزير خرج من عند المقدم سعدون الزنجى وسار عند الملك سيف ارعد وقال له لك البشارة ايها الملك السعيد وبلغك زحل كل ما تريد واعلم ان سعدون الزنجى اجابك على انه يقتل الملك سيف بن ذى يزن وينزل به الرزايا والمحن فقال اتنى به فأحضره الوزير واوقفه قدام الملك فقبل الأرض وتأدب فقال له الملك سيف ارعد ياسعدون انا ماجئت بك عندى إلا لأجل ان اخرجك إلى سيف بن ذى يزن تقتله او تأتى به عندى اسيرا فقال سعدون السمع والطاعة سوف اخرج إليه وآخذ روحه من بين جنبيه الذيقه كأس العطب واجعله مثلا يضرب واعود بعدها إليك واجتهد فى الخدمة بين يديك فقال له الملك إن انت قتلته زوجتك بابنتى وقاسمتك نعمتى فقال سعدون ياملك هذا اقرب مايكون هون على نفسك ما لا يهون وسوف ترى ما يسرك من عبدك سعدون فأمر الملك بطاقه وامر له بخلعة سنية وضعت عليه فقال سعدون اعلم ياملك انى ما استاهل هذه الخلعة ولا البسها حتى آتيك براس الخصم بين يديك وسقيه من الموت غصة فانى الآن قد بلغت منه فرصة وإذا بارزته واتيت به بين يديك ففى هذا الوقت تلزمك الخلعة وتكون حق واستاهلها فقال الملك إذا فعلت ذلك جعلت اموالى وخزائنى لك مباحة تأخذ منها كل ما تريد دونك ياسعدون اعانك زحل على خصمك ولكن لا تخرج حتى تأكل من طعامى وتشرب مدامى ثم ان الملك امر باحضار الطعام فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وانشالت الأوانى وغسلت الأيدى فأمر الملك لسعدون بعدة كاملة وآلة حرب شاملة وحصان من افخر خيول الحبشة والسودان فقام سعدون ولبس عدته وتقلد لامته فصار كأنه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل او قضاء الله إذا انحدر ونزل وسار إلى الميدان وقال فى نفسه أنا لما قابلت الملك اول مرة غلبنى وقهرنى وعفاعنى ولكن اريد ان اجرب روحى معه واقاتله حتى لا يبقى فى قلبى شك فى فروسيته ثم انه صار إلى الميدان ومحل الضرب والطعان وقد جعل على وجهه اللثام وحمل على الملك سيف حملة الأسد الضرغام فاستقبله الملك سيف بن ذى يزن بقلب اقوى من الحجر وجنان اجرأ من تيار البحر إذا زخر وتقاتلا قتال من له على خصمه ثار وتطاعنا بالأسمر الخطار وانعقد على رءوسهما الغبار وانطبقا وانصقا وافترقا وتناصلا وتباعدا وتقاربا واتصلا وانفصلا وتارة يكونان فى الميمنة وتارة فى الميسرة وتارة يجرى بهما الخيل خببا وتارة قهقرة وصار الحرب بينهما كالنار المسعرة وداموا على ذلك العيار من اول النهار حتى لبست الشمس حلة الاصفرار وسعدون راى من الملك سيف غلبة وإن ثبت قد ينه يسقيه النكبة فعند ذلك رمى الرمح وترجل عن ظهر الجواد إلى الأرض والمهاد وقال ياملك الزمان ثبت يديك ما انت إلا فارس الرمان واشجع كل

من ركب على ظهر الحصان ياسيدى لاتؤاخذنى بما بدا منى من النقصان فما كان قصدى إلا أجرب روحى معك فى الميدان ثم إنه كشف لثامه عن وجهه وقال له ياسيدى أنا عبدك سعدون وما فعلت مافعلت إلا من باب الجهل والجنون وأنا عبدك سعدون ثم أنه تقدم وقبل رجله فى الركاب وقال له الحمد لله على سلامتك يا أعز الأحباب لو تعلم ما جرى على فى غيبتك فقال الملك سيف ياسعدون وما أريد منك كلام فى هذا المقام إلا إذا انفصلت هؤلاء الأقوام وهذا الضرب بالحسام ماهو وقت كلام خذ أنت ميمنة القوم وأنا الميسرة فقال سعدون سمعاً وطاعة وانحرف يمين العسكر وكذلك الملك سيف بن ذى يزن أخذ اليسار ونادوا الله أكبر وكان لسعدون صوت عال جهورى فنادى ابشروا يا كلاب السودان بقلع آثاركم وخراب دياركم وفناتكم ودماركم وها نحن قد جمع شملنا وخلصنا من أيديكم بلا تعب ولا عنا وسوف ينزل بكم الفنا فليبرز منكم كل فارس منتخب حتى يذوق الويل والحرب ويشرب من حدود سيوفنا شراب العطب فلما سمع الملك سيف ارعد ذلك غضب غضباً شديدا ما عليه من مزيد والتفت إلى الوزير وقال له انظر سعدون اتفق مع سيف بن ذى يزن صاحبه لما كل من طعنه ومضاربه فقال الوزير لاشك أنه كان غالباً نخاف أن يسقيه كاس عطبه فانضاف إليه خوف أن يغضب ويجعل غضبه عليه فقال الملك مابقى إلا أن يخرج إلى الاثنين كل من كان فى المدينة من الرجال والشجعان والابطال حتى يحملوا عليهم فى القتال ويأتونى بهم فى عاجل الحال لئلا يعايرنى الملوك كل غنى وصعلوك ثم أن الملك صاح فى كامل رجاله فتبادروا إلى الميدان من كل جانب ومكان كأنهم فروخ فتلقاهم الملك سيف وسعدون كأنهم العقبان وغنى السيف اليمان وسارت القتلى كيمان وصبغت الأرض بالدماء كالارجوان وكان ذلك إلى وقت آخر النهار فارادوا الانفصال فما مكنهم الملك سيف ارعد بل انه صاح فى رجاله ويلكم خذوهم وباسيافكم قطعوهم اما انتم رجال وفرسان المحال وهذان الثنان قدامكم فى القتال شيلوهم على أسنة الرماح العوال وقطعوهم بكل حسام فصال فتناخت جميع الأبطال وتصايحوا أشد صياح وهاج الملك سيف بن ذى يزن فارس للكفاح وسعدون الزنجى ليث الحرب والرماح وما زالوا على ذلك الرواح حتى برقت غرة الصباح وبانت الوجوه الملاح من الوجوه القباح وتعب سعدون وملّ من كثرة الكفاح فأراد أن يأخذ له راحة فما مكنهم سيف أرعد من ذلك وصاح فى السودان وقال يا ويلكم اهجموا عليهم واقتلوهم فقد تعبوا من الحرب والقتال فعند ذلك صاحت الرجال وهزت الرماح والعوال وكثر الهياج وقوى العجاج وصاروا يرمون القتلى أزواجا وأفرادا ودام الامر على ذلك العيار إلى آخر النهار هذا وسيف ارعد

واقف على الراية يصيح فى سودان وينخيهم للحرب والطعان ويقول يا ويلكم هما اثنان وأنتم عندكم كثير ويا ويلكم اطبقوا عليهم من كل جانب وقطعوهم بالسيوف القواضب وتبعوا خيلهم فاذا قتلتم الجوادين قتلتم الفارسين لأنه ما يبقى فيهم عزم للوقوف واشرفوا على شرب الحتوف ودام الأمر على هذا المرام ثلاثة أيام تمام ليلا ونهارا حتى أن الفارسين كلا من كثرة الصدام وايقنا بشرب كاس الحمام وعجزا عن الحديث والكلام بينماهم على ذلك الحال وإذا هم بصرخات وضجات عاليات وزعقات ثائرات وقعقعة نازلة من الجو على الملك سيف وسعدون واختفوا الاثنان وكان الذى خطفهم عيروض وطار بهم فى الجو ومازال سائرا بهم حتى نزل عند الملكة شامة وهناهم بالسلامة فقال الملك ياعيروض لماذا فعلت هذه الفعال وأنا شرطت على نفسى ان الجان لايقربونا فى المجال فمن امرك بالقتال معنا فقال عيروض أكنت أتركم تروحون غلطا فلولا أنى أدركتكم لكنتم مشرفين على الهلاك وسوء الارتباك وقتالكم هذا على غير صواب أما شامة فهى معك وقد خلصت من الأعداء وكذلك صديقك سعدون فاخبرنى عن هذا القتال عن أى شىء يكون فقال الملك سيف بن ذى يزن والله ياعيروض إنك صادق وهـذا هو المرام ولكن أريد أن توصلنى إلى المدينة الحمراء عند امى قمرية لأنى تركت عبيد سعدون محاصرين مدينتنا وقصدى أعاتبها على فعلها وأجازيها على مكرها وعبارتها فقال عيروض السمع والطاعة واحتمل الثلاثة على كاهله وهم الملك سيف وشامة وسعدون وسار بهم من تلك الساعة ومازال سائرا بهم إلى المدينة الحمراء وانزلهم على سن جبل وغاب ساعة وعاد لهم بخيل مسومة مسرجة ملجمة بمراكب ذهب بفصوص جوهر انواره تنتهب وقال لهم اركبوا سوف ترون العجب فقال له المقدم سعدون يا أخى اعمل معى جميلا وانظر رجالى اين هم واتنى بهم فقال له عيروض اعلم يا أخى أن رجالك الذين كانوا معك لما ثقل عليهم العدد فى حرب قمرية تجمعوا وأقاموا فى هذا الجبل وتحصنوا فيه وإذا احتاجوا إلى طعام أو خلافه فينزل أحدهم ويدخل البلد ليلا ويأخذ كل ما احتاجوه بالسرقه والعيارة ولهم مدة على ذلك الحال فلما سمع سعدون من عيروض ذلك الكلام أخذه الفرح والابتسام وسارهو والملك سيف وشامة حتى وصلوا إلى العبيد فلما رآهم العبيد قاموا اليهم وتلقوهم وهم متأهبون للقائهم وظنوا أنهم اعداؤهم فصاح سعدون عليهم وقال لهم أنا سعدون كانكم ما تعرفونى فقالوا له أهلا وسهلا وتقدموا وسلموا عليهم وقبلوا أيادى سيدهم وأيادى الملك سيف وهنوهم بالسلامة من البؤس والندامة ثم تقدموا للملك سيف وشكوا له ما جرى لهم من قمرية وكيف دهمتهم بكثرة العساكر وقالوا كان مرادها أن تنزل بنا الموت المعجل فتحصنا منها بذلك الجبل وذلك لغيابكم عنا فلو كنتم خلف ظهورنا لكنا بذلنا بين ايديكم

أرواحنا ونقاتل حتى تلعب حوافر الخيل برؤسنا ثم حكوا لهم من اول الأمر إلى آخره وكشفوا لهم عن باطنه وظاهره فقال لهم سعدون ما هذا وقت كلام اركبوا الآن خيولكم واعتدوا بنصالكم ودونكم وأخذ الثأر من عدوكم فقالوا له حبا وكرامة ثم انهم ركبوا خيولهم واعتدوا بنصولهم وركب المقدم سعدون فى أوائلهم كأنه الموت الأحمر والبلاء المصور وعيناه تتقد بالشرر وساروا من هذا الجبل كانهم القضاء المنزل واحتاطوا بمدينة قمريه وهى حمراء الحبش التى بناها الملك ذويزن وهم يصيحون بأهل المدينة أبشروا بالدمار وخراب الديار وقلع الآثار فلما سمعت قمرية هذه الأخبار طار من عينها الشرار وسألت عن الخبر فقال لها رجالها اعلمى أيتها الملكة الكريمة أن عبيد سعدون أقبلوا إلينا يريدون قتالنا فصاحت فى رجالها وقالت ياويلكم اخرجوا اليهم واهجموا عليهم واقتلوهم وعلى الأرض جندلوهم فعند ذلك ركبت الرجال على ظهور الخيول العوال وطلبوا الحرب والقتال والطعن والنزال وطلعت هى فى أوائل العسكر فسمعت الملك سيف وهو ينادى بصوته الجهورى ويقول الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر وحيانا بالنصر والظفر فلما تحققت قمرية تلك الأمور المقضية نزلت عليها الرزية وأيقنت بكل بلية وقالت فى نفسها ياليتنى قتلت ولد الزنا هذه بيدى فإنه الآن طاب وعاد إلى محاربتى وكيدى ولكن أنا أخدعه وبالحيلة والمكر أصرعه ثم أنها فى عاجل الحال صاحت فى عساكرها وقالت ياويلكم ارجعوا على أعقابكم وادخلوا مدينتكم كيف تقاتلون ملككم وابن ملكتكم فقالوا لها أنت التى أمرتينا بالنزول إليه فقالت أنا ما عرفته ولوكنت عرفت أنه ولدى كيف آمركم بقتاله وجزبه ونزاله فعاد العساكر واما قمريه فتقدمت إلى الملك سيف وبكت وقالت له ياولدى اسحب حسامك واضرب رقبتى وأنت برىء من دمى وخطيتى فلا كانت الدنيا بعدك فانت يا ولدى عندى أعز من كل الدنيا وهاأنا ياولدى ظلمتك وتعديت عليك فدونك اشف فؤادك منى واسحب سيفك واقتلنى حتى تكون أخذت تاوك وازحت عنك عارك ثم انها بكت بكاء شديدا وتمسكت بالخداع الذى يلين الحديد وكشفت صدرها ورخت عيونها على صدرها وصاحت واولداه واثمرة فؤاداه فعند ذلك رق قلب الملك سيف بعد الغضب وتعجب من ذلك السبب وقال لها يا اماه هذا شيء مقدور والحمد لله الذى جعل عاقبته سليمه وطرائقه مستقيمة وحصل لى ذخائر عظيمة وفوائد جسيمة فقالت له ياولدى وما هذه الذخائر العظام فقال لها أتيته بلوح عيروض بن الملك الأحمر وسار لى خادم واتيت بالحسام وهو سيف الملك سام بن نوح عليه السلام واحتويت على تلك الممالك والانعام وأتيت وأنا سالم بأمر الملك العلام فلما سمعت قمرية منه ذلك الكلام زاد بها البلا والوجد والهيام ولكن اظهرت

بالفرح والابتسام وأخفت مابها من نار الاضرام فقال لها وإن اللوح ماحمله إلا كل طاهر فإن خادمه من أولاد ملوك الجن الأفاضل فقالت قمرية بمكرها والخداع والحمد لله على سلامتك أيها البطل الشجاع والقرن المناع ادخـــل ياولدى برجالك إلى مدينتك واجلس على تخت أبيك فى مملكتك فان الدولة دولتك وأما أنا فكنت موكلة عليها حتى كبرت ثم أنها سارت قدامهم إلى داخل المدينه وأمرت أهل البلد بالأفراح والزينة ودخل الملك سيف وسعدون الزنجى معه وكذلك الملكة شامة طلعت إلى أعلى مكان وهى فى غاية الفرح والأمان وصارت قمرية تضمها إلى صدرها وتفرح بها وتقول لها ياملكة شامه كما أن الملك سيف ولدى فأنت عندى عزيزة لأجل خاطره فإنى مارزقت ولاذاً غيره ومعتمدى مايكون إلا عليه هذا والملك سيف وسعدون الزنجى قد جلسوا على كراسى الديوان ودار بهم الوزراء والحجاب والخدام وجميع أرباب الديوان وقاموا فى أمن وأمان ولهم كلام

(قال الراوى) وأما الملك سيف أرعد فانه لما نظر إلى ماجرى ورأى أخصامه قد تراحوا من قدامه وهلك خلق كثير من عسكره وأربابه فما كان إلا أن عاد إلى مدينة الدور وجلس فى مملكته وكانت عساكره قد عادوا قدامه مكسورين وبما أملوه خائبين وبعد ما أقام فى مدينته التفت إلى الوزير وقال له إيش رأيت ياوزير فى هذا الأمر العسير فقال له الوزير بحر قفقان ياملك أنا أرى أن هذا الولد قويت شوكته وبقى ملكا مثل الملوك ويفتح مدينته ويحكم على دولته ورعيته فان غفلت عنه ماتأمن على نفسك منه وأنا ماقلت لك إلا حقاً ولا تكلمت إلا صدقاً فاحضر حكماء مملكتك ودعهم يدبرون فى هلاك أعدائك وإلا فلا تنال غرضك فعند ذلك أمر الملك سيف أرعد باحضار الحكماء سقرديس وسقرديون فلما حضروا قال لهم إيش رأيتم ياحكماء فى هذا الحال الذى قد جرى علينا وهاهو سيف البيضان انتصر علينا وكسرنا وهرب من بين أيدينا وأخذ شامة بنت الملك أفراح ومابقى لنا فيها براح فقال له الحكماء ياملك وحق زحل فى علاه ماهذا إلا تدبير الملك أفراح ومن الرأى الصواب أنك تقبض عليه وتقتله وترتاح منه ومن وراهيه فانه مادام طيباً على قيد الحياة لاتأمن أنه يغرى سيفا على قتالنا ويعاونه الجبان على خراب ديارنا وقلع آثارنا ولا يغرك أن الملك أفراح لك حبيب وماهو إلا عدو رقيب فاقتله لترتاح من عائلته فانه هو الذى يقوى سيف بن ذى يزن على غدره وخيانته فقال الملك سيف أرعد صدقتم ثم أنه أحضر الملك أفراح إليه وأمر بالقبض عليه فقال الملك أفراح أنا إيش عملت حتى استحق ذلك فقال له سيف أرعد أنا ما أعرف ذنبك وإنما الحكماء ألزمونى بقتلك ولا يمكن أن أعاديهم من أجلك ثم أنه أمر بضرب رقبته فقام السياف على رأسه وجذب بيده الحسام وأخذ الدستور فقال له سيف أرعد اقطع رأسه حتى نرتاح

من شره وبأسه فرفع الملك أفراح رأسه إلى السماء وتوسل بعظيم العظماء وصار يقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

يامن يرى حالى ويعلم ما أنا   فيه وما قاسيت من ذاك العنا
يامن يرانى فى يدى أعدائه   فى ذلة الأسر الشنيع موقنا
إنى دعوتك خائفاً ياسيدى   ممن يريد يذيقنى كاس الفنا
أدعوك مضطراً وأنت وسيلتى   وعليك معتمدى عسى ألقى الهنا
يارب بالبيت العتيق ومن غدا   بجواره من خوفه مستأمنا
أنعم على وفك أسرى عاجلا   فرحاً لنا ومذلة لعدونا

وصار الملك أفراح يدعو بتذلل وابتهال وخضوع لقدرة الله الملك المتعال فما أتم دعاءه حتى أظلم الجو ونزلت قعقعة من الهواء مثل الرعد القاصف وكان هذا النازل عيروض بن الأحمر وصرخ فى وسط ديوان سيف أرعد فكاد أن يزلزله وانقض على الملك أفراح وحمله وكان السبب فى ذلك أن قرية أخذت شامة واطلعتها إلى قصرها فنظرت إلى القصر وقالت للملكة قرية ائتنى بسيدى الملك اسأله عن حالى فنزلت قمرية إلى الملك سيف وقالت له ياولدى كلم زوجتك شامه فان حالها ماهو مستقيم فقام الملك سيف وطلع إلى شامة وقال لها ما الخبر فقالت له ياسيدى إنك أنقذتنى ومن سيف أرعد أخذتنى ولكن أبى عند سيف أرعد أخاف عليه أن يضام وان سيف ارعد ينتقم منه غاية الانتقام ولو كان لى قدرة لكنت أسير إليه وأخلصه من بين يديه وأنا ما اعتمد فى خلاصه إلا عليك وها أنا قد شكوت قصتى إليك فعند ذلك قال الملك ياعيروض امض إلى الملك افراح وائتنى به عاجلا فقال سمعاً وطاعة فسار عيروض واختطف الملك افراح وسار به حتى وضعه قدام الملك سيف واما الملك سيف ارعد فقال إيش رأيتم فى هذه الفعال فقال الحكيم سقرديس ياملك ماترى هذا الأفعال الجان ونحن مالنا على فعل الجان طاقة ولا لنا على حربهم استطاقة ولكن ياملك بحسن التدبير يهون كل أمر عسير هذا ماجرى هنا واما الملك سيف للوضع عيروض الملك افراح بين يديه فتح عينه فرأى شامة بنته وأى الملك سيف بن ذى يزن وسعدون الزنجى والملكة قرية فقال ابن انا فقال الملك سيف انت عندى ياجاهل ياقليل العقل تزوج بنتك لسيف ارعد وانا موجود وتنكر المواثيق والعهود ولكن انت لك عندى شافع عظيم وهى الملكة شامة صاحبة الوجه الوسيم واللفظ المليح الرحيم والحسن والجمال المقيم فقام الملك افراح للملك سيف بن ذى يزن وقبل يديه واعتذر إليه من ذنبه فقال له اما قلت لك كل مافعلته محمود منك ولا ترى منى إلا الخير والسلامة إكراماً لما ربيتنى فى نعمتك وايضاً لأجل خاطر الملكة شامة بنتك

فقال له الملك افراح والله ياولدى أنت عندى أعز من أولادى ومن روحى ومن فؤادى وأما هذه الفعال التى تجرى والأحوال فما هى إلا من أولئك الحكماء أولاد الأنذال فقال له الملك سيف ياملك أفراح أنا لما خطبت بنتك فى الأول طلبت رأس سعدون الزنجى وأتيت به وهو على قيد الحياة وأنت قلت المال وصالى بقدومه هل جرى ذلك أم لا فقال نعم فقال الملك سيف وثانياً طلبت منى حلوانها كتاب تاريخ النيل فاتيت به هل هذا صحيح أم لا فقال الملك أفراح نعم كان ذلك فقال الملك سيف وهذا الوقت هل بقى لك على حجة تحتج بها فى زواج بنتك شامة لى فان لم يكن لك غرض فى ذلك فاعلمنى فقال الملك أفراح معاذ الله ياولدى والله أنا وأولادى وبلادى وأجنادى كلهم بحكمك وأنا خادمك وبنتى امتك وما كان أحد يلتى بيننا الفتن والتأسيس إلا الحكماء سقرديون وسقرديس وإن أردت فى هذا الوقت أن أكتب لك كتابها على ملة أبينا الخليل إبراهيم واجعل لك فرحا عظيما وتدخل عليها فى أى وقت اردت فلا مانع ولا يدفعك عنها دافع فقال الملك سيف إن كان قولك صادقا ومافيه مخادعة ولا تحته حيلة فيكون فى هذه الليلة فقال الملك أفراح افعل ما تريد فانا عن رأيك لا احيد فعند ذلك قالت الملكة قمرية هذه الليلة يكون الفرح والسرور ويكون على انا إتمام الأمور وأمرت بديوان عموم حضرت فيه ارباب الدولة جميعا ودخلت قمرية واحضرت عشرة عقود جوهر كل عقد يساوى ألفى دينار أو أكثر وقدمتهم إلى الملك أفراح وقالت هذا مقدم صداق شامة بنتك سيدة الملاح وأعطت لشامة عقدا أربعة عشر فصاً من الجوهر كل فص يساوى ألف دينار وأخرجت لها بدلة كنوزية كلها بتفاصيل الابريسم الخالص منسوجة بشرائط الذهب وخلعت على الوزراء والحجاب الخلع السنية وفرقت على الخدم عشرة آلاف دينار وانقامت الافراح سبعة أيام والناس يهرعون إلى أكل طعام وشرب مدام وعقد الملك سيف على شامة عقد النكاح وذبحت عند ذلك الأغنام وكسيت الأرامل والايتام وقامت الأفراح سبعه أيام ولما كانت الليلة الثامنة دقت الطبول ونعرت البوقات ودار سماع أغانى والآلات المطربات وانجلت الملكة شامة على الملك سيف وتم له بها الزواج بلا مانع ولا احتجاج وقام الملك سيف وسار إلى محل الاختلاء فلما أتى إلى باب القصر عارضته أمه فى الطريق وقالت له ياولدى ويا قطعة من كبدى هذه الليلة أبرك ليالى الزمان التى تغيظ العدو وتفرح الأخوان وأنا أرجو من الله تعالى أن تغلبها بالمقدرة والجاه والمال وهى أيضا تغلبك بالاولاد والعيال وتعيشوا متمتعين على أحسن حال فشكرها على مقالها وقبل يدها وقال هذه ببركة دعائك فقالت له ياولدى أنا قلبى يحدثنى بالخوف عليك من جهة هذا اللوح الذى أنت حامله وأنت قلت لى ما يحمله إلا كل طاهر وهذه ليلة دخلتك فاحترس عليه من اعدائك فانه

من أحسن الذخائر ومات بحسرته الملوك وأنت ياولدى اخذته بلا مشقة ولا تعب فيجب عليك التحفظ عليه من النجاسة وأنت داخل على زوجتك لتزيل بكارتها فربما أن يعتريك عذر الجنابة وأنت حامل ذلك اللوح فيحصل لك من ذاك ضرر فقال الملك سيف ياأماه أنا محترس عليه غاية الاحتراس ولا أفرط فيه أبدا ولكن قولك صحيح وأخشى من العذر يعتريني وهو معى ولكن اريد منك أن تأخذيه وتحفظيه ولا تفرطى فيه حتى أفضى أنا من زوجتى وطرا وآخذه منك بعد ما أسقط عذرى ويرتاح بالى وفكرى فانك تعلمي أن هذا اللوح لا أفرط فيه ولا آمن أحدا غيرك عليه فقالت له ياولدى أنا أحفظه لك ما بين جفونى واجعله معادل عيونى فشكرها على قولها وفى تلك الساعة أقبلت الملكة شامه وأدخلوها إلى محل الخلوه وقام الملك سيف ودارت به أكابر دولته وساروا حتى دخل المكان فقامت الملكة شامة على حيلها وقبلت يده ومد يده فكشف وجهها واراد أن يتقدم حتى يزيل بكارتها وإذا بأمه دخلت عليه وجلست بجانبه وقالت له ياولدى هناك الله بالعروس ورزقك منها الأولاد الذين بهم تسر النفوس وجعل الله كعبكما مباركا على بعضكما واعلم ياولدى ان الله أعطاك مرتبة لم يبلغها إلا نبى الله سليمان وهى حكم الانس والجان وانك منصور على سائر الملوك والاقران ثم أنها أنشدت تقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

هنيت يا ولدى بما قد نلته ... وبلغت فى الأيام ما املته
ونلت قصدك بالزواج بشامة ... بنت الملك أفراح إذ ناسبته
من بعد ما قاسيت كل شدائد ... صعبت وعنك الحزن قد صرفته
ولقد رميتك رميتين وغرنى ... إبليس من رميي وقد طاوعته
حقا ونجاك الكريم بفضله ... ووصلت بيتا للمليك دخلته
واللوح من عيروض حزت وسيفهم ... ماقوا بحسرتهم خلافك وانتهوا
ولقد غدا قلبى بحبك صافيا ... وندمت من قبح اليك فعلته
وأخاف أن تحظى بعرسك سيدى ... وللوح معك تكون قد آلته
فاجعله عندى يابنى أمانة ... ومن الصباح تراه أين طلبته
وتفوز بالذكر الجميل على المدى ... ويكون عيروض خديمك سمته
الله يعطيك المسرة والهنا ... والسعد والتوفيق ما أملته

(قال الراوى) فلما سمع الملك سيف من امه ذلك الكلام ورآها فرحانه بزواجه فى هذه الأيام مع ما اخرجت من الأمرال والانعام ورآها تندمت على فعلها فظن انها حقيقة عليه شفيقة وقال فى باله إن الوالدة هى الرؤفه وظن فيها خيرا كما قيل

أحسنت ظنك الأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفوة الليالى يحدث الكدر

وكان الملك سيف صافى النية قال بعضهم فى مثل ذلك :

لا يكن ظنك إلا سيئا إن سوء الظن من أقوى الفطن

(قال الراوى) فقال لأمه ياأماه أنا ما أطلب من الدنيا إلا رضاك لأن الأم إذا كانت راضية على ولدها فان الله يرضى عليه فقالت ياولدى أنا راضية عليك وبروحى ومهجتى ومالى افديك فقال لها أمى أريد منك أن تأخذى اللوح وتحفظيه معك حتى ابتكر عروستى واطهر من معذرتى فقالت له سمعا وطاعة يا قرة العين فقام الملك سيف وخلع بسلسلة اللوح من ذراعه باهتمام واعطاه إلى الملعونة قرية ولم يحسب حساب تلك الرزية ولا القضاء النافذ بالكلية وذلك لأنه مشغول قلبه بدخوله على شامة ولم يحسب حساب تلك الندامة ولما دخل على شامة وحدها كأنها عروس الكنز بما عليها من الحلى والحلل فضمها إلى صدره وعنقها وقضى منها وطرا فوجدها درة لم تثقب ومطية لغيره لم تركب فأزال بكارتها وفى ذلك الوقت اقترنت الشامتان على بعضها فى ذلك الحى كما أراد رب الأرض والسماء فكان كما قال القائل

ومليحة تنفى الهموم بحسنها ومهفهف يزرى الغصون بقده
ملست فاطربت الغلام بحسنها ويشجوها لعب الغرام بسعده
فدنا يقبلها ويرشف ثغرها بما اعتراه فاسرعت فى رده
لطمت عوارضه بقوة يدها فى جبهة وتنكرت عن ورده
فاخضر آس عذاره من كفها واحمر باطن كفها من خده

(قال الراوى) وتعانقا وكانت لهما ليلة من أبرك الليالى اجتمعنا محبين عاشقين متيمين فى مكان خالى كما قال بعض المتيمين فى مثل هذا المعنى صلوا على طه الرسول :

زر من تحب ودع مقالة حاسد ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا متوسدين بمعصم وبساعد
وإذا صفا لك من زمانك واحد نعم الصديق وعش بذاك الواحد
وإذا تألفت القلوب مع الهوى فالناس تقطع فى حديد بارد
إن الحبيب إذا تكامل وده فى كل ما أهواه كان مساعدى

وبعد ذلك وضعا روسهما على وسادة المنام وكل منهما نام هذا ماجرى للملك سيف بن ذى يزن وزوجته شامة وأما ما كان من الملعونة قرية فانها أخذت اللوح وسارت به إلى مقصورتها

ودخلت واغلقت بابها وجلست على فراشها ومكث بكفها وإذا بعيروض قد حضر إليها وهو يقول نعم نعم يامك الإسلام فقالت له أنت عيروض فقال لها نعم ياستاه فقالت أريد منك حاجة وتكون مسرعا فى قضائها فقال سمعا وطاعة وما حاجتك فقالت صف لى الاراضى كلها والدنيا وجبالها فصار يصف لها أراضى ووديان ومن جملتها أراضى الغيلان ووادى الطودان فقالت له خذ ولدى سيف وارمه فى أراضى الغيلان وأما شامة فخذها وارمها فى وادى الطودان فقال لها يامليكة هذا ولدك وما فعل شيئا فيك يستحق به تلك الرمية وهو بطل شجاع وقرن مناع وإذا فعلت ذلك فان الغيلان تأكله ولا يرحموه فقالت له أمرتك والسلام ارمهما وأتنى سريعا فقال على الراس والعين وخرج عيروض ودخل مكان الملك سيف واحتمله هو وزوجته على كاهله وصعد بهما إلى الجو الأعلى وهما متعانقان مع بعضهما فى لذيذ نومهما فانتبه الملك من منامه وكذلك شامة أفاقت فوجدوا أنفسهما طائرين بين السماء والأرض والهواء يزمر فى آذانهما فتأمل الملك سيف إلى الذى هو حامله وإذا هو عيروض فقال له يا عيروض عله ترسخ على قلبك ما الذى تريد وإلى أين تسير بنا فقال أرميك أنت فى وادى الغيلان وأرمى شامة بوادى الطودان ويبقى كل منكما فى مكان واتركما وأعود إلى سيدتى التى تحكم على فقال له ومن أمرك بذلك فقال أمرتنى الشفوقه الحنونة الكاهنة المفتونة وهى أمك ستى قمرية الخائنة الملعونة فقال يا عيروض أمى كانت ندمت على فعلها وصفا لى قلبها فقال له نعم وأنت ملكتنى لها وحكمتها على وأنا ما شكيت لك ولا وليت من خدمتك فقال خفت من الاعذار فقال له هيهات ان تصفو عليك وهيهات الندم على ما فاتها أنت عملت بعقلك وضيعت تعبك وأما كلام أمك فهو زور وبهتان فندم الملك سيف غاية الندم وبكى على نفسه وقال ياعيروض أنت ما تقدر ترمينا سوية فى مكان واحد فقال لا يمكننى ذلك فإن الأسماء التى على اللوح تحرقنى وأنت ما بقيت تكلمنى ولا كلمة واحدة فانك فرطت فى لوحى ولاعرفت بقيمتى وضيعتنى عندما تتعب سرى وتشغل قلبى ثم سار بهما إلى أن وصـــل إلى مقابل ارض الطودان وانثنى بهما حتى أن وصل إلى الأرض وألقى شامة عن كاهله وصعد بالملك سيف إلى الجو وسار حتى القاه الآخر فى ارض الغيلان وترك الاثنين وعاد إلى حال سبيله هذا ما جرى لهما واما الملكة قمرية فان عيروض عاد اليها واعلمها بما فعــــل فقالت له الآن هدا سرى وسكن روعى فامض انت إلى حالك حتى اطلبك واطمأنت قمرية وفرحت فرحا شديدا ما عليه من مزيد هذا ماجرى لقمرية واما الملكة شامة فانه لما وضعها عيروض فى ذلك الوادى وهو وادى الطودان بقيت حائرة فى هذا البرارى والوديان فاحتارت فى

أمرها وهى وحدها وعلمت أن زوجها أخذه عروض وبقيت وحدها وطلع عليها النهار وهى فى البرارى والقفار فصارت تمشى وتتعثر فى ذلك البر والحجر ولم تعلم كيف تصنع وظلت سائرة وهى تبكى بدموع غزار حتى علا النهار وتضاحى وزاد الحر وهاجر عليها البر فتفكرت وحدتها وفراق أهلها وبعلها وديارها فأنشدت تقول هذه الأبيات :

تفكرت فيما صار والله من أمرى ... وانى قد أصبحت فى مهمه قفرى
وهـــذا قضاء الله مامنه مهرب ... ومن ذا الذى يدفع مصادفة القدر
وعاندنى الدهر الخؤون بجهله ... ولم اعلم المكنون فى ذلك الدهر
أنا كنت فى قصر منيع مشيد ... فما فقت إلا كنت فى ذلك البر
أو ما أسفى على سيف سيدى ... تشمت ومثلى بالمكايد والغدر
فياهل ترى حيا سليما من الفنا ... وإلا رماه البين فى ظلمة القبر
فياليتنى كانت حياتى له فـــدا ... وأهلى وناسى من رقيق ومن حر
فيارب بالبيت العتيق وزمزم ... وما حولها والمشعرين وبالحجر
تفرج كربى يا إلهى وسيدى ... وتنقذنى من ضيقة العسر باليسر
فإنك يامولاى تعـــلم حالتى ... وما أنا به من شدة البأس والضر
إلهى لقد نجيت موسى من الغرق ... وأغرقت فرعون الذى مات فى الكفر
ونجيت إبراهـــيم من نار قومه ... وفاق على النمروذ بالفتح والنصر
فيارب مالى غير بابك مقصد ... فأنت لطيف الصنع فى النهى والأمر

(قال الراوى) لهذا الكلام العجيب أن الملكة شامة لما فرغت من دعائها وابتهالها لمولاها تجارت الدموع من عينيها والله يعلم سرها ونجواها وإذا بعشرين خيالا خارجين عليها من بين الجبال وهم رجال طوال وقد انحدروا عليها فى البرارى الخوال فخافت منهم ولكن مالها إلى الهرب سبيل فسلمت أمرها للملك الجليل فانفرد واحد منهم ومد يده وخطفها بلا حديث ولا كلام وعاد إلى رفقته وقال لهم انظروا إلى هذه العجيبة هذه مسخوطة من ولد آدم فقال له رفقاؤه صدقت لأنها ماتجىء قد بنت من بناتنا ولكن سيروا بنا إلى ملكنا ليتفرج عليها والذى يأمرنا به نفعله معها وساروا بالملكة شامة وهم يتفرجون عليها حتى أوقفوها أمام ملكهم وقالوا له هذه لقيناها فى الخلاء فقال لهم لأى شىء جئتم بها عودوا من هنا إلى محل مالقيتموها واذبحوها وادفنوها لأنها مسخوطة وإن أقامت عندكم يخليكم إلهكم مثلها فسمعت شامة وقالت ياسيدى ما انا مسخوطة أنا كاملة الخلقة فقال لها ولأى شىء ما أنت قدرنا وهذا دليل على أنك عاصية عن عبادة إلهنا فقالت

لهم أن إلهكم خلقني صغيرة كما ترون بمعرفته وقصد بذلك أن يوليني خدمته وهو الذى أتى بى إلى هذا المكان فقال الملك هذا لا أسمعه خذوها كما أمرتكم فقالت شامة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فأراد الرجال أن يسحبوها وإذا ببنت الملك أقبلت وكانت اسمها صادقه ولكنها جميلة فى ذاتها فنظرت إلى شامة فرأتها جميلة مثلها لكنها صغيرة الجثة عنها فقالت لأبيها إيش مرادك أن تفعل بهذه الحرمة الغريبة فحكى لها فقالت له الاله بخالق الصغير والكبير ومن حيث أن هذه صغيرة نجعلها عند الاله تخدمه فإنها لم تعلم عن الزواج فتجعلها له خدامة أحسن من قتلها وكانت بنت الملك هى التى تخدم الاله فأرادت بذلك أن تستريح هى وتجعل شامة مكانها فلما طلبت من أبيها شامة قال لها خذيها فإن أراد الاله ورضى بخدمتها خدميها وإن لم يقبلها فاقتليها فأخذتها وسارت بها إلى قبة من حجر الرخام مليحة الهندام وفتحتها وقالت لشامة ادخلى يا غريبة إلى سيدك فدخلت شامة فوجدت خروفاً كبيراً فى هذا المكان فلما رأى شامة صاح فقالت صادقة لشامة ان الاله يسلم عليك وفرح بك لما رآك ورضى بك أن تخدميه فهذا الحوض ملآن ماء حلوا اذا أراد أن يشرب فاملئى له هذا السطل من الحوض الماء وضعى له فيه من هذا السكر ومن هذا الورد وأسقيه وهذا الحوض ملآن من اللوز والفستق والسمسم المقشر فاطعمته أنت وما أنت فجرايتك كل يوم قرص من الشعير فقالت لها سمعا وطاعة فقفلت عليها الباب وتركتها وكانت الملكة شامة جيعانة فلما رأت ذلك اللوز والجوز والفستق قالت وأنا أسد جوعتى والله تعالى يعلم سريرتى ثم أكلت وشربت وحمدت الله تعالى على ما جرى وأنقذها من حال إلى حال فتبارك الله الكبير المتعال واطعمت الكبش من ذلك المأكول كما علمتها بنت الملك وبعد ذلك رأت القبة ملآنة بالعفش وهو قذرة الرائحة فقامت على حيلها وكنستها ونظفتها وأصلحت الفرش لأجل قعودها عليها وباتت تشكر الله تعالى وعند الصباح جاءت لها بنت الملك صادقة فرأت القبة رائقة نظيفة ففرحت وقالت لها أحسنت يا غريبة وفعلت كل خير اعلمى أن هذا إلهنا وعليه اعتمادنا واتكالنا واذا خدمتيه بصدق النية فإنه ينجيك من كل بلية ولعله يردك الى أهلك وبلدك وأرضك فاجعلى عليه اتكالك واعتمادك وكان الكبش هذا كبشا كبيراً مليحا ومطوقا بالذهب الأحمر وفى الطوق فصوص من خالص الجوهر فقالت شامة فى بالها اذا انكرت عليهم فعالهم وجحدت هذا الخروف فإنهم يقتلونى واشرب شراب الحتوف ومالى الا الصبر حتى يقضى الله ما هو قاض فلاراد لحكمه ولا اعتراض فقالت لها صادقة يا غريبة فإذا بال الاله فاستقبلى بوله فى هذه الطاسة الذهب واحفظيها للملك يغسل بها وجهه كل صباح وأما اذا أذبل فاحفظى زبله فى هذه الطاسة الفضة فإنها تنفع للبخور وكل من أخذ زبلة خذى منه فيها ديناراً فان زبل الاله له منافع كثيرة فقالت شامة سمعا وطاعة فتركتها وأقفلت عليها باب القبة وجاءت فى اليوم الثالث

أخذت منها بول الكبش وزبله وفرحت بخدمتها له وانصرفت ولما كان فى رابع الأيام جاءتها كذلك وأخذت الماء والزبل وقالت لها أنا قصدى أرتب لك مأكولا كل يوم دجاجتين تاكلهما أنت لأن الإله لم يقبل أكل اللحم جميعه وأرتب لك كل يوم قرصين من خبز الحنطة فقالت لها ياسيدتى افعلى ماتريدين فرتبت لها الترتيب وصارت كل يوم تدخل عندها وتزورها حتى عرفت أنها تمرنت على خدمة ذلك الكبش معبودهم وتركتها بعد ذلك على حالها ولا بقى لها شغل إلا أن ترسل لها بعض الجوارى بمأكولها ومشروبها وما يحتاج اليه الكبش ميعام البول فلا يبول ولا الكبش إلى يوم من الأيام نظرت شامة إلى الكبش فرأته وزبل على الفرش وكان عندها عصا قالت عليه بها حتى أهلكت بدنه وثانى يوم كذلك حتى عرف الكبش وشامة كل يوم ترسل لها زبل يزبل حتى تأتيه بالطاسه وتادب من شدة الضرب وصارله راتب الصبح والمغرب الضرب وأكله من فضلتها وهى تأكل من تلك المكسرات والدجاجتان المرتبتان لأكلها يوميا يأتون بهما اليها وأقامت فى ذلك المكان على هذا الحال هذا ما جرى للملكة شامة وأما ما كان من الملك سيف بن ذى يزن فانه رماه عيروض فى وادى الغيلان فأقام إلى الصبح وطلع النهار فرأى نفسه فى تلك الأرض وإذا هى أرض واسعة الجنان كثيرة الزرع والنبات ذات أشجار وأنهار وأثمار وأطيار توحد الملك الغفار روائح الأرض كانها المسك الأذفر وفيها من الفواكه كل شيء مفتخر فأكل من أثمارها وشرب من أنهارها وتفرج فى جنباتها ومازال مشغولا بالفرجة حتى أقبل الليل ومضى النهار فخاف على نفسه أن ينام فى ذلك ولم يعلم أنه وادى غيلان فقصد شجرة عالية وتعلق بها وصعد حتى بقى فى أعلاها وتوكل على الذى خلق النطفة وسواها ومازال حتى مضى الليل وهو تارة نائم وتارة يقظان حتى أصبح الصباح وبان بقدرة الملك الديان وقام الملك سيف وقعد على فرع من الشجرة يتفرج عن تلك الأراضى والصحراء فرأى شيخا مقبلا إلى نحو تلك الشجرة من دون الأشجار فتامله الملك سيف وإذا هو شنيع الخلقا له وجه مدور كدائرة الترس وأما حنكه وأنفه فهما فى وجه قدر حنك وأنف الجاموس وخارج له أنياب كانها كلاليب وآذانه كبار كانها المطارح وله أظافر كانها الخناجر وعلى بدنه شعر مثل شعر القنفد عيناه مشقوقتان حمر الألوان كانهما النيران وهو كريه الرائحة والمنظر ووجهه يتوقد شررا فلما رآه الملك سيف على هذه الحاله استعاذ بالله تعالى وتوسل بسيدنا ابراهيم عليه السلام وقرأ شيئا مما يحفظه من صحف إبراهيم وتوكل على الله السميع العليم قال وكان هذا غولا من غيلان ذلك الوادى وقد كرف رائحة الملك سيف وهو على الشجرة فاقبل عليه وقصد أن يفترس به ويأكله ولما وصل إلى الشجرة ووقف تحتها باهتا فى وجه الملك سيف ساعة زمانية وتركه ورجع إلى الطريق التى اتى منها فلما نظر الملك سيف إلى ذلك حمد الله تعالى على رجوعه

عنه وقعد وظن فى نفسه أنه مابقى يعود إليه ذلك الغول وإذا بالغول تباعد مقدار ساعه وعاد ومعه جماعة مثله كلهم غيلان مقدار ومازالوا مقبلين حتى بقوا عند الشجرة التى عليها الملك سيف ابن ذى يزن واحتاطوا بها من كل جانب ووقفوا وتأملوا الملك سيف ونظروا إلى بعضهم البعض وتكلموا بكلام غريب لا يفهمه عاقل ولا لبيب وبعد ذلك انصرفوا جميعا إلى حال سبيلهم فحمد الله الملك سيف . زال عنه الخوف وبعد ذلك عادوا مرة ثالثة ومعهم عجوز شمطاء بشعر أبيض مثل اللبن الحليب وبدنها كالقطن المندوف هذا وقد أقبلت العجوز إلى تلك الشجرة ونظرت إلى الملك وهو فوقها وتأملته وحققته والتفتت إلى قومها وكلمتهم بلسانها فامتثلوا وأمرها ومضوا إلى حال سبيلهم وجلست هى تحت الشجرة وبقى الملك سيف فوقها قاعدا ينظر لها إلى آخر النهار فاشارت له بيدها يعنى ينزل عندها فقال لها أنا لا يمكننى النزول فان الذى ينزل عند الغول يكون هالكا إما مقتول وإما مأكول فضحكت الغول ونطقت له بلسان عربى فصيح وقامت له انزل يا ملك سيف ولا تخف من الغيلان فانا كبيرتهم وأنا أحميك منهم لأنى الحاكمة عليهم ولك منى الأمان ومن جميع الغيلان فاطمأن الملك وقال لها ياهذه أنا ما أصدق أن مثلك غولة تؤمن بنى آدم هذا أمل بعيد وصعب الأخطار فان العقل لا يعطى أمانا لغار فقالت له لا تخف فانى قاعدة لك فى الانتظار فقال الملك سيف توكلت على الله الملك العزيز الجبار خالق الليل والنهار فقالت له العجوز وهذه الشجرة ما تحميك فانى لو أردت أكلك كنت أمرت الغيلان يحدفوك بالأحجار حتى يهلكوك وتقع لهم يأكلوك ولا يبالون بك إلى كنت ملكا من الملوك أو فقيرا صعلوك فانزل فان الليل دخل وأنت لابد جيعان وان تركتك ورحت مكانى لابد مايدركك النوم وتنزل من على الشجرة فيأكلك هؤلاء القوم فينزل الملك سيف إلى الأرض وهو خائف من هذه العجوز والتى تحت الشجرة سارت وقالت له اتبعنى فتبعها إلى أن أتت به إلى جبل وصعدت وقالت له اطلع ولا تخف فطلع الملك سيف خلفها ومازال تابعها حتى انتهت إلى مغارة ودخلت فيها وقالت له أدخل ياملك سيف فدخل إلى تلك المغارة فقالت له اجلس فجلس وقالت له أنت جيعان فقال لها نعم فقالت خليك مكانك وقامت وأتت له بنصف غزالة ميتة وقالت له تعش بهذه فقال لها يا هذه هذه لا يجوز أكلها ولالى نفس أن آكلها فقالت له أنا كل النبق فقال طيب فقامت إلى شجرة نبق فى ذلك الوادى وهزتها حتى رمت طرحها ثم صارت تجمع فى يديها وتاتى له حتى اكتفى وقعدت هى وأكلت اللحم الذى كان عندها فقال لها ياأمى هذه بحاسة عظيمة وأنا أراك تفهمى كلام بنى آدم وإيش السبب فى معرفتى ومن أين أنت وما تكون هذه الغيلان فقالت له ياسيدى أما الغيلان هذه فإن لهم سببا عجيبا وهو أن بانا كان حكيما من حكماء ذلك الزمان وكان صاحب فهم وإدراك وكانت مدينته

مدينة السحر الأسود وكان أبى حاكما وملكا عليها ورعاياه كلهم أقارب أولاد عم وحبايب بينهم مخاصمة وكلام وأرادوا أن يتسكبروا عليه وصاروا يقطعون الطرقات ويخونون السبيل فبلغه ذلك فقبض على جماعة منهم فتعصبوا عليه جميعا وأرادوا أن يهلكوه فلما رأى نفسه لا يقدر عليهم وأنهم لا يوقروه ولا يبقون عليه رحل هو وزوجته وجماعة عشيرته وصار إلى أن وصل إلى هذه الأرض وعمر فيها ثم بنى أماكن وسكن هو وأهله جاره فبالأمر المقدر والقضاء الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر ابتليت زوجته بداء الحكة فى فرجها ولم يبرد عليها وفى بعض الأيام لأجل تمام الأحكام كان أبونا أنشأ بستانا فى هذا المكان وغرس فيه فواكه من سائر الألوان وكانت زوجته تأتى فى كل يوم إلى ذلك البستان وتنام فيه من شدة ما بها فيوم الأيام قاعدة فى ذلك البستان ساعة الظهر فتحرك عليها ذلك الداء فى فرجها مثل العادة فأخذت عوداً من الحطب اليابس وصارت تحك به فرجها فلم يزدد إلا أكلان فكادت أن تقتل نفسه ومن شدة ماهى فيه نامت على ظهرها ورفعت رجليها إلى شجرة وهى مرفوعة الديل تريد بذلك برد الهواء لأجل الراحة فهب عليها النسيم فنامت على ذلك الحال وارتاحت من غليان فرجها فجعلت هذه الفعال دأبها وبقيت كل يوم تأتى وحدها ممنوعة عن الرجال لا أحد ينظرها وأعلمت أبانا بذلك فجعل ذلك البستان برسمها وخرج على الناس لا يدخل فيه أحد غيرهما وأقامت كذلك مدة فاتفق أن ذئباً دخل البستان نظر إليها وهى نائمة على تلك الحالة فتقدم إليها وجامعها وأمنى فيها وكانت أفاقت والذئب معها فى الجماع فيه تقدر أن تتحرك خوفا من الذئب أن يهلكها ولما نزل عنها وراح قامت على رجلها وكتمت سرها وفى تلك الليلة قعدت تصنع طعاما فى بيتها فتحرك عليها الداء من صهد النار فأخذت عودا من الحطب وكان قدام النار وحكت فرجها فدخل الدخان ومنى الذئب فى فرجها وانكتم وفى ذلك الوقت دخل عليها أبونا وجامعها فاجتمع منى الذئب والدخان ومنى أبينا فحملت منهما بإرادة باسط الأرض ورافع السماء وكمل أوقات حملها فوضعت اثنين ذكراً وانثى على تلك الصفة التى تراها من شناعة الخلقة وكراهة الرائحة فلما نظر أبى إلى ذلك أراد قتلها وهو حكيم فضرب تحت رمل ليكشف خبرهما فرأى ذلك الوادى موعودا بهم ويسمى باسمهم وانهم تخلقوا فيه وتكثر ذريتهم وينمو فيه إلى أن يجىء الوادى منهم وهلاكهم على يد شخص يقال له سيف اليزن بن الملك ذى يزن الحميرى التبعى اليمانى وسبب مجيئه هذا المكان انه يكون ليلة دخلته على اول نسائه ويكون منه لوح له خادم فيعطيه لأمه فقال ان تمسك هذا اللوح تحضر خادمه وتأمره ان يرمى ولدها وهو سيف فى هذا المكان وهو الذى ينظف هذا الوادى من الغيلان فلما راى ذلك اصطنع لك حكمة بالغة تهلكهم وجعلنى انا وكيلة عليها وقال لى يابنت انت

ماتهلكى معهم لان هذا الشيء بارادة الله تعالى وإذا أتى هذا الرجل فتكرميه فإن الله يمحو عنك هذا الحال وعلى يديه يبقى أكلت حلال وتساعديه على تنظيف هذا الوادى من الغيلان واصطنع لك الذى تهلكهم به واعلمنى باسمك وصرر لى صورتك وكسمك ومات أبى من سنين وأعوام وأقمت أنتظرك إلى هذه الايام حتى أتانى الغيلان فانهم يطيعون أمرى لانهم من صغرهم إلى كبرهم يترددون على فلما أتى الغيلان ورأوك فوق هذه الشجرة أرادوا يكسرونها ويأخذوك من عليها ويأكلوك وأنا علمنى أبى أنى ألقاك عليها وكنت أنام كل يوم تحتها فلما كرفوا رائحتك وأرادوا يأخذونك فما قدروا يكسرون الشجرة لكونها شجرتى فاتوا إلى واعلمونى بك وقالوا لى رأينا آدميا تحت شجرتك فأتيت معهم ورأيتك فعرفتك فقلت لهم هذه شجرتى ولا يمكنكم أن تكسروها ولاهو من خوفه أن ينزل لكم فاذهبوا أنتم وأنا اقعد تحت شجرة حتى يدركه الجوع والعطش وينزل من على الشجرة فأنا أقبض عليها وآتى به إليكم تأكلونه فامتثلوا قولى وراحوا وقعـــدت أنا وعرفت أنت صاحب الامارة وكلمتك ونزلت إلى هذا المكان وهذا الذى جرى ياملك الزمان فقال لها الملك سيف وما هى الحكمة التى اصطنعها لى أبوك .

فقالت له قم واصعد إلى هذا الدرج وسر فيه حتى تصل إلى أعلاه وتظهر على رأسه فتأمل عن يمينك فتجد روحك تحقق خفقا عظيما وتجد حرشا عظيما مدورا فادخله ولا تخف منه فتجد فيه عالية فاجعل ظهرك لباب القبة وقس بقدمك واحد وستين قدما وفى آخر القياس احفر فى الارض نصف قامتك وانزل فى ذلك الفحت تلتقى رخامة مدورة فيها لولب من النحاس الاحمر فدوره ثلاث دورات فيرتفع الرخامة وينفتح لك باب طابقة وتجد فيها درجاً بعد الدرجات التى طلعت منها إلى أن تنتهى إلى أسفله فتلتقى مكانه مثل قبر عليه درابزين من الرخام تجد قبرا وفيه تابوت فتأتى إلى باب المقصورة وتتلو حسبك ونسبك فيتفتح لك بابها فادخل فيها تجد بجانب التربة الايسر لولبا فاقركه على جهة اليسار مرة واحدة فانه ينكشف لك باب التربة وتجد التابوت قدار تفع غطاؤه فمد يدك إلى التابوت تجد فيه أبى نائما وهو ميت فاقرأ عليه شيئا من صحف إبراهيم ومد يدك تحت رأسه حقا لموضوعا من الحكمة مكتوبا عليه اسماء وطلاسم كدبيب النمل فخذه وافتحه قدامى تجد فيه حباً من الذهب مثل حب القمح فضعه فى جيبك ورد كل شيء مثل ما كان حتى تطلع من الدرج ورد تلك الرخام كما كانت واردم الحفرة التى حفرتها بالتراب مثل ما كانت وانزل من الدرج الذى طلعت منه حتى تأتى عندى وإياك أن تخالف ماقلت لك عليه كما خالفت عندما أخذت سيف سام وأردت أن تنظر وجهه وجرى لك ماجرى فلا تغير ماقلت لك عليه تكن من الهالكين واعلم يا ولدى انى لك من الناصحين فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام قال لها وما اسمك فقالت اسمى غيلونه لكونى رافقت الغيلان فى هذا المكان وربيت معهم إلى ذلك

الزمان فعند ذلك قام الملك سيف و توكل على الله فوجد كل ماذكرته غيلونة صحيحاً أول ماطلع من الدرج ورأى القبة ومشى تحت الأرض ونزل للرخامة ورفعها كما أمرته وهكذا حتى اخذ الحق وفتحه ونظر لحب القمح وغطاء كما كان ووضعه فى جيبه وعاد مثل مادخل وأتى إلى العجوز وأراها الحق كما قالت له فلما رأت ذلك فرحت وقالت له بقى عليك أن تدخل إلى صدر ذلك المكان فتلقى فيه مكانا متسعا من داخل طاقة فاعبر من الطاقة إلى وسط ذلك المكان فانك تجد قفصا معلقا فى صدر المكان فاذا رأيته فتقدم إليه تجد بابه مغلقا قائل حسبك ونسبك فيظهر لك الباب وتجد لو لبا من الحديد الصينى فدوره ذات اليمين مرتين فينفتح الباب وتجد فى قلب القفص ديكا مثل ديك الدجاج واقفا ورقبته ملوية تحت إبطه فمد يدك اليمنى وسم باسم الله تعالى واخرج رقبته من تحت إبطه واعدلها إلى مكانها وأنت تسمي باسم الله تعالى ولا تزل ماسكها حتى أن الديك تلبسه الروح ويؤذن بقوته وهو كالرعد فإذا صاح أول مرة والثانية لاتخف واحذر أن يصيح الثالثة فانه يطير ولا تلحقه بعدها أبدا وأنت تعدم نفسك فارم له من ذلك الحب فانه يخرج من القفص ولا يصيح ولا يتكلم فارصده وهو يلتقط الحب وامسكه ولاتخف واغلق الباب واترك القفص وكل شىء مكانه وائت إلى حتى أقول لك كيف تصنع وماتفعل بذلك من عمل فقال سمعا وطاعة وسار الملك سيف كما امرته حتى أتاها بالديك وقال لها ياماه فعلت كل ما امرتينى فماذا اصنع بذلك فقالت له اعلم ياولدى إنك تأخذ ذلك الديك وتروح إلى حال سبيلك فإذا اصبح الصباح فإن الغيلان جميعا يأتون خلفك منجذبين وأنا معهم أيضاً لأنى ما أقدر أظهر لهم شىء من ذلك فاذا لحقوك فاسحب ريشة من ذلك الديك وارمها عليهم فتخرج الريشة من يدك مثل الحربة ولها شرر ونار فيهما وقعت بينهم أهلكت كل من نظرها منهم لأن كل من رآها يخرج عليه منها شهاب فيعجله ترابا وهم خلق كثير فاذا رأوا ذلك يهربون ثم يجتمعون ثانيا فانهم ما لها صبر مادام ذلك الديك معك ويلحقونك ثانى مرة فارمهم بريشة أخرى ولا تزل تفعل بهم كذلك إلى أن تقطع مسير ثلاثة أيام فتكون فرغت من وادى الغيلان فانهم إذا راوك خرجت من الوادى هجموا عليك جميعا فارم الديك عليهم كله مرة واحدة فانهم يموتون عن آخرهم من وقتهم وساعتهم ولا يبقى بعد ذلك إلا انا وحدى بمفردى وأجعل بعدهم على الله معتمدى فقال الملك سيف ذ..رن لاى شىء تقيمين فى الوادى وحدك وأنا صرت ولدك وفعلت معى هذا الجميل فأنا لا افوتك ولا أفارقك فكونى معى اينما اسير ونتوكل على اللطيف الخبير وهو يهون علينا العسير فقالت وأنت له ترضى بصحبتى فقال لها نعم ولو اشرب من اجلك كاس البلاء والنقم فقالت اشرط عليك شروط فإن رضيت بها سرت معك فقال لها اشرطى ماأردت فقالت له إن أنت نمت أحرسك وإذا جعت أطعمك وإذا تعبت فى الطريق أحملك فإن أعجبك

هذه الشروط أسير معك وإن لم ترض بهذه الشروط فالأمر اليك فقال الملك سيف يا أمي وأي شيء من ذلك يضرني والله إن شروطك كلها نافعة ونعمت هذه الصحبة والشطارة فانها على مكسب وليس فيها خسارة والله ما أنسى جميلك ابدا يا ليتني أكون لك الفدا فاتفقت معه على المسير ولله المشيئة والتدبير فقالت له ومن بعد هذا الكلام فما لنا مقام قم بنا نسير ونتوكل على الملك العلام فساروا من الوقت وكانوا نصف الليل فقالت له أنت مالك عزم على قطع هذه الطريق تعالى على كتفي ونشلته سريعا على كاهلها وسارت به سير الجواد العربي وما داما على ذلك المسير حتى أتى الله بالصباح فانزلته على عين تحت شجرة جوز هندي وقامت إلى الشجرة وكسرت منها فرعا ملآن بالجوز المستوي وكسرت له من الجوز وقالت له كل من هذا حتى آتيت بغزالة وطلبت البر مثل الهجين الجاري وما غابت الا قليلا وأقبلت ومعها غزالتان قالت له يا ولدي اذبح أحداهما بمعرفتك واترك واحدة على اسمي انا فاني اعلم انت ما تأكل من اكلي فقال لها يا أمي أريد حطبا فقالت له على الرأس والعين فقامت تأتيه بالحطب وكان الملك سيف ذبح الغزالتين وسلخهما وكان معه بعض نوم فجعل ينعس ويتسلى بسلخ الغزالتين فأقبلت غيلونة فرأته فعل ذلك فظنت أن قصده يأكل الغزالتين فقالت له هل تريد غيرهما آتيك به فقال يا أمي كنت أريد من الله شيئاً من الملح فقالت له كل هذه الأرض ملح وقبضت من الارض قطعة حجر واعطتها إياه فإذا هي ملح فقالت لها اضرمي النار ففعلت ما امرها حتى صار الخشب كله فحما فدفنت الغزالتين فيه فكانت غيلونة أرادت تعدو في البر وتأتي بغيرهما فرأته مشغولا بالنوم فقالت له نم وأنا اصلح لك الطعام فنام الملك سيف قدر ساعة وأفاق من نومه فوجد اللحم قد استوى فطلعه وقال لغيلونة هيا يا أمي تفضلي نأكل فقالت له هذا أوكلك أنت وأما انا فاحضر من البر غيره لأنك شويته وتعبت فيه فقال لها يا أمي وأنا ما أطيق أن آكل الا نصف الغزالة فقط اقعدي كلي معي وبعد فراغ الحاضر اذهبي وهاتي غيره فعند ذلك تقدمت فامسك الملك سيف الغزالة وقال بسم الله توكلت على الله فقالت غيلونة كما قال فلم يقدر الاثنان اكل غزالة واحدة وشبعت غيلونة وقالت يا ملك سيف أنا كأني مريضة لأن عادتي أن آكل غزالتين بغير شوي مع أن المشوي أحلى وما كولا ولم اقدر على اكل غزالة واحدة وإنما السبب في ذلك اني قلت عند الأكل مثل ما قلت فقال الملك سيف يا امي لله تعالى اسماء تنزل القنع في جوف الإنسان ويبقى دائما شبعان ريان فقالت له صدقت يا ملك الزمان وكان اضحى النهار وطلعت الشمس على الاقطار فهم على ذلك الحال وإذا بغبار قد علا وسار وسد جميع الأقطار وأقبلت الغيلان كأنهم افراخ الجان وكان السبب في قدومهم انهم لما أصبح الكل اجتمعوا مثل عادتهم وأتوا إلى محل غيلونة على عادتهم فلم يجدوها ولا وجدوا الملك سيف فدخل الرعب في قلوبهم

فساروا إلى الطاقة فلم يجدوا الديك فى القفص فنزلت عليهم الغصص وقالوا إن غيلونة أخذت الديك والآن وسارت من هذا المكان وقصدها بذلك أن تخرب وادى الغيلان ولابد من اتباعها هى وذلك الشيطان هيا بنا نلحقهما وبأنيابنا نسحقهما ونأكلهما ونمحقها ثم إنهم ساروا تابعين أثرهما حتى أدركوهما وكان الملك سيف كما ذكرنا أكل فنام واستراح فلما نظر الغيلان وقد أقبلوا حط يده على قائم السيف وكان معه سيف الملك سام بن نوح عليه السلام فلما جرده وأراد أن يعود على الغيلان قالت له غيلونة إيش قصدك أن تفعل وإيش جهد ما تقاتل فى هذه الخلائق الذين مالهم عدد ولا يحصى لهم مدد فقال الملك وإيش يكون العمل فقالت له يا ولدى اقلع ريشة من جناح الديك الأيمن وارم بها عليهم فانك ترى العجب فعند ذلك أخذ الملك سيف ريشة ورمى بها على هؤلاء الغيلان فخرجت من يده كأنها شهاب نيران ونزلت على هؤلاء الغيلان فصار يخرج منها شهب وشرر هلكت خلائق لا تعد ولا تحصى بعدد الرمل والحصا ولما رأى الغيلان ذلك ارتعبت قلوبهم ورجعوا على أعقابهم وولوا الأدبار ففرح الملك سيف بذلك الحال وقال لغيلونة سيرى بنا يا أماه نقطع هذه البرارى والتلال فقالت له على بركة الله الملك المتعال وساروا وهم فرحون بهذا الحال وما داموا يقطعون البرارى الحوال حتى طلبت الشمس الزوال وإذا بالغيلان لحقتهم من كل جانب ومكان وكل واحد كأنه شيطان ولهم صريخ ارتجت له الوديان وهم يقولون ياغيلونة ياخائنة يامملونة أخذت الديك وجعلت هذا الرجل شريك أين تنجون من الهرب ونحن وراءكم فى الطلب فقالت له غيلونة يا سيف ياولدى ارمهم بريشة من جناح الديك اليسار وتوكل على العزيز الغفار فخلع سيف ريشة ورمى بها على الغيلان فخرجت منها شهب نيران فأهلكت كثيراً من هؤلاء الغيلان فلما رأى الغيلان ذلك عادوا هاربين فتركتهم غيلونة والملك سيف وزال عنهم الفزع والخوف وساروا بقية يومهم إلى المساء فأنزلته غيلونة فى مكان خضر نضر وإذا بالغيلان وأقبلت من كل الجهات فقالت غيلونة يا ملك سيف ارم عليهم ريشة فكل من أصابته الريشة يموت منها ولا يعيش فصار الملك سيف يقطع من الريش ولكن بالخلاف واحدة من اليمين وواحدة من اليسار حتى نظر الغيلان ورأوا أرواحهم قد فنيت ولم يبق إلا القليل فطلبوا الهرب وساء بهم المنقلب فقالت غيلونة ياملك سيف أنا قصدى الخروج من الوادى حتى يبقى سرنا من هؤلاء الغيلان هادى لكن يا ولدى حتى نأكل شيئاً ثم أنها خلعت له شجرتين ناشفتين وقالت اضرم النار حتى آتيك ببعض الأرانب وعمدت غيلونة إلى وكر فاذا هو ممتلىء أرانب فصارت تطلع واحد بعد واحد والملك سيف يذبح حتى ذبح الجميع وغيلونة تسلخها سريعا ودعكها الملك سيف بالملح

وركبتها على النار حتى استوت فتعشى سيف وغيلونة ونام وغيلونة فوق رأسه حتى مضى ثلث الليل فأفاق وقعد يذكر الله فنامت غيلونة إلى جانبه إلى أن طلع النهار فساروا فى القفار وإذا بالغيلان تبعوهم فقال الملك سيف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قالت غيلونة ارمهم بريشة فإنهم يهلكون فقال لها مابقى للديك ريش وماهو إلا لحم خالص وكل ريشه قلعته وإلى الغيلان حدفته فقالت له حدفته فقالت لها نعم فقالت له احدف الديك عليهم فقال سمعا وطاعة وحدف الديك على الغيلان فوقعوا جميعا موتى ولم يبق منهم إنسان فتعجب الملك سيف من قدرة الله الملك الديان فقالت غيلونة يا ملك لا تعجب من هذه الفعال يا ملك سيف هذه آخر أيامهم من الدنيا مر بنا إلى حال سبيلنا ورزقنا على الذى خلقنا عند ذلك ساروا فى البرارى والقفار ولم يعلموا إلى أين يذهبون والله يدبر لهما مايكون ولكن هذه غيلونة كلما رأت الملك سيف يتعبد ويتهجد تفعل مثل مافعله وإذا سمعته يذكر الله تعالى تقول مثل أقواله حتى نقلها الله تعالى من حال إلى حال وبان عليها درجة الكمال وتركت أكل لحم الوحش بغير شىء وأعطى لها الله تعالى الحيل والقوى وسارت مع الملك سيف إذا نام حرسته وإذا جع أطعمته وإذا عطش سقته وإذا طال الطريق وتعب منها حملته وساروا على ذلك الحال ولهم كلام .

(قال الراوى) وأما ما كان من الملكة شامة لما أقامت فى القبة فى مدينة الطودان وكل صباح تضرب ذلك الكبش وبعد ذلك قالت فى نفسها يعنى ياشامه هذا الكبش ما هو إلا حيوان وايش يعرفه العبادة يعنى إذا كان بدل ما يعبدوه يذبحوه ويأكلوه من الذى يمنعهم عنه ولكن ماله ذنب بالكلية ومنعت عنه الأذية وسارت تتدلل على أهل البلد فى المأكول لأنها كانت حامل من الملك وأتاها وحم النساء فصارت كلما قالت لهم إن الإله يطلب فواكه يأتونها بما تقول حتى أوفت أيام الحمل وأدركها الطلق كما يشاء خالق الخلق فبكت نفسها ووحدتها وغربتها وعدم أحد يكون معها يباشرها فقطعت العلائق من الخلائق وتوكلت على مولاها الكريم الخالق ورفعت طرفها إلى السماء وتوسلت بعظيم العظماء وقالت إلهى وسيدى ومولاى لاتخيب رجائى وأنقذنى من بلواى إنك على ماتشاء قدير يانعم المولى ونعم النصير وبكت مما حل بها وجرت دموعها على خدودها فألهمها الله التيسير وزال عنها التعسير لأنه بقدرته يجبر الكسير وطلقت طلقة قوية فكادت أن يغمى عليها وتشرب شراب المنيه فوضعت غلاما ذكرا كأنه فلقة القمر إذا تكامل وابتدر فى ليلة أربعة عشر وعلى خده اليمين خال أخضر كأنه قرص عنبر وله عيون تبارك من خلق وصور وحواجب كأنها قيسان تتحرك فأعانها الله تعالى على ولادتها وهداها حتى قطعت سرته وكانت مدة إقامتها مع الكبش أتاها كساوى مرتين فصنعت لولدها أثوابا من قديم ملبوسها

فأحضرتها وألبسته وقالت فى بالها لو كنت وضعت هذا الولد وأنا عند أبى الملك أفراح كنت
نلت الصلاح والنجاح وأيضا لو كان الملك سين حاضرا ونظر ولادتى كان فرح وفرحت أنا
وزالت حسرتى ولكن أتانا هذا الطفل ونحن فى غاية التدمير وأنا مشتتة عن أهلى وأوطانى
وكذلك بعلى لم يعلم مكانى ولابد لهذا الولد عن اسم به يذكر فأنا أسميه دمر والله تعالى بحاله
وحالى أخبر وهو على نجاتنا يتدبر ومادامت ترضعه من ثديها وحنها عليه وبها وهى صابرة مدة من
الأيام إلى ليلة من الليالى وقد قعدت شامة ترضع ولدها والشمعة موقدة ففرغت فأتت بشمعة
غيرها وولعتها منها ورمت القديمة من طاقة شباك القبة فوقعت على جانب حلفة ناشفة فاشتعلت
الحلفة وكان بجانبها كرار فيه زيوت ودباهات ومن خلفه مكان فيه أخشاب فاتصلت النار من
مكان إلى مكان وسار لها قتار ووهجان وكان بجانبها أقيال كثيرة فأحست بالنار فقطعت
سلاسلها وهجت يمينا ويسارا وزادت النار وأحرقت الأماكن العمار ووصلت البروج
والأسوار ووقع العياط والصراخ وركب ملك الطودان وكان اسمه الملك عقيل وصاح على
الناس واجتهدوا فى الهدم حتى جعلوا البيوت والأماكن كلها كيمان ردم ولكن الذى فيه الكبش
لم يصبه شىء أبدا ولما طفئت النار قام الملك على حيله ووقف فى الديوان وقال للعسكر من فيكم
تعدى وظلم أحدا من الرعايا حتى غضب إلهنا وأنزل بنا هذه القضايا فقالوا له ياملك ما حد جار
عليه فقال أنا أعلم أنه إذا أحد أخذ شيئا من أحد غصبا أو أحد أساء على أحد وتعدى وجار فان
إلهنا ينزل على بلدنا النار وأنا سألتكم فقلتم ما أحد تعدى فمن أيش حصل لنا هذا وإنما أدخل
القبة أسأل عن هذه النكبة وقام إلى القبة وفى تلك الساعة قامت شامه بعد ما ربطت الكبش وزبل
اما يحتفى ربنا من خدمتك ويرخى من النظر إلى صورتك وأخذت عصا ونزلت عليه وهو يقول
باع وهى لاترحمه حتى دخل الملك عليها فوجدها تضرب الكبش فقال لها هكذا تفعلين هذه
الفعال مابقى لك أمان يابنت الأنذال أنا جعلتك تخدميه وأنت تضربيه حتى احرقت بلدنا
ياملعونة نحن نقول لك اخدميه وأطعميه وأنت تضربيه ثم صاح على الرجال وقال لهم امسكوها
ومن شعرها اسحبوها ومن قبة إلهنا اخرجوها وانصبوا لها خشبة وعليها اصلبوها وبعد
صلبها احرقوها ثم أنه أحضرها بين يديه وسألها عن هذا الولد من أين لها فأعلمته أنه
ولدها فقال لها أنت لما أتيت عندنا ما كان لك ولد فقالت له رزقنى به الله وهو الخالق لما
يشاء فقال لها أعطاك ولدا ولم تشكريه حتى انك بالضرب تجازيه ثم صاح على الخدم
اصلبوها على باب القبة فاخذوا الولد منها وجذبوها ليصلبوها فتذكرت بعلها
ووحدتها وغربتها وفراق بعلها وأنها لم تعلم له مكانا فصارت ترثى حالها بالأشعار
ودموعها على خدها غزار فانشدت تقول بعد الصلاة والسلام على طه النبى الرسول

يا دهــــر ما نصفتنا إذ بالردى جازيتنا عذبتنا من قبل أن
تبدى الينا ذنبنـــا الم يـكن فى الناس من عاديته إلا أنـــا
يا دهر قد فرقتنا من بعد ان جمعتنا غيبت بعلى وهو بى
كان شفيقا محسنـا سيف الهمام التبعى الحميرى موطنا
فاين أفراح أبى والأهل مع احبابنا فرقت عـــنى جمعهم
وجئت بى إلى هنا وبعد هـــذا جاءنى طفل صغير فى هنا

أما لديك رحمـــة يا دهر إذا أهلكتنا
يا سيدى سيف انتبه واتبـــع آثـارنـا
عساك قبل صلبنا تدرك أن تنقذنا
وإن سمعت فى الدجا نوح حمـام المنحنى
فاعلم يقينا إنمـا بـكاه رحمة لنـا

(قال الراوى) هذا والرجال أرادوا أن يسحبوها وإذاهم بشخصين قدا قبلا من البر وهما قاصدان ناحيتهم وكانت أراضى الطود ان لم يرد عليها قط طارق غير أهلها لأنهم كبار عمالقة فقالت الناس لبعضهم انظروا إلى هؤلاء الغرباء فتركوا شامة من يدهم وصبروا حتى أقبل هذان الشخصان وتأملوهما فلم يجدوهما من أرضهم ولا من بلادهم وإذا هما الملك سيف وغيلونة وكان الملك سيف ناظرا على بعد فرآهم ساحبين امرأة للصلب فأحس قلبه وقال أخاف أن تـكون زوجتى شامة وكانت غيلونة قالت له فى الطريق إن هذه الأرض اسمها أرض الطودان فأقبل وهو مشغول القلب على زوجته حتى نظرها بالعيان وعرف أنها زوجته بصدق وإيقان فـكاد يغشى عليه لـكن صبر نفسه ووقف قدامها وغيلونة على يمينه كأنها الجبل الشامخ فقال لها العساكر من انتما ومن إين اقبلتما فقال الملك سيف نحن ناس جائزون للطريق فقال لهما ألا تسيرا هنا حتى نعلم بكما الملك عقيل فقال لهم الملك سيف اذهبوا واعلموا ملككم وها نحن واقفون فمضى جماعة للملك وقالوا له عبر علينا اثنان من الغرباء فقال على بهم فعادوا وأتى واحد للملك سيف وقال له اجب الملك أيها القصير فقال الملك سيف أما أنا فما امضى اليه فان كان له حاجة عندى فليأت إلى وأما أنا فلا أقدم عليه فقال رجل منهم امش للملك بلا غلبة لاشك أنت رجل قصير وغليظ اللسان ومالح الرقبة وكان الملك سيف نظر إلى شامة لما قدمنا وعرفها كما ذكرنا فقال للذى يـكلمه لأى شىء تريدون قتل هذه المراه وإيش فعلت من الفعال فقال له لاتسأل عما لايعنيك بل اجب الملك فقال الملك سيف اما قلت لك انى لا اسير معك ولا اريد ان اتبعك فأراد ان يقبض عليه فوضع يده فى الحسام وضربه على وريديه فأطاح راسه من على كتفيه وضرب

الثانى فجعله مثله والثالث والرابع والخامس والسادس فبقوا على الأرض نواكس ومازال يقاتل ويضرب عن شمال ويمين حتى قتل منهم أربعين وبقوا على الأرض ملقحين وأما غيلونه فكانت بلا سلاح فصارت تقبض على الرجل وترفعه على قوائم زندها وتضرب به الآخر فيموت الاثنان وعلى ذلك الحال قتل خلق كثير وألقى الرعب فى قلوب الطودان وكل منهم نظر الموت بالعيان فولوا الأدبار وركنوا إلى الهرب والفرار وتركوا شامة على هذه الإقامة فأدركها الملك سيف وكان حالها تغير مما جرى عليها من العبر ولم يعرفها الملك سيف وشك فيها ولكن أراد أن يفكها من كتافها وإذا الملك قد أقبل بباقى الرجال وصاحوا على الملك سيف وغيلونة وقالوا لها أين تنجوان بالهرب ونحن وراءكم فى الطلب وصاح الملك فى الرجال وقال اقتلوهما ولا تبقوهما فصاح الملك سيف يا كلاب الكفر هذا يوم الافتخار والجهاد فى الكفار الفوز بالمغفرة من الملك العزيز الغفار وجرد ماضى حسامه وهجم على الأعداء بقوته واهتمامه وسار يضرب الضرب المنكر ويطير الرؤوس كأنها الأكر والكفوف كأنها أوراق الشجر وغيلونة فى جانبه كأنها الأسد الغضنفر ولها قتال لا يبقى ولا يذر هذا وقد غنى الحسام وانفلق الهام وانهشمت العظام وعادت الرؤوس تحت الأقدام وقاتل الملك سيف بن ذى يزن وغيلونة بقيت فى الحرب كالمجنونة فقاتلت وما قصرت إلى آخر النهار فلاجل القضاء الكائن فى علم الله تعالى جاءت رجل الملك سيف على رقبة قتيل فوقع وأراد أن يقوم فتكاثروا عليه وأخذوه قبضا باليد وأوثقوا منه الكتاف وقووا منه السواعد والأطراف وسلموه إلى عشرة رجال شجعان أقيال وأمروهم بحفظه ونظرت غيلونه إلى ذلك وأيقنت بالمهالك وصاحت واولداه واسيداه وجعلت تقاتل وحدها حتى عدمت جهدها وقبضوها إلى جانب الملك سيف ووضعوها بعدما كتفوها وقد ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقال الملك فادخلوهم فى القبة مكتفين حتى يطلع النهار وتنصب لهم ثلاثة جذوع نصلبهم عليهم ووضع ولد المرأة معها ففعلوا ما أمرهم وأدخلوهم القبة الملك سيف وغيلونه وشامه وولدها ولما أدخلوهم القبة كانت شامة بالجملة مكتفة فأقعدها ووضعوا ولدها على حجرهم وأغلق عليهم الباب وطلع الرجال يجتهدون فى عمل الأخشاب لأجل أن يصلبوهم وينزلوا بهم العذاب وأما الملك سيف بن ذى يزن فأنه لما استقر به الجلوس أدخلوا اليه غيلونة مكتفة اليدين فقالت له ياولدى أنا خائفة أن يهلكونا كما أهلكنا الغيلان فضحك الملك سيف من كلامها وقال لها الأمر لله العزيز الديان ثم التفت إلى شامه وقد أشكل عليه حله أمرها لما نظر الغلام على حجرها فقال لها وأنت ماسبب وقوعك عند هؤلاء الكفار فقالت ياسيدى الأقدار فانا ياسيدى بنت ملك اسمه الملك أفراح صاحب مدينه الحديد فقالت لها أنت شامه فقالت نعم فقال لها وها أنا سيف بن ذى يزن أهنا رماك عيروض فقالت نعم فقالت غيلونه ياملك

سيف تعالى لما أقرض كتافك وأنت حل كتافى فقال لها افعلى ما بدا لك فقرضت كتافه وحل كتاف شامه وكتاف غيلونه فعلمت غيلونه أنه يحبها وحكت شامه الملك سيف ما جرى لها من حين رماها عيروض إلى وقتها هذا وكذلك الملك حكى لشامه ما جرى له من حين أخذه عيروض والذى جرى من مبدئه إلى هذه الساعه ثم أن الملك سيف قال يا ملكة شامة ومن أين هذا الطفل الصغير الذى معك فقالت له ياسيدى ما هو إلا ولدك وولدى وقطعه من كبدك وكبدى فانى حملت منك على دم الافلاح وعلقت منك به بإذن الملك الفتاح ولما أتيت هنا كان ما كان وضعته فى هذا المكان بقدرة العزيز الديان فقام الملك سيف وأخذه فى حضنه وصار يقبله ويضمه وفرح به الفرح الشديد ونسى ما هو فيه من الحبس والتنكيد قال ياشامة هل عندك هنا شىء من الزاد فقالت له عندى كثير وهم ثلاثه حواصل مملوءة من الجوز والفستق والسمسم الذى كان يأكل منه الكبش الذى يعبده هؤلاء الكفار فقال لها هاتى لنا شيئا منه نأكله فقامت شامه وهى فرحة بزوجها وأتت له بشىء من ذلك الحاصل فأكلا وأكلت غيلونه من تلك المكسرات وشربوا من ذلك الماء الممزوج بماء الورد والسكر النبات وحمدوا رب الأرض والسموات ثم إن الملك سيف قال لها هل عندك أحجار قالت نعم عندى فى صدر القبه مكان فيه جانب أحجار صوان فقام الملك وراءها وقال لغيلونه هيا انقليها خلف باب القبه فنقلتها وسدت بها ظهر الباب وتركوا هذا المكان وصعد الملك سيف وزوجته وغيلونه إلى سطح القبه وجلسوا فيه وجعلوا يتحدثون حتى طلع النهار فأقبلت الرجال وكانوا ليلتهم يقطعون ثلاثه جذوع ونحروها وعملوا فيها الأبكار والجبال ولما فرغوا من أشغالهم طلع النهار فأتوا إلى القبه ليأخذوا هؤلاء الثلاثه فوجدوهم فوق رأس القبه خالصين من الكتاف وليس عندهم فزع ولا مخاف فعادوا إلى الملك وأعلموه بأن الغرباء الثلاثه حصنوا الباب وصعدوا على سطح القبه ورمونا بالأحجار فاغتاظ الملك من الكلام وصار الضياء فى وجهه مثل الظلام ولطم على وجهه وزادت بليته وأمر العساكر ان يرجعوا عليهم وصار قدامهم الى القبه حتى نظر الملك سيف وشامه فوجدهم فوق سطح القبه فاغتاظ وقال لدولته إذا كسرتم الباب فان ربنا يغضب علينا ويرمينا بصواعق العذاب ولكن الصواب أن تحاصروهم مدة أيام حتى يفرغ ما قدامهم وما عندهم من الطعام ويسلموا أنفسهم إلينا من غير حرب ولا طعن ولا صدام فاذا قبضناهم نسقيهم كأس الحمام فقالوا له سمعا وطاعة وداروا حول القبة من تلك الساعة وأقاموا فى الحصار مدة عشرين نهار وفرغ من عندهم المأكول وتعبوا تعبا شديدا ما عليه من مزيد وثقل عليهم العطش والجوع فقالت شامه للملك سيف وكيف يكون العمل وما لنا على الجوع والعطش محتمل فقال الملك سيف خطر ببالى خاطر فقالت شامه وما هو فقال أذبح هذا الكبش

فقالت شامه يا ملك إذا أردت ذلك فيكون قدام هؤلاء الأعداء فانهم إذا رأوا ذلك يبادروا له بالفداء لأنه عندهم عزيز قال الملك سيف وهذا رأي جيد ثم قال لغليلونه إئتيني بالخروف يا أماه فنزلت غيلونه وجاءت به واوقفته بين يديه فنظر الطودان إليه وقالوا له على إيش عزمت أن تفعل ياقصير فقال عزمت على ذبح هذا الكبش حتى ارتاح منه قالوا له ألا تخاف من نقمته فقال لا بل أنا آكله بعدما أشويه على النار فقالوا له وإيش فعل معك من الفعال فقال لهم وإيش يفعل معنا مافعل شيء وإنما نحن جائعون وهذا شيء يؤكل عندنا فان كان قصدكم أن تفدوه فأتوا بطعام ومشروب فقالوا له اصبر حتى نعلم الملك فقال لهم عجلوا قبل أن أذبحه وما أنا صابر حتى تأتوا لأجل خاطركم وإن غبتم ذبحته فتجاروا للملك وصاحوا بالويل والثبور وعظائم الامور وقالوا أدركنا يا ملك فقال الملك إيش الذي جرى عليكم فقالوا له الرجل القصير الذي حاصرته مراده أن يذبح إلهنا الكبير وينزل بنا الذل والتدمير فقام الملك وقعد وأرغى وأزبد وقال لهم أما تعلمون لأي شيء يتجازأ على ذلك الحال المشين فقالوا يقول إنه وأصحابه جائعون وإن كنت خائف على معبودنا فارسل لهم طعاما من عندك أومن عندنا فقام الملك وسار إلى القبه وقال للملك سيف ياقصير لأى شيء تذبح إلهنا وتحل غضبه علينا وكان الملك سيف أسند الكبش ووضع رجله على رقبته فلما سمع من الملك كلامه قال له ياملك هذا عندى موته خير من حياته فإنه ماهو أهل للعبادة ولا رزقنى طعاما على حسب العادة وها أنا وأصحابي جائعون وعطشانون فإن لم يأمركم أن تأتونا بطعام وإلا ذبحته والسلام فقال له الملك أنا آتيك بطعام ومشروب وأزيل عنك الكروب ثم التفت الملك إلى من حوله وقال لهم هيا أعطوهم من عندكم طعام يكفيهم عشرة أيام فقالوا له ياملك سمعاً وطاعة وفي الحال تسارعوا من كل جانب ومكان وأتوهم بتمر ودقيق ولبن وسمن وشيء كثير وبعدها أتوهم بالماء الحلو حتى ملؤا كل حوض عندهم وكل زير كبير فعندها أكل الملك وشامه وغيلونه وقال للملك اعلم إلهك جائع ومغموم ومراده أن تأتيه بشيء من اللحوم فقال له سمعاً وطاعة واحضر له أربعين فرخة دجاج فى تلك الساعة وأقاموا على تلك الحال مدة أيام وليال حتى فرغ ماعندهم وقال لغليونة قدمى لى الكبش فقدمته قدامه فصاح عليه الطودان لاتفعل فقال أريد الطعام فقالوا له سمعاً وطاعه وصارت هذه عادة كلما فرغ الطعام يأتوه بغيره على ذلك الحال وهكذا مدة شهرين كاملين فتضايق كل من ذلك الحال وشكا حاله للوزير وطلب منه التدبير فقال له الوزير ياملك الزمان إن هذا الفعل الذى تفعلونه ماهو فقال الرجال لكونكم تعطون طعامكم لأعدائكم وهم قاعدون يأكلون ويشربون وينامون فإيش فى ذلك من فائدة فقال الملك وما الرأى عندك أنترك إلهنا يذبحونه ويأكلونه فقال الوزير إلهنا ياملك ما يمكنهم من ذبحه

وإذا أرادوا به سوء فهو يحمى نفسه منهم وأنا أعلمك يا ملك إذا طلبوا منك طعاما فلا تطعمهم وقل لهم إن إلهنا لا تقدرون على أن تذبحوه وإن كان يمكنكم من نفسه فاذبحوه واعلم يا ملك أنه يقدر أن ينزل عليهم صواعق من السماء فيهلكهم عن آخرهم فاتركهم على حالهم ولا تخف من أفعالهم فقال الملك صدقت أيها الوزير وأنت نعم المدير والمشير وأن إلهنا لا يمكن أحدا من نفسه لا كبيراً ولا صغيراً ثم أنهم صبروا إلى يوم من الأيام وقد فرغ من عند الملك سيف وجماعته الطعام فأتته عيلونة بالكبش على حسب العادة وقال تأتونى بالطعام وإلا أذبح الحكم بالحسام فلم يرد عليه أحد لا أبيض ولا أسود فلما رأى ذلك تعجب وقال يا عباد الكبش تأتونى بطعام وإلا أذبح إلهكم وأنزل به الهلاك والشناعة فلما سمع أعوان الملك ماقاله الملك سيف من الكلام تقدموا إلى ملكهم وقالوا له يا ملك اعلم أن الرجل الغريب قصده أن يذبح إلهنا وينزل به الهلاك والفنا فقال لهم أنا تقدم إليه ثم تقدم الملك إليه وقال له يا مجنون أنت تظن أن إلهنا يمكنك من نفسه فهذا شيء لا يكون فإن أردت أن تفعل به شيئاً من الضرر فإنه يريك العبر وينزل بك الهلاك الأكبر ويخسف بك الأرض فقال الملك هذا القول لا أسمعه وإن لم تأتيني بطعام مكنت منه الحسام وشويته على نار الاضرام وأكله بسلام فلا تطيل يا ملك الكلام فقال الملك أنا لا أرسل لكم طعاما ولا شرابا فقال فإن كان يمكنك قتل هذا الإله فدونك أنت وإياه فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام صاح على الملك وقال له ما أنت إلا رجل كذاب أنت وقومك ومن عندكم من الأصحاب اعلم أن هذا كبش يذبح ويؤكل ولا يعبده إلا كل جاهل مثلك يا قليل العقل فإنه لا يعبد إلا الله عز وجل وسوف اريك ما اصنع أنا بهذا الكبش ثم أن الملك سيف قدم الكبش ونكاه وأطلعه على سور القبة وذبحه واهرق دماه وسال الدم على حيطان القبة وانزل على القوم النكبه وأى نكبه فلما نظر الملك إلى ذلك الفعل المنكر صاح صيحة تكاد تفلق الحجر وتقلع الشجر وقال لهم سوف ترون أن يخسف بكم الأرض أو ينزل عليكم صاعقة عذاب من السماء ويأتيكم الويل والعمى فقال له الملك سيف كذبت وفى ذلك القول ما انصفت والله لو طلعت إلينا لذبحتك مثله وفعلت بك أكثر مما فعلته به فلما سمع الملك عقيل ملى الملك سيف ذلك الكلام زاد به الوجد والهيام وصاح على رجاله فى الحال وقال لهم بادروهم بالقتال واكسروا عليهم الباب واضربوهم بالنبال والنشاب وكل سيف قوصان ولا ترجعوا عنهم حتى تقبضوهم وبين يدى تقدموهم حتى أذبحهم بيدى واشفى منهم نار كبدى فقالوا له سمعاً وطاعة ثم أنهم ركبوا خيولهم وجردوا سيوفهم ونصولهم وزحفوا إلى نحو الباب وأرادوا أن يكسروه فما أمكنهم من الحجارة التى خلفه فاحتالوا على الاسوار بالمعاول حتى تمكنوا منها وأراد أن يهدموها فقال الملك سيف سيلوا الأحجار فقالت عيلونة أنا أفتح لك

باب القبة فبعد مارفعت الاحجار وفتح الباب وأراد الدخول جذب الملك حسامه وكانت شامة سلخت الخروف وأضرمت النيران ووضعت طعاما وصارت تناول الملك سيف وهو يأكل ويضرب فى الاعداء بالسيف وقال الله أكبر فتح ونصر وخذل من اللئام من كفر وصار يرمى الرؤوس كالاكر والكفوف كأوراق الشجر وأجرى الدماء على الارض مثل المطر وصار يقسم كل من دخل باب القبة نصفين بالحسام فعند ذلك تزاحمت عليهم الناس هذا وغيلونة تخطف الرجل وتضرب به الآخر فيقتل الاثنين ودام الامر كذلك حتى اثخنت غيلونة بالجراح وكذلك الملك سيف وهو واقف فى صدر العدو كأنه أسد البطاح وشامة واقفة خلفهم وولدها على يديها وعقلها طائر خوفا من الافتضاح ولما رأت هذا الحال وأن الاعادى كثروا على الملك سيف فى القتال واشتدت الاهوال رفعت رأسها إلى الله الكبير المتعال ودمعها على خدها جارسيال فأنشدت تقول الصلاة على طه الرسول :

يارب طالت غربتى حقاً وضاقت حيلتى
ووقعت فى ايدى العدا مأسورة فى ذلتى
يا من عوائده الجميل ومن إليه فاقتى
يا خالق يا رازقى يا عالما بسريرتى
إنى دعوتك يا كريم وسامعا للدعوة
بحق زمزم والحطيم بالصفا والمروة
وبحجر إسماعيل ثم الركن ثم الكعبة
اقبل سؤالى ياجليل وفرجن من شدتى
وانظر دمر ولدى بعين تلطف وبرحمة
وانظر لسيف سيدى فى شدة مع كربه
قد قاتل الأعداء أهل الشرك والضلالة
وأذل مهجة نفسه فى الحرب دون مهجتى
ونحو رضاك طائعا ومحاولا لحمايتى
فأنت رب قادر وحاكم الخليقة
فرد كيد المعتدى عنا بأحسن سيرة
بالانبيا والاتقيا الصالحين السادة
وبحق ما يتلى من الكتاب والصحيفة
ومن عليهم أنزلت فرج بفضلك كربتى

وفك أسرى عاجلا وسر من بصحبتى
ردآ جميـــلا ردنا بالنصر والغنيمـــة

(قال الراوى) فلما أنشدت الملكة شامة هذه الابيات ودموعها على خدودها جاريات كان ولدها دمر على يديها وهو طفل جنين لا يفرق بين الشمال واليمين والملك سيف بين يديها يضرب ضربات قاطعات ويصرخ على العالم الذين بين يديه صرخات هائلات واشتد عليهما الجوع والعطش وأما غيلونه فلم يضرها شىء من الجوع لأنها صارت تهبر من لحم القتلى وتأكل كما كانت أولا فى وادى الغيلان وأما الملك سيف بن ذى يزن وشامة فانهم قاسيا غصص الجوع وداما على هذا الحال وقد أيقنوا بدنو الآجال فبينما هما كذلك وإذا بصاعقة من الجو نازلة بشرر ونار ورجم بالاحجار ونزلت دخنات متتابعات ونيران مولعات ويد أمسكت بشامة وولدها فى حضنها وقائل يقول لها أمسكى ولدك جيداً واليد الثانية أمسكت الملك سيف بن ذى يزن وارتفعوا فى الجو وتعالوا حتى سمعوا تسبيح الاملاك فى مجارى قبب الأفلاك يا مؤمن برب العباد وحد من لا ينساك ونظرت غيلونة إليهم وبهتت فعند التفاتها نزل عليها السلاح من كل جانب وضربها العدا بالسيوف القواضب ونفذت فيها أحكام الله الملك الغالب وأما الملك سيف بن ذى يزن فصاح على حامله وقال له أنت عيروض فقال ما أنا عيروض أنا عاقصة ما أسرع ما نسيتنى يا أخى فقال لها يا أختى أين كانت هذه الغيبة وما السبب فى مجيئك عندى فى هذه النوبة مع أنك ما جئتينى إلا وقت الحاجة إليك وكنت أشرفت أنا وشامه على الموت ونجاتنا على يديك فقالت له عاقصة اعلم يا أخى أنك لما تشاجرت معى وحصل الذى حصل فى مدينة الحكماء وكنت طلبت أن تتفرج على الاقاليم وأنا ما رضيت أن أفرجك ورددتك إلى مدينة الملك قرون وحلفت إن وقعت أنا فى يدك تقتلنى فمن ذلك خفت على نفسى منك وسرت إلى بلدى وصممت على أنى لا أجىء إليك ولا أسأل عنك إلى أن كانت هذه الايام فكنت أنا مقيمة فى قصرى فأتانى أبى وقال لى يا عاقصة يا بنتى عيب عليك إذا جحدتى الجميل والاحسان فانه يبقى عيب على طول الزمان مع أنى وحق النقش الذى على خاتم سليمان لو أعلم أن هذا الرجل تقضى له حوائج على يدى ما كنت ابدا اتأخر عنه ولا ساعة واحدة وكنت دائما له فى المساعدة فقلت له ومن هذا الرجل يا أبى الذى من اجله تكثر لومى وعتبى فقال لى كأنك نسيت الذى خلصك من سحاب المختطف وقتله بالحسام المرهف فقلت له هذا أخى الملك سيف بن ذى يزن ابن الملك تبع اليمانى فقال لى إذا كان هو الذى خلصك من الهلاك فلأى شىء لم تسألى عنه وبالجفا والهجر عاملتيه ثم قال لى اخبرنى الملك الاحمر ان الملك سيف بن ذى يزن اخذ نوح فاخذ الملك سيف ورماه فى وادى الغيلان ورمى زوجته شامة فى وادى الطودان ثم كان خلاص الملك

من وادى الغيلان بعد ماهلكوا على يديه وراح إلى بلاد الطودان واجتمع بالملكة شامه وهاهى مشرفة على الصلب وقد صار بينه وبين عساكر الطودان حرب والملك وزوجته قد أشرفوا على الهلاك والوبال وعيروض ناظر إليهم ولا يقدر أن يخلصهم بلا أمر لكونه مأمورا فى اللوح بالخدمة فلا يقدر أن يفعل شيئا إلا بأمر الذى هو حاكم عليه فمن ذلك أخبرنى وهو نى وأنا أخبرتك فان كنت يابنتى ياعاقصة تحفظى الجميل الذى فعله معك فقومى الحقيه وخلصيه مما هو فيه فان الملك سيف بن ذى يزن مايضيع عنده الجميل وأنت أخبر بذلك فقلت له ياأبى على الرأس والعين وقمت من مكانى وصرت إلى أن وصلت وادى الغيلان فرأيتهم جميعا موتى فتبعت أثرك إلى هذا المكان ورأيتكم فى أضيق الخناق فنزلت عليهم وعجلت لهم اللحاق وقد أخذتك وأخذت شامة وفرحته بولدها وهذا الذى جرى والسلام فقال الملك سيف بن ذى يزن يا أختى أكثر الله خيرك ولكن ضعينا على ذلك الجبل فان غيلونة هناك تقاتل أعداءنا مراتبها لنا قبل أن يهلكوها فقالت سمعا وطاعة وأنزلتهم على الجبل وعادت عاقصة إلى محل القتال فرأت غيلونة مقطعة فدفنتها والسبب فى ذلك أن عساكر الطودان لما هدموا سور القبة وكانوا أشرفوا على أخذ الملك سيف فما يشعروا إلا والدنيا انقلبت ونزل عليهم أحجار وشرار ونار وجرى ما جرى ونظروا إلى الملك وشامة لما ارتفعوا فصاروا ينظرون إليهم حتى غابوا عن عينهم وتهيألهم أنهم دخلوا فى السماء أوركبوا على ظهر الغمام ولم يعلموا بتلك الأحكام فقالوا لملكهم انظر ياملك وحكوا له على صعود الأعداء إلى جهة السماء من غير طريق ولا سلم وقالوا له بعدما هدمنا القبة ووقع الحرب بيننا وبينه ثلاثة أيام بثلاث ليال حتى فنيت رجالنا والأبطال وأشرفنا على قبضه ورمى علينا شرار ونار وأخذ رفقاءه وطار بهم إلى السماء وهذا الصغير بعد ماذبح إلهنا الكبير وشواه على نار السعير وأكله هو والذى صحبته وها هو صعد للسماء فقال الملك أما صعوده إلى السماء فان إلهنا غضب عليه وعلى من معه وأرسلهم إلى السماء ليطيل عذابهم ثم إن شاء قتلهم وإن شاء غفر لهم فقال الوزير ياملك إن هذا الفعل ماهو غضب هذا رضا فلربما كان إلهنا فى الأصل هو الذى أتى من السماء وبعد ذلك أراد أن يعذبهم فسلط عليهم وبعدها أخذها عنده فقال الملك أماذبحوا الإله وأكلوه فقال الوزير ياملك لاتقل ذبحوه وإنما هذا يتهيأ لنا شىء نراه حتى يرينا ذلك وينظر اعتقادنا وأما هؤلاء القصيرون فما هم إلا ملائكة جاءتهم ففعلوا ذلك الفعال وصور لكم هذا التصوير ثم أخذهم وطلع بهم إلى السماء ليكون قريبا من ملائكته وأعوانه (ياسادة) استغفر الله العظيم وأشهد أن لا إله إلا الله الكريم الحليم وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم النبى الكريم فلما سمع الملك من وزيره هذا الكلام سكت وامتثل لتلك القضاء والأحكام وقال لعساكره رحمه الله ادفنوا قتلاكم واذهبوا إلى أشغالكم ونحن نبنى القبة

قان رجع الذى كان فيها ونزل ودخلها فلا بأس وإلا نتخذ إلها غيره وفى ذلك الوقت أقبلت عاقصة تروم أخذ غيلونه فلقيتها مقطعة فدفنتها ورمت عليها جانبا من الأحجار حتى أهلكت خلقا كبيراً وعادت للملك سيف وقالت له يا أخى غيلونة ماتت وأنا دفنتها فقال الملك سيف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا كان آخر أيامها من الدنيا تهم الهمم ويسعى القدم لعمر دنا أو لرزق انقسم فقالت عاقصة يا أخى كان الذى كان وأنا مرادى أنك تقول لى على راحتك فقال الملك سيف يا أختى أنا لى مدة وأنا تعبان وجيعان وقد أشرفت على العدم فى ذلك المكان فالمراد أن تأتينى بشىء من الزاد حتى أسد به رمق الفؤاد فقالت له سمعا وطاعة وراحت عاقصة وغابت قليلا وعادت له بغزالتين من البر فذبحهما الملك سيف وطلب الحطب فأتت له بما طلب وروجوا لهم طعام واكل الملك سيف وشامة وأخذوا الراحة على ذلك الجبل ثلاثة أيام ثم قال لعاقصة يا أختى إذا كنت سائرا أنا وزوجتى شامه على الطريق هل ترى نصل إلى بلادنا فى كم من الأيام فضحكت عاقصه وقالت إذا كنت راكبا على النجب البخاتى تصل فى عشرين عاما وأما إذا سرت على سير القوافل والجمال فانك تصل فى عام ولكن يا أخى الآن مضى ما مضى وهذا الوقت بقيت أنت الوزوجتك وولدك فى أمان الله فقل لى إلى أى أرض أوصلك لتقيم فيها فانا فى خدمتك لا أتأخر عنك أبدا فقال الملك ما أريد إلا حمراء الحبش بلادى أقيم بها فقالت له امك فيها وإن علمت بك أرسلت عيروضا يذهب بك إلى بلاد أبعد مما كنت فيها وانا ما يهون على انك تتشتت كل يوم من مكان وأبقى أنا من أجلك على مقالى النيران ولست بقاضية لك يا أخى بل إنى أحب أن أقعدفى مكانى بين أهلى وإخوانى فقال لها وصلينى إلى قريب من بلادى وروحى إلى حال سبيلك فحملته وزوجته وابنه معه وصعدت بهم إلى الجو الأعلى وسارت تقطع الدنيا فى الجو طول الليل حتى أصبح الصباح فقال الملك سيف لعاقصه يا أختى نزلينا نزيل ضرورة فأنزلتهم على جبل وقالت لهم تحدثوا حتى آتيكم بما تأكلون وما تشربون ثم إن عاقصه غابت وعادت لهم بصينيه من الفضه وعليها أربع أقراص من الخبز الخاص وأربعه أصحن من الذهب مليانين طعام يصلح شفاء الأبدان وهو اطعمة مختلفة شتى يلتذ منها الآكل فلما نظر الملك سيف لهذا الطعام أكل هو وشامه حتى اكتفوا وبعد ذلك جاءتهم بخمر مكرر صافى اللون ورائق كانه دموع العاشق فلما نظر الملك سيف إلى ذلك قال يا عاقصه نحن فى أى البلاد ومن أين تأتينا بهذا الطعام فان هذا لا يأكل منه إلا الملك الذى له خدام وغلمان ويكون صاحب أقاليم وبلدان فقالت له بعد نعم هذا ملك هذه الأرض والبلدان وهو من جملة الملوك الذى يحكم عليهم الملك سيف أرعد واسمه الملك أبو تاج وبينك وبين بلادك التى فيها أمك مسافة سته أشهر ولكن أنا إذا حملتك أوصلك فى مدة ثلاثه ايام فقال لها خلينى فى هذه البلاد حيث انها مملكة الحبش والسودان ولكن

ياأختى ائتنى بسيف قاطع ودرع مانع فقالت له عاقصة أنت يا أخى كان معك سيف سام ابن نوح فقال ياأختى فقد منى مع اللوح فان أمكنك أن تأتينى به فافعلى فان هيبته تردع عن حامله العدا وتمنع عنه الردى لأن الإنسان ياأختى ينبغى له أن لا يأمن فى قعوده وقيامه من الوحوش تكون من ورائه وقدامه ولا ينفع الإنسان شىء إلا حسامه فانه يرد به أعداءه وأخصامه فقالت له يا أخى أمك محتفظة عليه ولا تفرط فيه فقال لها يا أختى هذه حاجتى عندك والسلام فقالت له سمعا وطاعة وطارت عاقصة إلى الجو وغابت عنهم مدة يومين وأتت لهم ثالث يوم ووقفت قدام الملك سيف وقبلت يديه وقالت له ياأخى خذ سيفك فأخذه منها وفرح به وكأنه ملك الدنيا شرقا وغربا وقال لعاقصة ياأختى شكر الله فضلك وإحسانك فامضى ياأختى إلى حال سبيلك وسلمى لى على أبيك وأمك فقالت عاقصه إيش هذا الكلام كيف أتركك هنا وبينك وبين أهلك أشهر طوال وأيام فقال الملك سيف ياأختى نزلنا بلاد العمار وأنا مرادى أن أقيم هنا مدة أيام فانه مابقى علينا خوف ولا فزع فقالت له تأكل وتشرب من أين وإن أردت المسير إيش تركب أنت والملكة شامة فقال لها صدقت أريد منك أن تأتينى بحصان على أى وجه كان اركب عليه شامة وأنا نهادمر وأنا امشى بجنبهما فقالت له احضر لك حصانين اركب واحدا منهما والثانى تركبه زوجتك فقال لها يا أختى ليس قدامى بلاد أسافر اليها وإنما أريد محلا يكون فيه زروعات وخضرة نبات حتى أستريح فيه أنا وزوجتى وولدى لأن الإقامة فى بلاد الأعداء اتعبتنا فقالت له عاقصة إن كان قصدك ذلك فها هو خلف ذلك الجبل مطلوبك وهو مدينة عامرة وقريب منك وهى زاهر وخضر نضر فقام الملك سيف وأخذ زوجته معه وسار يتمشى حتى صار فوق سن الجبل فنظر إلى مغار واسع فقر فى الجبل فادخل شامة فيه وولدها معها وسار يدور فى الجبل فنظر إلى غزال على بعد منه فأخذ نبلة وأوترها فى قوسه وضربها فرمى غزالة وحقها فقبض عليها وذبحها وأتى بها إلى المغار فقامت الملكة وأخذتها منه وسلختها وأتاها بأحطاب فأضرمت النار وشوت تلك الغزالة وأكلوا منها وباتوا فى ذلك المكان وعند الصباح أخذ زوجته وانحدر حتى نزلوا من خلف الجبل فرأوا جماعة من بنى آدم محاطين فى ذلك المكان وهم رجال فرسان ورأى بينهم أسدا هائل المنظر وقد فرق شملهم فى البر والأقفر وهو يهمهم ويهدر وهو قدر الثور واكبر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوادى إذا همهم وهدر وله أنياب أحد من القواضب وأظافر كأنها الكلاليب والفرسان دائرة به من اليمين والشمال خائفين من شرب كأس الوبال وإذا أرادوا أن يتركوه ويسيروا إلى حال سبيلهم يصرخ عليهم فيفرق شملهم وإذا عادوا إليه أهلكهم ومازال وامعه حتى أهلك منهم خلقا كثيرا وما بقى لهم طريق ينجون منه المسير لأن الأسد حجرهم فى ذلك المكان وصار يصول ويجول عليهم كما تفعل الفرسان والرجال لم تقدر أن تتقدم عليه والخيل كلما

شمت ر محته نفرت من بين يديه والناس جميعا خائفون وخيولهم جافلة فلما نظر الملك سيف إلى ذلك الحال ظن أن هذه قافلة سائرة فى البرارى والتلال فسار حتى قرب منهم وكان ترك شامة فى مغار تحت لحف الجبل وقال لها اقعدى هنا حتى ذلك الحال ثم سار حتى قرب من القوم وجرد سيف حام فى يده وهزه حتى دب الموت فى فرنده وأدار أذياله فى منطقته وانفرد إلى ذلك الأسد الغدار يطلب منه الحرب والقتال فصاح ملك المدينة إليه وقال له ارجع يا غريب عنه ولا تعرض نفسك للهلاك والوبال وانت ليس لك احد تعرفه بين هذا فلم يلتفت الملك سيف إليه بل تركه وسار طالبا ذلك الأسد الغدار وشاهرا فى يده حسامه بتار فلما رآه الملك ثبت مكانه وهو قادم إليه تجمع للوثبة عليه حتى صار مثل ثلثيه وانفرد حتى صار كثليه فلما رآه الملك سيف ثبت مكانه ولم يتحرك ولا اخذه خوف ولا فزع ولما راى الأسد هاجما عليه وراى الشرر طائرا من عينيه حكم الحسام فى وسط جبهته واستعان بقدرة الله وعظمته وضرب الأسد والسيف بحدته فوافق حد السيف وثبة الأسد مع عزم الضارب وهمته فخرج السيف من بين فخذيه ووقع الأسد شطرين وقضى عليه كأنه انقسم ببيكار او انتشر بمنشار ونظر ملك هذه العساكر إلى الملك سيف بن ذى يزن وكان اسمه الملك ابو تاج فقال لمن حوله من رجاله وجنوده وابطاله ماهذا إلا فارس همام وبطل ضرغام وعلى جميع الأمور جسور وهجام ثم صاح على من حوله وقال لهم ائتونى به فتجارت الحجاب إلى الملك سيف بن ذى يزن وقالوا له يا فارس الأقطار إن ملكنا ارسلنا إليك يطالبك ان تحضر بين يديه فقال الملك سمعا وطاعة وسار مع هؤلاء الجماعة وقال اعلمونى ما اسم هذا الملك بين الملوك فقالوا له هذا ملكنا واسمه الملك ابو تاج وهو حاكم على هذه الأراضى والفجاج وهو من نواب الأراضى والبلدان التى تحت يد الملك الكبير المصاب صاحب الجنود والأعوان الملك سيف ارعد ملك الحبشة والسودان وانه لما رآك قتلت الاسد وكان ناظر اقصد ان ينعم عليك فقال الملك سيف بن ذى يزن وكيف يحكم عليه الملك سيف ارعد وبينهم مسافة سنة اشهر فقالوا له يا هذا اعلم ان ملك الحبشة والسودان طول ثلاث سنين تمام فتعجب الملك سيف بن ذى يزن وقال الملك لله العزيز العلام هذا وسار الملك سيف ابن ذى يزن صحبتهم بلا خوف ولا فزع ولا انزعاج حتى صار قدام الملك ابو تاج فلما صار بين يديه لثم زمزم وترجم وافصح لسانه وتكلم ودعا له بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم وبداه بالسلام فلما نظر إليه الملك قام له على الاقدام واخذ يديه واجلسه بجانبه فى اعلى مقام وقبله بين عينيه واكرمه غاية الاكرام وقال له اهلا وسهلا بالفارس الهمام والبطل الضرغام ثم انه طلب الطعام فقال الملك سيف يا ملك لا تؤاخذنى فإنى لا يدرك لى اكل الطعام فإن لى زوجه وغلام فلا يجوز ان اتركهم فى المغار وهم من اجلى فى الانتظار على مقالى النار فقال له ولاى شىء انت مقيم فى هذه البرارى والقفار وتارك المداين والعمار وانت فريد وحيد بلا رفيق ولا انصار وواضع زوجتك

وولدك فى مغار فهذه الفعال لا يفعلها إلا وحوش البرارى والقفار فقال الملك سيف أنا لى سبب عجيب وهو أنى يقال لى الملك سيف بن الملك ذى يزن الملك تبع اليمانى وأن لى والدة تكره صونى فوضعت معها لوح خدامى ليلة دخولى على زوجتى فأغراها الشيطان على هلاكى فمسكت اللوح وأمرت الخادم بشنقى وتتبعت زوجتى إلى بلاد الغيلان وبلاد الطودان وأعاد عليه كل ماجرى وكان فتعجب الملك أبو تاج من حكايته وأمر له بحصان وقال له أنت وحريمك وولدك ياملك تكونون عندى فى أمان حتى تبلغ قصدك والبلاد بلادك



(هذه صورة الملك سيف التبعى اليمانى وهو راكب على ظهر الحصان)

وأنا فيها نزيلك فشكره الملك سيف وقال له ياملك الزمان أنا مقصدى التوجه إلى ديارى والأوطان فقال له الملك ابو تاج لا يصح ذلك حتى تضيفنا وتأكل يا ملك زادنا ثم أرسل قدامه الحجاب يزينون البلد بما يكون من أحسن الملبوس وقام الملك سيف وأحضر زوجته وولده فأمر الملك بجوادين فركباهما وسار الملك سيف مع الملك أبو تاج حتى دخل المدينة ثم دخل البشير يبشر بقدوم الملك ومن معه ففرحت أهل البلد ولما علموا بأنه حضر مع الملك فارس قد قتل الاسد الذى كان قاطع الطريق وخائن السبيل فرحوا غاية الفرح ودخل الملك أبو تاج إلى مدينته والملك سيف بصحبته فأمر الملك سيف بمكان منفرد به مع زوجته وولده ورتب لهم كل ما يحتاجون إليه من فراش وملابس ومأكول ومشروب وجعل ذلك برسمهم وقال الملك سيف ياملك اعلمنى بكل ما تحتاج إليه وهاهو مالى بين يديك ولا أبخل بشىء عليك وأنت الحاكم مثل ماتريد ونحن لك خدم وعبيد فلما سمع الملك سيف بن ذى يزن ذلك الكلام قام وقفا على الاقدام وشكر الملك أبو تاج واطمأن على زوجته وهدا سره وزالت عنه حسرته (ياسادة) واعجب ماوقع فى ذلك الدهر ان من العجائب الغريبة والامور المطربة العجيبة أن

الملكة شامه لما اقبلت مع الملك سيف وركبت هى وولدها على الحصان نظرها الملك أبو تاج فى ذلك الوقت ولما رأى مافيها من الجمال الفتان تعلق قلبه بها وخالط ذهنه حبها ولكن كتم ذلك لعلمه أن الملك سيف ملك همام وبطل ضرغام وقبيح عند الملوك إذا تكلموا فى حريمات الملوك بكلام أو تذكروا بحديث الهوى والغرام وكتم سره ولكن الشيطان زين له أن الملكة أحسن من كل من عنده من المحاظى والجوارى الحسان هذا والملك سيف مقيم عند الملك أبو تاج وهو يكرمه ويرفع قدره ويعظمه وصار يحدثه بطيب الكلام ويتذاكرون الملوك وأرباب الانعام والفرسان اصحاب الحرب والصدام وكذلك ارباب الولايات والاحكام وكلما فتح الملك أبو تاج للملك سيف شيء من المآثر يلقاه فى كل شيء من ذلك حافظا وماهر ويجمع الامور عارفا وخابر فعند ذلك ذكر الملك أبو تاج سيرة النساء وما فيهن من الجمال ولذة الجماع والرجال وما فيهم من الجبان والشجاع فقال الملك سيف ياملك اعلم أن الرجال اصناف فيهم من اعطاه الله تعالى شجاعة وقوة ومروءة وسماحة نفس وكرما وعفة وفيهم من هو بضد ذلك ويكون جبانا وذليلا وطماعا وحسودا وبخيلا وفيهم من هو كريم جبان وأهل مروءة وضعيف الجنان لايقدر أن يحمى جار ولايدفع عن نفسه اضرار وفيهم شجاع وصاحب مقدرة وحاله متيسر ولكن مثل البحر المالح أن تنزل فيه شيء اتلمه وليس فيه نفع من خلق الله تعالى لاحد وفيهم من يكون كريما ولكن ماعنده شيء يتكرم به وفيهم غير ذلك وأما النساء ياملك فما هن إلا مواعين لتربية النطفة حتى تتكامل فى ظلمات الاحشاء ومنها يخلق الله تعالى مايشاء يعنى أنثى أو ذكرا وأما الجمال وغير الجمال فهو على حد سواء فإن كل منهن تحمل وتضع فلا فرق بينهن وبين كل الاناث من الحيوان والطيور والوحوش والدواب وجميع الاشباح التى تسكنها الارواح وهذا دليل على قدرة الله الملك الفتاح فإن الحركة والسكون صنعته وهو الذى يدبر كل شيء بمعرفته فالتحم الملك أبو تاج بلجام لما سمع من الملك سيف ذلك الكلام

فقال له ياملك وهذه السيدة التى صحبتك هل هى لك قريبة أو أخت أو من بنات الاعمام فقال له ياملك هذه زوجتى وأم هذا الغلام وهو ولدى وقطعة من كبدى فقال الملك ومن أبوها فقال له أبوها الملك أفراح ملك مدينة الحديد الذى ربانى وكنت طفلا صغيراً عيال حتى كبرت وبلغت مبالغ الرجال وخطبتها وحصلت حزازات وفتن حتى تزوجت بها فى ذلك الزمن فقال له الملك أبو تاج أنا اسمع عن الملك أفراح أنه من جملة الملوك النواب من تحت يد ملكنا سيف أرعد الملك المهاب فصار يجب علينا إكرامها إجلالا لقدر أبيها وبعلها وولدها ولقد تشرفت أرضى وبلادى بنزولكم عندى فى ذلك المكان وإقامتكم عندى هو غاية قصدى ومرادى ثم أن الملك أبو تاج صبر على الملك سيف حتى وصل إلى مقصورته

آخر النهار وقعد مع زوجته الملكة شامة ثم أحضر بدلتين إحداهما للملك سيف وهى قميص من الديباج مطرز الأكمام وجبة وسروال على هذا المثال وعمامه من القصب الغال وصدرة من الزرد ودرع داودى من صناعة نبى الله داود وخوذة من البولاد مطلية بالذهب ومنطقة وسيف وفرس ورمح مكعب وقدم ذلك للملك سيف وسأله فى قبوله فقبلها منه والثانية من ملابس النساء منسوجة ولكن كلها من الابريسم وشرائط الذهب الأحمر نورها يأخذ بالبصر وقال للملك سيف اعلم يا ملك انى فى الأول تهاونت فى حقك وحق زوجتك لأنى ما كنت أعرفك ولا أعرف زوجتك وها أنا علمت بكم وعرفت قدركم فلا تؤاخذنى فيما مضى منى من التقصير واقبل منى العذر أيها الملك الكبير فشكره الملك سيف على ذلك الكلام وقال له والله يا ملك ما أنت إلا نعم الصديق والخل الشفيق فلا زلت موفقا سعيدا ولا زال عدوك فى قهر وتنكيد فعند ذلك قال الملك أبو تاج قم يا ملك البس بدلتك قدامى حتى يتم فرحى على حسب مرادى وكذلك زوجتك تلبس بدلتها حتى يتكامل سرورها وفرحها فقام الملك سيف بن ذى يزن ولبس تلك البدلة وأسبل الدرع على جثته وتمنطق بالمنطقة والسروال حتى صار كأنه قلة أو قطعة فصلت من الجبل أو قضاء الله تعالى إذا انحدر ونزل فنظر إليه الملك أبو تاج وهو على ذلك المثال فعلم أنه بطل لا تقاومه الابطال وكذلك الملكة شامة لبست بدلتها وتكاملت فرحتها ومسرتها فزادت محاسن على محاسنها وزينة على زينتها وطلعت شامة وهى لابسة تلك البدلة وقبلت يد زوجها ويد الملك أبو تاج وهى فى فرح وابتهاج ونور جبينها أذهب ظلام الليل الدياج وفاق على نور الشموع والسراج فنظرها الملك أبو تاج فاشتعل فى جوفه جمر وهاج فكتم ذلك ولم يقدر أن يقوم ولا يخرج من عندهم وبات تلك الليلة معهم حتى طلع النهار وقام إلى محل ملكه ونار الغرام فى فؤاده فكاد أن يهلك ومن شدة ما أصابه من ذلك الأمر العسير شكا حاله للوزير وهو اسمه الهضام وله على القيادة قوة واهتمام فقال له يا ملك الزمان إن هذا أمر يسير لأن الجارية وزوجها فى بلادك وتحت يدك فى نعمتك فافعل ما أردت بهم وليس مانع يمنعك عنهم فقال الملك أبو تاج صدقت ولكن أخاف من العار والشنعة والشنار تقول عنى الملوك إن الملك أبو تاج أضافه رجل غريب فأرغده فى نعمته وبعد ذلك غدر عليه وخانه وأخذ منه زوجته وهذا غاية ما يكون من العار والذل والشنار وإنما يا وزير أريد منك أن تدخل عليها أنت وتنخضع لها وتوعدها عنى بكل ما تريد من المال والنوال والملك وحسن الاحوال حتى تلين عقلها بالمقال لعلها تلين وأبلغ منها الوصال وأتملى بحسنها والجمال فقال الوزير يا ملك سمعا وطاعة أنا أجتهد فى ذلك من غير شناعة وقام هذا الوزير وقعد قدام مقصورة الملك سيف وهو مختف يرصد نفسه الملك سيف حتى يخرج من عند الملكة شامة وكان الملك سيف

من وقت ماخرج من عندا الملك أبو تاج نام فى مكانه حتى تضحى النهار وأفاق وأكل شيئا من الطعام وقام قاصداً محل الملك أبو تاج فى ديوانه فلما دخل عليه قام الملك أبو تاج إليه وأخذه فى حضنه واعتنقه وأجلسه على التخت بجانبه كأنه من بعض قرائنه هذا ماجرى وأما الوزير فلما رأى الملك سيف خرج دخل هو على الملكة شامة وقبل الأرض بين يديها فقالت له من تكون أنت فقال يا ملكة أنا الوزير الهضام وزير الملك أبى تاج ملك هذه الأراضى والآكام فقالت له وما الذى أدخلك فى هذا المقام وأنا امرأة قاعدة وحدى وما عندى غير ولدى وبعلى غائب فعد من حيث أتيت إن كان عندك رأى صائب فقال لها وأين سيدى الملك سيف فانى ما أتيته إلا من أجله حتى أنى أتحدث معه فقالت له إنه خرج وما هو حاضر وامض أنت إلى حالك واترك كل كلامك وسؤالك فقال لها هل يأتى سريعا حتى انتظر قدومه فى هذا المقام فقالت له لاتطل فى الكلام واذهب من عندى حتى يأتى بعلى والسلام لأن الظاهر فيك أنك لست من أبناء الكرام فبينما هو معها فى الكلام وإذا سيف بن ذى يزن داخل فوجد الوزير عند زوجته فزادت لوعته وقال ياوزير إيش أتى بك إلى هذا المكان وأنا كنت عند الملك فى الديوان فإذا كان لك شىء فلم لا أعلمتنى ودخلت مكانى واستغفلتنى هذا يدل على أنك من أشر الناس الذين لا لهم أصل ولا فرع ولا أساس فقال الوزير ياملك أما أتيت اسأل الملكة شامة إن كان الطعام المرتب يكفيكم وإن كان قليلا فنحن نزيده لكم ونوفيكم فقال الملك سيف نحن من الطعام اكتفينا وما بقينا نريد طعام فقد ضاع العتب معك ولا حاجة بالملال فامض إلى حال سبيلك بسلام ودع عنك زخارف الكلام فطلع الوزير وهو لايصدق بالنجاة لانه لما نظر إلى وجه الملك سيف بن ذى يزن أيقن بالموت الفجاءة وسار حتى وصل إلى الملك أبى تاج وقبل الأرض بين يديه وحكى له ماحصل من أفعال وماقالته الملكة شامة من غيظ الكلام وأن الملك سيف دخل عليه وقبح عليه أعماله ولولا رقله فى الكلام ماكان رثى له بل كان قطع أوصاله فقال الملك أبو تاج ياوزير اعلم ان السودان احب ماعندهم لنا حريمهم وبناتهم وأما البيضان فهم عرب لايرضون أن احدا يدوس ارضهم ولا يتكلم مع حريمهم فانهم عرب وعرضهم عندهم أغلى من الفضة والذهب وهذا الذى انا طالبه ما املكه إلا بالمشقة والتعب فقال الوزير ياملك أنا أدبر لك تدبير يكون أعظم من الاكسير فقال الملك وماهو ياوزير فقال له إذا كان الديوان متكامل فاطلبه حتى يحضر بين يديك وقل له إنى أريد منك أن تعيرنى زوجتك شهرا كاملا حتى أقضى منها وطراً وأردها عليك فاذا سمع ذلك الكلام استحى منك واجاب وإلا فيكون ذلك سبب الفتنة والخراب فقال الملك هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب فلما كان ثانى الأيام واجتمعت العساكر والوزراء والحجاب أرسل الملك أبو تاج إلى الملك سيف فلما حضر قام إليه وأجلسه واكرمه وعظمه ولما طاب لهم الحديث

والكلام قال الملك أبو تاج للملك سيف يا أبيض أنا لى حاجة أريد أن تقضيها لى فقال الملك سيف مرحبا ولو كانت فى فم الأسود أو فى قاع اللحود آتيك بها وأعود بقدرة الملك المعبود فقال الملك أبو تاج حاجتى عندك وهى أنك تعيرنى زوجتك شهرا من الزمان حتى أقضى منها وطرى بعد ذلك أردها إليك وهذه تبقى جميلة عندى ولا أحد غيرى يتعدى عليها فقال الملك سيف أما تخشى يا ملك أن تقول هذا الكلام ولكن أنت ما أنت من الملوك الكرام وهذا دليل على أنكم ناس لئام غير كرام والرجل منكم ينكح أخته وأمه وبنته ولكم على ذلك همم وعزائم ما كأنكم إلا مثل البهائم وهل أنت سمعت طول عمرك فى الدنيا أن ملكا من الملوك أو رجلا فقيرا صعلوك له زوجة ويعطيها لأحد وهى زوجته وحليلته ولكن والله الذى رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض على ماء جمد وهو الله الذى لا إله إلا هو الواحد الأحد لولا أنى أكلت من زادك ورعيتنى جودادك كنت قلت لى قبل أكل الطعام هذا الكلام لقطعت رأسك بهذا الحسام ثم إن الملك حط يده على قائم سيفه وقام وعيناه فى وسط رأسه كجمر الإضرام وسار إلى مقصورته المنفردة له ولزوجته وقال لها قومى يا ملكة شامة نرحل من هذه الأرض والبلاد فان أهلها ناس أوباش وأوغاد ليس لهم افتخار إلا بالخناق والفساد ثم أنه أحضر الجوادين وأراد أن يركبها على واحد منهما وابنها معها ويركب هو الجواد الآخر ويطلب بهما البر الأقفر فرأى حول المقصورة رجال كأنها الجراد المنتشر فى البرارى الخوال أو النيل السيال او الحصى الرمال وهو عسكر لا يعد ولا يحصى كلبه الرمل الحصى فقال الملك سيف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم نادى عليهم وقال لهم يا مغرورين ما الذى تريدون على اجتماعكم ووقوفكم لقبض ارواحكم وقطع اعماركم فانه ما يتعرض لى إلا كل من منيته حانت وروحه عليه هانت واما انا وزوجتى فإن الله تعالى قادر على نصرتى وحمايتى فعودوا على اعقابكم ولا تتعرضوا لهلاككم ووبالكم وإتلاف ارواحكم فكان المجيب له الوزير فقال له يا ابيض اعلم انك لما تطاولت على الملك فى الديوان وطلعت من عنده وانت غضبان فقال لى ياوزير الحق هذا الأبيض فى مكانه فإن سلمك زوجته فاتركه واعتقه وإن ابى التسليم فاسقه المنهل الوخيم واقتله واجعله على وجه الأرض رميم وهذا الذى جرى قلت لك عليه فإن اردت النجاة لنفسك فسلم لنا زوجتك نوديها للملك وإلا دونك وما تريد فى هذا الهول الشديد فلما سمع الملك سيف هـــذا المقال وبان له الصدق فى المقال وقف على باب المقصورة واوقف شامة وابنها خلف ظهره ووقف هو على البسطة التى للمقصورة وحط يده على السيف وجره من غمده وهزه حتى دب الموت من فرنده فإن اول من تقدم إليه فارس من السودان كأنه من اولاد الجان واسمه صخر بن صوان وهو جبار من جبابرة

السودان فتقدم إلى الملك واراد ان يلكمه فما قارب اليه حتى ضربه الملك سيف بن ذى يزن على وارديه واطاح راسه من على كتفيه والثانى لحقه بالأول والثالث والرابع كانوا لبعض توابع والخامس والسادس كل منهم بقى على الأرض ناكس والسابع والثامن والتاسع والعاشر جعلهم كلهم دوامر وهكذا كل من طلع عنده يقتله وعلى وجه الأرض يجندله حتى تساوت البسيطة التى هو فوقها بالقتلى والأرض بعدما كانت سهلا بقيت جبلا وهذا من جثث الموتى فلما راى الملك ابو تاج ذلك الحال صاح فى رجاله والأبطال وقال لهم دوروا بالمقصورة من كل جانب واضربوا حيطانها بالقزم والمضارب واهدموا الحيطان والأسوار وخربوا هذه الدور والحيطان والجدار واقبضوا على هذا الأبيض حتى اشرب من دمه واعجل هلاكه واعدمه فاحتاطوا بالمقصورة اجمعين من الشمال واليمين ودقوا بالمعاول فى الحيطان فهدموها والجدران وشرمطوها وكان الملك سيف كل ومل ووهى عزمه واضمحل فأومأ بطرفه إلى السماء وتوسل بعظيم العظماء وقال :

يا خالقى يارب يا معتمدى ... يا منقذى من كربتى ياسيدى
يا من به آمالينا تعلقت ... دون البرية كلها خذ بيدى
قد طالما اشكوا إليك حاجتى ... وكربتى من العذاب السرمدى
يامن إذا ضاقت علينا سبلنا ... انت الذى ترجى لكشف الشدد
إنى دعوتك يا إلهى خاضعا ... وقد بلغت من العدا بالعددى
وانا فريد بين جمع زائد ... وانت تعلم خالقى يا صمدى
فرج بفضلك كربتى ياذا العلا ... ورد كل خصم معتدى

(قال الراوى) فلما فرغ الملك سيف بن ذى يزن من ذلك الشعر والنظام وماقال من الكلام وإذا بقعقعة عظيمة نزلت من الجو الأعلى واختطفت الملك سيف وزوجته شامة وابنه دمر وارتفعت بهم إلى الجو الاعلى فقال الملك سيف انت من يامن أسمعتنى تسبيح الأملاك فى مجارى قبب الأفلاك علمنى بحق من سواك وخلقك ولم ينساك فقالت له يا اخى انا عاقصة فقالت لها شامة والله ياستى عاقصة إنك ماجئت إلا فى وقت حاجتك ولاحصل لنا إلا بركتك وهمتك ومروءتك فقال الملك سيف يا اختى ومن ابن اقبلتى فقالت له الآن ماروحت وإنما لما قلت لى روحى فما هان على ان افوتك ولاقدرت ان اخالفك لئلا يصعب عليك فقعدت انتظرك لما اتفقت انت وهذا الملك ابو تاج ورايت وجهه منافق فقلت ما اروح حتى اطمئن على اخى وبعد ذلك رحت إتسلى فى جهة الشام واخذت جانبا من اثمارها من خوخ وفواكه ورجعت فرايتك على هذا الحال فنزلت إليك واخذتك واتيت بك إلى هذه

المكان ومرادي أن آخذك معي إلى قصري وأجعل زوجتك وابنك عندي حتى تقضي هذه الأيام وتكون عندي في غاية الإكرام فقال لها يا أختي مرادي أن تطعميني من فاكهة الشام فقالت له سمعا وطاعة وقامت من عنده وجاءت له بجانب زبيب ونقل وتمر وفواكه قدر ما يحمل الجمل مرتين ووضعته قدامه وقعدت تباسطه وتلاعبه حتى أكل وقال يا أختي هاتي لنا حصانين حتى اركب أنا وزوجتي ونمشي إلى محل مايدلنا الله ولكن تكون الخيل جياد فقالت سمعا وطاعة وغابت وعادت بحصانين وركبت شامة واحد وابنها معها وركب الملك سيف الحصان الثاني وقدمت لهم عاقصة شيئاً من الزاد يكفيهم مدة شهر ووضعته على حصان ثالث وقالت له هذه الطريق توصلكم إلى مدينة الملك أفراح وإن أراد قلعة الثريا فادخل عند سعدون الزنجي فإنها في طريقك وأنا مني عليك السلام وودعته وسارت وسار الملك سيف إلى آخر النهار وبات بجانب جبل وعند الصباح قام الملك سيف وأركب زوجته وولده بعد ما أكلوا وشربوا وساروا على بركة الله تعالى وإذا هم بالخيل أدركتهم من بين أيديهم ومن خلفهم والمقدم عليهم الملك أبو تاج والسبب في ذلك أنه من هلوسته بحب الملكة شامة نظرها لما اختفت هي والملك سيف فنظر إلى خيالها في الشمس وهو على جبل فقال ماراحوا البيض إلا من هذا المكان ولابد من اتباعهم أين ما كانوا فان لحقناهم أخذناهم وإن لم نلحقهم عدنا وليس علينا في ذلك من ضرر وسار كما ذكرنا فالتقى بالملك سيف وزوجته فصار ينادي بصوته ويقول اين ينجيكم الهرب وأنا وراءكم في الطلب وحق زحل في علاه والنجم وما سواه لابد لي من قتلك إذا لم تسلمني زوجتك فقال له الملك سيف ياجاهل ياقليل الأدب إيش لك عندي حتى تطالبني به والله لقد رميت نفسك وعساكرك في بحر الهلاك ولا يبقى لكم منه فكاك ثم أنه أوقف الملكة شامة بجانب الجبل والتفت فرأى مغارا فقال لها ادخلي بولدك هذه فدخلت وأما الملك سيف فجرد حسامه من غمده وهزه حتى دب الموت في فرنده وحمل على عساكر أبي تاج وثار عليهم الغبار والعجاج ورماهم أفرادا وأزواجا وقطع منهم الأعناق والأوداج حتى بقي النهار كالليل الداج وقد بطل الاحتجاج ومزج لهم كاس المنية غاية الامتزاج وهو ينادي الله اكبر فتح ونصر وحيانا بالنصر والظفر ودام الأمر على ذلك الحال حتى ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالإنسدال ولما دخل الظلام وخفيت مواضع الأقدام انفصلوا عن ضرب الحسام وقتل الملك سيف من الأعداء ثلثمائة إنسان وجعل أجسادهم كيمان وعاد وقصد على باب المغار وطلعت الملكة شامة وأعطته شيئا من الذي عندها وهو الفطرة والفاكهة فأكل على قدر الكفاية وقال ياشامة اعلمي أن هذا

الحصان تعب فى ذلك اليوم فاطعميه من ذلك الطعام الموجود حتى فى غداة غد يكون للجولان صبورا شديدا فقالت له سمعا وطاعة وكان بجوار الجبل عين ماء فجلب الملك سيف منها ما أسقى به زوجته وأسقى الخيل وشرب وبات إلى الصباح هذا ماجرى للملك سيف ابن ذى يزن وأما ما كان من أمر الملك أبى تاج فانه لما نزل وبخ عسكره بالملام ثم قال لهم هذا رجل واحد وكيف يفعل بكم هذه الفعال لاسيما أنه من البيضان وماهو من أبطال السودان فكيف لوكان معه عشرة فرسان فما كان أبقى منكم ولا إنسان فقالوا له ياملك الزمان هذا رجل لا كالرجال وبطل لا كالأبطال ولكنه اليوم كل ومل واضمحل ولاعنده شىء من الزاد وإذا بات على تلك الحال ففى غداة غد نبلغ منه الآمال وباتوا تلك الليلة وثانى الأيام طلبوا الحرب والصدام فخرج عليهم الملك سيف وجعل يومهم أسود ودام يضرب فيهم بالحسام حتى أقبل الليل بالظلام ثم عاد إلى عين الماء الذى حول الجبل فرآها ناشفة وكان قد شرب ماءها عسكر أبى تاج فدخل وهو مغتاظ فحكى لزوجته فقالت له ياسيدى لايضيق صدرك يصبرنا على الظمأ الذى رفع هذه السماء فقال لها صدقت ثم قال لها هل عندك شىء من الزاد نسد به رمق الفؤاد فقالت له لا وحق رب العباد من كسا الليل حلة السواد ولكن يقيننا الملك الجواد الهادى إلى طريق الرشاد ونحن نبات هذه الليلة على الطى ونستعين بالخالق الحى فقال لها نامى أنت وولدك حتى احرسك فقالت له ياسيدى أنت تعبان نم أنت وأنا أحرسك فقال لها هذا لايكن فقامت الملكة شامة والملك سيف بات يسامر النجوم ويرجو الإعانة من الحى القيوم ولما كان الصباح تأمل للحصان فرآه كانه الأسد الغضبان وكانه ماقاسى من حرب ولا جولان فركب وبرز إلى الميدان وطلب من الأعداء البراز فعند ذلك كان الملك ابو تاج يرتب عساكره وامرهم ان يبارزوه فارس لفارس فألقى الله الرعب فى قلوبهم وخرج فارس امهر إلى الملك سيف وقال له دونك والقتال إن كنت من الأبطال فانقض عليه الملك سيف وضربه على رأسه فشقه إلى حد لباسه والثانى والثالث وهكذا فلما راى الملك ذلك امر عشرة ان يخرجوا إليه مرة واحدة فلما رآهم عشرة دخل معهم تحت الغبرة فأهلك سبعة وجرح ثلاثة فتوقف عنه الفرسان والقى الله الرعب فى قلوبهم فلما رآهم الملك سيف توقفوا نادى بأعلى صوته هيا يابنى حام ودونكم الحرب والصدام إن كنتم من الفرسان الكرام فلم يبرز إليه احد لا ابيض ولا اسود فحمل على يمين القوم واهلك سبعة ابطال وطلع إلى الميسرة فأهلك منها تسعة وعاد إلى وسط الميدان ونادى ياملك اباتاج اما انت ملك القوم وعليك العتب واللوم وانت الذى اتبعتنى وعن طريقى عوقتنى فهلا تنزل الميدان حتى افرج عليك هذه الفرسان واجعلك قتيلا على الرمل والصحصحان والبسك من دمك حلة ارجوان يا اخس الملوك

وأنجس السودان فلما سمع أبو تاج هذا الكلام صار الضياء فى عينيه كأنه ظلام وقال أنا أبرز إلى هذا الشيطان واقتله بسيفى هذا الهندوان ثم إنه ركب الحصان وبرز إلى حومة الميدان ولطم الملك سيف بن ذى يزن لا خائف ولا فزعان وصاح عليه وقال إنه ملك هذه البلاد دونك والحرب والجلاد فانطبق الاثنان بعضهما على بعض وجالا طولا مع عرض وخرج من الهزل إلى الجد وأوسعا المجال الممتد وسارا تارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وتارة تجرى بهم الخيل خببا وتاره قهقرى وانعقدت على رؤوسهما الغبرة ورأى كل منهم مابهره هذا والملك أبو تاج رأى من الملك سيف شيئا ما كان له فى حساب وعلم أن خروجه له ماهو صواب وأيقن لنفسه بالهلاك والذهاب وندم حيث لاينفعه الندم وقد ذلت به القدم وانتقل من الوجود إلى العدم فخار ولحقه الانهيار وحدثته نفسه بالهرب والفرار ولا يبالى فى اللوم لا بالفضيحة والشنار ولكنه أراد أن يعمل حيلة تكون لنجاة لنفسه من الهلاك وسيلة فصار يدفع ويتأخر وقصد أن يصل إلى العسكر ويطلب منهم المعاونة فعرف الملك سيف ابن ذى يزن منه ذلك فصاح عليه فأدهشه وهجم عليه ولاصقه وضايقه وسد عليه طرائقه ومازال معه طعان وضراب حتى حك الركاب بالركاب وصاح فيه صيحة الأسد الوثاب فاندهش الملك أبو تاج وغاب عنه الصواب فتقدم إليه وأمسك خناقه وعصر عليه حتى كاد أن يطير أحداقه ورفعه على قائم زنده وأراد أن يعود به من الميدان فهاجت عساكره وانطبقوا على الملك سيف بن ذى يزن وملئوا الأقطار والدمن فخاف الملك سيف على نفسه من العدا أن يسقوه شراب الردى فرفع ساعد باعه وشاله على ذراعه وجلد به الأرض فرض عظامه أعظم رض وتلقى بوادر الخيل وأنزل عليهم البلاء والويل وكالهم كيلا وأى كيل وأجرى دماءهم مثل السيل هذا والملك أبو تاج ما صدق بخلاص نفسه حتى خرج من المعمعة ونظرت السودان .

انتهى الجزء الثالث

من سيرة سيف بن ذى يزن

ويليه الجزء الرابع

الجزء الرابع

من سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذى يزن

ملكهم فاطمأنت قلوبهم وقاتلوا إلى آخر النهار وانفصلوا عن القتال وباتوا وهم فى أسوأ حال واجتمع الملك أبو تاج بالوزير وقال له إيش بقى عندك من التدبير أما هذا الفارس الأبيض فما أقدر عليه ولا على مبارزته ولا أكون طالبه ولا طالب زوجته وقد أردت أن أقول يرحل عنا بسلام ويكفينا شره بغير خصام فقال الوزير ياملك الزمان أنا أبرز له فى الميدان وأقاتله بالسيف والسنان ولا أرضى أنه يخرج من بلادنا فى سلام وأمان ويقول أنه كسر عسكرنا وبدد شملنا فى البرارى والوديان وهذا عار علينا لا ينسى على طول الزمان فقال له الملك ياوزير هو بطل جبار ويرجع علينا الدرهم بقنطار فقال الوزير ياملك أنا له كفاية ولابد أن أريه من الهلاك آية فقال الملك إذا اتيتنى به وهو أسير كنت أعذبه العذاب النكير هذا ماجرى وأما الملك سيف فإنه لما عاد إلى الملكة شامة قامت إليه واعتنقته وبالسلامة هنته فقال لها ياشامة هل عندك شيء من الزاد فقالت له جمعت أعشابا خضراء من جانب المياه وأنت فى الحرب فأكلت بعضها وأبقيت لك منها جانبا ثم قامت وأحضرت له وكان شيئا كثيرا من السعد فأكل وأعطى الباقى للخيل ثم صبر حتى أكلت الخيل وقال لزوجته الزمى باب المغارة حتى آخذ لى هجعة من أول الليل ونام قدر ساعة وأفاق وأمر الملكة شامة فقامت إلى الصباح واصطفت الصفوف وركب الملك بن ذى يزن وبرز إلى الميدان وطلب البراز فانحدر إليه الوزير وهو راكب على جواد أشقر عال مضمر ولابس عدة كاملة وساق حصانه بلا فزع ولا خوف حتى قام الملك سيف وقال له يا أبيض انظر مابين يديك ولا تظن أنك وحدك تملك الدنيا بيدك فهذا أمل بعيد والوصول إليه صعب شديد وإن اردت السلامة فانزل عن حصانك وسر معى إلى الملك أبى تاج حتى آخذ لك منه الأمان وأصالحه عليك فإن تفعل ذلك وإلا تشرب كأس المهالك فقال له سيف أما أنت الوزير الذى أتيت إلى زوجتى كان قصدك أن تقودها إلى الملك أبى تاج وأنا وبختك ومنعتك عن هذا المنهاج والآن أردت أن تبرز لى فى مقام الهياج وأنت إلى ذلك الشيء ما أنت محتاج وهذا ماهو مقام الكلام بل هو مقام الخصام والحروب والصدام فاترك هذا الكلام ودونك واشرب كاسات الحمام فقال له الوزير جئتك وانطبق الاثنان بعضهما على بعض ودوى أصواتهم مثل الرعد وخرجا مع بعضهم من الهزل إلى الجد ووسعا المجال طولا وعرضا وداما فى حرب مع قتال حتى عول النهار على الارتحال واقبل الليل وارخى على الخافقين سرران

ونظر الوزير الهمام من الملك سيف شيئا مارآه أبدا من أحد فاشتد به الوجد والكمد فصار يقاتل ويروم أن يستجره إلى جهة العسكر والملك سيف عرف قصده ومطلوبه فصاح عليه وأتعبه وأكربه وضايقه ولاصقه وسد طرقه وطرائقه وضربه بالسيف على عاتقه فأخرجه يلمع من علائقه فمال الارض وهو صريع يعج العلقم والنجيع وكان الملك أبو تاج واقفا يرى المعمعة وعينه للوزير متطلعة فلما رآه قتله وعلى وجه الأرض جندله صاح واوزيراه والتفت إلى العساكر وقال لهم كل من يقتله أعطيه وزن رأسه ذهبا فلما سمع منه فرسانه ذلك الكلام داخلهم الطمع فخرج اليه فارس من الجيش يقال له حبش بن حبش وانقض عليه طمعا فى أخذ المال فما خلاه الملك سيف بن ذى يزن يصول ولا يجول حتى تركه على وجه الأرض وهو مقتول ونزل تعده أخوه فألحقه به والثالث والرابع فما تم النهار حتى اهلك خلق كثير وعاد الملك سيف آخر النهار فتلقته الملكة شامة وهنته بالسلامة وقالت له الله يبلغك النصر والتأييد على كل طاغ وعنيد وكان عندها جانب من أعشاب من الذى جمعته بالنهار فقدمته له فأكل وحمد الله تعالى وشكر ونام ساعة وشامة تغفره وقام وهو يراقب النجوم ويتضرع لله الحى القيوم حتى طلع النهار فركب الحصان وبرز إلى الميدان ونادى يا كلاب الحبشة والسودان هلموا إلى الحرب والطعان وحتى أهلك كباركم وصغاركم وأخرب أرضكم وامصاركم فصاح الملك أبو تاج فى رجاله وقال لهم احملوا عليه كلكم أو بارزوه والذى تقدرون عليه افعلوه إما أن تقتلوه وإلا تأسروه وإلا بالجرح امتحنوه وإلا على رؤوس الاسنة شيلوه فقالوا له ياملك الزمان لأى شىء جعلتنا هدفا لهذا الجزار والقيتنا للهلاك والبوار أما أنت ملك وهو ملك أما أن تبرز أنت إليه وتاخذ روحه من بين زوجتك فلما تقتله وتعدمه مهجته تحتظى لنفسك وبزوجته وإن قتلك وعجل منيتك ياخذ منك جنبيه أو سمع أبو تاج من عسكره هذا الكلام هاجت فى نفسه النخوة الأبوية وبرز إلى الميدان ومحل الضرب والطعان ونادى على الملك سيف وقال له دونك والميدان فلما رآه الملك سيف بن ذى يزن لم يرد عليه جوابا ولا أبدى له خطابا دون أن حمل عليه حملة الغضب وعبس فى وجهه وقطب وقال له ياكلب السودان إيش الذى بينى وبينك كان حتى تريد لى الهلاك بالظلم والعدوان ولكن سوف ترى مايحل بك من القتل والهوان باذن الملك الديان ثم أن الملك سيف حاذر أن يأسره قدام عساكره فما تمكنه العساكر من أخذه ويحملون عليه جملة كما فعلوا فى المرة الأولى فصار يستجير ويظهر له الكسل والتقصير حتى ابعد به عن العساكر إلى البر والهجير وطلب النصر من العلى الكبير وهو الله الذى لا إله إلا هو وإليه المصير وهو على كل شىء قدير فصاح الملك سيف الله أكبر الله أكبر فاندهش الملك أبو تاج وتحير وفى دهشته انطبق عليه وتمكن من خناقه وعصر على اطواقه وجذبه فاقتلعه من سرجه وكان الليل أقبل والنهار ولى وارتحل

فعند ذلك سار سيف بن ذى يزن بخصمه إلى الجبل وضرب به الأرض فكاد أن تطحن عظامه بعضها على بعض ونزل إليه وشد كتافه وقوى منه السواعد والاطراف وصبر به إلى أن قوى ظلام الاعتكار وسار به إلى المغار ودخل به على شامة فقامت اليه وهنته بالسلامة وقالت لأبى تاج ياملك إيش أغراك على فعل القبيح الذى يؤدى إلى الهلاك وفى هذا الوقت تشرب كاس الحتوف وأنا وسيدى نقطعك بالسيوف بعد ما كان لنا ما كول زادك وشماتنا نعمتك ووداك وإيش الذى أغراك على هذا الضلال حتى ترمى نفسك فى أشد النكال فقال الملك أبو تاج ياملكة شامة أنا أريد منك أن تسامحينى وأنا فى عرضك أن تطلقينى وتشفعى لى عند ذلك الرجل حتى يعتقنى ومن الكتاف يطلقنى وأنا أتركيكما تمضون إلى حالكما فقالت الملكة شامة أنت الذى تعديت علينا وطلبت منى الخنا ودعوتنى إلى الزنا فدع بعلى يقتلك ونبدأ بك قبل أن تبدأ بنا فقال ياستاه أنا أحلفك أنى أطلقكما ولا أتعرض لكما بل على الطريق أدلكما وأعطيكما من الزاد والدقيق واسلك معكم أحسن طريق واشفعى لى عند الملك سيف فيما بدا منى اليه ولا يؤاخذنى وأنا أكون له من جملة الاصحاب ونترك اللوم والعتاب ثم انه أقسم وشدد فى الاقسام وقال وحق زحل فى علاه والنجم وماسواه والفلك الذى دائما يدور وإلا يكون من أهل الجنة ويجاور الولدان والحور ويحرم فى الآخرة من لبث النار والنور أنه قط لا يخونكما ولا يتعرض لكما طول الأعمار وكانت هذه الاقسام عند السودان أعظم ما يكون وعلم الملك سيف بن ذى يزن أنه صدق ولا يغدر ولا يخون فقام اليه فى الحال وحله من الشد والاعتقال وصفت قلوبهما وتصالحا وتصالحا وقعدا يتحدثان هذا ماجرى ههنا وأما ما كان من العساكر فإنهم لما أسى ملكهم ما كانوا حاضرين فلما أظلم الظلام وأن الملك سيفا تعلق بالجبل فداروا به وقالوا يمكن أنه أخذ ملكنا أسيرا وربما يقتله كما قتل الوزير ولكن نحن نصبر للصباح ثم ننظر ما يفعل هذا الفارس الجحجاح ان نزل الينا حاربناه وعن ملكنا سألناه وإلا نجمع مراكبنا وسلمنا ونتعلق كلنا بدائرة هذا الجبل حتى نخلص ملكنا من هذا البطل فقال العقلاء منهم ملكنا طماع والطمع ما ينتج إلا ضرب الرقب وباتوا فى أشد الخوف والفزع حتى مضى الليل بظلماته وأقبل النهار بضيائه هذا ماجرى ههنا وأما الملك فإنه لما قعد يتحدث مع أبى تاج فى جنح الليل الداج وإذا بقعقعة من الجو ابدت ويد وضعت فيه وأسمعته تسبيح الاملاك فى مجارى قبب الافلاك يامؤمنا برب سواك وحد من لا ينساك فقال الملك سيف من أنت وظن أنها عاقصة فقال له أنا عيروض فقال الملك سيف عيروض فقال له أنا عارض اركبك لانك انت السبب فى تعب نفسك فقال ولم ذلك ياعيروض فقال عيروض يا أخس الانس ويا قبيح الجنس أرسلتنى اليك أمك الخئونة الكاهنة المفتونة فقال له عيروض انت الذى اعلمتها بى فقال عيروض الذى اعلمها انت بنفسك

لأنها دخلت أودة السلاح فلم تجد سيف سام بن نوح عليهما السلام فسألت عنه خازن السلاح فقال يا ملكة لم أعلم له خبرا فعند ذلك أحضرتنى وسألتنى عنه فلم أقدر أن أخالف أمرها لما أن روحى معها وأخاف من الأسماء تحرقنى فأخبرتها أختك عاقصة أخذته إليك فلما علمت بك أنك أنت الذى أخذت السيف قالت وكيف عاد من أرض الغيلان فأعلمتها أنك أهلكتهم عن آخرهم ونجوت منهم فقالت لى أين تكون هذه عاقصه العاهرة وأنا الزمتك أن تأتينى بها فقلت لها ما هى من الإنس بل هى الجان وما أحد يحكمها ولا لى مقدرة على ذلك فان تعرضنا لها ن أباها يحرقنا لأنه كبير وعنده مثلى خدم كثير فلما سمعت ذلك قالت لى وابن سيف بن ذى يزن ولد الزنا فقلت لها فى ملك البنجوير عند الملك أبو تاج ومعه شامه زوجته وولده دمر وهو غلام ذكر كأنه القمر فقالت لى اذهب اليه وخذه وارمه فى أرض السحرة وفج النار فقلت لها سمعا وطاعة ولا أن أخالف فتحرقنى الأسماء التى على اللوح فى الوقت والساعة فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام انكسر قلبه وغاب صوابه ولبه وقال يا عيروض أنا أسرت الملك أبو تاج وهو يريد أن يأخذ زوجتى فما يكون العدل فى ذلك فقال له عيروض يا ملك أنا لا أعلم بشىء من ذلك فانك أنت الظالم لنفسك حيث أعطيت اللوح لأمك فقاس بنفسك طويل همك ولا تطل معى كلامك وحق النقش الذى على خاتم سليمان لو كان غيرك ما أكلمه ولا كلمة واحدة ثم أن عيروض سار به كما أمر هذا والملك سيف أيقن باتلاف مهجته مع تذكر شامة زوجته وشتاته ووحدته وتحكم والدته فبكى وتحسر وفاض دمعه وانحد وأنشد يقول:

إن جور الزمان صعب شديد ... وعلينا كم يعتدى ويكيد
وكذا الدهر لا يزال خؤونا ... غادرا خائنا خبيثا عنيد
كلما أرتجى من الدهر خيرا ... يتمادى بفعل شر يريد
كنت غرا بحادثات الليالى ... وصروف الأيام عنى تحيد
أنا أمى سبب كل بلائى ... وشتاتى فى كل قطر بعيد
وفراقى من زوجتى وغلامى ... فهو دمر نعم الغلام الرشيد
لكن الصبر للقضاء جميل ... يفعل الله ما يشاء ويريد

(قال الراوى) وسار عيروض بالملك بن ذى يزن قاصدا به وادى السحر وفج النار هذا ما جرى هنا وأما ما كان أمر الملك أبى تاج فانه لما نظر إلى تلك القعقعة وقع مغشيا عليه إلى الأرض ولم يعلم الطول من العرض لأنه رأى شيئا غمره ما رأى مثله ولم يعلم بحال عيروض وأما الملكة شامة فهطلت أعينهك بالدموع وتأسفت من فؤاد موجوع وبقى ويلها نفسها وولدها وعرضها وتشتيت بعلها ولم تعلم إلى أين راح زوجها فى النوبة وأيضا إذا علمت

مابيدها ضرر ولا نفع فعند ذلك صارت حائرة ولم تدر كيف العمل حتى أفاق الملك أبو تاج من غشوته وظن فى باله إن هذه أهوال القيامة والتفت إلى المغار فلم يجد فيه إلا الملكة شامة على حجرها ابنها والدموع تنحدر من عينها فصبر عليها حتى وعت بما هى فيه على نفسها (قال الراوى) وأما عيروض فانه سار إلى الملك سيف بن ذى يزن حتى وصل إلى وادى السحرة وبحر النار ونزل عليه بالقرب لأن عيروض ما يطيق دخوله فوضعه قريبا منه وقال له هذا المكان الذى أمرتنى أمك أن أرميك فيه وأنا افتدى رميتك ومنى عليك السلام والله يا سيدى وحق النقش الذى على خاتم سليمان لو أنى أعرف أن مصير هذه الشقاوة تندمحى عنك وما أكسبه منك لكنت رميتك من الجو العالى بما كان يصل من لحم بدنك ولا دمهم إلى الأرض وفى قلبى منك غيظ وآلام وأورثتنى بلاء وسقام ولكن الله فى خلقه قضاء نافذ وأحكام وكان هذا الجبل الذى وضعه عليه عيروض جبل عالى شاهق كأنه بالسحاب متلاحق ودائره فروع وقرون من الصوان مثل فروع الشجرة ولم يكن له طريق يصل إلى الأرض مطلقا إلا من أطرافه لا من وسطه بل أنه واقف على هيئة النخلة ومسافته طولا ثلاثة أشهر وعرضه أيضا مثل طوله فلما نزل عليه الملك سيف لم يجد إلا الصوان قطعة واحدة والسماء من فوقه ولم يجد شيئا غير ذلك فى هذا المكان فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فسار يمشى فيه طول ذلك النهار حتى أمسى عليه المساء وهو فى حالة الضرر والأسا ويملل نفسه بلعل وعسى وبات تارة يمشى وتارة يقعد وتارة ينام وهو كذا حتى خفت منه نفسه من الجوع والعطش فرأى فى وسط ذلك الجبل فج عظيم وهو شق فى وسط الجبل مشقوق عميق ولم يوجد له قرار وطالع من ذلك الفج دخان كثير فتعجب الملك سيف بن ذى يزن ووقف يتفرج عليه إلى الليل فتغير ذلك الدخان وخرج شرار ونار .

فقال الملك أعوذ بالله من هذا الجبل والقفر ولقد رمتنى أمى إلى مهلك عظيم وقليل الخلاص منه بعد العذاب الأليم فرفع رأسه إلى السماء يقول :

يا لطيفا بخلقه أنت تعطى وتمنع
يا إلهى وسيدى دلنى كيف أصنع

فبينما الملك سيف كذلك وهو ينتظر الفرج من صاحب الفرج وإذا هو بشيخ مقبل عليه من كبد البر وهو طويل القامة وعريض الهامة دنس الثياب طويل الأظفار والاسنان شنيع المنظر كريه الرائحة منتن الفم له عينان مثل الجمر فلما رآه الملك سيف على هذه الحالة خاف منه خوفا شديداً وجعل ينظر إليه وهو عنه بعيد ومتدارى فى حجر عالى وهو يقول فى نفسه ياهل ترى يأتى هذا الرجل إلى عندى أم لا ولم يزل يرصده خوفا منه أن يراه لكن الملك سيف معتمد على أن ذلك الجبل لم يكن فيه طريق لأحد يطلع منها مطلقا وأما ذلك الشيخ فلم يزل سائرا والملك سيف بن ذى يزن باله معه حتى بقى تحت ذلك الجبل فذهب من الملك سيف

الحيلة ولم يدر كيف وأما الشيخ فانه عزم وترجم بكلام لا يفهم وإذا به انثنى وانفرد وانبرم وارتفع حتى بقي فوق ظهر الجبل وقام على حيله كأنه النار الأنقط والثعبان الأرقط وتأمل يمينا ويسارا كل هذا يجرى والملك سيف لابد بين الأحجار وأما ذلك الشيخ فمشى حتى وصل إلى ذلك الفج ونظر إلى الشرار وصبر حتى قرب من تلك النار وسجد لها كفرا واغترارا دون الملك الجبار خالق الليل والنهار ولم يزل في السجود مقدار ساعة زمانية وبعد ذلك رفع رأسه من السجود والتفت إلى يمينه فرأى الملك سيف قاعدا على الجبل فنظر إليه طويلا وميزه ولعب شاربيه وعزم بشفتيه وأشار إلى الملك سيف بيده فما يشعر الملك سيف إلا والدنيا انطبقت عليه وتخشبت جميع أعضائه ولم يجد فيه نفس ولا همة ونزلت عليه أثقال كأنها الجبال فما أفاق إلا وقد وجد يديه ورجليه مكتفة من غير رباط لا تتحرك أبدا وكذلك لسانه انعجم ولم يبق فيه شيء يتحرك إلا لسان بلا منطق وعين تنظر وتحقق ونظر الملك سيف إلى ذلك الملعون فما سأله ولا كلمه بل سار إلى حرف الجبل وعزم وترجم وانبرم فسار أسفل وترك الجبل وراح إلى سبيله

فقال الملك سيف الحمد لله أذهب عنى هذا الرجل ولا شك أنه سحار مكار ساكن فى تلك الجبال وهذه الأحجار وهو يعبد تلك النار ثم أراد أن يقوم من مكانه فلم يجد له قدرة ولا همة بل وجد نفسه هو والجبل قطعة واحدة فكاد أن يغشى عليه ولم يبق فيه غير لسانه وعينه فصار ينظر يمينا وشمالا ولسانه لا يفتر عن ذكر الله الملك المتعال وما زال على هذه الحال حتى ذهب النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال فبينما هو كذلك وإذا باللعين الكاهن قد أقبل ومعه ثمانون ساحرا مثله فما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى تحت الجبل فعزموا وترجموا تكلموا وانبرموا إلى أن صاروا فوق الجبل ومشوا جميعاً إلى تلك الفج وهو فج النار فرأوا النار صاعدة فسجدوا لها من دون الله تعالى ولم يزالوا فى سجودهم إلى نصف الليل ولما نظرهم الملك سيف خاف على نفسه منهم وقال لاشك أنهم يقتلونى أو بفعلهم يسحرونى فاعتمد على تسبيح الله عز وجل وصار يحمده ويشكره وقلبه يرجف لما وقع به من الخوف ويقول فى نفسه إذا كان واحد منهم جعلنى هكذا فكيف حالى إذا جاءنى هؤلاء الثمانين ولكن الأمر لرب العالمين فهو كذلك وإذا واحد أقبل من الثمانين وقد سار إليه وكان ذلك دونهم رفع رأسه فرآهم جميعاً ساجدين وعلى وجوههم راقدين فتركهم وجاء للملك سيف فلما رآه مقبلا ارتعدت فرائصه فأقبل ذلك الرجل فرآه على غاية من الخوف والوجل فلما رآه قال اهلا وسهلا ومرحبا بك يامن أوحشت أرضك وبلادك وآنست أرضنا وبلادنا سيدى الملك سيف بن ذى يزن المنزل على أهل الكفر صواعق المحن فلما سمع الملك سيف بن ذى يزن كلامه اطمأن قلبه وهدأ روعه وقال له ياعمى ومن أين تعرفنى وتعرف اسمى ومايكون اسمك أنت

الآخر ياأخى فقال لاتخف من هذا الأمر فأنا أبق صديقك واسمى برنوخ الساحر وأنا كبير هؤلاء الثمانين ساحرا وأنا سبب معرفتى بك وباسمك فهو سبب عجيب وهو أنى مدة حياتى أسجد للنار ذات الشرر وأعبدها من دون الله تعالى خالق البشر ومنشىء الصور وفى ليلتى هذه أتيت مع السحرة على حسب العادة وسجدت معهم فأتانى فى سجودى شخص مهول الخلقة شنيع المنظر لم ترعينى أقبح منه منظر وفى يديه حربة من النار ففزع على بها وقال لى يابرنوخ إلى متى وأنت فى ضلالك وتعبد النار ذات الشرار وتترك عبادة الملك الجبار العزيز الغفار خالق الليل والنهار وعبادتك التى عبدتها بطول حياتك لم تكن نافعة بشىء وكل من عبد النار دخلها ويبقى بينه وبين الجنان سور من الحديد فلا يشم لها رائحة وإن لم تفق عن عبادة النار فى ساعتك هذه وتمضى إلى هذا الرجل الذى ألقيت عليه الأسحار وتخلصه من هذه الأضرار وتدخل دينه وتتبع يقينه وتفوز معه فى الآخرة بالنجاة من النار المحرقة إلا طعنتك بهذه الحربة طعنة سابقة تكون روحك لبدنك مفارقة فماذا تقول فقلت له ياسيدى ومن هو هذا الرجل الصالح وما اسمه حتى أخلصه وأدخل فى دينه وأكون له ناصح فقال اسمه سيف ابن ذى يزن التبعى الحميرى فأفق من منامك من قبل أن أسقيك كأس حمامك ثم صاح على فانتبهت من منامى ولذيذ أحلامى وجئت إليك كما ترانى فبحق ماتعتقده من دينك ما أنت الملك سيف بن يزن فقال له نعم هو أنا فقال له وما أقول أنا حتى أبقى من حزبك وأهل يقينك وأدخل فى دينك فقال الملك سيف قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن ابراهيم خليل الله فقال برنوخ مثل ماقال وآمن بالقلب حقا وباللسان صدقا وكشف الله عن قلبه الغفلة وعرف أن الله واحد لاشريك له وصدق برسالة ابراهيم خليل الله وانمحت عنه الشقاوة وصار من أهل التقوى فلما عرف الملك سيف بن ذى يزن منه ذلك فرح به فرحا شديدا ثم أن برنوخ أخذ قليلا من الرمل ورش به الملك سيف فأفاق فى نفسه ونهض قائما على قدميه ووجد لذلك خفة عظيمة وقال الحمد لله على كل الأحوال ثم أنه قال لبرنوخ أعلمنى يابرنوخ ما هذه الكهنة وما هذا الفج وما سببه وأنه فى النهار يخرج منه دخان وفى الليل يخرج منه شرار ونيران فقال له ياملك هذا له سبب عجيب ولكن هذا ماهو وقت كلام فسر الآن بنا من هذا المقام مادام الله عز وجل قد ألقى على هؤلاء الأعداء المنام ثم أنهم ساروا إلى أن وصلوا إلى جانب الجبل وحمل الملك سيف فى حضنه وتكلم وعزم وإذا بالجبل انبرم له وصار تحت الجبل والملك سيف معه كما ذكرنا وقال الحمد لله على السلامة ولكن اصبر حتى آتيك بجواد تركبه ثم غاب وعاد ومعه جوادان شداد فركبوهما وساروا طالبين البرارى والقفار والسهول والأوعار ومازالوا سائرين وفى الفلوات مجدين حتى أصبح الله الصباح وأضاءه الكريم بنوره

ولاح وساروا على حالهم إلى أن تضحى النهار فبينما هم سائرون وإذا هم بغبار علا وثار والثمانون ساحر مقبلون وهم ينادون ويتصايحون بالنار ذات الشرار أين تنجون منا ونحن خلفكم فى الطلب أبشروا بالوجل والعطب فما بقى لكم خلاص من ضيق الاقفاص فلما قربوا منه ونظرهم برنوخ تعجب وقال للملك سيف إيش أخذنا نحن من هؤلاء الملاعين حتى أتوا خلفنا طالبين هلا كنا فقال الملك سيف ياوالدى أنا لهم كفيل وحق رب البرية فقال ياملك قف أنت مكانك ولاتقرب وتفرج أنت على حربنا بالكهانة والسحر فقال الملك سيف افعل ماتريد وارتكن الملك سيف فى معزل عنهم وكان السبب فى مجىء هؤلاء السحرة أنه لما أفاقوا من سجودهم كان ثانى الأيام فلم يجدوا برنوخ وهو كبيرهم هو الذى أتى بهم فى الأول وقال لهم واحد منهم رأيته عند المعبد الأكبر وأريد ان أجعله قربانا للربة الكبرى فهذا كان سبب مجيئهم ولما أصبحوا ولم يجدوه استجوبوا خدمهم فقالوا لهم إن الكاهن برنوخ هو الذى أخذ الغريم وسار به من عندنا ودخل دينه وتبع ملته ويقينه ونحن كان قصدنا أن نجعل هذا الفتى قربانا لولا كبيرنا خلصه وملك به البرارى والقفار حتى وقعت العين على العين وتأخر الملك سيف كما أمره برنوخ ووقف ينظر إليهم وكان برنوخ ألقى عليهم بابا من أبواب السحر وهو باب الرعشة فأبطلوه ورموا عليه باب الدهشة فأبطلوه ورمى عليهم باب السكتة ومازال يأخذ منهم ويعطيهم وهم يأخذون منه يعطونه إلى آخر النهار وانفصلوا وعاد برنوخ إلى الملك سيف فهنأه بالسلامة وقال له إيش فعلت فى هذا اليوم يابرنوخ فقال يفعل الله مايريد وأما أنا فلم أفعل شيء ولكن ببركة دين الإسلام ينصرنا عليهم الملك العلام هذا ما كان وأما السحرة الثمانون فإنهم رجعوا آخر النهار وقالوا لبعضهم كيف يكون الحال وها نحن ثمانون من الرجال وماظفرنا بشخص واحد فى القتال فقال واحد منهم الصواب أننا نرسل نعلم الملك بما نحن فيه فلعله أن يأتينا بعسا كره ويدركنا لأن برنوخ صاحب نشاط وهمة وقوة وعزيمة فقال باقى الرجال لقد أصبت فى ذلك المقال ثم أرسلوا واحدا منهم إلى الملك فسار فى الحال ودخل على الملك وقبل الأرض بين يديه وأعلمه بما كان فقال الملك عجب عجيب ولكن فى غداة غد ألحقكم برجالى وأنزل فى الميدان وأهلك برنوخ والذى معه وأجعله إلى النار قربان فامتثل الرسول كلامه وعاد إلى السحرة واخبرهم بما قال الملك ففرحوا واطمأنوا وباتوا فى هناء وافراح هذا ما كان منهم واما ما كان من الملك سيف بن ذى يزن وبرنوخ فانهم صاروا يتحدثون وبعضهم يأتنسون وقد سأل الملك سيف برنوخ الساحر عن سبب هذا الفج والنار فقال له برنوخ ياأخى قبل ماحكى لك اريد

منك أن تحكى لى ما الذى أتى بك إلى هذه البلاد لأنك تقول إنك من بلاد الحبش واليمن ووادى اليمن والحبش من هنا مسيرة تسعه أعوام وإيش أتى بك إلى هذا المقام فحكى له الملك سيف على فعل أمه وأعاد عليه أول منشئه من أوله إلى أخره وكشف له عن باطنه وظاهره وخدمه عيروض وعطيته اللوح لأمه وان الذى رمانى فى هذا المكان عيروض بأمر والدتى فقال برنوخ هذه حكايتك يا ملك غريبه واعلم أن كل شيء له سبب ولابد أن يكون مجيئك إلى هنا لتتفرج على هذه الارض ويكون لك فيها إبرام ونقض واعلم يا ملك سيف أن مدينتنا هذه يقال مدينه الأشخاص وكان بها ملك يقال له الملك شخاص وهو ملك من الملوك الكبار وكان له بنت ذات حسن وجمال وبها كمال وكان هذا الجبل ساكنا به ملك ساحر اسمه الكاهن حابس الوحشى وكان له ولد ذكر مثل البعير أو فحل البقر وكان علمه السحر والكهانة وعلوم الأقلام ومازال ذلك الولد ينشأ ويتربى فى الدلال حتى بلغ مبلغ الرجال فصار يقتنص الوحوش من وسع الرمال وطلب من أبيه أن يزوجه فخطب له أبوه بنت الملك أشخاص وأرسل يقول له ياملك أشخاص بلغنى أن لك بنتا وأريدمنك أن تزوجها لولدى واطلب منى كل ماتريد من اموال وجمال خيل وجواهر وخدم وعبيد فأرسل يقول له أنا ماعندى بنات تصلح للزواج فلا يكثر اللجاج فغضب الكهين حابس لأجل ذلك غضبا شديدا ماعليه من مزيد وارسل يقول له ان لم أفعل فيك مكيدة يتحاكى بها الخلق جيلا بعد جيل وقبيلا بعد قبيل وإلا فما أكون أناحابسا الوحشى ثم أنه احضر فرقه من جنده من الجان الذين يدور يده عليهم وأمرهم ان يطلعوا هذا الجبل ويفجروا ذلك الفج العميق فحفروه بوسط ذلك الجبل فى ظرف سنه كاملة ليلا ونهارا عشية وابكارا حتى صار هكذا كما أنت ناظره وجعلوا فيه عقدا من أسفله واسكن الجان فى ذلك الفج فسكنوا كما امرهم بالرغم عنهم وامرهم أن ينفخوا افتصعد انفاسهم فى النهار دخانا وفى الليل شرارا ونيرانا وقعد فى ذلك الجبل وهو ينظر فى ذلك الفج وجعل يسجد للنار وجعل ذلك الفج معبدا وتضرع إليه وسجد واحضر كل من كان هناك من بنى آدم يفعلون كفعله ويعبدون النار دون الملك الجبار وصار لهم بذلك عادة مستمرة آناء الليل واطراف النهار ثم ان الكهين حابس جمع اهل بلده واهل الجبل جميعا وقال لهم اعلموا أن بقيت هذه الربة الكبرى لكم وهى التى تنجيكم وتنفعكم فلا تستغضبوها عليكم بل استرضاها فى كل الأوقات وقدموا إليها قربانا من المأكولات فقالوا له ومايكون القربان الذى نقدمه لها فقال لهم قدموا لها اعضاء بنى آدم وقولوا لها قربان إليك منا فخذيه فداء عنا وارضى عنا فقالوا له ومن يقدر ان يأتى ببنى آدم يحرقه فى النار فقال لهم فعلوا ذلك باعدائكم واجعلوا للنار قربانا فداكم فقالوا له ومن هم اعداؤنا فقال لهم اهل هذه المدينه هم اعداؤكم فلما سمعوا كلامه وعرفوا

قصده ومرامه صبروا إلى الليل وهجموا على المدينه بأجمعهم فأمسكوا أهلها وكتفوهم أشد كتاف وقووا منهم السواعد والأطراف وأتوا بهم إلى ذلك الجبل من غير خلاف وقالوا إذا مضى المساء وحضرت الربة الكبرى قربناهم إليها قربان وطلبنا منها العفو والغفران واتفق رأيهم على ذلك الأمر والشان ولما أقبل الليل بظلامه وارتحل النهار بابتسامه تجمعوا إلى ذلك الفج وأحضروا الطعام وأكلوا وشربوا ولذوا وبعد الطعام أحضر المدام وشربوا ولما دار بينهم المدام غلبت عليهم الخمر فقاموا كأنهم قتلى وكان الملك شاخص من المأسورين ونظر إلى ذلك الحال فقام قائما على قدميه وسار إلى ذلك الفج ووضع كتافه على حرارة النار حتى انحرقت الحبال وتمطى فى كتاف يديه فقطعه وفك باقى قومه وأخذهم وسار بهم من ساعته وترك القوم سكارى بالخمر والنوم ولم يقدر أن يدخل المدينة خوفا أن يأتوهم ويأخذوهم منها ثانيا فسار بهم فى البرارى والقفار والسهول والأوعار مدة عشرة أيام وليال تمام فاشرفوا على واد كثير الأشجار والأنهار وسكان الوداى راكبون على خيول من نحاس وهم يتسابقون مع بعضهم فلما رآهم الملك شاخص وجماعة تعجبوا منهم فتقدم إلى واحد منهم وقال ما تسكون هذه المدينة وما اسمها وما يكون اسم ملكها فقال له هذه مدينة السحرة وملكها اسمه شمشرون الساحر وهو بأمر السحر عالم وخابر فقال له وأين مكانه فقال له مكانه على تلك العين وأشار له فسار إليه وقبل الأرض بين يديه وقال له أنا جئتك مستخير أيها الملك الكبير فقال له من فقال له من رجل يقال له حابس الذى فى جبل الدخان وفج النيران والجب العميق أنه ظلمنى وأخبره بما فعل معه من الأول إلى الآخر فقال له الملك شمشرون وصلت وفى حمانا دخلت خذ من رجالى ثمانين ودعهم فى أرضك ساكنين وفى مدينتك قاطنين فإذا كانوا عندك فلا تخف من هؤلاء الملاعين ثم قال خذ فلانا وأعطاه الثمانين وجعل عليهم رئيسا وأمرهم بالمسير إلى جبل الدخان مع الملك شاخص فساروا وقد رجع معهم إلى المدينة وأقاموا فيها وزال عن قلب أهل المدينة الخوف والفزع وأما أهل الجبل فلما أفاقوا من نومهم فلم يجدوا أخصامهم فتعجبوا من ذلك غاية العجب وقالوا أين ذهب هؤلاء الملاعين فقال لهم كبيرهم حابس اعلموا أن الربه الكبرى قد قربتهم لنفسها بنفسها وحرقتهم بنورها ولذلك لم نر لهم أثرا فلا تسألوا عما فعلت الربه الكبرى وتركوا هذا الأمر ودا موا على فعالهم من سكرهم وسجودهم إلى ان اقبل هؤلاء السحرة واهل المدينه ودخلوا مدينتهم ولما استقر بهم الجلوس قام كبيرهم واحضر اشخاصا من الطين الطرى وعزم عليهم واخذ بيده شيئا من الأرض وضرب هؤلاء الأشخاص فوقعت اعناقهم

فلما جرى ذلك ووقعت رؤوس الأشخاص ووقع على سكان الجبل الانقاض وماتوا عن آخرهم ولم يبق منهم باقية وبعد مدة يسيرة أرسل الملك شمشرون يكشف خبر قومه فارسلوا له خبر ماوقع على سكان الجبل . أنهم هلكوا عن آخرهم من شدة السحر والعمل ففرح بذلك غاية الفرح ثم أنه أتى على ظهر حصان من النحاس وبصحبته قومه راكبين مثله وطلع الجبل وتفرج على ذلك الوادى وذلك الجب فاعجبه واقتضى نظره أن يعكف على عبادة النار وأمر أتباعه أن يكونوا على عبادة النار من تلك الساعة فأجابوه بالسمع والطاعة وساروا يطلعون من المدينة ويجيئون إلى ذلك الفج مع السحر ويسجدون للنار ولم يزالوا على ذلك حتى تناسلوا جيلا بعد جيل وقيلا بعد قيل ومات الجدود وفعلت ذراريهم كما فعلوا وكل الرعايا والجنود ومازالوا حتى انتشينا نحن وطلعنا مثل آبائنا وجدودنا وآن الأوان والله سبحانه وتعالى ختم بالإيمان لنا وكان ذلك على يدك وأنت السبب فى تحصيل الخير إلينا وهذا هو الأصل والسبب وسنرجع إلى كلامنا وما زال برنوخ الساحر يحدث الملك سيف حتى مضى الليل بالغلس وبدأ الصبح يتنفس وإذا هم بالثمانين ساحرا قد اصطفوا إلى الميدان ومحل الضرب والطعان وأراد برنوخ أن ينزل إلى السحرة يتحارب معهم بعلوم الأقلام وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف الغبار وبان عن الملك صاحب المدينة ومعه سائر عساكره والابطال وهم ينادون باللنار ذات الشرار يابرنوخ ياسحار يامكار ياغدار أخذت عدونا وهربت به فى البرارى الخوال والاودية والرمال بعد ما كنت نويت أن تجعله للربة الكبرى قربان ياغدار ياخوان وها نحن أتيناك نعجل دمارك ونخرب ديارك وكان السبب فى ذلك أن الملك لما راح له الرسول الذى كان أرسله هذه السحرة بعد ما تحاربوا مع برنوخ وعاد من عنده بعد ما وعده أن يلحقهم وإذا لحق الملك سيف وبرنوخ يحققهم وما صبر ولا ساعة بل ألقى النفير فيمن له من الجماعة وركب فى خمسمائة خيال وألف قراب وبعضهم على النجب ولحق السحارين كما ذكرنا ووقعت العين على العين وكانت هاتان الطائفتان اللتان اجتمعتا قاصدين برنوخ الساحر والملك فقط ولم يكن له أعداء غيرهم فلما رآهم برنوخ الساحر التفت إلى الملك سيف وقال له ياملك نحن وقعنا بين مرضين خطيرين ومانعلم نداوى أيهما أولا لأنى إذا حاربت الملك وعساكره أخاف عليك من السحرة أن يغتالوك وإن قدروا عليك أهلكوا وإن حاربت السحرة فإنى أخاف عليك من الملك وجنوده فإنه جبار عنيد وشيطان مريد فقال الملك سيف بن ذى يزن يا أخى أنا التزم بحرب ذلك الملك الجبار ومامعه من الجنود والأنصار وتكفل أنت بهؤلاء الثمانين أرباب الكهانة والأسحار فإنى لم أعرف مثلك فى علوم الاقلام ولولا ذلك لاضرب فى الجميع بالحسام وأسوقهم بين يدى

سوق الأغنام وأطلب النصر عليهم من الملك العلام خالق الضياء والظلام فلما سمع برنوخ من الملك سيف بن ذى يزن هذا الكلام فقال له افعل ماتريد فأنا عن رأيك لا أحيد وانفرد برنوخ الساحر للسحرة وأما الملك سيف بن ذى يزن فإنه جذب حسامه من غمده وهزه حتى دب الموت من فرنده وصاح الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من طغى وكفر وخالف أمر الله تعالى من البشر أبشروا يا كلاب الكفر بقطع آثاركم من هذه الدمن وقطع أعماركم فى هذا الزمن وما بقى لكم خلاص من قدامى وأنا ملك ارض اليمن أنا التبعى الحميرى سيف ابن ذى يزن مبيد أهل الكفر والمحن وتكبيب وارتمى كصاعقة نزلت من السماء كحل المشركين بمراود من العمى وأبلاهم بالقيل والقال والذل والخبال وغنى الحسام البتار وقلت الأنصار ولحق الجبان الانبهاز والندلحار لايرى إلا دماغ طائر ودم فائر وحصان بصاحبه غائر وتفرقت المزائر وكانت وقعة هائلة بالهول والكبائر وتجلى عليها الملك العظيم القادر ولله در برنوخ الساحر فإنه مارس الكفار وعاملهم بالأسحار والأقلام ودام الاثنان على هذا العيار إلى آخر النهار لكن الملك سيف بن ذى يزن وحده ثقل عليه العدد وزاد المدد وخيم عليه الغبار وانعقد وقل منه الصبر والجلد وبرنوخ الساحر مع الثمانين يتجرع من الأعداء كاس الأنين وبكثرتهم عليه صاروا فائقين فصار يدافع عن نفسه وقد أيقن أنه مابقى له من أعدائه محامى ولا شافع وزاد على الاثنين العطش والظمأ وتحسروا على شربة من بارد الماء وأيقن الملك سيف وبرنوخ بالويل والعمى فبينما هم على هذا الأمر فى شدة الكرب حتى عدموا وإذا بقعقعة نزلت عليهم من كبد السماء واختطفتهم ورفعتهم من هذه الحروب وأنقذتهم وأسمعتهم تسبيح الأملاك فى مجارى قبب الأفلاك يامؤمن برب سواك وحد من لاينساك وعلى الحقيقة كانوا عادمين وماصدقوا بنجاتهم من العذاب المهين فقال برنوخ ياملك سيف من الذى خطفنا فقال الملك سيف هذه أختى عاقصة الله لايحرمنى منها والله يابرنوخ كم مرة أقع فى كل محذور وهى تنجدنى وتخلصنى من أضيق الامور وأنا والله ما أنسى جميلها ولا أقدر على مكافأتها .

فقال برنوخ ومن الذى أعلمها بحالنا حتى أدركتنا وخلصتنا فقال له هى دائما خلفى تقتفى أثرى ثم قال يا عاقصة من الذى أعلمك يا أختى بحالى فقالت يا أخى أنا كنت مقيمة فى قصرى فأتانى عيروض بن الملك الاحمر خادمك وقال لى ياعاقصة أدركى أخاك الملك سيف بن ذى يزن فانه وقع فى أمر عظيم وخطب جسيم وأمه غدرت به وشلته النوبة الرابعة وأمرتنى برميه فى وادى النار وجبل الاسحار والفج العميق ولما رميته هناك أتاه كبير السحرة برنوخ وأراد هلاكه ونجاه الله تعالى منه وأسلم برنوخ وصار

من جملة أصحابه وأدركهم السحرة وهم ثمانون وأدركهم ملك المدينة بجنوده أجمعين وهم الآن في حرب عظيم وقتال جسيم فادركهم وإلا شربوا كاس الحيم فلما سمعت ذلك عنكم أتيت اليكم واخذتكم فقال برنوخ الحمد لله الذي جعل نجاتنا على أحب الناس إلينا وانت ياملكة عاقصة شكر الله فضلك فقالت عاقصة اعلمني في أي محل أوديكم فقال سيف قصدى مدينة أبو تاج فان شامة وولدها هناك لا أعلم إيش جرى لهم فإن عيروض أخذني من عندهم فقالت لهم سمعا وطاعة وهذا ماجرى وأما السحرة الذين كانوا يحاربون برنوخ فإنهم صاروا كلما يحدفوا بابا لم يرتد عليهم وبرنوخ غطس من بين أيديهم فقالوا لبعضهم أمسكوا عليهم باب الكشف فإن برنوخ مسك باب الاخفاء فمسكوا باب الكشف فما بان لهم برنوخ فقال البعض يكون غاص في الثرى امسكوا عليه باب الارتفاع فلم يظهر فقالوا يكون طار امسكوا عليه باب القبض وهكذا فلم يجدوه فقالوا لبعضهم يا جماعة انتم تعلمون أن برنوخ أوحد زمانه في علوم الكهانة والذي يعرفه يعجز علينا ونحن تعرضنا له بقلة عقولنا فارجعوا بنا في على أعقابنا ثم أنهم عادوا إلى الجبل والفخ وأما الملك وجنوده فانه لما أظلم الظلام وهم في الحرب والصدام يظنون أن الملك سيف بن ذي يزن يقاتلهم فصاروا يقاتلون بعضهم وكل من رأى أحد قادما عليه فيظن أنه الملك سيف فيضربه بحربة أو بسيف هذا ما جرى بينهم طول ليلتهم حتى طلع النهار وبان النظار ونظروا إلى بعضهم فلم يجدوا خصمهم قدامهم فقالوا لبعض يا ويلكم دوروا عليه حتى نقدم عظمه قربانا للربة الكبرى ففتشوا في القتلى فلم يعرفوا عظمه من عظم غيره فقالوا لبعضهم نقدم جميع العظم لها أولى من تركه للوحوش فإنها أحق بأبدان عبادها وأبدان أبدانها قربانا لها ثم أنهم جمعوا أجسام المقتولين منهم وعادوا إلى ربتهم وأعطوا لها جثتهم وأقاموا في أماكنهم وعبادة ربتهم هذا ماجرى هنا وأما ما كان من الملكة شامة فإنها لما ارتفع الملك سيف من عندها وهي قاعدة مع الملك أبو تاج في المغار وقالت ما قالته من الأشعار ونعت نفسها وزوجها وبكت على ولدها لكونه أنه بقي مثل اليتيم على يديها وبعد ذلك أفاقت على نفسها وقالت في بالها هذا رجل فاسق ويحي قد استهام وإذا علم ما جرى علي بعلي طمع في وصلي وهذا رجل قليل الدين وما له إلا المحال وإلا إذا لم اقدر له على حيلة فتكون نوبتي معه طويلة ثم أنها اخفت الكمد واظهرت الصبر والجلد وابطلت البكاء وصبرت حتى افاق الملك ابو تاج من غشوته فلقي شامة قاعدة وحدها والملك سيف لم يكن معها ولا عندها فقال لها اين مضى الملك سيف يا شامة فقالت له يا سيدى إيش اقول على

الملك ومايريد أن يفعل فانه معه لوح خادمه عيروض فأتى اليه كما رأيت فقال له ودينى إلى بلاد حمراء الحبش حتى آتى بعسكر وأجىء إلى هذه البلاد آخذ مدينة الملك أبو تاج وأجعل الأرض كلها عمارة ودمن من هنا إلى حد بلاد اليمن فانى تحاويت أنا وأبو تاج ولا بقى لى عن مصاحبته احتجاج وقد ركب على كاهل المارد وراح إلى بلاده قاصد ولا بقى يعود إلا برفقته وأبطاله وعشيرته فقال أبو تاج وكم يكونوا رفقته فقالت له ينوفون عن عشرين الفا من الفرسان فقال أبو تاج وكلهم مثل بعلك هذا فى الحرب والطعان فقالت له هو أقل مافيهم إذا اصطفت الأبطال والفرسان وكل منهم إذا نزل الميدان وترنح على ظهر الحصان تجده نارا لا تنطفى وجبلا كلما صعدت عليه شمخ وعلا فسكت أبو تاج حتى طلع النهار الداج ونزل إلى عسكره وأخبرهم بما جرى للملك سيف بن ذى يزن وما قالت الملكة شامة من القول فلما سمعوا أرباب دولته كلامه قالوا له ياملك هذا رجل جبار وفى الحرب ماعليه غبار وأنت تذكر لنا أنه طار فى ظلام الليل والاعتكار وترك زوجته عندك فى المغار وهذا دليل على أنه له أعداء كهان سحار وخطفوه بعزم الجان والعمار أو يكون له خدام وأعوان وراح يأتى بعساكره والأعوان ويأتينا على ذلك الشأن وإن فعل ذلك فما نحن إلا على خطر فالحذر ياملك على نفسك وعلينا غاية الحذر واحتفظ على زوجته وأكرمها غاية الإكرام واحفظ قدرها والمقام حتى يحضر الينا فى هذا المقام فان افترسته وغلبته وقهرته فعند ذلك افعل ماتريد وإن رأيت نفسك ما أنت من رجاله ولا تطيق حملته فاشتر نفسك منه باكرام زوجته وهو أيضاً إذا رأى منك لزوجته الإكرام بعدها لك منه انعام ويبقى لك عنده قدر ومقام فقال لهم صدقتم فى ذلك الكلام وعاد إلى الجبل ودخل على شامة فى المغار وقال لها ياشامة اعلمى أن بعلك غاب فى ظلام الاعتكار وتركك عندى فى ذلك المغار وأنا أظن أن له أعذارا فى غيبته وإلا فما كان يمضى ويترك زوجته وأنا مرادى آخذك إلى بلدى وتقيمى أنت وولدك عندى حتى يبان خبره ويأتى فيأخذك على أى وجه كان ولك على الذمام والأمان لا أكون غدار ولا خوان فقالت له افعل بنا ياملك ما تريد وأنا أسلمت أمرى لله الحميد المجيد وهو على كل شىء شهيد وقامت معه إلى العسكر وأمر لها بحجر أنثى من الخيل لأجل الراحة فى المسير وولدها معها وأمر العساكر حالا بالرحيل والجد والتحويل وسار فى ركبته حتى وصل إلى مدينته وأدخل شامة فى مقصورتها التى كانت أولا فيها مع الملك سيف زوجها ورتب لها كل ما تحتاج اليه من طعام وشراب وقامت الملكة شامة فى قصر الملك أبى تاج وعندها كل ما تحتاج مدة أيام قلائل وكان الملك ابو تاج تولع بمحبتها وزين له فعل الخنى وبقى يمانع نفسه حتى فاض به الأمر

ولا بقى يجد له عن الملكة شامة صبر وأيقن أن زوجها مات وانقبر وبقيت له مباحة من دون البشر فقام ودخل على شامة وكانت هذه المدة التي مضت في قلق وضجر ولم تذق المنام حتى أضر بها السهر ولما دخل الملك ابو تاج قامت اليه وقبلت يديه فأمرها بالجلوس فجلست بين يديه فقال لها ياشامة قالت له لبيك فقال لها ها أنا قد جئت اليك ياهل ترى إذا أردت لك سوء من الذى يقدر يخلصك منى فقالت ياملك لاتغتر بالمحال ولا تفعل فعل الأندال ولا تترك الحق وتتبع الضلال فانك إذا أردت أن تفعل بى أمر وبال يخلصنى منك ربى وهو الله الملك الكبير المتعال الذى خلق الإنسان من صلصال وقدر الأرزاق والآجال فقال إذا كان دينك قويم وإلهك عظيم فاطلبى منه الخلاص منى وأنا لابد لى أن أجعلك ضجعى وهجم عليها وأراد أن يقتنصها فرفعت رأسها إلى السماء وقالت ياعالم الأسرار يامن كل شىء عنده بمقدار أنقذنى من هذا الظالم الغدار ومن كيد أهل الشرك الملحدين الكفار فلما أتمت كلامها حتى قبل سؤالها مولاها وأرسل الله الطواشة إلى أبى تاج فارتمى كأنه من بعض أولاد النعاج وارتمى على الأرض وزاد به الخوف والانزعاج فتركته شامة وقعدت فى حالها وهى تسبح مولاها وخالقها فالتفت أبو تاج اليها وقال لها أنت ساحرة فقالت والله لا ساحرة ولا ماكرة وما أنا إلا متوسلة برب الدنيا والآخرة صاحب العظمة والمقدرة . فقال ياملكة شامة أنا فى جيرتك أن تسأليه أن يعفو عنى وينجينى فما بقيت أتعرض لك ولا آذيك ولا تؤذينى فقالت له إن كان كلامك صادق بلا محال ولا تزوير فانا أدعوه يخلصك فانه على مايشاء قدير ثم أن شامة رفعت طرفها إلى السماء وقالت يارب أنت تعلم ما أنا فيه من غربتى وذلى وكربتى وحننت على هذا الرجل لأجل حفظى وكفالتى ولكن أغراه الشيطان وأنت تعلم يارحمن وقد تاب وانتهى فلا تؤاخذه بما جناه وأنقذه ياخالقى من بلواه يامن لايقال لغيرك يا ألله فما أتمت شامة كلامها حتى أفاق أبو تاج وذهبت آلامه ووجد فى جسمه رمق فقام إلى شامة وعليها زعق وأراد أن يحضنها فصاحت أعوذ برب الفلق الذى خلق الإنسان من علق اللهم إنى اسألك بكل لسان بذكرك نطق وكل قلب لهدايتك وطاعتك خفق تجيرنى من كل مخلوق خلق إنك على كل شىء قدير يانعم المولى ويانعم النصير فعند ذلك وقع الملك أبو تاج وانتفخ وزاد تهاج وخوفاً وانزعاج وألقى الله عليه الحى ولا بقى له منها انفراج فبكى على نفسه وأيقن بحلول أجله وسكون رمسه فقال يا شامه سألتك بما تعتقدى من يقينك أن تدعى ربك يخلصنى وأكون صديقك وقرينك وأن تسامحينى من ذلتى فقالت له أنت تظن أنك ملك وحاكم والله تعالى بسريرتك شاهد وعالم فتب إلى الله تعالى فقال

لها أتوب ولا بقيت أفعل ذنوب فرفعت رأسها إلى السماء وقالت يارب يا كريم اعف عن هذا الرجل السقيم فانك أنت السميع العليم فطاب أبو تاج وزال عنه ما كان أصابه من الاختلاج فعاد إلى أول منهاج ولزم مع الملكة شامة باب اللجاج وقام إليها وقال لها كل هذه أفعال أسحار وأنا لم يدخل على مكرك يا بنت الأشرار وجذب حسامه عليها وقال وحق زحل فى علاه إذا لم تسمحى لى بوصالك لأقطعن بهذا السيف أوصالك وأذبح قبل ذلك ولدك وأحرق عليه مهجتك وكبدك فقالت له اصبر يا عدو الله حتى ترى قدرة الله ثم أنها قالت فى نفسها اللهم مكن من هذا الرجل انتقامك والعقاب وصب عليه أشد العذاب فانه لا يخاف من سطوتك ويرتاب وأنت رب الأرباب فما أتمت كلامها حتى وقع أبو تاج ثالث مرة واشتد به الألم والمضرة وقد صار وارم بتوريم ماسخ وله أشاير منتنة وروائح مكرهة قذرة وانتفخ حتى بقى كالدن الكبير الذى هو ملان فى دماه وقد جسمت أعضاه واشتدت وبقيت كالخشب لا تتحرك مطلقا واحمرت وتجدرت وفى الحال تنفست وفتحت وقد تهبرت اللحوم والجلود وكل ذلك فى ظرف ساعة واحدة بقدرة الله الخالق المعبود بأقل الأشياء من العدم إلى الوجود ونظر فى نفسه على هذا الحال فأيقن على نفسه الزوال وظن أنه ماله عودة إلى الحياة بعد ذلك الضر الذى قد اعتراه ولاحت فى شامة عيناه وبقى عبرة لمن يراه وقال يا ملكة شامة سألتك بحرمة ولدك الذى هو على يدك أن تسألى ربك يزيل عنى هذا البلاء المبين حتى أتبع دينك واليقين وأكون لربك من الطائعين وآمن بالله رب العالمين فقالت له شامة وقد رقت لحاله ورحمته عند إذلاله يا ملك ألم تعلم بأن الله لا يخفى عليه خافية وأنت افتريت وكذبت فانتقم الله منك غاية الانتقام وأبلاك بهذه الجراحات والأورام وسوف تموت على ملة الكفر محروما من الإسلام ومطرودا من رحمة الله الملك العلام وأنا نصحتك عن الفعل الذميم فاتبعت الجهل وأنت عليه مقيم وغرك وأضلك الشيطان الرجيم فسلط الله عليك العذاب الأليم وكنت من أهل الشقاوة والتحريم وتموت بهذا البلاء والتسقيم وتسكن بعد موتك فى نار الجحيم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فبكى الملك أبو تاج وقال لها يا ملكة شامة أنا ما عندى أحد أحتمى به وأسوقه عليك إلا ولدك هذا فاسألى الله تعالى يزيل عنى ما أنا فيه وأتوب لله رب العالمين وأتبرأ من كل ملة تخالف الإسلام وأنا فى عزك والسلام فقامت الملكه شامة على قدميها ورفعت إلى ربها مقلتيها وبسطت لنحو السماء يديها وهى تقول يامن كرمه لا يحد وقضاؤه لا يرد وهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد إلهى سألتك بالدين القويم والصراط المستقيم أنت تعلم ما فى نية هذا الشخص المريض السقيم فان كنت تعلم فيه خيرا فأعده إلى الوجود بعد العدم حتى يعود كما كان فى قالب مستقيم إنك قادر

على إحياء الموتى بارىء النسيم يا مولى الفضل والإحسان والعلم والحكم بحق بيتك المحرم وبحق مقام الخليل ومنى وزمزم إنك على كل شيء قدير يا نعم المولى ويا نعم النصير فما فرغت الملكة شامة من هذا الدعاء حتى أفاق الملك أبو تاج من غشيته ووجد فى بدنه رائحة التحرك بعد السكون بقدرة من يقول للشيء كن فيكون وحصل الشفاء وتلحمت الجراحات بقدرة الله تعالى صاحب الإرادات وما كان إلا قليل حتى عاد الملك أبو تاج إلى ما كان حتى بقى كأنه ما أصابه صائب ولا نظر إلى أهوال ولا عجائب فقام قائما على الأقدام وتقدم للملكة شامة وارتمى على قدميها ويديها وصار يقبلهما وطلع إلى محل مخازنه وأتى لها ببدلة كأنها سرقت من كنز أحسن من التى أعطاها لها أولا وقال لها يا ملكة علميني حتى أدخل معك فى دين الإسلام وأعبد الله الملك العلام خالق الضياء والظلام. فقالت له هذا أمر قريب غير بعيد اطبق الأربع وأقم الإصبع وقل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن إبراهيم نبيه وخليله جاء بالحق وأتى بالصدق فقال الملك أبو تاج كما علمته الملكة شامة وصار له فى دين الإسلام علامة وفاز بالرضوان والأمان يوم القيامة ولكن من خوفه من عساكره وغلمانه وجنوده وأعوانه كتم إيمانه حتى يأتيه النصر والتأييد من الملك المجيد وترك شامة ونزل ثانى الأيام إلى ديوانه وجلس على كرسيه يتعاطى الأحكام على عادته بين قومه ورعيته ولكن نور الإسلام ظهر على وجهه ورؤيته وكان وزيره يقال له الصدام وهو أخو الهضام الذى قتله الملك سيف وهو يكره شامة لكون أن زوجها قتل أخاه وهو لا يشتهيها ولكن لكونها جميلة أراد أن يجعل لوصاله وسيلة فقال للملك انت يا ملك الزمان واصلت شامة فقال له نعم يا ليتك يا وزير تواصل كما واصلت انا فقال الوزير وكيف ذلك فقال الملك انا اطلب انك انت وكل من فى بلدى من عسكرى ورعيتى ان يتصلوا مثلى فقال الوزير ائذن لى يا ملك ان ادخل عندها لعلى ان انال وصلها كما انت واصلتها فقام الوزير ودخل على شامة وقبل الأرض بين يديها فقالت له ماذا تريد ايها الوزير فقال لها أريد الوصال كما فعل الملك ابو تاج المفضال فقالت له اقعد فقعد فقالت له قل اشهد ان لا إله إلا الله فقال لها هو قال الملك هكذا قالت نعم فقام الوزير وخرج إلى الملك وقال له يا ملك انت تركت دين زحل ودخلت إلى دين العرب واعتمدت على فساد ديننا بهذا السبب فقال له ومن قال ذلك الكلام فقال شامة ايها الملك الهمام فقال الملك كذبت وحق زحل هذه المراة كذبت وكان ذلك الوزير جبار يحب الجور والإسراف ويكره العدل والإنصاف فقال يا ملك احضرها قدام دولتك حتى نسألها قدام دولتك وهى تخبرنا بالصحيح فأرسل الملك إلى شامة رسولا فوصل إليها وقال لها إن الملك طالبك يسألك عما قلت فقالت سمعاً وطاعة ثم انها قامت

حتى وقفت قدام الملك فقال لها الملك أنت قلت للوزير أن الملك أبا تاج دخل دينى وصار من أهل يقينى فقالت أنا ماقلت ذلك فقال الوزير أنت ماقلت فقالت لا وأن الملك على دينه الصحيح ولا عنده شك ولا تلويح فقال الوزير ياملك ومن حيث أن هذه المرأة ماهى على ديننا فلأى شيء لا تقتلها فقال الملك هذه امرأة غريبة وهى عندى مقيمة كيف أقتلها وأن زوجها ملك يأتى يطلبها منى وما الذى أقول إذا قتلتها وأنت يا وزير أهل الديوان تعرفون ماهو عليه من الشجاعة والقوة والبراعة فالتفت الوزير إلى شامة وقال لها أنت ما قلت لى أن الملك أبا تاج هذا صار على دينك فقالت لا ماقلت لك ذلك أبدا فقال لها خذى سيفى هذا واضربى به رقبة هذا الملك بما أنه على غير دينك فقالت شامة وأنا إيش لى بذلك وإيش الذى يحملنى على قتله وإيش ذنبه معى حتى أقتله وأنا لا أفعل ذلك أبدا فقال الوزير ما أنتم إلا منافقون وعلى دينكم عاكفون هيا يا بنى حام دونكم وإياهم واسقوهم كأس الحمام فعند ما جذبت العساكر سيوفهم وهجموا على الملك أبى تاج فأخذ شامه من خلف ظهره وتلقاهم بصدره وصاح فيهم وقاتلهم وقاتلوه وهلل وكبر وطلب من الله النصر والظفر ورمى رؤوسا كالأكر وكفوفا كأوراق الشجر وضرب فيهم ضربا لايبقى ولا يذر فزاد على الملك العدد وقل منه الصبر والجلد ولكنه اختار الموت على الهرب ولم يسلم فى المليكة شامة ولو شرب كاس العطب فهو كذلك وإذا بقعقعة من الجو اقبلت وشرار ونار ورجم بأحجار فلما رأوا العساكر هذه الحال ولوا هاربين وإلى النجاة طالبين وأول من هرب الوزير واوسع فى القفار وهو يتعجب من تلك النار ولم يبق فى الديوان إلا الملك أبوتاج وشامه ودمر فقط وأما الرجال فهربوا فى البرارى والتلال وكان السبب فى ذلك أن عاقصة لما كانت حاملة للملك سيف وبرنوخ الساحر حتى وضعتهما على قصر الملك أبو تاج ونظر الملك سيف إلى ذلك القتال قال لعاقصة إيش الخبر فاعلمته أن الملك أبا تاج يقاتل فى عسكره وشامة وابنها من خلف ظهره فقال لها اهلكى هذه الاعداء وشتتيهم فى واسع البيداء فرمت عليهم الاحجار ونفخت عليهم بدخان ونار حتى هربوا فى البرارى والقفار وهلك منهم خلق كثير ونزل الملك سيف بن ذى يزن وبرنوخ الساحر ونظروا للملك أبوتاج ففرح بقدومهم وهناهم بالسلامة وتقدم الملك أبوتاج وسلم على الملك سيف وعلى برنوخ وجلس الملك أبوتاج وبرنوخ الساحر والملك سيف بن ذى يزن سلم على زوجته والسروا برؤية ولده وطفى بنظره نيران كبده وبعد ذلك دخلت شامة إلى مقصورتها وجلس الملك سيف بن ذى يزن وبرنوخ وسألهم أبو تاج عن غيبة الملك فحكى له الملك حكايته وكذلك برنوخ الساحر وفرح وباجتماع الملك سيف على زوجته وحكى الملك أبو تاج للملك سيف أنه أسلم على يد شامة وأعاد عليه

سبب إسلامه ثم قال الملك أبو تاج ياسيدى أما أنا فما بقى لى مقام بين هؤلاء القوم اللئام فدعنا نرحل من هنا بسلام فقال الملك سيف ياملك أنا أريحك من هذا الباب ثم أمر عاقصة أن تأتيه بالوزير فخطفته وجاءت به بين يديه فلما وقف قدام الملك سيف بن ذى يزن وقال يا كلب الوزراء فإنا لله وإنا إليه راجعون ودين الإسلام حق وأنت لما علمت أن الملك اسلم عارضته وعصيت أهل البلد عليه ولكن كان الذى كان وأنت إيش تقول فى دين الإسلام فقال ما أعرف غير زحل فما اتم الكلمة حتى ضربه الملك سيف اطاح رأسه فى الحال ونزلت عاقصة وقفلت أبواب البلد ونادى الملك سيف كل من كان على دين الإسلام نجا ومن كان على دين زحل قتلناه فاسلمت البلد عن بكرة أبيها وكانوا خلقا كثيرا فقال الملك سيف بن ذى يزن نحن نريد نرحل من هذه البلاد ونسكن غيرها فقالوا جميعا نرحل معك فأمر الملك أبو تاج بتعمير مراكب على قدر عساكره فصار التعمير حتى تكاملت فكانت ثمانين مركبا ونزلت العساكر جميعا وكلهم مستبشرون بدخولهم دين الإسلام وصحبتهم الملك سيف باطنا وظاهرا ونزل الملك أبو تاج فى مركب كبير هو احسن المراكب ونزل معه الملك سيف بن ذى يزن وبرنوخ الساحر وباقى ارباب الدولة والاكابر وادخلوا الملكة شامة وابنها دمر فى مقصورة من الغليون مخصوصة لها ولولدها واعطاها الملك أبو تاج جماعة لخدمتها فقالت لزوجها الملك سيف ياسيدى اجعل إقامتى مع حريم الملك أبى تاج لأجل أن نأتنس ببعضنا كما انكم تأتنسون ببعضكم فقال لها إذا أرادوا الدخول عندك وأنت تدخلى عندهم فلا مانع وأنه لابد أن يكون لك محل مخصوص لنفسك ويكون ولدك معك وخدامك تتبعك وكذلك حريم الملك أبو تاج لأنه لابد لكل منا أن يدخل عند حريمه سراً وجهاراً إن كان فى الليل وفى النهار فقالت له صدقت يا ملك الاقطار وسافرت المراكب على وجه البحار وطلبوا التسهيل من الله العزيز الغفار ولما تمادى بهم المسير ولله المشيئة والتدبير والملك أبو تاج وبرنوخ الساحر افرح الخلق بدين الإسلام ومصاحبة سيف بن ذى يزن الملك الهمام فصاروا يحكون لبعضهم ما جرى لهم فى مدة عمرهم وحكى الملك سيف بن ذى يزن أصل منشئه ورواية الملك افراح له وطلب سعدون الزنجى وكتاب تاريخ النيل وبعده انتقل إلى اجتماعه وأخذ اللوح منه وتشقيته ودخوله قصر سام وأخذ اللوح والحسام وزواجه بشامة وحيلة أمه وأخذ اللوح منه وتشقيته بأمرها إلى هذا الوقت وتعب عاقصة اخته وهى تدور خلفه من جهة إلى جهة وكل ما تعلم انه خلص من جهة ترميه فى جهة غيرها فلما سمع برنوخ الساحر هذا الكلام اتغاظ من قمرية غيظا شديدا وقال للملك سيف يا ملك وحق دين الإسلام لابد لى أن ابذل الجهود مع هذه اللعينة قمرية وانزل بها كل مصيبة ورزية كانت عاقصة ذلك الوقت لما عرف الملك سيف بقى عند أبى تاج وانقلبت البلد إسلام

وبقى الحاكم على الجميع سيف تودعت منه وانصرفت ولما حصل هذا الحديث وتكلم برنوخ الساحر وقال ماقال قال له الملك سيف بن ذى يزن ياأخى أنا أعطيك أجازة بذلك لكن بشرط أنك لا تقتل أمى إن ظفرت بها بل تسلمها إلى أفعل بها ما أريد فقال برنوخ وهو كذلك ثم أنه قام على حيله وتودع منهم وقال لهم يكون اجتماعنا فى المدينة الحمراء باذن الله الذى له المشيئة والقدرة ونزل فى البحر وغطس فما بان كانه ما كان وان الحكيم برنوخ له من الجن خدم وأعوان فاحتمله أحدهم حتى وضعه قدام جبل وهو مقابل للمدينة الحمراء وقال له ياسيدى إذا ركبت ذلك الجبل تبقى مدينة حمراء الحبش بين يديك فقال له امض أنت إلى حالك تحت الطلب ثم احضرت خادما آخر وقال له اريد منك صفيحة من النحاس وقلما من البولاذ فقال له سمعا وطاعة وغاب وعاد له بما طلبه فأمر الخدام جميعا أن يفحروا له مغار فى الجبل مقابل باب المدينة وينصرفون ففعلوا ما أمرهم ودخل برنوخ فى قلب المغار ونقش بالقلم البولاد فى النحاس صورة انثى وكتب عليها قمرية ووضعه فى قصبة من الرصاص وصبر إلى الليل وقام إلى باب المدينة ودفن تلك القصبة ووكل عليها الخدام وأمرهم بالتوكيل بعذاب قمرية ليلا ونهارا وعاد إلى المغاورة واختفى عن أعين النظار هذا ما كان من برنوخ أما قمرية فانها كانت مقيمة فى تلك الليلة وأصبحت وماعندها فكرة فى شيء من أمور الدنيا وإذا قد أعتراها النوم فقامت قدر ساعة وإذ بها قامت فزعة وهى ترتعش كالسعفة فى يوم ريح عاصف وقلبها يخفق ورأسها تضرب وسكن فى جبهتها الماء وزادت عليها شدائد الأوجاع وكادت روحها تخرج من غير نزاع وقد غرقت فى بحر من العرق وبرد بدنها حتى بقى مثل الرصاص وبقت ساعة تكون مثل النار إذا اشتعلت وساعة تصير كانها قطعة من الثلج إذا جمدت ولابقى يهنا لها قيام ولا قعود ولامنام وامتنعت عن الشراب والطعام فلما أعياها الحال ومعكت اللوح فأتاها عيروض وقال نعم ياستاه فقالت له هات لى حكيم فقال سمعا وطاعة وطلع من عندها فرأى أربعة حكماء قادمين من الهند إلى بلاد اليمن فحملهم جميعا وأتى بهم إليها وقال ياستاه هؤلاء أربعة حكماء فقالت لهم انظروا حالى فامسكوا نبضها وقالوا لها مابك شيء ظاهر ولاعرفنا بك شيئاً من الأوجاع فقالت لهم انصرفوا إلى حالكم فانصرفوا فقالت ياعيروض إن الذى بى ماهو من الإنس وأنا أظن أنه شغل الجان فقال لها نعم ياستاه وأنه فعل رجل ساحر يقال له برنوخ والذى أرسله لك ولدك الملك سيف لأنه أسلم على يديه ولما رميتيه فى وادى النيران وجبال الدخان والفج العميق فقالت وولدى سالم قال لها وكل ما ترميه فى مهلك تخلصه اخته عاقصة فقالت له امرتك أن تأتينى بالإثنين وهم عاقصة وبرنوخ حتى اقتلهما فقال لها ما أقدر لأن برنوخ يحرقنى وعاقصة لم يقدر أحد على قبضها فقالت له ولماذا فعلوا معى هذه الفعال فقال لها من أجل ولدك

فقالت له اذهب إلى ولدى وودبه خلف جبل قاف وعد إلى سريعا بلاخلاف فقال سمعا وطاعة وخرج من عندها مثل الشهاب الثاقب وأقبل على الملك وهو قادم مع أبى تاج كما ذكرنا فى المراكب فلما أراد النزول علم به الملك سيف فقال له عيروض اتبعنى ياقطاعة الانس وقد أتيت إليك لألقيك فى مهلك وأنت ان سلمت من جميع المهالك مابقيت تسلم من هذا فقال الملك سيف بحياتى عليك ياعيروض لاتفضحنى قدام الناس فقال له كيف العمل وأنا مأمور بأخذك فقال له أنا أنزل واحملنى ومشنى على وجه البحر فقال له افعل ماتريد فعند ذلك قام الملك سيف وقال أنا قصدى أمشى على وجه البحر ونزل من المركب ومشى حتى خفى عن أعين الناس هذا والملك أبو تاج يتعجب وشامة عرفت المضمون ولكن كتمت عن الناس وسكتت وهى باكية العيون هذا وعيروض أقلع به إلى الجو وسار (قال الراوى) وأما قمرية فانها زاد عليها السقم وأشرفت على العدم فحركت اللوح بكفها لحس عيروض بالنار على بدنه فانزل الملك سيف فى جزيرة وعاد إليها فرآها فى غاية المرض فقالت له إيش فعلت ياعيروض فقال لها أخذت ولدك وسرت به فطلبتينى فوضعته فى جزيرة ورجعت إليك خوفا من الأسماء تحرقنى وأنت لأى شىء طلبتينى فقالت له أنا زاد مرضى فهل لك أن تمضى إلى الحكيم سقرديس وأخيه سقرديون وتأتينى بهما فقال لها لا أقدر على ذلك من برنوخ الساحر فان أردت ذلك فارسلى لهما غيرى فعرفت أنه صادق فعند ذلك أحضرت بعض الخدم وأمرته أن يسير ويأتيها بالحكيمين الاثنين سقرديس وسقرديون فسار القاصد من عندها طالب مدينة الدير (قال الراوى) واما ما كان من امر برنوخ الساحر فانه ضرب تخت الرمل ورأى كل ماحصل وماهو قادم عليه وصار ينظر اخبار الملكة قمرية وهو يرصدها إلى ان ارسلت هذا القاصد فعرف مقصودها وقال مالى حيلة اوفق من هذه الحيلة لانها ارسلت هذا القاصد يأتيها بحكيمان من بلاد الحبشة ثم ضرب الرمل وحققه ونظر اشكاله ودققه وعرف المضمون وصار يدبر امرا يريد ان يفعله (قال الراوى) واما قمرية فزادت بها الأمراض فقالت ياعيروض ائتنى بحكيم من الجان يداوينى فانى اقول إن الإنس عاجزون عن دوائى فقال انا ماقلت لك ان الذى بك ماهو من الجان وإنما هو من شغل برنوخ الساحر فقالت له هاته لى فقال لها لاأقدر على ذلك فقالت له وأين مكانه فقال لها مختف فى مكان خارج البلد فقالت له ارنى مكانه فقال لها سمعا وطاعة فعندها نهضت قمرية فى الحال وركبت هى وقومها ولم يزالوا كذلك إلى ان وصل بهم عيروض إلى الجبل الذى فيه برنوخ الساحر فوجد برنوخ قد اخفى نفسه عن اعين الانس والجان فقالت له هل تقدر ان تترصده وتعلمنى به او تأتينى به فقال لها اما قلت لك إن برنوخ يحرقنى فقالت له انا اقعد له وارصده وامض لحالك وصرفت العساكر لحال

سبيلهم وقعدت هى ترصد برنوخ بنفسها وكان برنوخ باله معها وعرف قصدها وعلم أن القاصد سار من عندها يطلب لها سقرديس وسقرديون فقال فى نفسه وحق من هدانى إلى الصراط المستقيم وعرفنى نبيه الخليل إبراهيم مالى أوفق من هذه الحيلة وأن الله العالم بالسر والجهر دبر لى ذلك الأمر واخفى نفسه وسار إلى أن بعد عن المدينة وعزم وترجم وهمهم فحضر إليه من الجان خادم كبير فقال له قف فى ذلك المكان وارصد القاصد الذى يأتى الملك سيف أرعد وعوقه ولا تدعه يدخل المدينة الحمراء إلا بعد أن اقضى حاجتى ثم أنه عزم على نفسه فصار على صفة الحكيم سقرديس ومازال سائرا وهو طالب المدينة الحمراء حتى أتى إليها فلما رآه أهل المدينة قاموا له وسلموا عليه وارسلوا إلى الملكة قمرية واعلموها بقدوم الحكيم سقرديس ففرحت وزال عنها التعكيس واتت إليه وقبلت يديه ودخلت به المدينة واجلسته على سريرها واضافته احسن الضيافات وما زال معها وهو يمازحها بالكلام وقد شكت له ما أصابها فألقى عليها باب النسيان فلم تذكر له كلاما حتى اقبل الظلام وطلبت الأعين الراحة بالمنام ونام الحكيم فى مكانه وعند الصباح احضرته وقالت يا حكيم أتدرى ما اصابنى وما الذى أرسلت لك من أجله فقال لا وحق زحل فى علاه غير ان القاصد قال لى إنك مريضه ولا اعلم بسبب مرضها فقالت له يا حكيم إن اعترانى مرض من فعل برنوخ الساحر ثم أخبرته بقضيتها وسبب اللوح وتشنيت ولدها المرة بعد المرة فقال لها طيبى نفسا وقرى عينا فلا بأس عليك قالت له يا حكيم ولأى شيء ما أتى معك قاصدى فقال لها قد امسكه الملك سيف أرعد يضيفه وأنا أرسلنى إليك شفقة منه عليك على سبيل العجلة فقالت له يا حكيم داونى فإنى اشرفتُ على الهلاك والعدم وشرب كاس النقم فقال لها إذا كان الأمر كذلك فقومى معى إلى الجبل وأنا ادلك على المكان الذى فيه ذلك العمل فتطلعيه بيدك ولا يلحقك منه ضجر ولا ملل ففرحت فرحا شديداً وسارت هى وبرنوخ وهى تظن أنه الحكيم سقرديس ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الجبل وسار برنوخ يلتفت يمينا وشمالا وهو ينظر إلى الأرض ذات الطول والعرض وبعده نزل عن جراده واتى إلى مكان هناك وصار يهمهم ويزمزم وإذا بالقصبة التى فيها السحر قد ظهرت فلما نظرتها قمرية فرحت فرحا شديدا وقالت وحق زحل فى علاه والنجم وماسواه مافى الدنيا مثلك ثم أنها أخذت القصبة بيدها ورمتها إلى الأرض وامرت بعض الغلمان بحرقها ففعلوا ما امرتهم فعادت قمريه إلى صحتها كأنها لم يصبها شيء وصارت كالحيه الرقطاء وامرت للحكيم بالخلع العالمية السنيه فالقيت عليه وهى تظن أنه سقرديس وأخذته وعادت إلى قصرها وهى تشكره وتثنى عليه وتقبل يديه وتكرمه ولا تفارقه طرفه عين وقد جعلت له عندها مكانا برسمه من داخل

قصرها ورتبت له كل ما يحتاج إليه وهو يرصدها حتى تظهر له فرصة وأقام على ذلك الحال عندها (قال الراوى) وأما القاصد الذى أرسلته قمرية للملك سيف أرعد فإنه سار إلى أن توسط الطريق وإذا بالمارد الذى أوقفه برنوخ قبض عليه وقال له إلى أين تسير فقال له إلى الملك سيف أرعد من عند الملكة قمرية فقال له أقم عندى فإنى هنا مأمور بالقبض عليك وإن تحركت من مكانك هدمت أركانك فقال سمعا وطاعة ووقف مكانه وله كلام

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الملك سيف بن ذى يزن فإنه لما تركه عيروض فى الجزيرة كما ذكرنا صار يتمشى فى تلك الجزيرة فرأى طابقا مفتوحا فقال لاشك إن هذا كنز ونزل فى ذلك الطابق على درج قطع فى الحجر حتى انتهى إلى آخره فوجد عين ماء جارية تخرج من مكان وتدخل فى مكان آخر ونظر إلى جانب العين رجلا جالسا ولكن طول الملك سيف أربع مرات عريانا من ثيابه مكشوف الرأس وهو ينظر إلى ذلك الماء الخارج من العين فسار الملك سيف عنده فلما رآه ذلك الرجل قام على الأقدام وصاح أنا فى جيرتك يا بطل الزمان فقال له الملك سيف .

وقد تعجب من خوفه وفزعه عليك الأمان لا تخف يا إنسان لكن أخبرنى لأى شىء أنت قاعد فى ذلك المكان وتنظر فى الماء الجارى بالأعيان فقال له الرجل أنت إنسى أم جنى من قبل أن أعلمك بذلك الشأن فقال له وإيش رأيت من صورتى او تشابهت بالجان فقال له لأنك قصير وعمرى ما رأيته مثلك لا صغير ولا كبير فقال له الملك سيف ما أنا إلا خلقه الملك القدير مثل ما خلقك طويل خلقنى قصير وأنا أنسى من المؤمنين أعبد الله رب العالمين وأنا على دين الخليل إبراهيم وأنا رجل سواح أسير من مكان إلى أن أتيت إلى هذا المكان وهذه حكايتى وأنت لأى شىء قاعد هنا وتجردت من ملابسك فقال وهذا السبب عجيب وأنا إنسى مثلك وجنسى من جنسك وأنا أؤمن بنوح وإبراهيم عليهما السلام وأعبد الله الملك العلام فقال له الملك سيف وما سبب قعودك هنا وأنظارك إلى ذلك الماء فقال له أخاف أن أخبرك فتقطع أرزاقنا وتحرمنا من صيدنا فقال له الملك سيف لا تخاف والله لا اتعرض لك بشىء فيه إتلاف فقال له اعلم يا أخى إن هـــذه العين من ابتداء السنه أول آذر ويتغير ماؤها من البياض إلى الحمار وبعد الحمار إلى الخضار والى الصفار والى السواد إلى عشرة الوان وبعد ذلك يخرج منها سرطان فيه العشرة الوان وأنا اقعد انتظر خروجه فأقبض عليه واسير به إلى قومى وندخره عندنا إلى أن تأتينا التجار المتعودون علينا ومعهم مراكب موسوقة من بضائع وقماش وسبب من كل الأجناس فنعطيهم هذا السرطان وتأخذ كل مافى المركب من جميع البضائع والألوان ونعيش بهذه من العام إلى العام وهذه شيمتنا وخلقتنا فقال له

الملك سيف وإيش النفع فى هذا السرطان فقال منفعته إذا كان إنسان أعمى من مدة الزمان ولو عشرين عاما وأخذ شيئا منه وسحقه بماء الورد البكر العام ووضعه على عينيه زال مابه من العمى ونظر فى الحقت والحال بإذن الله الملك الكبير المتعال فلما سمع الملك سيف ذلك المقال اختار فى نفسه وقال ليتنى ماحلفت له وكنت آخذ هذا السرطان وأجعله ذخيرة على طول الزمان ولكن إذا طلع هذا السرطان آخذ منه قطعة والسلام فبالأمر المقدر كان ذلك اليوم الذى أتى فيه الملك سيف هو التاسع من شهر آزار فمكث الملك سيف ثلاثة أيام إلى تمام العاشر من الأيام وإذا بالماء تماوج وأرغى وأزبد وظهر فى وسط الماء سرطانان اثنان سوا بقدرة من على العرش قد استوى فقال الرجل ياقصير انظر صنع الله تعالى فإنه أرسل سرطانين فنحن نأخذ واحداً وأنت تأخذ الثانى وهذا دليل على وحدانية الله تعالى الملك الجليل فمد الملك سيف يده إلى السرطان فوجده يتحرك مثل الثعبان فلما قبض عليه لم يبق فيه شيء من الحركة فتعجب الملك سيف وأخذه وربطه على تكة لباسه والرجل أخذ السرطان الثانى وقال الملك سيف للرجل قم بنا من هذا المكان فما بقى لنا شغل فقال صدقت يابطل الزمان وقاما الاثنان وخرجا إلى ظاهر الجزيرة زساراً على جانب البحر وإذا برجل ثان يزيد فى الطول عن الأول قد أقبل إليهم فى مركب من وسط البحار ومعه قطعة من الخشب يجدف بها ويدفع المركب جهتهم فلما أقبل على البر صاح على رفيقه وقال له قضيت الأشغال فقال نعم فقال له ومن هذا الذى معك يا أخى وأنا منه خائف لأنه ماهو من جنسنا فقال له اطلع ولا تخف فانه أعطانا أمانا فأقبل إليهم بالمركب فنزلا فيها وقعد واحد منهم فى مقدمها والثانى فى مؤخرها والملك سيف قعد بينهم فبقى كأنه طفل صغير وكانت تلك المركب قطعة خشب واحدة منقورة فصاروا يجدفون حتى أتوا بها إلى البر فنظر الملك سيف إلى جماعة كلهم كبار فلما نظروا الملك سيف ألقى الله الرعب فى قلوبهم فولوا هاربين وإلى النجاة طالبين فناداهم رفقائهم الذين فى المركب وقالا ارجعوا ولا تخافوا ولا تفزعوا فقالوا لهما ومن هذا الرجل القصير الذى معكما فحكى لهم رفيقهم صاحب السرطان حكايته وكيف طلع له سرطان آخر وماجرى له معه فقالوا له دعه يمضى من عندنا فقد كدر علينا عيشنا وقد أخذ رزقه فيروح إلى حاله لأننا نخاف أن يفسد علينا التجار ومعاملتنا معهم ويفسد الذى يأتينا فى كل عام ونحن قوم مؤمنون ويكون سببا لقطع أرزاقنا ومالنا معيشة إلا من هذا السرطان الذى يأتينا فى كل عام فأعاد على الملك سيف ماقاله رفقاؤهم وقالوا له ياشيخ نحن مابيننا وبينك مقاتلة ولا عداوة فارحل عنا فقال لهم ياقوم وأنا على أى طريق أسير فإنى بالطريق لست بخبير فقالوا له أنت من أى البلاد فقال من اليمن فقالوا له مالك طريق إلا البحر لأن هذه جزيرة

والبحر حولها وإنما نحن نعطيك هذا القارب والمجداف لأجل أن تجدف به إن أردت دخول البلاد ونعطى لك من عندنا زاد تشد به رمق الفؤاد فقال الملك سيف جزاكم الله خيراً فقالوا له وإذا رماك البحر على أى مكان فاسأل عن بلادك والأوطان ثم أتوا له بكل ما يحتاج إليه وأنزلوه فى القارب وأعطوا له لوحا يجدف به وودعوه وركب القارب وتوكل على الله الطالب الغالب فسار به القارب سبعة أيام ورماه القارب فى بركة يقال لها بركة البطحاء وهى واسعة ليس لها أول يعرف ولا آخر يوصف وأمواجها كالجبال ولها دوى مثل الرعد والزلزال فصارت الأمواج تلعب بالقارب مثل السعفة فى الريح العاصف ويرفع القارب لفوق فيظن الملك سيف أنه لاحق بعنان السماء وإذا هبط يظن أنه نازل فى قاع المحيط وهكذا بقى لا يهنأ له أكل ولا شراب ولا نوم ولا قعود وهو فى أشد البلاء والإنكاد مدة عشرة أيام تمام فلما كان بعد ذلك أيقن بنفسه أنه هالك لأنه لا يجد ساحلا يصل اليه ولا طريقا يستدل عليه فرفع رأسه الى السماء وقال يا عظيم العظماء يامن علم آدم الأسماء يامن جعل البيت الحرام أمنا وحمى أسألك بقدرتك وعظمتك وجودك وامتنانك أن تخلصني من هذه البحار واللجج وتجعل لى من هذا الضيق الفرج ومن هذا البلاء المخرج انك على كل شىء قدير :

يامن عوائده الجميـــل بفضله   من ذا الذى لجلال مجدك ماخضع
يامرسل الآيات يارب السماء   يامن على سر العباد قد اطلع

الهى ضاقت على المذاهب وأظلمت على جميع المشارق والمغارب وأنت الطالب الغالب يا كريم ياحليم ياعظيم (ياسادة يا كرام) ثم ان الملك سيف صار لا يفتر أن يقطع ذكر الله ولا يعتز عن تسبيح الله وأيقن أنه مالم يأته من الله فرج ليس من هذا الضيق مخرج واذا به قد نظر صورة قلعتين كبيرين على وجه البحر ظهرا فقال فى نفسه اذا أنا وصلت الى هذه المراكب الكبار نزلت فى واحد منها فان فى القعود فيها راحة عن ذلك القارب الذى لا يستقر على وجه الأرض ولا يهتدى على وجه البحر وصار الملك سيف يجاهد فى القارب وهو قاصد به الى هذين القلعين اللذين هو ناظرهما حتى قرب منهما من بعد المشقة والتعب فتأملهما واذا هما ريشتان من ريش سمكة كبيرة واقفة فى وسط البحر وهاتان الريشتان واقفتان على ظهرها وكل ريشة منهما أكبر من القلع الكبير اذا كان ملآن بالهواء ولما رأت تلك الحايشة ذلك القارب مقبلا فتحت له فاها ونظر سيف الى فمها كأنه باب قلعة وبقى الماء جاذب القارب وهو نازل فى حلقها مثل نزول الماء اذا انقطع له جسر وكان بينها وبين القارب قدر فرسخ فجذبه الماء الى حلقها لأن الماء صار فى دخوله فى حلقها له تيار عظيم وانسحب القارب الى فم الحايشة ونظر الملك سيف الى

ذلك وعلم أنه هو والقارب داخلان فى تلك الهايشة ومتى دخلا فيها يكون الملك سيف طلوع ثانيا فما بقى له مانع يمنعه وقضاء الله لا يقدر أحد يدفعه فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أنه قفز من القارب إلى البحر ولكن على آخر عزمه وقد بعد عن حلق تلك الهايشة وما لحق أن ينزل على الماء حتى وجد القارب داخل حلق هذه السمكة ولما ابتلعت القارب تعجب الملك سيف وأراد أن يعوم فكانت ملابسه ثقالا فشقها وتركها فى البحر ولم يبق عليه إلا اللباس والسيف معلق فى رقبته فسار عائما فى البحر باقى يومه وهو خائف أن تصادفه مثل هذه الهايشة فتبلعه وليس له ملجأ ومازال الموج يحذفه والهواء يقذفه حتى وصل إلى البر وكان هذا البر الأصل وما صدق أن يصل اليه حتى غشى عليه وارتمى يوما وليلة وأفاق جيعانا عطشانا وخائفا عريانا وتعبانا وبردانا فحل سرواله وجعل يعصره وينشفه فى الشمس فرأى مربوطا على دكته شيئا يابسا وكان هذا هو السرطان الذى أخذه من جزيرة الصالقة ولكن ذهل عنه ففكه وتأمله وربطه كما كان وسار أول يوم والثانى فى هذا البر والآكام وهو لا يستطعم بطعام ومن خوفه لا يلتذ بمنام وفى ثالث يوم أشرف على مدينة كاملة البنيان مشيدة الأركان والناس اليها مقبلون من كل مكان ونظر إلى باب تلك المدينة فوجد روسا موضوعة على رماح منصوبة على سور البلد جهة الباب ينظرهم كل من دخل المدينة فتعجب الملك سيف وتقدم إلى رجل من الناس وقال له يا أخى ما سبب تعليق هذه الرؤس على الأخشاب وهى روس آدميين وكان الأحسن دفنها فى التراب وأين أجسامها ما هى معها على الأخشاب ولا على الأرض فى تلك الأماكن والرحاب وكان المسئول رجلا كريما وهو شيخ كبير فقال للملك سيف يا والدى وأنت كأنك غريب فقال له نعم اعلم يا والدى أن مدينتنا هذه ملكها كبير وله بنت وهى فريدة عصرها ونتيجة دهرها ولم يكن فى الدنيا من يضاهيها فى جمالها ولا قدها واعتدالها وكان جرى عليها وعد الله تعالى واختطفها عارض من الجان وبعد أيام قلائل تسبب لها الخلاص وجاءت إلى أبيها وأقامت مدة أيام باكية حتى كف بصرها وبقيت كفيفة البصر فقال أبوها لوزيره اكتب إلى جميع القرى والمدائن كل من أمكنه أن يداوى بنتى جعلتها له زوجة واجعله وزير مملكتى وأقاسمه فى نعمتى فهرعت اليه الأطباء والحكماء فسار كل من يدعى الشطارة يدخل ويطلب أدوية ومرتبات جمعة أو جمعتين ثم لا يقدر ويعجز فينعم عليه الملك وهكذا أول سنة وثانى سنة صار كل من طلع يتهم فى المعالجة حتى أن يتعب ولا يقدر ويعجز فيضربه الملك ويطرده والناس من طمعهم لا يرجعون حتى أن الملك صار كل من أتاه وقال أنا حكيم ويعجز عن دوائها فانه يقطع آذانه وبعد ذلك فى رابع سنة صار يقطع الآذان والأنف وهكذا وأخيرا كل من طلع يداويها ولم يقدر يقطع الملك رأسه تأديبا

لغيره هذا والناس لا يرجعون وكلما سمع أبوها بطبيب يأتيه ويرغبه بالمال وإن عجز يقطع رأسه وهاهى على باب القلعة رؤس الحكماء المقتولين وعددهم تسعة وتسعون ولا يجد من ذلك انتفاعا ولا براهين فقال الملك سيف بن ذى يزن ياعمى أنا كأنى بلغت المنى وزال عن قلبى كل العنا فقال له الرجل لماذا ياولدى فقال له لأنى حكيم شاطر فى الطب والفهم وقد أتيت من بلاد بعيدة إلى تلك الأراضى والأقاليم بسبب هذا الملك الكريم لأن أخبار بنته وصلت إلى بلادنا وأنا أتيت مخصوصا لمداواتها حتى آخذ العطايا الكثيرة من أبيها مع ما أفرح به أهلها وذويها فقال له اتكلم ياولدى إذا كنت أنت حكيما وأتيت من أراضى بعيدة ووديان فلأى شىء أنت فى الحال وعريان وأظن أن عقلك فيه خلط أو جنان حتى تريد أن ترمى روحك إلى الهلاك والخسران فقال له الملك سيف ياعمى أنا كنت فى مركب وقادم من بلادى إلى تلك المدينة حتى أطيب بنت الملك وأبلغ قصدى ومرادى ولكن انكسرت مركبنا فى البحر وغرقنا فالبعض سلم والبعض عدم فكنت أنا من السالمين فسبب الله تعالى لوح خشب فالتقيت عليه حتى رمانى إلى البر والصخر فطلعت وخالى كما ترى فقال له الرجل ياولدى روح إلى حال سبيلك لا تضيع نفسك وأنت رجل غريب فيكمل بك الملك المائة ويفرح عليك البعيد والقريب لأن هذا ملك جبار لا يوقر الكبار ولا يرحم الصغار ولا يخاف من الله تعالى الملك الجبار وهو كافر من الكفار يعبد النار ذات الشرار ويسجد لها ليلا ونهارا وأنه نادى فى جميع البلدان أن من فتح عينى بنت الملك زوجه بها وقاسمه فى نعمته وإن لم يقدر يقطع رقبته وقد قتل تسعة وتسعين على ذلك المثال فقال سيف ياشيخ أنا حكيم ماهر وقد أتيت أداويها لأنى بالطب جدير فقال الرجل الله أعلم ياولدى أنك قد تقارب أجلك لأنك لا تقبل الكلام وهذا دليل على أنك ستشرب كاس الحمام وأنت لست ممن يخاف الملك ولا دولته ولا الالزام سر قدامى فسار معه حتى دخل المدينة وإذا بالرجل قد صاح بصوت شديد يسمعه القريب والبعيد وقال أيها الملك السعيد قد أتاك اليوم حكيم جديد يدعى أنه بصناعة الطب عارف وفريد فلما سمع الملك الصياح قال على بالحكيم فتجارى الاعوان حتى أقبلوا إلى الملك سيف بن ذى يزن وقالوا اله أنت الحكيم فقال نعم فأخذوه قدام الملك وأوقفوه فتأمله الملك فرآه عريانا ولم يكن عليه إلا السروال والسيف معلق فى رقبته كما وصفنا فقال له الملك ياحكيم ما الذى عراك فى الطريق وأعدمك السعادة والتوفيق فأنا حاكم على هذه البلاد ومطهر الأرض من الفساد وأنت من فعل بك هذا الفساد فقال ياملك ما أحد عرانى وإنما أنا رجل حكيم وسمعت بخبر بنتك أنها انكف بصرها وأن الحكماء أتتها من جميع الأقاليم وعجزوا عن دوائها بعد أن عذبوها العذاب الاليم فأتيت قاصدا أداويها وقد غرقت المركب بنا فكنت أنا من السالمين بإذن الله رب العالمين وهذا لأجل سعادتك

وشفاء ابنتك حرسها الله تعالى ورعاها ومن مرضها شفاها ونصرك الله يا ملك على أعداك وبلغك قصدك ومناك ففرح الملك بكلامه وأمر له بملبوس فلبس الملك سيف بن ذى يزن بدلة وعمامة فبقى كأنه البدر عند تمامه وبانت عليه هيئة الملوك فقال له الملك يا ولدى إن كنت ادعيت الحكمة على عربك فقد انكسفت فارجع من حيث أتيت ولا أكون ظلمتك ولا عليك تعديت لأنى حالف يمينا أن كل من دواها زوجته إياها ومن لم يقدر على ذلك أسقيته كاس المهالك فقال له الملك سيف يا ملك أنا رضيت بهذا الشرط فأحضر الملك الكهناء وعيار النار وقال لهم اشهدوا على وعلى هذا الحكيم لئن هو طيب ابنتى زوجته بها وإن عجز عنها فإنى أضرب رقبته فقالوا رضيت بهذا الشرط يا حكيم فقال نعم فعند ذلك أحضر الملك كبيرا لأغوات وقال له خذ الحكيم هذا وادخل به عند سيدتك وقل لها إن هذا الحكيم أرسله إليك أبوك وأمره أن يداويك حتى تفتحى عينيك لأنه أتى من بلاد بعيدة وإن لم يداويك تقطع رأسه وتخمد أنفاسه وإن دواك فأنت له زوجة وهو لك بعل وانظره ماذا تفعل فى دوائه فإن كان صادقا كافأناه وزوجناه وإن كان كاذبا أهلكناه وقتلناه فأخذه كبيرا ودخل به على بنت الملك وهى فى قصر وأوقفه ببابها واستأذن عليها فى الدخول فأذنت له فدخل فوجد قصرا يزيل الهموم ويننى الحصر مفروشا بالرخام المختلف الألوان وله خمسة لواوين على كل لوان أسد من المرمر على هيئة السباع له قوائم من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وفيه فروشات ومراتب ومقاعد ووسائد ومساند ومعلق فيه قناديل من الجوهر فى سلاسل من الفضة والذهب وفى وسط اللواوين فسقية من البللور فى دائرها صفة طيور وغزلان ووحوش وهى من الفضة والذهب واللازاورد والمرجان وشيء يحير الأذهان والماء يطلع من أفواه تلك التصاوير بنفير وصفير على كل صنف لغو صاحبه وكذلك صفة أرباب الحكمة ومعلمى الصنائع وسقف ذلك القصر من العقيق الأصفر والأخضر شبه جامات الحمام إذا تحرر وعلى الليوان الذى فى الصدر فرش من الحرير الابريسم الأحمر والأخضر والأصفر كأنه ملك الملك اسكندر وجالسة عليه بنت كأنها البدر إذا بدر وعليها بدلة كأنها بدلة بلقيس أو أكثر وعلى رأسها تاج من الجوهر وكل من رآها افتتن وتحير.

(قال الراوى) فتقدم الأغا وقال لها يا ملكة الزمان قد أتى إلينا حكيم ففتح الأعيان فقالت له دعه يمضى عنى بسلام فلا حاجة لى به ولا أتحمل دعاه لأن كل من أتانى وعجز عن دوائى فيقتله أبى وينكسب خطاياه فقال الأغا يا سيدتى هذا الرجل يكون على يده الخير وعنك يزول الألم والضرر فقالت له دعه يفعل ما يعرفه من صنعته فقال الأغا تقدم يا حكيم وافعل ما تراه حسنا وأنا معك متمم فقال سمعا وطاعة ثم قال ائتونى بهاون من الذهب فأتوا له بكل ما طلب فأمر بإيقاد النار فأوقدوها ووضع الهاون ثم أخرج السرطان من دكة سرواله

وكسر منه شيئا بأصبعه وأحرقه فى النار وبعد حرقه وضعه فى الهاون ونقط عليه من ماء الورد وسحقه سحقا بليغا حتى صار فى حد الغبار وتقدم إلى بنت الملك وتوكل على الملك الجبار ووضع رأسها على ركبتيه وأخذ بالميل وكحل عينيها وإذا بها صرخت بصوت دوى له القصر وغشى عليها ساعة زمانية ولم تتحرك بالكلية فلما رأى الخادم ذلك رجع إلى الملك وقال له قم الآن فإن بنتك ماتت وخرجت روحها فقال له الملك ومن قتلها فقال الحكيم الذى ارسلته لها فانه شكها بيده فى وجهها فصاحت وخرجت روحها فقام الملك بحافته ودخل على قصر ابنته وتبعه أرباب دولته وهم جاذبون سيوفهم على التمام فهذا ما كان من الملك ودولته (قال الراوى) وأما ما كان من الملك سيف فانه لما كحل البنت ووقعت ظن أنها ماتت من شده خوفه وقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم يعنى إذا كن أجلك قد اقترب فما كان إلا على يدى ولكن سبحان الحى الذى لا يموت وصار باهتا لا يبدى ولا يعيد وقال فى نفسه ياسيف ساقك أجلك إلى هذا المكان هنا حتى تشرب كأس الهلاك والفنا ليتنى ما فرطت فى روحى أو بان تلك الساعة إنقاذ نفسى وفلاحى وصار يحسب ألف حساب يذكر الأهل والأحباب وقال اللهم إنك تعلم بحالى وعليك فى الأمور اعتمادى واتكالى إلهى أنت المرجى لكل طالب والمسؤل لكل سائل وراغب أسألك اللهم بما تحت ساق العرش من علمك المكنون وما فوق أعلى حجبك من كائن وما يكون يامن أمره بين الكاف والنون اللهم بحق الانبياء الاصفياء والاولياء والاتقياء من اخترتهم من خلقك وملائكتك أن تنقذنى برحمتك وتحيى هذه البنت على يدى وتداوى عينيها من العمى ياخالق النور والظلم يامن علم آدم الاسماء يا إله العالمين (ياسادة) وإذا بالبنت عطست فأفاقت من غشيتها ودعكت عينيها بكفها وراحتها فسال منها ماء مثل القيح إذا تعصر وفتحت وانجلت ونظرت إلى الأبيض والاحمر والاصفر ونظرت إلى السماء وارتفاعها والارض وانبساطها فزال عنها الغموم بإذن الله الحى القيوم ثم نظرت إلى الملك سيف بن ذى يزن وصاحت واسيداه ورمت روحها عليه واعتنقته وقد غشى عليها فتأملها الملك سيف وإذا بها الملكة ناهد التى دعت عليه سابقا بعد قطع يد سحاب المختطف وعودة البنات إلى أهلهم ودعت أن يأتيها عريان فقال لها وتكونى عمياء ودواؤك على يدى ولما رآها الملك سيف اطمأن قلبه وهدأ روعه فهو كذلك وإذا بالملك دخل عليها شاهراً سيفه والرجال من خلفه فكانت ناهد أفاقت من غشيتها وقعدت على حيلها فلما أقبل ورآها قد فتحت عينها فقال لها ناهد قالت لبيك أبتاه وقامت إليه وقبلت يديه فلما رآها على ذلك الحال فرح فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وقال لها ما قال الحكيم بك فقالت شفانى ربى على يديه بسعادتك يا ملك الزمان ما له على قبل

ذلك منة فإنه خلصنى من المارد المختطاف وردنى إلى أهلى بأمان وكم له على الناس من فضائل ومنن والحمد لله على سلامته ويا ليتنى أكون الفدا فقال لها ومن أين تعرفينه فانى أراك تعانقيه فقالت أما قلت لك هذا الذى أرسلنى إلى أهلى بعد ماقتل المارد الذى كان خطفنى وما كان سبب عماى إلا من أجله وكنت أود أن لا أفارقه فلما سمع أبو ناهد هذا الكلام قال لها هذا الملك سيف ابن ذى يزن الذى أصابك من أجله البلاء والمحن فقالت له هذا هو يا أبتاه فقام إليه الملك واعتنقه وقبله بين عينيه وأمر له ببدلة ملوكى بفصوص المعادن ثم أمر له بالحمام فأخذوه ونظفوه من رعك السفر ومن تلك الاوساخ والضرر وألبسوه البدلة واركبوه وركب الملك وأخذوه بجانبه إلى الديوان فقام الملك واستقبله وأجلسه إلى جانبه ودقت الطبول ونعرت البوقات وزينوا له المدينة وفى تلك الليلة جمع الملك أرباب دولته وعقد له عقد بنته ناهد وعمل فرحا عظيما واطلق المحابيس وغنت المغانى وقامت الأفراح عشرة أيام والحادى عشر من الأيام ألبسوا ناهد أفخر الملابس وأخلوها على الملك سيف فكانت ليلة تعد بليالى ولما دخل عليها قامت له وقبلت يديه وتعانقا ساعة زمانية وأراد أن يزيل بكارتها وإذا بقعقعة من عراقيب القصر فرفع الملك سيف رأسه ينظر ما الخبر وإذا به عيروض قد حضر وهو يقول قم يا ملك الزمان فقال الملك سيف عيروض فقال له لبيك قال له فيماذا أتيت فقال له أتيت آخذك إلى مملكتك وملك أبيك من قبلك فقال الملك سيف أحق ماتقول ياعيروض فقال له أى وحق النقش الذى على خاتم سليمان فلما سمع الملك سيف هذا الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال وما السبب فى ذلك ياعيروض فقال ياسيدى إن هذا ماهو وقت كلام فقم الآن لأنى لا أقدر أن أتأخر عنك فقال السمع والطاعة ثم أنه احتمله على كاهله وأراد أن يطير للجو الأعلى وإذا بناهد صرخت عليه وقالت له إن لم تأخذنى معك إلى بلادك وإلا دعوت عليك دعوة أخرى فقال لها ناهد لما يوصلنى ارسله يأخذك عندى فرفعت رأسها إلى السماء وارادت ان تدعو فقال الملك لا تدعى يا ناهد وانت ياعيروض احملها معنا فإنها تدعو ودعاؤها مجاب وقد جرى عجائب واهوال من حين مادعت على ثم حكى لعيروض ماجرى له بسبب دعائها واخاف ان تدعو على ثانيا يتعب قلبى مثل الأول فقال عيروض السمع والطاعة ثم إن عيروض حمل ناهد مع الملك سيف وسار بالاثنين إلى المدينة الحمراء كما هو مأمور من الذى ارسله فكان السبب فى ذلك ان برنوخ الساحر لما فارق الملك سيف وجاء إلى المدينة الحمراء وفعل ما فعل لقرية السحر من القصبة وارتاح بدنها من الضرورة والتشكيس وهى تظن أنه الحكيم سقرديس كما قدمنا فى كتابنا وفرحت به وطلعته إلى قصرها وفرحت واطمأنت من جهة ولدها وقعد برنوخ يرصدها لما اطمأن قلبها فشربت الخمر المسكر جانبا واضجعت للنوم فصار برنوخ يحكى لها عبارات

وسير ويطاولها بالحديث حتى ان الملعونة قمرية ادركها النوم وبرنوخ يساهرها حتى اندهشت وصار يكلمها فلم تقدر تجاويه وهذا من دواهي برنوخ وعجائبه فمد يده إلى يدها وفك اللوح من على زندها واخذه وخرج وتركها نائمة فى مكانها ورجع إلى مكانه ومعك اللوح من وقته وساعته فاقبل عيروض عليه وقال له نعم ياسيدى برنوخ فقال أمرتك فى هذه الساعة تحضر لى الملك سيف بن ذى يزن من أى مكان فقال له السمع والطاعة وسار عيروض مطرودا طردة الفرح فوجد الملك سيف فى قصر ناهد كما ذكرنا وكانت ليلة الزفاف كما وصفنا فحمل الاثنين وهما الملك سيف وناهد كعادته وبقى فرحان بالذى جرى وسار بهم كسير البرق فى الصحراء حتى وصل بهم إلى المدينة الحمراء ودخل على الحكيم برنوخ الساحر فلما رآه قام له على قدميه وقبله بين عينيه وأجلسه بجانبه وقال له ياملك الزمان خذ هذا لوحك واحترس عليه فانى فعلت من أجله كذا وكذا وحكى له مافعل ففرح الملك سيف واخذ اللوح منه وربطه على زنده كما كان وهو بذلك فرحان وشكر برنوخ الساحر على ذلك واثنى عليه وقعد يتحدث مع برنوج وكل منهم حكى لرفيقه ماجرى له من حين افترقا عن بعضهما إلى هذه الساعة ولم يزالا على مثل ذلك الايضاح وهم فى سرور وافراح إلى أن اصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح قام الملك سيف ودخل إلى كرسى مملكته وجلس وبرنوج الساحر بجانبه وجعلا يتحدثان مع بعضهما وماعندهم أحد (ياسادة) وأما اللعينة قمرية فإنها مازالت نائمة حتى طلع النهار وقامت من نومها فتحت عينيها وقامت على قدميها وسارت إلى نحو كرسى مملكتها مثل عادتها فوجدت على الكرسى ولدها فأحس قلبها بالخيبة والبلية ولحقتها كل رزية وخافت على اللوح خوفا شديدا ومدت يدها اليسار إلى زندها اليمين على أنها تنظر اللوح فما وجدت له خبر ولا وقعت له أثر فذاب قلبها وانفطر وكادت ان يغشى عليها وظنت أن هذا منام واحس قلبها بزوال النعم وزوال النقم وتأملت على يمين ولدها فوجدت برنوخ الساحر مبتسما غير عابس فما بقى لها عقل ولاذهن فرجعت إلى مكرها وخبثها وخضعت بين يدى ولدها والنار قد اشتعلت فى كبدها واجرت الدموع على خدها وقالت ياولداه وا كبداه لا كانت الدنيا ولا كانت المملكة ولاغيرها ولا كان الذين يفرقون بينى إذا قتلتنى يا ولدى ولكن انا التى لك ظالمة وعليك معتديه وانا الغائبة ولايؤاخذك الله بذنبى إذا قتلتنى ياولد وانت فى حل من دمى ثم أنها بكت وتقدمت إليه ومدت رقبتها بين يديه وقالت له ياولدي ارح نفسك منى وبسيفك اقتلني وانت برىء من دمى فلما سمع برنوخ كلامها قال للملك سيف ان اطعتنى ياولدى اقتلها واضربها بسيفك فى هذه الساعة ولايغرك من قولها هذا المكر والخداع وإن قتلتها لك فيه غاية الاصلاح فإنها والله أن ظفرت بك ثانيا لم تخلى شيئا من جهدها معك حتى تفعله ولم تبق عليك ولايغرك تذللها بين يديك ان

تذللها عذا الوقت بالزور والبهتان من تشتيتك ورميك فى أحد مكان فقال الملك سيف اليزن وقد رجع إلى طيبه أصله لانه ملك وابن ملك ولا يؤثر عنده فعل السوء لانه معتمد على الله ولا يخشى أفعال المخلوق فقال ابرنوخ يا أخى دعها تفعل ماتشاء فانها أمى وهى واقفة تذلل بين يدى لعلها يا أخى تكون تابت لأنى يا أخى قلبى حن عليها ولا يمكننى قتلها أبدا فلما سمع برنوخ الساحر كلامه لم يطق الصبر وقال له يا ملك أما قولها فزخاريف محال ولا تأمن مكرها وأما إن كان على قولك توقير الوالدة عليك واجب صدقت لكن إذا كانت مؤمنة وعليك شفوقة ومحسنة وهذه بخلاف الأمهات فاقتلها بيدك وإلا اسجنها عندك وأما إذا لم تطعنى فى المقال فما أقيم فى هذه الأطلال ولا تلوم إلا نفسك إذا قاسيت منها أشد الاهوال قال فعند ذلك استحى الملك سيف من برنوخ الساحر وطاوعه فى المقال وقد عفا عن أمه من القتل ولكن وضعها فى القيود والأغلال



قمرية الساحره الماكرة وهى مقيدة فى السجن

والباشات الثقال وأنزلها برنوخ فى طابقة تحت الأرض ووكل بها جارية تطعمها وتسقيها وتركوها ويكون لها كلام وأما الملك سيف فإنه بعد ذلك أمر ابرنوخ الخلع السنية وأعطاه أوفى عطية وأجلسه بجانبه وصار عنده أعز من أهله وأقاربه وأما الملكة ناهد فانه أفرد لها مقصورة فى القصر وأكرمها إكراما زائدا ورتب لها الخدام والجوارى وصار يتسلى بها ويقول

لقد أبطأ علينا الملك أبو تاج وما حضر عندي وهو معه زوجتي شامة ودمر ولدى وأقامت فاهد فى مكانها وأقام الملك وهو يتعاطى الأحكام وأما برنوخ الساحر فانه لما فرغت حيلته وأخذ من قمرية اللوح وتركها عليه متحسرة تبكى وتنوح وجرى من الامر ماجرى أرسل من طرفه خادما وأمره ان يقول للمارد الذى كان ارسله يعوق القاصد الذى كانت ارسلته قمرية للملك سيف ارعدوكان برنوخ ارسل له عوقه ولما قضيت تلك الدعوة ارسل ماردا يأمره باطلاقه ولما انطلق القاصد سار إلى الملك سيف ارعد وهو مجتهد فى قطع البر والفدفد وله كلام وأما الملك سيف ابن ذى يزن فانه أقام على كرسى المملكة ودخلت عليه الخدم وخضعوا بين يديه كما يفعلوا بالملوك فقال الملك ارفعوا رؤوسكم فان السجود لايكون إلا للملك المعبود وأما أهل الإيمان ودولة الإسلام فما عندهم تحية إلا للسلام فاعرفوا ذلك ولاتخالفوه فقالوا جميعا سمعا وطاعة وشكر كلامه كل الجماعة ووصلت الاخبار إلى الملك افراح ابو شامة بأن الملك سيف اليزن اتى بالسلامة ففرح فرحا شديدا وكذلك وصل الخبر إلى سعدون الزنجى فركب فى جماعته وأتى إلى الملك افراح واعلمه بما سمع فقال له وانا سمعت مثلك فأرسلوا من طرفهم رسولا يكشف لهم الاخبار على هجين بجارية فما غاب إلا قليل واتى إليهم بصحة الاقاويل فجمع الملك افراح عساكره ورجاله وحريمه وعياله وكذلك سعدون وساروا إلى المدينة الحمراء ودخلوا على الملك سيف بن ذى يزن فقام إليهم واجلسهم وفرح بهم وبسلامتهم ودقت لهم الطبول وانست بهم المنازل والطلول ونعرت بالبوقات وكان دخولهم فى يوم احسن من أيام الأعياد والتقت الرجال بالرجال وهنوا الملك سيف بالسلامة فأمر لهم بالخلع الغوال وافاض عليهم شيئا كثيرا من الاموال وثانى الايام جلس الملك سيف اليزن فى دست مملكته وجعل الملك افراح عن يمينه وسعدون الزنجى عن يساره وقال لبرنوخ الساحر انت ماتصلح ان تكون وزيرا وما انت إلا أخ شقيق ونصير والرأى عندى ان يكون كرسيك قدامى ولا تفتر من امامى حتى تعلم الناس أن مقامك مثل مقامى فشكره برنوخ وأثنى عليه وقال له والله ياملك ما انت إلا من أكبر الناس فى الكرم والانعام وفضلك عن ما انساه على طول الدوام لأنك انت السبب فى دخولى فى دين الإسلام ويجب على أن أكون لك من جملة العبيد والخدام فشكره الملك سيف على ذلك وهم فى هناء وإنعام وأما الملك افراح فانه قال للملك سيف اليزن اخبرنى كيف قـــدرت على هذه الملعونة الخائنة المفتونة حتى خلصت منها فقال له والله ما اجتهد لى فى ذلك إلا الحكيم برنوخ الساحر وحكى له على ما فعل من الحيلة من الأول إلى الآخر وقال فى آخر الكلام والحمد لله الذى جعل العاقبة إلى السلامة فعند ذلك فرح الملك افراح بتلك العلامة وقال ياملك وهل اجتمعت بزوجتك الملكة شامة فقال له نعم وحكى له على ما جرى فى وادى الغيلان وما جرى لشامة فى وادى الطودان وأن شامة فى هناء وأمان

وخلفت له ذكر كأنه البدر إذا بدر وسمته الملك دمر وهى قادمة عن قريب فى فرح وابتهاج صحبة الملك أبو تاج فاستبشر الملك افراح وايقن بالافراح وما كان إلا أيام قلائل حتى قدمت مراكب فى البحر وقلاعهم مثل اجنحة النسور فانظروها على مينه المدينة الحمراء إذاهم إليها مقبلون وعليها واردون وأقاموا إليهم ببيارق ورايات وكان هذا الملك أبو تاج وقد رجوا البحر ارتجاج ولما علم بقدومه الخدم دخلوا على الملك سيف وأعلموه أن الملك أبو تاج أقبل والعساكر معه فى جمع عظيم وجحفل فأمر بالزينه فى البلد وأمر أرباب الدولة أن تطلع إلى الملك أبو تاج وتستقبله من على المينه بالخيل والنجائب وأفرد عماريه للملكة شامه وطلعت من البحر وركبت فى العماريه وسارت مع جواريها حتى دخلت

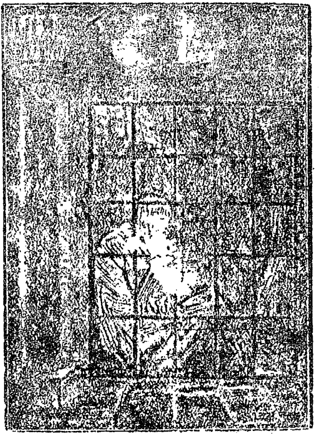


قصرها وقد هدأ سرها وأما الملك أبو تاج فإنه دخل فى موكب لا يوصف بلسان راحرت. قدامه الخدم والغلمان وعساكره دخلت من خلفه كأنهم زهر البستان حتى وصل إلى الديوان فقام الملك سيف وتلقاه وفرح عند ملتقاه وأخذه بالاحضان وامر بكرسى فجلس عنده فى أعز مكان وسلم على الملك أفراح وعلى المقدم سعدون الزنجى وبعد السلام سأله الملك بن ذى يزن عن غيابه فقال الملك أبو تاج ياملك الزمان نحن ما تأخرنا وغبنا إلا لما تهنا إلا اننا ياملك تهنا فى البحار وأشرفنا على الدمار ولكن الله سلمنا من الاضرار واتينا ونجونا من الاشرار فقال الملك سيف هذه للنصر والسعد علامه ونحمد الله تعالى على ما أولانا من السلامه ثم أن الملك سيف أحضر أرباب العمارات وأمر

أن يبنى للملك أبو تاج قصر لإقامته ومعه أرباب دولته وأخرج لهم الأقبنة والخيم يقيمون فيها هنا حتى يتكامل البناء وأخرج لهم العلوفات والاقامة وكل مايحتاجون إليه من المأكول والمشروب وحمد الله الملك سيف باجتماع الشمل بين كل محب ومحبوب هـــذا ماجرى هاهنا وأما قمرية فانها بقيت على حالها فى السجن وطال عليها المطال ومهالك السجن والوبال فرجعت إلى مكرها وخداعها وكهانتها وجعلت نفسها ضعيفة ورمت نفسها إلى الأرض وصارت تبول وتتغوط على ثيابها وتنازع وتتأوه ولم تزل على هذه الحالة إلى أن ضجرت الجارية الموكلة وخافت أن تموت بمرضها ولا يعلم بها ولدها وكانت اتت لها بالطعام فلم تأكل فتركتها بعدما غسلت لها ثيابها ونظفتها خوفا من ولدها وتركتها ومضت إلى الملك سيف ورصدته وهو عند الملكة شامة وقالت له يا سيدى اعلم أن أمك الملكة قمرية غلبت عليها الاوجاع ومابقى بينها وبين الموت إلا باع أوذراع ولا تاكل ولا تشرب وتبول وتتغوط فى ثيابها ولا تعى نفسها من شدة ما بها فلما سمع الملك سيف تغير لونه واضطرب قلبه وقال ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأنا ما أخاف إلاأن تموت وهى غاضبة على ثم أن الملك سيف قام على الاقدام ولم يعلم أحدا من اصحابه بتلك الأحكام وسار مع الجارية ودموعه على خدوده جارية حتى أقبل إلى أمه وكانت فى طابقة تنزل إليها فرآها على تلك الحالة فبكى بكاء شديدا ماعليه من مزيدورثى لحالها وأمران يطلقوها من عقالها وأخرجها من السجن وتقدم إليها وقبل رأسها ويديها ففتحت عينيها وقالت له ولدى أنا الذى بغيت عليك ظلما وظلمتك بالفعل الردى فلايؤ اخذك الله بذنبى وكان كلامها بصوت ضعيف فعند ذلك أمر بادخالها الحمام فادخلوها وغسلوها والبسوها أفخر الثياب المزركشة بالحرير والذهب الاحمر الفاتن وأجلسوها فى مكان من أحسن الاماكن هذه والملعونة تظهرلهم الضعف والمسكنة والخبث والمكر والملعنة كل هذا والملك سيف كاتم أمره لم يطلع أحدا على سره خوفا من برنوخ أن يجادله فى أمرها ويحذره من شرها وبعد ذلك أمر الخدم أن لايخرجوها من مكانها الذى هى فيه والخدم لا يعلمون بشىء من ذلك وكان جعلها فى مكان مقتصرقريب من قصره وفى تلك الايام إقبل الخدم على الملك سيف بن ذى يزن وقالوا له يا ملك قد أقبل اثنان من الحكماء من عند الملك سيف أرعد ملك مـــلوك الحبشة والسودان واسمهما الحكيم سقرديس الذى تولى من المكر مرتبة إبليس والحكيم سنقرديون وهو الباغى المفتون وقدأتيا من مدينة الدور السبعة قصور من عند الملك سيف أرعد فما الذى تأمرنا به أن نفعله معهما فقال الملك سيف وقد أظهر لهم الابتسام ادعوهما إلى عندى يحضرون حتى اسألهما فلما ذا اقبلا فعاد الخدم كما أمر

والتهوا فى أشغالهم وكان السبب فى مجىء هذين الحكيمين القاصد الذى كانت أرسلته قمرية وكان المادر عاقه عندما سافر بامر برنوخ الساحر ولما قضى حاجته برنوخ من قمرية وأخذ اللوح منها وزادت بها الرزية أرسل المارد وأمره أن يطلق القاصد فلما انطلق سار يقطع البرارى والقفار حتى دخل مدينة الدور على الملك سيف أرعد ملك الارض والبلاد وقبل الأرض بين يديه فالتفت الملك سيف أرعد اليه وقال له من أين أتيت وأين جاريتى فقال له يا ملك أنا أتيت من عند جاريتك قمريه ومعى منها كتاب ورسالة بالكلية فاخذ الملك منه الكتاب وفضه فرأى فيه من الجارية قمرية إلى بين يدى سيدها الملك سيف أرعد الملك على كل برو فدفدا علم ياملك الزمان انى تحايلت على ولدى وكان عاد عندى ومعه لوح استخدام فاحتلت عليه حتى أخذته وكان ذلك ليله دخلته على زوجته شامة بنت الملك أفراح وأمرت خادم اللوح ان يرميهما فى وادى الغيلان وارض الطودان واقلت انى ارتحت فعاد ثانيا وهو سالم فامرت الخادم فرماه فى جبل الدخان ووادى النار والفج العميق فاتى معه برنوخ الساحر وقعدلى قدام المدينة والقى على الابواب سحرا مرضنى وقصده يهلكنى ويأخذ اللوح وانا يا ملك فى عرضك ادركنى لأنى عركت اللوح فاتانى خادمه واسمه عيروض ابن الاحمر فسالته عن مرضى فقال هذه فعال برنوخ الساحر والسبب فيه ولدك الملك سيف ذو يزن وهو الذى ارسل لك هذا الحكيم حتى يخلص منك اللوح وهو مقيم قريبا من هذه المدينة فقلت له هاته لى فقال مالى قدرة عليه وما يقدر عليه إلا حكماء مثل سقرديون وأنا ياملك فى عرضك ارسل هذين الحكيمين لاجل ان ينظرا حالى ويضربا لى تخت رمل وينظرا هذا الساحر لعلهما يقبضان عليه وانا ارسل احضر ولدى سيف ذا يزن واقدم الجميع بين يديك تفعل بهم ماتريد وتريح بلاد الحبشة من الجميع وسألتك بحق زحل لا تتخلى عنى ياملك وأرسل الحكيمين والسلام فلما سمع الملك سيف أرعد مافى الكتاب ماقدر ان يخالف لأجل انها اقسمت عليه بزحل فأمر الحكيمين أن يسيرا لها فاجاباه بالسمع والطاعة فقال الحكيم سقرديون لاخيه سقرديس يا أخى أنه خائف أن يكون هذا امرا مشكلا صعب فانى خائف منه ومرتعب فقال له سقرديس لا تخف وعمرك ما حسبت حسابا ولقيته صوابا وانا أقول ولحيتى انه حياة أمر يسير ولا يصيبنا منه إلا كل الخير ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى المدينة المذكورة فمنعهما الحاجب عن الدخول وقال لهما قفا مكانكما حتى اشاور عليكما الملكة قمرية فدخل على الملك سيف ذى يزن واخبره كما ذكرنا فكان هـــذا الأصل والسبب وأما الملك سيف فإنه خلع على الحاجب وقال له ائت بهما إلى الديوان فقال سمعا وطاعة فماه وأتى بهما إلى الديوان فنظر الحكيمان إلى الديوان فرأيا الملك قاعدا وعلى يمينه الملك افراح وسعدون الزنجى ورأيا الحجاب والنواب وعالما لا يحصى سبحان مفنى العالم ورأى برنوخ

الساحر وهو يهمهم ويدمدم ويحفظ الملك سيف ورجاله من المكر والحيف ولما رأيا نفوسهما بين أيادى الملك سيف ووثهت العين على العين فتمنيا أن الأرض تبلعهما أو تغور بهما فرجعا إلى خداعهما ومكرهما وقبلا الأرض وقد ثقلت رؤسهما فى الأرض حتى ظن كل منهما أن فوق قلبه ورأسه جبلا وقد وسخا فى ثيابهما ورفعا بعد ذلك رؤسهما ونظر سقرديون إلى أخيه سقرديس وقال له بالإشارة أنا ما قلت لك على هذا المنام القصص فانه لا ينقص وقد وقعنا فى يد من لا يرحمنا فقال له أخوه وكان الكلام بالإشارة لامر لزحل فقال الملك سيف ذى يزن أهلا وسهلا بالحكيمين اللذين أتيا يدبرا مكايد من علومهما فقد أوقعكما الله فى مكركما والآن ما بقى لكما خلاص من ضيق الأقفاص فلما سمع ذلك الكلام لم يقدر احد يرد عليه جرابا وكان عندهم ضرب الرقاب أهون من ذلك المصاب فعند ذلك أمر الملك سيف بقبضهما فقال برنوخ اجعلهما عند قمرية فى السجن معا فقال له انا أمى قد خلصتها من السجن لأنى رأيتها تلفت ومرضت فأمر لو بخلاصها فلما سمع أهل الديوان هذا الكلام قاموا على الأقدام واخذهم الهياج وقالوا له يا ملك الزمان ائذن لنا بالرحيل إلى بلادنا ولا نقيم ابداهنا فقال لهم الملك سيف لأى شيء ترحلون فقالوا له خوفا من أمك لئلا تعمل لنا مكيدة وتوقعنا فيها ولا نأمن من مكرها ودواهيها وأنت لك أخت تخلصك من الهوان وأما نحن فمن يخلصنا من الأنام إذا وقعنا فى التلف والإعدام ونحن كنا أمرنا الا بقتلها لخالفتنا وسجنتها وقد رجعت إلى الفعل الذميم واطلقتها من سجنها ورددتها فى عزها فأمرنا بالمسير من هنا حتى نأمن منها على نفوسنا فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام تفكر فى نفسه ساعة وقال لهم يا إخوانى وحق إبراهيم الخليل إنى ما شفقت عليها إلا لما رأيتها على حياض الموت ولكن ما أقدر على مخالفتكم ثم أمرهم بسجنها فقام الرجال لقمرية وقبضوها وإلى السجن انزلوها وسلسلوا عنقها بطوق من البولاد وقرنوا الحكيمين معا فى الأغلال والأصفاد وانزلوهم فى طابق يقاسون فيه العذاب من الظلام والضباب واغلقوا عليهم القباب وطابت قلوب الرجال بتلك الأسباب هذا ما جرى يا سادة والحكيمان لما بقيا فى السحر قالا لها يا ملكة قمرية إيش جرى عليك بعد ما أرسلت لنا وإيش الذى سجنك وكيف اوقعتينا معك فى الإشراك واجتمع المتعوس على خائب الرجا فقالت لهم إن هذا السبب عجيب وهو انى أرسلت إلى الملك اطلبكما منه بسبب مرضى وكان ذلك من فعال برنوخ الساحر فانه أرسل على باب الرجفة والخفقان وغير ذلك ولما أرسلت لكما الرسول من عندى بعد أن عجز الأطباء فنظره برنوخ الساحر فقبض عليه وتصور لى فى صفة سقرديس ودخل على بحيلة وأنا أظن أنه أحدكما لا محالة وأخذنى وسار بى إلى الجبل واخرج لى قصبة السحر والعمل وأمر بحرقها وبطل عنى كل ما كان اعترانى وصبر حتى نمت وقام وسرق



صورة السجن

اللوح منى وأرسل عيروض فاحضر الملك سيف فى الحال وأعطاه لوح عيروض وأراد قتلى فتخضعت له حتى أمر لى بالسجن وفى هذه الأيام أظهرت العياء والضعف فدخل على ورآنى على ذلك الحال فقلت له ياولدى اقتلنى وارحمنى وأنت برىء من دمى ولم يبق على عذاب عند وان الأعادى هم الذين كانوا سلطونى عليك وقالوا لى إن ابنك لايحبك وعيرونى بذلك الكلام فطاوعت الشيطان وفعلت معك هذه الفعال فاعمل معى بأصلك واقتلنى بيدك وادفنى عندك حتى إذا كنت ميتة انظر اليك فلما سمع مقالى وانطلى عليه محالى حن قلبه على ورثى ولكنه خاف من الدولة الأنذال لأنهم قالوا إن امك فعلت معك هذه الفعال وأنت تشفق عليها فأعادونى إلى السجن وقد جئتما انتما على غفلة منكما فقبضتكما ووضعتكما فى السجن ولم يبق إلا المكر والحيلة وإلا فوقعتنا معهم طويلة وأسعى فى خلاصى وخلاصكما لتذهبا إلى أرضكما وبلادكما وبعد ذلك أحتال عليه وآخذ منه اللوح وأسلب منه العقل والروح وأرميه فى مصيبة لا يخلص منها أبدا

وفيها يشرب كأس الردى فلما سمع منها الحكيمان ذلك الكلام قالا لها يا ملكة إن الحيل كثيرة لكن نخاف أن تصنع حيلة فيعلم بها هذا الملك الظالم فيقتلنا ونحن فى قبضته ولا نجد خلاصا من شبكته والصواب أن تصنعى حيلة فيها خلاصنا فانا إذا كنا خالصين نكون فى هلاكه مجتهدين فقالت أما مرادى أن آكل عشبة من الأعشاب إذا أكلته تغير لونى بالصفار واعمل أنى ضعيفة وإذا أتانى أحد من طرفه ونظر إلى حالى يذهب اليه ويعلمه بما جرى لى فيأتى إلى ويطلقنى رغما عن جميع أصحابه لأنه صافى ولا يعرف المكر والخداع بالكلية وإذا أطلقنى دبرت فى هلاكه وهلاك الملك أفراح وسعدون و برنوخ وباقى الرجال وأرميتهم جميعا فى شباك الاحتيال فقال لها أحدهما هذا هو الصواب وأنا فى جربنديتى عشب ياملكة قرية يصلح لتلك القضية وهو لذلك نافع وكل من أكل منه تغير لونه وينتقل من البياض والاحمرار إلى لون الاصفرار وأما أخى فمعه ضده إذا أكله الإنسان يعود كما كان ويطيب ثم يرجع إلى حالته الأصلية عن قريب وتفارقه تلك الصفره ثم ان سقرديس اخرج من جربنديته عشبا اخضر اللون وقال لها خذى كليه فانه يصفر اللون ويفتح البطن ويسهل المعدة وإذا أردت بعد ذلك ان تصرفى عنك ذلك فكلى من هذا العشب الأصفر الذى مع اخى فإنه يزول كل ما كان بك ثم أنه أخذ الجربندية الثانية وأخرج لها ضده فاخذت العشبين واكلت من العشب الأول فانتفخت بطنها وانتفخت وزاد كربها واصفر لونها فصار كل من رآها يقول إنها مريضة من مائة سنة وأظهرت الصراخ والعياط وما زالت على ذلك حتى دخلت عليها الجارية الموكلة بخدمتها فرأت حالها فقالت لها ما تريدين ان تفعلى بدهاك لعن الله تعالى اياك ولا رحمك ربنا ولا نجاك فقالت لها ان قلبى يوجعنى واعضائى تؤلمنى وما اعلم بالذى جرى لى فقالت لها الجارية لعله الموت العاجل ياعاهرة يافاجرة ثم تركتها ولم تعلم احدا بخبرها وثانى الأيام زادت عليها الآلام وثالث الأيام ورمت وعلت اعضاؤها بالأورام وانتقلت من حال إلى حال وما دامت تنقلب مثل الثعبان وهى تبكى بكاء الحزين الولهان وتقول ياولدى لايؤاخذك الله بذنبى فأنا كنت الظالمة عليك وماخوفى إلا ان اموت ولم انظر إليك وانا مشتاقة إلى رؤيتك قبل موتى ثم انها غابت عن الوجود (قال الراوى) فلما نظرت الجارية إلى حالها خافت على نفسها من الملك سيف ان يقتلها وقالت فى نفسها إذا ماتت هذه اللعينة ويعلم الملك سيف بحالها يلومنى على ذلك وربما قتلنى وانزل بى المهالك ثم انها صبرت عليها حتى افاقت من غشيتها وقالت لها ما الذى تريدينه ياملكة فقالت لها إنى اريد ان تمضى إلى الملك سيف وتعلميه بحالى والذى اصابنى وجرى لى ولا تعلمى احدا من الدولة وقولى له إن امك قد اشرفت على الهلاك ولا تعيش إلى

حد وهذا اليوم آخر أيامها من الدنيا وتريد أن تنظرك وتتودع منك وتوصيك بما تريدمنك وهذه حاجتي عندك أيتها الجارية فقالت لها الجارية سمعا وطاعة وأغلقت عليها الباب ورصدت الملك سيف حتى انفض الديوان وأراد الملك أن يدخل الحريم فاعترضته وتقدمت إلى بين يديه وقبلتهما وقالت له ياملك الزمان إني أبدأ أن أقص عليك قصة والدتك وهذا شيء يلزمني أن أعلمك به سرا فقال لها قولي ما بدا لك ثم صرف كل من كان حاضرا وقال لها ما الذي تخبريني فقالت له ياملك الزمان أن أمك الملكة قمرية قد انكتم عليها المكان فضعفت وزاد عليها المرض وتورمت وأشرفت على الموت وهي تقرئك السلام وتخصك بالتحية والاكرام وتدعوك اليها لاجل أن تنظرك بالعين قبل موتها وأنها ياملك الزمان تدعو لك بقلبها واللسان وتسامحك فيما فعلت من كل مكان وما أنا يامولاي أتيت إليك وأعلمتك وأديت الرسالة وبلغت المقالة فلما سمع الملك سيف ذلك المقال غضب غضبا شديدا ماعليه من مزيد وقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال للجارية امضي أمامي إلى والدتي لعلي أن أدركها قبل أن تموت وهي غاضبة علي والله اني نسيتها في السجن إلى الآن وان ذلك أكبر العار ومن الذل والنقصان أن يكلموا في حق جمع الاقران ويقولوا أن الملك سيف أمه ماتت في السجن وهي مسجونة بأمر ولدها هذا وقد ساروا إلى السجن وفتحوه وتأمل الملك سيف أمه فرآها غائبة عن الوجود وقد تماوتت وأظهرت للملك باب المكر والخداع والالم والاسقام وبقت تتمرغ على الفراش يمينا وشمالا وهي على ذلك الحال فلما رآها ولد. اقال إنا لله وإنا إليه راجعون وصعب عليه وتقدم إليها وقدمه عند رأسها ويكي عليها وتحسر واباطلي عايه ذلك الأمر وأحسن أن قلبه يتلظى على الجمر وإذا فتحت عينها فرأت ولدها قاعدا على رأسها فتأوهت على نفسها بمكرها وخبثها وقالت له ياسيف فقال لها نعم يا أماه فقالت ياولدي سامحني فاني يا ولدي تعديت عليك وقد ظلمتك ورميتك وشتتك من بلاد إلى اقصى البلاد وكان ذلك بأمر الملك الجوا واطلب منك ياولدي أنك تسامحني فيما جنيت فاني ظلمتك وعليك تعديت فقال لها يا أماه وأنا أطلبك أن تسامحيني وتصفحي عني ولا تؤاخذيني فقالت له يا ولدي أنت ما فعلت معي إلا ما أستحق وأنا ياولدي سامحت في كل ما فعلت لأنك على كل حال ولدي ومهجة كبدي وعليك في كل الأمور معتمدي وأنا أسأل الله تعالى أن يسامحك من قلبي ويبيح لك دمي لانك معذور في ذلك ولا ذنب عليك وإني أنا الظالمة عليك ثم أنها بكت وأنشدت تقول شعراً :

لك الحمد يامولاي في السر والجهر ... وإنك تعلم ماجنيت مدى الدهر
فيارب فارحمني فاني ضعيفة ... ومحتاجة نيـــل المحاسن والبر
أنا في أشد الكروب ياخالق الورى ... أقاسي نزاع الموت إذ يأت بالهور

أموج على فراشي ولا لي مساعد　　يسندني ذات الميامن واليسر
ومسجونة في طابق السجن ظلمه　　فلا راحما أرجوه في ضيقة الأمر
وها أنا في كرب النزاع وحالتي　　تدل على أني تذهبت في العمر
أحس بروحي تنجذب من حشاشتي　　كجذب عصير الماء من الورق الخضر
فيـــارب صبرني على ما بلوتني　　فأنت الذى ندعوك بالحمد والشكر

(قال الراوى) إن قمرية لما قالت ذلك الشعر والنظام لم يتمالك ولدها عقله وضاع ثقله وحارت منه الافهام وقال والله تعالى ما أخلى أمي تموت هكذا أبدا ولو أشرب دونها شراب لردى وقد بكى على فعله معها وأمر باخراجها من السجن وأن يحموها ويلبسوها مايليق لها من الملابس وينقلوها إلى الاماكن العالية فقال الخدم سمعاً وطاعة وفعلوا ما أمرهم الملك سيف وأخرجوها ثم حملوها والبسوها ودخل عليها الملك ينظر حالها فرآها ومرضها فقعد عند رأسها وبكى عليها فقالت له يا ولدى لا تبك الله ينصرك على أعدائك والحساد ويجعل فضلك مشهوراً بين العباد ثم أشارت تمدحه وتدعو له وتقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات :

جار الزمان على جسمي واضناني　　وهد حيلي وبالأوجاع ابلاني
وكنت مسجونه في ارض مظلمة　　فمن بالنـــور خلاق لأعياني
لولاك يا سيف يا ولدى فما أحد　　رثى لحالي وكل الناس عاداني
مع أني معك يا ولدى فعلت أسى　　لما رميتك إذ إبليس أغواني
وهؤلاء الأعـادى يبتغوا تلفي　　لأن فعلي فعل الخائن الجاني
أخذت لوحك وألقيت ببلقعة　　وزوجة لك من ظلمي وعدواني
والحمد لله نجاك الكريم ونلت　　ما تؤمل في سر واعـــلان
أرجوك يا ولدى في أن تسامحني　　فقد مضى أجلي والموت وافاني
الله يعطيك ما ترجوه من طلب　　من المعـــالى بأفضالي واحساني
ومن يعاديك يبقى وسط بلقعة　　نهب الجوارح من وحش وغيلان

(قال الراوى) فلما فرغت قمريه من شعرها وما قالته من مقالها انكب الملك سيف على اقدامها وصار يقبلها وحزن عليها وقال لها يا أماه لا كانت الدنيا ولا كان هذا اللوح الذى يفرق بيني وبينك فان شئت خذيه وافعلي به ما بدا لك معى فقالت يا ولدى لوحك حفظه الله عليك ويكون مباركا اليك فقام سيف وتركها في مخدعها من داخل القصر وخرج إلى الديوان ولم يعلم بذلك أحد إلى أن انقضى ذلك النهار ودخل الليـــل بالاعتكار وانفض الديوان ودخل الملك مخدعه وتخفف مما

كان عليه من ملابسه وبالأمر المقدر الذى سبق من عند الله خالقه أنه خلع سلسلة اللوح من عنقه ووضعه فى علبة من المعدن ووضع العلبة بين الحيط والمخدة ووضع رأسه فوق المخدة وظن فى باله أن لا أحد يقدر أن يسطو عليه وقال لناهد اغلقى باب المخدع فقالت سمعا وطاعة وأرادت أن تقوم فكان ثقل عليها النوم فنام الاثنان وهذه كلها أسباب مقدرها رب الأرباب ومسطرة على الخلوق فى أم الكتاب (قال الراوى) وإن قمرية قامت من مكانها نصف الليل ومشت فى القصر وهى تقول فى بالها إذا رآنى أحد أقول إنى قصدت أشم الهواء وما زالت تمشى وحتى وصلت إلى مخدع ولدها الملك سيف بن ذى يزن فوجدت الباب مفتوحا وتأملت تنظر ولدها وهو نائم أو يقظان فلم تسمع إلا غطيط النوم فتقدمت عند الفراش فوجدت الملك سيف نائما على ظهره والملكة ناهد نائمة على ظهرها ولم يكن فى المكان غيرهما ونظرت إلى سلسلة اللوح لم تجدها فى رقبته فزاغت عيناها فرأت العلبة فمدت يدها وأخذتها وفتحتها فوجدت اللوح فيها فلما رأت ذلك عادت إلى مكانها وقد نزع الله الرحمة من قلبها وهى كا قدمنا كافرة فطلعت وقلبها يكاد يطير من الفرح وهى كأنها ملكت الدنيا شرقا وغربا ولما جلست فى مكانها وأخرجت اللوح وحركته حضر عيروض من ساعته وهو يقول نعم يا ملكة الزمان فقالت له أئتنى بالحكماء وهم سقرديس وسقرديون فقال سمعا وطاعة وخرج من عندها وما غاب إلا قليلا وأوقفهم بين يديها فلما رأوها هنوها بالسلامة وبعد ذلك أمرت عيروضا أن يوصلهم إلى مدينة الدور عند الملك سيف ارعد والحكماء معها لأنها قالت دبروا لى شيئا أهلك به ولدى ومن معه فقالوا لها يا ملكة هذا ما تبلغى غرضك فمن ذلك طلبت مدينة الدور عند الملك سيف أرعد والحكماء معها فأخذهم عيروض وسار بهم فى الجو حتى أنزلهم فى مدينة الدور وكان نزولهم ليلا فقالت قمرية للحكماء إيش عندكم من التدبير فأول من جاوبها كان سقرديون وقال لها قبل ما تقولى شيئا اعرضى على الملك سيف أرعد فقالت لهم والله يا كلاب ما أنا وأخوك إلا مثل قوارتين من فخار فارغين لا منكم نجدة ولا تنفعون فى شدة ولكن أنا مثل ما طلبتكم ها أنا عاردتكم إلى ملككم ادخلوا إليه وسلموا لى عليه وقالت ردنى يا عيروض مكانى فقال لها سمعا وطاعة وقالت لعيروض إن ولدى سيف حكى لى من مدة أن أخته عاقصه أدخلته بلاد أفلاطون ومن هناك أخذ القلنسوة منهم وأنا اعلم إن لى قلوبهم منه النار التى لا تطفى واللهيب الذى لا يخفى لأجل ما فعل معهم ولن هم رأوه يأكلوا لحمه ويشربوا دمه وأنا أمرتك أن تأخذ ولدى سيف وتسير به إلى مدينة الحكيم أفلاطون فإذا وصلت إليها نادى بصوتك فى القفار وارم على أهلها شرار النار فإذا اجتمعوا وقالوا لك ما الذى تريد منا ولأى شىء بالنار ترجمنا فقل له أتعرفون الذى جاءكم سابقا وسرق منكم القلنسوة التى كانت للحكيم أفلاطون فإذا قالوا لك وأين هو فقل لهم ها هو معى فإذا قالوا لك أعطنه لنا حتى تأخذ منه القلنسوة التى للملكنا فقل لهم إنه قطعها فإن أردتم أن تقتلوه حتى تأخذوا ثأركم فاخرجوا إلى واسع الخلا

كلكم وانظروه معى بأعينكم واشهروا سيوفكم وحرابكم واجعلوا أسنتها فوق وكاثرها إلى الأرض حتى أرميه لكم وشيلوه على شفار سيوفكم وأسنة حرابكم وأنا أرميه لكم من علو مائة قامة فاذا فعلوا ذلك ووقفوا بأسلحتهم كما أعلمتهم وأمرتهم فاصعد به إلى الجو الأعلى وارمه على تلك السهام والسيوف حتى يبقى بدنه كالقطن المندوف وهذه طلبتى يا عيروض لأجل أن يهلك فى هذه النوبة ويموت وعد إلى فى الحال من بعد ذلك الفعال فقال عيروض سمعا وطاعة وخرج من عندها وبكى وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وسار وهو باكى العين حزين القلب حتى دخل الملك سيف بن ذى يزن وهو فى منامه ولذيذ أحلامه ولا يعلم ماقضاه المولى عليه من أحكامه على رأى القائل حيث يقول :

أيا من غرقتم فى الكرى طول ليلكم ... وأظهرتم لهو الهوى وشجون
أمنتم ونمتم واغـترتم بـلذة ... ولم تعلمـوا أن الزمان خؤون
خذوا حذركم من نكبة الدهر إنها ... إذا لم تكن كانت فسوف تكون

قال فانقض عليه عيروض اقتلعه من فراشه وحمله على كاهله وصعد به إلى الجو الأعلى وكانت ليلة شتاء والهواء بارد فأحس به الملك سيف فانتبه من النوم فرأى نفسه طائرا فقال فى نفسه يكون هذا مناما وزمر الهواء فى أذنه وهو بين السماء والأرض ونظر إلى الذى هو حامله فوجده عيروضا فقال يا عيروض إيش جرى فقال عيروض الله يزيدك ما أنت فيه من أملك وأفعالها يا ملك أنت مالك عقل ولا تقبل نصيحة ناصح كأنك إلا قطعة حجر جلمد يعثر فيك كل واحد كيف تريد أن تبقى ملكا وسلطان ويخدمك الإنس والجان وتدور يدك على حكماء وسحراء وأرباب علوم الأقلام وأحبار وكهان وأنت على هذا الحساب ناقص والعقل خرفان ويدخل عليك بدع امرأة كافرة بالعزيز الديان وتشتت شملك من مكان إلى مكان وأنت ما أنت عاقل كان عقلك ناقص مختلط بحنان أتعبت برنوخ الساحر وأقام أياما وليالى حتى خلص لوحى منها بالاحتيال ولما ملكته فى يدك كأنك ما تعبت عليه حتى رميته من رقبتك وفرطت فيه وبعد ما نفذ القضاء وحكمتنى هذه الملعونة بقهر لا بالرضا وملكت لوحى وأحضرتنى وبتشتيتك ورميتك الرمية الخامسة أمرتنى وأنت نائم فى فراشك كأنك عدمت معاشك ولما رأيت نفسك على كاهلى تقول يا عيروض هل ترى إيش مرادك منى حتى أردك لعل الله يرزقك بعارض من السماء ينزل عليك ويقطع الله يديك ورجليك ويحرمنى بعدها عينيك لأنك حرقت قلبى يا قطاعة الانس وأوقعتنى فى يدى هذه الملعونة الجنس تفعل بى ما تريد وتحكم فى حكم الموالى على العبيد وصار عيروض يوبخ الملك سيف ابن ذى يزن بمثل هذا الكلام الذى كل كلمة منه أمر من ضرب الحسام وماكان سبق له بذلك عادة فقال له الملك سيف إيش الخبر يا عيروض أنا أسألك سؤال حسن وأنت تقول كل هذا

الكلام أما تعلم أن الله له قضايا وأحكام ولا منها مفر ولا فيها نقض ولا إبرام فقال له عيروض لعبت عليك الملعونة حتى ملكتني منك بالحيلة ودبرت عليك المكيدة وخلصت الحكيمين من السجن وقالت لى اذهب بهما إلى مدينة الدور فأوصلتهما إليها وفعلت كما أمرتني وبعد ذلك قالت لى خذ ولدى وارمه فى مدينة الحكيم أفلاطدن وقالت لى نادعلى أهلها وقل لهم يفعلوا كذا وكذا وحكى له ما أمرته وقال له هذا جزاؤك لأنك أتعبت نفسك وفرطت فى لوحك وأتعبتنى وملكت اللوح لمن يهيننى وكل مرة أرميك من مكان وهذه المرة السادسة وإذا كنت سلمت من المرات الأولى فما أنت سالم من هذه النوبة وهذا آخر الكلام بينى وبينك فلو كان أحد غيرك ماخاطبته بخطاب ولا رديت عليه بجواب فلما سمع الملك سيف من عيروض هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وأيقن بشرب كاس الحمام فقال ياعيروض أنا فى عرضك أنك لاتسلمنى للأعداء فانهم يهلكونى ولا يرحمونى وأنت ياعيروض تعلم على طول الأيام كما تقول الحكماء والكهان مصيرك لى فاذا صنعت معى الجميل يبقى لك عندى مقام جليل وأنت تعلم أن هذه أقدار نافذة وكل أول له آخر ومصير هذه القضايا تنفذ والجميل عندى ما يضيع وهذه حاجتى عندك فان أنت أنقذتنى من هذه أبقى اعرفها لك على طول الزمان فقال عيروض ياأبادمر وحق النقش الذى على خاتم سليمان لولا إنى محكوم لم افرط فيك فى أمر معلوم ولو كان الأمر لى لاقاتل بين يديك حتى تغوص الجبال تحت النخوم فقال الملك سيف أنت وأصلك ياعيروض ثم إنه بكى وأن واشتكى وعاد إلى طبع العرب فأعرب واطرب وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

جار الزمان وعادانى وعذبنى ... بالضعف والسقم اضنانى واسقمنى
ويلاه من حر أنفاس أرددها ... على فؤادى فيصلى حرها بدنى
كان دهرى لى حسودا فأهلكنى ... وكلما يقتضى ما بى فيظلمنى
أمى رمتنى مرارا من طباعها ... والله من مكرها ما زال ينقذنى
ورام برنوخ يرديهـا فقلت له ... لا تؤذى والدتى بالقتل تعـدمنى
وقد رضيت لها بالسجن وقلت عسى ... تتوب عن سائر الأضغان والإحن
فـدبرت لى عظيما من مكايدها ... واقبلت فى دياجى الليل تغدرنى
اللوح قد سرقت منى وقد بلغت ... كل المقاصد بى واداد بى حزنى
ثم انتبهت وعيروض يحملنى ... بأمرها ولأعـدائى يسلمنى
فقلت استاهل الخسران يلحقنى ... أنى رحمت عدوا ليس يرحمنى
أسلمت أمرى لرب قادر حكم ... أرجوه من يد أعدائى يخلصنى

(قال الراوى) ثم أن الملك سيف بن ذى يزن بعد ذلك الشعر والنظام قال يا بن الأحمر أناما

اعتمد إلا على الله عز وجل فانه وعدنى بالخلاص من جميع المكايد من أمى ومن غيرها وكل الشدائدوأنت أن ألهمك الله بشىء تفعله معى يبقى لك على به الجميل وإن لم تعرف شيئاً فأنت معذور فقال عيروض والله ياملك لابد أن أبذل مهجتى دون مهجتك حتى تخلص من كربتك ثم أن عيروضا أتى إلى جبل عال ووضع الملك سيف ابن ذى يزن عليه ثم غاب زمانا طويلا وأتى ومعه شجرة جوز قلعها من أصلها بفروعها وأتى بها ورمى فروعها وجوفها وأدخل الملك سيف بن ذى يزن فى جوفها وسد فمها بحجر وقال ياملك أنا أفعل الذى أعرفه والله تعالى يدبر مايشاء بقدرته فقال له الملك سيف وإيش منفعة دخولى فى هذه الشجرة فقال عيروض يا ملك إذا وقعت فى وسط العدو وضربوك بالسلاح فان هذه ترد عنك السيوف وأسنة الرماح حتى يفعل مايشاء الملك الفتاح ولكن قد خطر لى خاطر فان صح فما أكون على مثلك مخاطر ثم أنه تركه وغاب ساعة وعاد يضحك مشروح الفؤاد فقال له الملك سيف إيش أضحكك ياعيروض فقال ياملك قضيت الحاجة وأنت سالم فلا تكثر اللجاجة فقال سيف بن ذى يزن إيش الحاجة التى قضيت ياعيروض فقال له لا تكثر الكلام وأخذه وطار به فى الجو وهو فى قلب الشجرة ملازم للذكر والتسبيح لله تعالى ولسانه لايغفل عن ذكر الله طمعا فى عفو الله كل هذا وعيروض طائر به حتى أنه وصل إلى مدينة أفلاطون وأنزله على جبل قريب منها وصار إلى أن بقى فوقها وصار يرمى شررا وناراً من فمه حتى أزعج الناس ونادى بصوته وقال يا أهل هذه المدينة اسمعوا ما أقول لكم من المقال واعلموا انى مارد من مردة الجان واعلموا أن أفلاطون الحكيم كان خلف لكم قلنسوة كل من لبسها يخفى عن أعين الناظرين ولما كبر أولاده وكل منهم طلب أن يأخذها فأتاكم رجل من العرب واحتال عليكم وأخذها وأنا علمت بذلك فحملته وأتيت به إليكم لما علمت أنه غريمكم وقد أتيتكم به لتقطعوه بسيوفكم وتحملوه على أسنة رماحكم فقالوا له ارمه فقال لهم حتى تطلعوا إلى خارج البلد واقف به على رؤوسكم مثل العلامة وأرميه عليكم من خمسمائة قامة فقالوا له وحياتك لاترمه كما تقول فإنك إن رميته من علو نصف ميل فما يصل إلا وهو قتيل هيا احذفه لنا حتى نشفى بقتله أكبادنا ونأخذ منه بثأرنا فعند ذلك صعد به عيروض إلى العلا وألقاه من يده إلى ذلك الملأ فنزل الملك سيف فى قلب تلك الشجرة وهى تتقلب وهو فى قلبها كأنه الأكرة ورأسه يخبطها خشب الشجرة والحجر حتى صار قريبا من الأرض مقدار قامتين وإذا بشىء وثب تحت الشجرة وحملها وصعد بها إلى الجو ثانيا هذا وأهل المدينة جميعاً واقفون منتظرون أن ينزل لهم ويربطوه وبأسيافهم يقطعوه فما شعر إلا وهو قد اورتفع ثانيا إلى العلا وعن قليل غاب عن أعينهم فى السما يسبح فى الفلا فصاحوا على عيروض وقالوا أين غريمنا احذفه لنا كما وعدتنا وكان عيروض لما

رماه من يده راح إلى حال سبيله ولم يسأل عماجرى وسلم أمره لصاحب المشيئة والقدرة وأما أهل المدينة فانهم قال بعضهم لبعض كان عقولكم غابت من رؤسكم هل تعلمون إن هذا المارد كان بينكم وبينه ميعاد حتى يأتيكم بغريمكم وتأخذوا منه بثأركم وما هو إلا مستهزىء بكم ومستخف بعقولكم فقالوا له وما حمله على أن يقول لنا هذا المقال ونحن رأينا معه شيئا غليظ من الخشب على صفة التمثال فقال لهم وهذا من جملة الضلال وهل رأيتم الأخشاب فيها رجال ثم أنهم لاموا بعضهم على ذلك الحال ودخلوا مدينتهم وهم يضحكون على ذلك الفعال وأما الذى أخذ الملك سيف بن ذى يزن فهى عاقصة بنت الأبيض (والسبب) فى ذلك أن عيروض لما أعياه الحال وخاف على الملك سيف من الهلاك والنكال تركه كما ذكرنا على الجبال وطار فى الجو الأعلى وما زال حتى وصل إلى الأرض التى يعلم أن عاقصة وأباها وأمها لابد لهم من الإقامة فيها وهى بجانب منابع النيل وضرب قصر عاقصة بأجنحته فقالت عاقصة

من أنت يا من طرقت قصرى ولم تخف سطوتى وشرى

فقال لها انا عيروض خادم أخيك وقد أتيتك فى أمر مهم وهو أن أخاك احتالت أمه عليه ثانيا وأخذت اللوح منه وأمرتنى أن أرميه بأرض أفلاطون بعد أن أنادى عليهم وأقول لهم احضروا سلاحكم وألقيه عليهم من مائة قامة فاذا فعلت ذلك وملكوه أهلكوه وها أنا قد أتيتك اعلمك فقالت له وكيف جاز لك أن تعلو على مدينة أفلاطون فقال لها لأجل أن آمرهم بالخروج خارج البلد فادركيه عند نزوله وإلا فان تمكنوا منه فما تقدر بعدها عمرنا نراه ولا نخلصه فقالت له صدقت ياأخى ثم إن عاقصة قامت مثل المجنونة وسارت خلف عيروض كانها البرق واسود فى عينها الغرب والشرق حتى وصل عيروض إلى الجبل وأخذ الشجرة وراح إلى مدينة أفلاطون وقال ما قال ورمى الشجرة والملك سيف بن ذى يزن فى قلبها وانقضت عاقصة واقتلعتها وسارت به إلى قصرها وهى تقول وامصيبتاه وا أخاه وكسرت الشجرة وفلقتها من بعضها ونظرت إلى الملك سيف بن ذى يزن وقد توهن منه البدن وأشرف على الإتلاف والمحن فلما رأته لطمت على وجهها وأكلت لحم زنودها لأنها رأته كأنه الخشبة اليابسة مما أصابه فقالت أنه مات وانقضى نحبه فجعلت تبكى وتنتحب وتقول ياحسرتى يالهفى عليك يا ليتنى من الاسواء أكون لك الفداء وأنشدت تقول :

كذلك صنع الدهر بين الحبائب ... يريهم هوانا بعد إعزاز جانب
فلا كانت الدنيا ولا كان عيشها ... ولا كان صبح للأمانى الكواذب
أخى انتبه وانظر تجدنى حزينة ... لفقدك يا نسل الكرام الأطايب
وحق الذى حج الحجيج لبيته ... ومن يذكر المولى بجنح الغياهب

لأحرقن سلطان الحبش وبلادهم ... وأفنى من السودان جمع الكتائب
فيا حسرتى يا نار قلبي وحرقتى ... ووجدى ونيران الحشى والنوائب
فلا كان لى من بعد بعدك عيشة ... إذا لم أخل المدن قفر الجوانب
وأول من أرديه أمك يا أخى ... وكل حكيم سىء الظن خائب
سلام على الدنيا إذا كان واحدى ... يموت وأبكى بالدموع السواكب

(قال الراوى) ولم تزل عاقصة تبكى عليه وهى تظن إنه مات فقعدت قدامه على هذا المنوال وضاقت بها الأحوال وأما عيروض فانه رجع إلى قمرية وأخبرها بما فعل فقالت له راح ابن اللئام ولا بقى لى عليك ملام فامض إلى حال سبيلك بسلام وجلست قمرية فى قصرها والناس لايعلمون ما فعلت من مكرها وغدرها ولما كان الصباح انتصب الديوان وجلست أرباب الدولة وانتظروا الملك سيف أن يخرج إليهم فما خرج حتى اضحى على الناس النهار وهم لملكهم فى الانتظار فقام الملك افراح إلى قصر بنته شامة وقال ابن الملك سيف فقالت له يا أبى ما كان عندى بل كان عند الملكة ناهد فأرسلوا إلى ناهد فقالت لهم فقد ليلا فذهبوا لأمه فقالت ألزموا مكانكم ولا تكثروا الفضول فكل من تعرض لى فانه يكون أول مقتول لانكم تعلمون أن هذه مملكتى وبلادى فلا أحد يعارضنى فقالوا لها يا ملكة علمينا إيش الخبر فقالت لا اعلم فأول من خاف على نفسه الملك افراح وسعدون واتباعهم فما كان منهم إلا أنهم دخلوا على برنوخ الساحر وقالوا له انظر لنا إيش جرى فى ملكنا فقال لهم هذا شىء بأمر الله تعالى وما للعبد منه مفر وهذا قضاء وأحكام وتدبير الملك العلام فقالوا له ياحكيم الزمان وهل نتفرق إلى ما كنا ونخلى هذه المدينة لتلك الملعونة وإلا فأنت تقدر عليها وتحجزها عنا فقال لهم أنتم تلزمون أماكنكم وتقيمون على حفظ المدينة حتى يحضرها صاحبها وأما قمرية هذه هذه فأنا اتجرد لها وأحاربها ولا أخليها تستخدم لوح عيروض ولا يبقى فيها عصفور إلا وهو مرضوض فقالوا له افعل ما بدا لك وانصرف كل منهم إلى مكانه ولهم كلام.

(قال الراوى) وأما عاقصة فانها حركت الملك سيف وصارت تقلب أعضاءه حتى وضعت يدها على قلبه فرأت فيه الروح فصارت تأتى بماء وتبل به يديه ورجليه طول تلك الليلة حتى طلع الفجر فلما أعياها الحال رفعت طرفها إلى الله الكبير المتعال وقالت اللهم يا عظيم العظماء ويا باسط الأرض ورافع السماء اسألك بما قد ذكرت به من أعظم الأسماء وبحق من يسبحك ويقدسك فى النور والظلماء وبحق الانبياء والمرسلين والاولياء الصالحين والملائكة المقربين أن تسخر لى من يحقق خبر أخى عن يقين إن كان من الاحياء السالمين أو من الاموات الهالكين فانك أنت الله الملك المبين يارب العالمين فما أتمت الملكة عاقصة دعاها حتى سمع الله نداها وأرسل لها

من ينقذها من بلواها ودخل عليها آدمي من الحكماء وهو راكب على زير من النحاس الأصفر وذلك الزير له أجنحة من النحاس وهو من العجب العجاب ولم يزل نازلا حتى صار بجوار عاقصة وقال لها لا تبكي يا عاقصة عليه فقد أرسلت من أجله وأتيت بالدواء فلا تخافي عليه واعلمي يا بنتي أن لها لأجل المديد ويعلو قدره على الأحرار والعبيد ويحكم على ممالك الحبش والعرب والبراري والبحار والقفر والبيد باذن الله تعالى الملك المجيد خذي هذه الثلاثة حقاق فادهنيه بالأول فان العروق



(الملك سيف وعاقصة تداويه)

تضرب ساعة الدهان والثاني ضعيه في فمه فانه يرطب اللسان والثالث قطري له منه في أذنيه فانه لا يسمع شيئا من الكلام إلا بهذا الدهان في الهواء أصم منه الآذان فافعلي ما قلت لك من الأحكام ومني عليك السلام فقالت له عاقصة يا سيدي ومن تكون أنت من الإخوان فقال لها لا تسألي عني في ذلك الأوان بل انتهى لذلك السلطان واحتفظي عليه يا بنت الكرام فسوف يظهر لك من أنا والسلام باذن الله الملك الديان ثم ركب على الزير وطلب البراري في المسير وأما عاقصة فانها أخذت الحقاق الأول كما وأقبلت على الملك سيف وجردته من ملبوسه ودهنته بذلك الدهان الذي في الحق الاول كما علمها الحكيم وبعد ذلك لفته في ثيابه وحفظته من الهواء وقطرت الثاني في فمه مثل تقطير الدواء وقطرت الثالث في أذنه فلما فعلت ذلك خرج ماء من أذنه أصفر كثير وسال على الارض وله خرير وبعد ذلك تحرك الملك سيف بن ذي يزن وارتعشت أعضاؤه ودبت فيه الروح باذن رب الملائكة والروح وتحت عروقه ولعبت شفتاه ولسانه وبعد ذلك عطس

وقال الحمد لله على كل حال لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله وفتح عينيه فوجد عاقصة حواليه وهى تبكى وتنوح عليه فقال لها فى أى مكان أنا ياعاقصة فقالت له أنت ياسيدى عندى فى جبال القمر ومنابع النيل وأنت فى قصرى أيها الأخ الصادق فقال لها ومن أتى بى إلى هذا المكان ووضعنى هنا فقالت له ماجاء بك إلا أنا وأنت ياأخى أطلقت أمك من شفقتك عليها وهاهى يا أخى من شفقتها عليك أمرت عيروض أن يرميك فى مدينة أفلاطون وكادت تسقيك كأس المنون ولولا أن عيروض أتانى وهو مثل المجنون ولحقتك بعد ما حكى لى على مافعلت أمك من العجائب والفنون وأدركتك وأنت فى حال ماتسر الحبيب وكان رماك عيروض من علو مائة قامة وأشرفت على الهلاك بعد السلامة وأخذتك ياأخى وأنت على ذلك الحال وأنا ابكى ولا شيء بيدى وانا معك وانت لاتحدثنى ولاتسمع لى كلام وانت فى غاية الانعدام ولولا ان الله ارسل لى حكيما راكبا على زير من النحاس الأصفر واعطانى ثلاثة احقاق مملوءة بأصناف من الدواء فما كنت اظن ياأخى انك تشم نسيم الهواء ولقد سألته عن اسمه فما اخبرنى ياأخى والحمد لله على سلامتك فان الله بعد كسر قلبى جبرنى وإن شاء الله على امك هذه الملعونة ينصرنى فقال الملك سيف ياأختى جزاك الله عنى كل خير فلقد انقذتينى من كل سوء وهم وضير فقالت له ياأخى روحى فداك ولا شمتت بك اعداك فهنالك تفكر الملك سيف متعجبا كيف نجاه الله بعد ما اشرف على موته وفناه وسخر له عاقصة تخدمه وترعاه وارسل له ذلك الحكيم حتى اتى له بدواء فقال اللهم لك الحمد على كل حال وتبارك الله المهيمن ذو الجلال وقال ياعاقصة ياأختى هل عندك شيء من الزاد حتى اسد به رمق الفؤاد فقالت سمعا وطاعة وقدمت له عاقصة الزاد وهى فرحة وكلما تنظره وتجده على قيد الحياة تشكر الله تعالى على بقاه وبعد ذلك قال لها ياعاقصة ياأختى اريد منك ان توصلينى إلى المدينه الحمراء بلدى حتى اريك ما افعل بتلك العاهرة امى وأقابلها على فعلها الذميم واصب عليها العذاب الأليم فقالت عاقصه لاوحق الرب الكريم رب موسى وابراهيم وحق مانقش على خاتم سليمان من الأسماء والطلاسم والترسيم أنا لا اريد ان تسير من عندى إلى بلادك واطلالك إلا بعد مضى ثلاثة اشهر حتى اجد معك صحبه ومؤانسه وراحه بال بها ما رأيت من عيروض فى الجو والآكام وهو حاملك على كاهله وطائر فى الهواء وانا اتبعه بالحيل والقوى والشدة العظمى إلى ان وصل إلى مدينه افلاطون ونادى على اهلها فخرجوا له من كل سرب كأنهم محاربون للعرب والعجم وانا انظر ذلك وقلبى يتقلب على الجمر وما صدقت ان اتلقفك بعد ما القاك من علو مائتى واعجب من هذا كله انى لما اتيت بك وانا فرحه وفلقت الشجرة ووجدتك عديم الحركة كأنك ميت منذ شهر فانقلب على الفرح ترح وقلبى من ذلك الشرخ وبقيت اصرخ والتفت على الشمال واليمين ولم اجد ناصرا

ولا معين إلا رب العالمين وهو الذى من على بكرمه و لطفه وأرسل لنا رجلا حكيما لا نعرفه فأعطانا هذا الدواء وكان فيه الشفاء بإذن فالق الحب والنوى يا أخى اتعب نفسى لأجلك هذا التعب وأهين نفسى هذا الهوان وما ينوبنى أن أتمتع برؤيتك شهرين أو ثلاثة من الزمان ولكن افرض إنى ما لحقتك ولا أنقذتك وكأنك للآن فى تشتيت أمك وإن كان عذرك يا أخى من أجل جريمتك فأنا أحضرلك زوجتيك الإثنين ولا يردهم عنى عيروض ولا كل من سكن القرى والعروض وأما أمك هذه التى استخفت عقلك وكل ساعة تحتال عليك فوالله مالها عندى إلا ساعة تجعل الاجسام والأرواح من حولها مرتاعة وأعرفها من يكسب ومن يخسر فى هذه البضاعة فإن كانت أمك كارهة أن تنظرك فأنا والله يا اخى ما أستغنى عنك وإن كان قصدها أن تهلكك وتحرمنى منك فأنا لا بد لى عن قريب أحرمها مهاماً روحها ومهجتها واجعل شر الموتات اموتتها وأنا اعلم أنه ليس فى ذلك رضاك ولكن أنا لا أبالى بك إن كنت تغضب أو ترضى فضحك الملك سيف بن ذى يزن من كلامها واعلم أن هذا من رأفتها عليه فقال لها يا أختى أكدت هذه الإيمان وأنا يا أختى مثل ما تحبينى أحبك ولكن إذا قمت أنا عندك فى هذه البلاد تشمت بى الأعداء والحساد ويظنون إنى قتلت وشربت كاس الذهاب والنفاد ويضيق صدرى على من العساكر والأجناد فقالت له وأنا أيضاً حلفت الايمـــان ولا بقى لك براح من هذا المكان إلا بعد مضى الميعاد فقال لا بد لى من القعاد فقالت نعم وحق خالق العباد وجاعل الجبال أوتاد فقال لها إذا كان الأمر كذلك فأنا أطاوعك على الإقامة ولكن بشرط أن تسيرى أنت من هنا إلى حمراء الحبش وتنظرى كيف حال شامة وابنها دمر وناهد والملك أفراح وسعدون الزنجى والملك أبو تاج وما فعلت اللعينة قرية من الأفعال الرديه حتى أنى إذا أقمت يا أختى ابقى مطمئن من المصائب والمحن لكن لا تحكى لى إلا بصحة البرهان فإنى احلفك بالنقش الذى على خاتم سليمان فقالت له يا أخى سمعا وطاعه ثم أنها تركته على حالته ومضت تكشف الأخبار عن مملكته وسارت إلى مدينة حمراء الحبش وكشفت الأخبار وعرفت كل ما جرى من الآثار ثم رجعت فرحة ضاحكة مستبشرة فلما رآها الملك سيف على ذلك الحال اطمأن قلبه وقال لها يا أختى أعلمينى بالخبر وما جرى على أهلى وجنودى من العبر فقالت يا أخى اعلمك بما يسر خاطرك فلا تخف على أهلك ولا تحزن واعلم أن أمك فى غاية الضيق وقد عدمت السعادة والتوفيق وسلط الله تعالى عليها العذاب الذى هو أشد من نار الحريق وابتلاها الله بما لا تطيق فقال لها اعلمينى كيف ذلك فقالت اعلم أن رجالك أصبحوا لم يجدوك قاموا ينتظرونك كالولهانين والملعونة قرية طابت وظهرت لهم تخرجت عقولهم فذهبوا إلى برنوخ الساحر

وقالوا له افظر لنا ملكنا وما الذى جرى عليه لأننا يا حكيم خائفون ومن غيبته مرعوبون فقال سمعا وطاعة ثم قام ودخل إلى محل أشغاله وضرب تخت الرمل وبين أشكاله و ستنطقه وإذا به ظهر له كل ما فعلته قمرية بالملك سيف وإنها احتالت عليه ليلا وسرقت منه اللوح وأمرت الخادم أن يحذفه إلى بلاد أفلاطون فقال برنوخ الساحر لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم إنه أخبر رجالك جميعهم فاغتاظوا وزادوا هموماً لأما برنوخ فإنه امتزج بالغضب وعبس وقطب واشتغل قلبه بالنار واللهب وقال كيف يكون الحال حرمة كافرة تفعل هذه الفعال وتزرى بالملوك أهل الأفضال وأنا والله ما أرضى بذلك الحال فقال له الرجال يا حكيم الزمان وانت تعلم أنها فعلت مع ملكنا ما فعلت ومعها ذلك اللوح ولابد لها من عمل مكيدة فينا من مكايدها فإنها فعلت مرارا بولدها فقال لهم برنوخ أنا أريحكم منها ثم إنه فتح جرفدينة وأخرج منها ورقة وكتب فيها أسماء وطلاسم بمعرفته وسودها بالحبر الاسود ووضعه فى يده اليسار وصار يقرأ العزائم حتى طارت من يده والناس ناظرون إليها وما زالت ترتفع حتى على أعلى القصر الذى للملكة قمرية واتسعت قليلا قليلا حتى صارت مثل القبة السوداء فوق القصر وافترشت عليه من الأربع جوانب وأحاطت بالقصر من كل مكان وجانب فصار القصر أعلاه ظلام وأسفله ظلام ونزلت على قمرية كل رزية وبلية وأنذعلت فى عقلها وتحيرت فى أمرها ونسيت لوح عيروض وهو على زندها ورأت قدامها تخيلات وعجائب مستغربات وإذا خرجت من باب القصر تتصور لها الجان فى صفة طيور وعقبان وشاغلها الخوف والرجفان فمن ذلك انحصرت فى قصرها وكادت أن تعدم عقلها وسمعها وبصرها وعلمت حقيقة أن هذا من افعال برنوخ الساحر وهو يجازيها على فعلها بسبب الملك سيف ولدها وصارت كلما تريد أن تمد يدها إلى لوح عيروض يثقل ذراعها وزندها وعلمت أن كل ما حصل لها من تركيب الحكيم برنوخ الطلسم وافترسها بالسحر وعلم القلم وكان برنوخ أراد أن يخنقها بالطلاسم وبعدمها مهجتها ويهتك بين الناس رمتها ولكن خاف الملامة من الملك سيف فعدمافعل فى قمرية ذلك الفعال وأنه أنزل بها الذل والنكال خرج إلى الديوان وطلب الملك أفراح وقال له يا ملك اعلم أن زوج ابنتك معذور فى أشغال منعته عن الحضور فاجلس أنت مكانه ويكون معك ولده دمر حتى تعلم الملعونة أن الملك سيف بن ذى يزن إذا مات له خلف باق وهذا أول فرع من فروع الإيمان وأصل الغصن محفوظ بقدرة الله العزيز الديان واجلس أنت وابن الملك على كرسى الديوان وعلى يمينك سعدون الزنجى وأنا على يسارك وهذه جندك وأنصارك فقال له الملك أفراح سمعا وطاعة وانتظم الديوان بهم من تلك الساعة وبعد ذلك ركب برنوخ على زرمن

النحاس وعزم عليه فطار به إلى الجو وسار إلى كنوز اليونانيين وأخرج ثلاثة أحقاق محكمين وراح إلى قصر عاقصة وأعطاها الاحقاق وعلمها كيف تفعل بهم ورجع برنوخ الساحر وجلس فى الديوان ولم يعلم أحـــد بذلك الشأن وقاموا يتداولون أخبار الملك سيف بن ذى يزن وبرنوخ مطمئن قلبه بتلك الأسباب وجاءت عاقصة واجتمعت على برنوخ وأعلمها بما جرى وأوصاها بكتمان الأسرار وقالت له أنا حلفت عليه يمينا لا أكلمه تسعين يوما فارجوك لا تؤاخذنى وعادت إلى الملك سيف وأعلمته بما رأت عيان فلما سمع الملك سيف من عاقصة ذلك الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال لعاقصة بشرك الله بكل خير كما أرحتى قلبى من الهم والضير وأقام عند عاقصة يأكل ويشرب ويلتذ ويطرب حتى مضت مدة التسعين يوم التى وقع عليها اليمين بالتمام ثم قال يا عاقصة ها قد مضت الايام ولا بقى لى صبر ولا أقدر على المقام فرديني إلى بلادى وزوجتى وأمى وأولادى فقالت له كيف أوديك إلى هاتيك التى كل ساعة تؤذيك فقال لها يا أختى اصنعى معى جميل فما بقى لى صبر عنهم لا كثير ولا قليل فقالت له عاقصة السمع والطاعة ثم أنها قامت واحتملته على كاهلها وطلبت الجو الاعلى وارتفعت به إلى العلا وسارت به وإذا به رائحة حسنة طيبة ذكية فقال يا عاقصة قالت لبيك فقال لها ما هذه الرائحة فقالت له لا تسأل يا أخى على هذه الاحوال ودعنى أوصلك إلى منازلك والاظلال فقال لها يا أختى أعلمينى فقالت هذه رائحة الوادى المعلم وبستان النزهة المطلسم وهو مصنوع بعلم القلم وبحكمة أرباب السحر والكهانة والآن اسمه بستان الحكماء لا يقدر أن يجوزه أحد من الأنام لأن الحكماء صنعوه لأجل بناتهم يتنزهون فيه وغيرهم لا يخطر فى نواحيه وإن دخله أحد غير أولاد الملوك العظام تحمله الخدام إلى البر والآكام ويهلكونه ويشرب كاس الحمام (يا سادة يا كرام) إن هذا الكلام تقوله عاقصة للملك سيف بن ذى يزن تخوفه لأجل أن يتركه ولا يطلب منها أن ينزل ذلك البستان ولا يتأخر فى ذلك المكان فقال لها الملك سيف يا اختى يا عاقصة انا اشتهيت ان أتفرج على ذلك البستان وأرى ما فيه من الفواكه والأشجار مع الأزهار والأثمار والألوان فقالت يا اخى اسمع منى ما اقول ولا تعاندنى فى مشورتى فما لك به حاجة فطاوعنى وابطل اللجاجة ودعنى اوصلك إلى بلادك فإنى ما اريد لك إلا كل الخير واخاف عليك من الشر والضير فقال لها الملك وقد زاد به الحق وانا ما اسمع مشاورتك فى ذلك ولا اقبل نصيحتك ولا بد لى من الفرجة على ذلك البستان والنظر إلى حلاوة أهل ذلك الزمان واقسم عليك بالنقش الذى على خاتم سليمان وبالهيكل الكبير الذى يحكم على جميع الجان لأنى إذا رجعت إلى أهلى وقومى وقلت لهم إنى مررت على بستان النزهة يقولون لى اخبرنا عن الذى رأيته فيه عيان فإن لم أصفه لهم يضحكون على ولا يجوز لى أن أكذب

عان الكذب يشين الرجال فقالت له وأنت لأجل ذلك السبب تريد الفرجة فقال لها نعم ولابد من ذلك يا أختاه فقالت له سمعا وطاعه ثم أنها هبطت به على الارض وقد كاد أن يغشى عليه من تلك الرائحة الزكية وقالت له عاقصة يا أخى إنى أريد لك النصيحة لله فإنك والله ماتهون على الآن بينى وبينك عهد الله وإن كان الحذر لا يمنع القدر فقال الملك سيف بن ذى يزن يا عاقصة من أى شيء تحذرينى فقالت له احذرك من أمرين إن فى هذا البستان منظرة وهى محتكمة بعلوم الاقلام معمرة فإذا رأيتها فلا تقربها ولا تنظر إليها بعينك فإن ذلك لك الحظ الأوفر والثانى أنك لا تقعد فيه أكثر من ساعتين أو ثلاثة وإن قعدت فيه أكثر من ذلك فإنك تشرب كاس المهالك وهذا ماعندى لك من النصيحة ولا تقرب أشجار ولا تقطف مما عليها من الزرع ولا من الأثمار تطلب بذلك الرائحة الطيبه مثل البهار لأن هذا كله بالكهانة والاسحار فالحذر ثم الحذر يا أخى لا تخالفنى لئلا تتلف نفسك ولا أقدر أن أتعرض لك فإن الخدم تتلفنى فقال الملك سيف السمع والطاعه فقالت له سر على بركة الله تعالى وها أنا قاعدة لك أنتظرك فى هذا المكان حتى تتفرج يا أخى وتعود بأمان لانى ما أقدر أن أجوزه لا أنا ولا غيرى وقد أعلمتك فلا تتعب سرى فسار الملك سيف بن ذى يزن قاصدا باب البستان وهو متوكل على العزيز الديان فرأى بابه مفتوح وعليه روائح كأنها العنبر تفوح فتعجب الملك سيف ودخل فرأى سواقى ودواليب واغراسا وتكاعيب والسواقى دائرة من غير أحد يديرها ومزروعات البستان من كل شيء زوجان صنوان وغير صنوان مثل خوخ ورمان ومشمش ولوز وجوز وبندق وفستق ألوان كل الأصناف الحسان وكذلك تفاح مشظب وتين وعنب مكعب وسفرجل مذهب وليمون مركب واترفانى ومشمش حموى وخرسانى ونرجس وياسمين وورد ونسرين وآس وريحان وشقائق النعمان ونظر إلى طيور على الاغصان تسبح الملك الديان بجميع اللغات المختلفة الالسن والبيان فالقمرى يسبح ويجاوبه العصفور والكيروان يناغى فيسجع الشحرور وجميع الطيور تسبح وتذكر الله الملك الغفور لا إله إلا هو ألا إلى الله تصير الأمور وهذا البستان كما قيل فيه :

يا أخى الحزم لا تكن متوانى ... لهم وشاهد محاسن البستان
ادخل الباب انظر الثمر اليـــا ... نع وانظر احاسن الألوان
وعليل النسيم يعبث بالمـــا ... ء وسجع الشحرور بالالحان
رغصونا بحملها معجبات ... وقدود تميس ميس الغوانى
وإلى الورد والأزهار فيها ... وإلى اليـــاسمين والاقحوان
جل ربى مصور الخلق جميعا ... وتعـــالى مكون الأكوان

(قال الراوى) ثم سار الملك سيف بن ذى يزن يمشى فى ذاك البستان وهو ينظر يمينا وشمالا

وخلف وأمام فنظر الدواليب دائرة والسواقي ناعرة والطيور على الأشجار طائرة وما زال كذلك حتى أقبل إلى المنظرة التي حذرته منها عاقصة وقالت لا تقربها فلما قرب منها رآها نزهة للناظرين وبهجة للمبتهجين وفيها تتحير عقول العارفين مركبة على أربعين عمودا من الفضة وبين العمود والثاني شباك من النحاس الأصفر بأطواق الذهب الأحمر وفي دائرها من داخل مسطبة واحدة تدور بها من الباب للباب وهي من النحاس علوها نصف قامة وعرضها أربعة أزرع وهي كلها مخازن للاحتياج ومفروشة بالابريسم وعليها فروش كلها بالقلم لا يعتريها غبار ولا تطوى ولا ترفع من أرض تلك المنظرة كلها بالحجر المرمر وفيها كراسي مصفحة بالذهب الأحمر ومكللة بفصوص الجوهر وهي أربعون كرسيا وكل كرسي منها قدام خزانة من تحت المسطبة وبابها من النحاس وخلف ذلك الكرسي إشارة إلى أن كل من كان له كرسي من تلك الكراسي يكون له خزانة من تلك بالذهب فتندم الملك سيف وهو يتعجب وفتح باب خزانة وإذا بها منفرشه من ادخلها الخزائن وهي كلها من نحاس اصفر ومكسية الحيطان من الحرير المدير وفيها بدلة نسيجها من شرائط الذهب والفضة أزرارها من فصوص المعادن شيء لا يقدر عليه إلا الملوك أصحاب القلاع والقرى والمدائن والبدلة في بقجة من الحرير ففتح الملك سيف جميع الخزائن فوجدها على ذلك المثال فعلم ان كلام عاقصة صحيح وأن هذه البدل لبنات الملوك اللاتي يأتين إلى هذا المكان محمولات على أكتاف الجان وأراد أن يعلم هل كل بدلة لها صاحبه مخصوصة أم الكل لصاحبة هذه المنظرة وكل من أتى يلبس منها فتأمل فالتى كل سبع بدل على لون واحد لا تختلف فقال الملك وعلى أي شيء هذا البحث من يعلم ما الناس عليه لكن يا ترى أنا رأيت هذه البدل وإيش يكون أوصاف من يلبسونهم وأنا أقول إن أصحابهم لم يكن لهم نظير في الدنيا فأنا لا اخرج من هذا المكان إلا إذا حضرن صاحبات هذه البدل وانظرهن بالعيان هل هن من الانس أو من الجان وأن عاقصة ما حذرتني من أني أقرب هذه المنظرة الا لكونها فيها شيء يؤذيني ثم أبعد عن تلك المنظرة وأقبل إلى مكان فيــــه أعشاب طويلة غزيزة وجلس فيها وهو ينظر إلى تلك المنظرة (قال الراوي) فهو جالس وإذا طيور أقبلت من البر طائرة وهي إلى نحو ذلك البستان متبادرة وما زالت ترفرف وتنزل حتى هبطت قباله تلك المنظرة ونزلت على سقفها منحدرة ثم انهار زامت على بعضها وانتقلت على رفرف مصنوعة لها من أجل النزول والعلو عليها كل هذا والملك سيف ينظر اليها ويتمول ما أكبر هذه الطيور وبقي يتفكر وإذا بطائر منها نزل إلى الأرض وصار ينظر عن يمين وشمال وخلف وأمام ورفع رأسه وقال لرفقته انزلوا والمكان سالم وليس فيه أحد من العالم فلما أن سمعت منه ذلك الطيور نزل جميعها حذاءه مثل ما ينزل الحمام على الحمام كلها تابعة

للطير الأول ودخلت خلفه إلى داخل المنظرة وكل واحد من هذه الطيور وقف قدام كرسي من تلك الكراسي وهم يفكرون أزرارهم من تحت آباطهم ومعرى سلوك ذهب والازرار من الذهب من تحت إبطهم إلى آخر أجنحتها ولما حلوا الازرار خلعوا ثياب الريش ووضعوها على تلك الكراسي فانكشف الامر عن بنات كأنهم النجوم الزاهرات أو البدور الطالعات وفعل الجميع ذلك إلا واحدة منهن صعدت فوق القبة ونزلت على الرفرف ولم تنزل مع البنات ولم تلعب معهن وأما جميع البنات فانهن لما خلعن من على ابدانهن الثياب الريش فتحت كل واحدة منهن خزانة من الخزائن التي في المنظرة وأخرجت لها متزرا من الحرير ونزعت بدلتها وتلفقت في ذلك المتزر وكان في وسط تلك المنظره فسقيه من الرخام وماء والدواليب جائزة من عليها وهي ملانة ماء مثل سبائك اللجين فعند ذلك نزلت البنات جميعا فوق شاطىء الفسقية وصرن يلعبن بايديهن في الماء وأرجلهن فيها متدلية كل هذا يجري والملك سيف بن ذي يزن مختف بين الأعشاب ينظر إليهن ويرى وبعد ذلك نزلن جميعا في قلب الفسقية وانتشرت شعورهن على وجه الماء وصرن يتسابحن ويتغاطسن ويتلاعبن ويتضاحكن وعلى بعضهم يتمايلن وهكذا قدر ساعه وكانت واحدة منهن باقية فوق رفرف المنظرة وهي على حالها بملبوسها لم تنزل معهن ولم تنزع ملبوسها وبعدها رفعت إحدى البنات رأسها اليها وقالت ياملكة مينة النفوس لأي شيء ما نزلت معنا ولاقلعت ثيابك مثل ماقلعنا فاذا كانت الملكة لاتسعى في انشراح صدرها فكيف يكون حال جواريها اللاتي تحت أمرها فالصواب ياملكة أن تنزلي عندنا وتقلعي جميع ثيابك وتلي أترابك وتفرحي بشبابك فلما سمعت من المتكلمه كلامها قالت لها أما أنا فان قلبي مقبوض وصدري ضيق من حين نزلت في هذا البستان وقلبي يحدثني بأن هنا من بني آدم إنسان فقالت لها المتكلمة يا ملكة إيش هذا الكلام الذي تقولين ومن اين ابن آدم يأتي إلى هذا المكان أو يصل إليه وأيضاً لو كان هنا إنسان كانت تهلكة عمار هذا المكان فإنه مرصود للبنات فقط ولم يكن الرجال عليه مسقط وما زالت معها بمثل هذا الكلام حتى نزلت من على ذلك الرفرف إلى الأرض ووقفت قدام كرسيها وهو أكبر الكراسي وهو مطعم بفصوص الجوهر ومصفح بالذهب الاحمر ثم انها فككت أزرارها كما فعل اترابها وتجردت عن كل ثيابها مثلهن والتفت في متزر من الحرير الأصفر والأحمر والأخضر وتقدمت إلى تلك الفسقية تريد النزول مثل أترابها وهي كما وصف القائل حيث يقول :

تجردت ذات حسن من ملابسها	فقلت ملك خضبت الأناميلا
قالت مسحت بها ثغرا به عسل	قلنا صدقت وما للثغر معسولا
قالت أنت نحلة تحسبه موطنها	قلنا صدقت وماللشعر مسدولا
قالت أنت دادتي قصدي تمشطني	قلنا صدقت ما للطرف مكحولا

قالت سواد جفون قد نظر لنا ... قلنا صدقت وما للورد مذبولا
قالت يغار نسيم الصبح يذبله ... قلنا صدقت وما للعنق مهزولا
قالت لثقل عقود كنت ألبسها ... قلنا صدقت وما للنهد مبذولا
قالت لشدة أزرار أفرطها ... قلنا صدقت وماللخصر منحولا
قالت لثقل حياصات ومنطقة ... قلنا صدقت وذا السروال محلولا
قالت على تكتى قد دست فانقطعت ... قلنا صدقت وما للشيخ مبلولا
قالت أحيض كما حاضت نساؤكموا ... قلنا كذبت وليس العذر مقبولا
قالت سألت على ما ليس تملكه ... فصرت عندى عديم العقل مهبولا
أنى لمثلك أن يحظى بمثل لم ... يخشى الردى ودما بالسيف مطلولا
يالهف نفسى على تلك الفتاة وهل ... أنال منها بيوم الوصل مأمولا
استغفر الله من قولى ومن عملى ... وكل ذنب عليه كنت مسئولا
ثم الصلاة على أزكى الورى شرفا ... محمد جاء بالآيات تفصيلا

(قال الراوى) فلما نظر اليها الملك سيف وهى على ذلك الحال اعتراه الخيال وزاد به الاشتغال وانتقل من حال إلى حال وأما الملكة منية النفوس فنزلت فى الفسقية مع البنات وصارت تلعب معهن وهن معها يلعبن وطاب لهن الوقت وغاب عنهن الرقيب وصرن يتعانقن كما يتعانق المحب والحبيب وقد فاحت أعطارهن فامتلأ البستان ما بين مسك وطيب وأما الملك سيف فأضرم حشاه بالنار واللهب وأيقن بالبلاء والتعذيب وفنى صبره منه وعقله يكاد يغيب وابتل بداء الغرام الذى أعيا كل حكيم وطبيب وقال فى نفسه ياسيف هذه بلوى وقد وقعت فيها وهذا شىء مالى منه ملجأ ولا مخلص وها أنا بقيت مثل طير الذى فى القفص وإن ظهرت ونظرتنى هذه البنات ربما أنهن يجتمعن على ويهلكنى وليس لى اليهن يد تمتد بحال من الأحوال وإن قاتلتنى فمالى قدرة على مجالدتهن فى الحرب والقتال لما هن عليه من الحسن والجمال لاسيما هذه منية النفوس التى هى عين القصد والآمال إن قبضتنى بيدها اليمين أو الشمال ارتخت جميع أعضائى والأوصال فتفترسنى وتضربنى من الحاظها بكل سيف فصال وترشق فى مهجتى من سهام جفونها نبال وهذا والله شىء ما كان لى على بال ولكن لايعاوننى على ذلك البلاء وهذه الأهوال إلا الله الكريم المتعال وعاقصة أسير اليها وأقص قصتى [illegible] ذلك يجرى على الملك سيف والبنات مع بعضهن فى المياه وقد امتزجن فى اللهو والطرب وعملن أفعالا من عجب العجب وكل واحدة تبسط كفيها الثانية وتعومها على وجه الماء ويتقلبن على أيدى بعضهن وطال على هذا المثال حتى مالت الشمس إلى الزوال والملك سيف تركهم وتحايل حتى طلع من البستان بالاحتيال وأسرع يهرول بين الربا والتلال حتى عارضته عاقصه فرأته فى كرب وعاينته وقد راح من [illegible]

الجسم سليم فما عاد إليها الا مريضا سقيما قالت له مالك اعلمني حالك وما الذي جرى عليك ونالك فلم يقدر أن يتكلم بل غلبت عليه الحسرات وتألم وصار يشرق بالدموع ويتحسر ويتأوه ولا يقدر من ذهوله أن يتفوه وهو ذو فؤاد عليل وكبد التي عليه من الحب قول ثقيل (يا سادة) ثم إن عاقصة تحب الملك سيف محبة زائدة ولا يهون عليها أن تفارقه ولا ساعة واحدة فلما رأته على ذلك الحال وهو فى بكاء وأعوال وتلجلج فى الكلام والمقال قالت له إيش جرى عليك فحكى لها ما نظر فلطمت على وجهها وقالت له أما قلت لك لا تدخل المنظرة فخالفتنى يا أخى وهذا يا أخى أمل بعيد والوصول اليه صعب شديد وأنا أعلم أن هذه البستان تأتى فيه بنات الملوك للنزهة يحملهن الجان وتأتى بهن إلى هذا المكان والبعض لهن ثياب مصنوعة بالحكمة لأجل الطيران والتى رأيتها هل عرفت اسمها فقال اسمها منية النفوس فلما سمعت عاقصة لطمت على وجهها وبكت وجرى دمعها فقال الملك سيف أنا أبكى من الجوى والغرام وإيش أبكاك يا بنت الكرام فقالت يا أخى على ما أصابك من الجوى وهذا داء ليس له دواء فان التى ذكرتها وأن اسمها منية النفوس لها أب يقال له الملك قاسم العبوس وهو صاحب جزيرة الألماس وهى جزيرة مطلسمة فى آخر الدنيا وهى بعيدة عنا مسيرة أربعة وثلاثين عاما وهو ملك جبار عنيد وشيطان مريد وله عساكر لا تعدو لا تحصى بكثرتها الرمل والحصا ويحكم على أربعين تختا فى تلك الجزيرة وما حواها من مدن وقلاع وقرى وأقاليم ورساتيق ولا تخت إلا وله ملك يحكمه بعساكر ورجال وجنود وأفيال وحكماء وكهان وأما مدينته هو المخصوصة بتخته فان فيها عساكر أربع ملايين كل مليون ألف ألف وهذه المعدة للحرب والقتال لاهم متزوجون ولا أرباب صنائع ولا متاجر ولاهم أشغال بل هم فى انتظار الحرب والقتال وخوض المعامع والاهوال وعنده من الحكماء ثلثمائة وستة وستون حكيما بعدد أيام السنة كل يوم يحضر عنده واحد منهم وجميع الممالك تخاف حسابه وتهاب سطوته كل المهابة لأن الصين وما يليها تورد له الخراج ويخشون من عاقبته اللجاج ومن شدة فراسته فى الأمور المهمة جعل لبنته وأترابها ثيابا محكمة ذات ريش مثل الطير إذا لبسته البنت كانت طيراً بلا شك ولاريب أى وقت الطير وأينما وجبت تسير لأن طيرانها ساعة كاملة من النهار تقطع به سفر سنة كاملة على حد المنوار فالدنيا كلها عندهم وبلادها مع المدن والأودية والبرور والبحار كلها حارة صغيرة أو حوش ينتقلون فيها من دار إلى دار ولا يبعد الطريق عليهن مثل السفار فيا أخى إذا كانت معشوقتك على ذلك الحال فمن أين لك اليها اتصال إلا إذا أراد الله تعالى الكريم المتعال فلما سمع الملك سيف ذلك المقال قال لها لأى شىء أتين إلى هذا المكان ونزلن فى ذلك البستان فقالت يا أخى فى كل عام يأتين اليه على عادتهن ويا أخى فى هذا المكان لأجل النزهة وراحة الأجسام ويقيمون سبعة أيام وهم على حظ وفرح وانتظار وضحك وابتسام وأكل طعام

وشرب مدام حتى تمضى السبعة أيام ويرحلن من هذا بسلام وهذه عادتهن يا ابن الكرام فاترك عنك حمل أثقال الجوى والغرام فانه يوقع البلاء والأسقام وكنت نصحتك عن هذا الحال فلم تقبل لى مقال حتى وقعت فى هذا البلاء والنكال والصواب أنك تقدم حتى أحملك وأوصلك إلى أرضك وبلادك حتى تطمئن بأزواجك وأولادك وبرائك جملة عساكرك واجنادك (يا سادة) فقال الملك سيف يا أختى والله ما أسمع منك ولا من غيرك مقال ولا أصغى لعذل عذال ولا ارجع عن هذه المملكة إلا إذا بلغت منها الأمان وأحظى منها بالمضاجعة والوصال وإلا أهلك تحت سنابل الخيل العوال وتروح روحى على حدود السيوف الصقال وأسنة الرماح الطوال فقالت له عاقصه أتقيم فى بلاد غير بلادك وتفوت جملة أهلك وأولادك أو عسكرك وأجنادك فقال سيف يا أختى أنا مالى أولاد ولا أهل ولا أقارب ولا أصدقاء ولا حبايب ولا أسمع مقالا ولا أقبل سؤالا ولا بد لى من أخذ محبوبتى إما بالإحتيال أو بالحرب والقتال فقالت له وأنى ذلك بها اتصال فبكى عند ذلك الملك وزاد به البلبال وقال لها يا أختى قد عدمت صبرى وجلدى واشتعلت نار الجوى فى جسدى فان كنت تقدرين على مساعدتى فساعدينى وإن عجزت ياأختى فعذرك مقبول فامضى إلى حالك واما انا فلا انتقل من هنا إلا إن اخذت هذه المليكة منيه النفوس ولو شربت من المنيه امر الكؤس فعرفت عاقصه ان الملك سيف بن ذى يزن وقع فى شرك الهوى والغرام ولا ينفع فيه النصح والكلام فبكت عليه وفاضت على خدودها دموع ذات انسجام فقالت له يا اخى والله ما اقدر على الوصول إلى بلادها ولا يمكننى ان أدخل المنظرة التى هى فيها فقال لها يا اختى عاقصه انا ماقلت لك اوصلينى إلى بلادها لانها فى ذلك البستان ومن الذى يسير عليها حتى تطير ، واقيم بعدها انا اتلظى بنار السعير ثم انشد يقول :

ياعاقصه خلى الملام   فالقلب منى مستهام   سمعى اشتكى الم الكلام
وليس عندى محتمل   انا رأيت فى ذا المكان   شقيقه الحور الحسان
فأشربت قلبى الغرام   يا عاقصه كيف العمل   رايت منيه النفوس
وحسنها فاق الشموس   قصدى تكون عندى عروس   والحب فى قلبى نزل
ياعاقصه إن الهوى   هد حيلى والقوى   والقلب فى نار الجوى
والجسم والصبر اضمحل   امضى لحالك واسلمى   من لوم قلب مغرم
لابد من سفك الدم   حتى أمتع بالأمل   ما حيلتى إلا البكا
مع الأنين والاشتكا   حتى اقاسى المهلكا   فلربما حبلى اتصل
استغفر الله العظيم   القادر البر الرحيم   ربى بأحوالى عليم
يغفر ذنوبى والزلل   ثم الصلاة على النبى   الهاشمى اليثربى

والآل أهل الطيب والصحب والنجوم الأول

(قال الراوى) ثم ان الملك سيف بن ذى يزن هو الذى أنشد هذه الأبيات ودموعه على خدوده مرسلات وعاقصة لكلامه تسمع وفؤادها عليه من الحسره يتقطع ولما علمت أنه وقع ذلك الاشراك ولا بقى له منها انفكاك قالت والله يا اخى إذا كان هذا حالك أنا أساعدك على مالك واجتهد فى أخذك لهذه الجاريه ولو تروح مهجتى وأعدم جميع أهلى وعشيرتى ولكن مرادى أن تعلمنى أمرك الصحيح حتى أطمئن واستريح فهل أنت لما دخلت البستان رأيتهن هناك فيه أو أتوا فيه وأنت حاضر فقال يا أختى أنا أول ما دخلت تفرجت على كل البستان وبعده دخلت المنظره رأيت الكرسى والمخدات والمفروشات وما رأيت من أنس ولا جان قط ثم رأيت الأعشاب فقعدت بينها على التراب لأنى رأيت رائحتها زكيه وهذا أصل القضيه فلم أشعر إلا هذه الطيور نزلت وجرى ما جرى ولما ضاق صدرى أتيتك وأعلمك بأمرى وهذه حكايتى يا أختى والسلام ثم ان الملك سيف بكى ونزلت دموعه منحدرة وأذله العشق والهوى الذى أذل من قلبه من الجبابره فقالت له عاقصه هذا النهار فات فقم حتى آتيك بطعام فى هذا المقام وأرح فؤادك بالمنام وعد إليهم تحت أذيال الظلام واجتهد أن تسرق الثوب الريش فاذا قدرت على أخذه فاجعله من داخل ثيابك وادخل تحت دولاب الماء الدائر فانهم يفتشون جميع البستان عليك إلا هذا المكان لأنهم متطبعون بطبائع الطيور وإن الطيور لا تجسر ان تتقدم لشىء يدور فاذا فتشوه ولم يجدوك تقول لهم اذهبوا وأتونى بثوب غيره فاذا تركوها وبقيت وحدها فاظهر وقل لها هذا ثوبك وفرجها عليه فتقوم غايره عليك اجتهد فى الجرى ولا تقف لها حتى تخرج من ذلك البستان بأربعين خطوة ثم عد عليها واقبضها وأنا أكون عندك حين تقبضها وتبقى فى يدك فقال الملك سيف بن ذى يزن يا أختى يمكن أنها ترسل بعض الطيور وتبقى الباقى عندها يؤانسها فقالت له عاقصة يا أخى هذا يكون من شؤم بختك ولكن هذا لا يكون لأن هذه بلاد بعيده ولا يسير فيها إلا الجميع وإذا اخذت الثوب فاختفى تحت دائره الدولاب فانها لا تطلع إلا آخر النهار فاذا طلعت ولم تجد ثوبها فانها تظن ان إحدى البنات تلعب معها حين ترى الكرسى ليس عليه ثوبها فتقول يا بنات من فيكم أخذ ثوبى الريش المطلسم فيقولون لها والله يا ملكة مالنا به علم فتمتزج بالغضب وتصيح عليهم وتغضب وتقول يا ويلكم فتشوا البستان وانظروا من أتى فى ذلك المكان فيقع التفتيش بخوف وارتياب لكن ما يجسروا أن يتقدموا إلى الدولاب فاذا فتشوا جميع البستان ولم يجدوه يقولوا لها يا ملكة ما لقيناه ولا نعلم من تجاسر وأخذه فتقول يمكن أن خادمه أخذه وهرب ولكن أنا قاعده فى هذا المكان لانه مطلسم كما تعلمون وامضوا انتم إلى بلادى واحضروا إلى ثوبا غيره على طبق

مرادي وأدركوني قبل أن يحصل لي ضرر من بعض الأعادي فإذا رأوها غضبت يسرعون جميعا في الطلوع ويلبسون ثيابهم ويخرجون قاصدين بلادهم ويتركونها مكانها واعلم يا أخي أنهم لا يصلون إلى بلادهم إلا في ثلاثة أيام إذا ساروا بسير الاهتمام في النهار والظلام وإذا رجعوا يأتون في ثلاثة أيام وهذا يكون على سبيل العجلة منهم واعلم يا أخي أنها تحكم على جزيرة البنات وكل من فيها وعدد جنودها مائة ألف وهي شديدة البأس صعبة المراس من الجبابرة العظام فإذا رأيت يا أخي أن البنات قد ساروا إلى جهة بلادهم وصارت هي في البستان وحدها من دونهم فاخرج إليها كما ذكرت لك واظهر نفسك لها فإذا قالت لك من أوصلك إلى هذا المكان فقل لها أدخلتني قدرة الله الملك الديان فتقول لك اخرج من هذا المكان فقل لها وأنت لأي شيء قاعدة هنا من دون جماعتك فتقول لك لأجل شيء ذهب مني فقل لها أظنه هذا الثوب الريش واخرج لها بريشة من طوقك وأنت عنها بعيد فإنها إذا رأته معك انقضت عليك فتكون أنت حذرا منها على نفسك واذهب أمامها فإنها تتبعك مثل ذكر النعام فاحذر أن تلحقك وأنت في البستان فإنها تفترسك ولو كنت أفرس أهل الأرض وتسقيك كأس الهوان فسر قدامها حتى تبعد عن البستان بأربعين خطوة ثم عد إليها كما أعلمتك فإنها تذل بين يديك فاقبض على عقيصتها فإنها تخضع وتقول لك ترفق بأسيرتك فلا تلتفت إلى مقالها واسحبها من ذوائب شعرها وهاتها عندي حتى أقول لك ما تفعل هذا كله إن أدركتهم هناك وإن لم تدركهم فاصبر للعام الثاني (قال الراوي) فلما سمع سيف من غاقصة هذا المقال قام من بين يديها وسار حتى وصل إلى باب البستان وهو متوكل على الله العزيز الديان فدخل يمشي متسترا بالأشجار وهو أخف من الغبار حتى وصل إلى المنظرة التي فيها الجواري فوجدهن على حالهن في قلب الفسقية وهن يتقلبن في الماء كأنهن الكواكب الدرية ومنية النفوس بينهن كأنها القمر بين النجوم فقال سبحان من خلقكن وصوركن وهو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم هذا والبنات سارحات في اللعب والاشجان كأنهن زهر البستان فقال الملك سيف بن ذي يزن ياحليم يا ستار يا من لا يكشف احجبني من أعين النظار وكف عني جميع الابصار ياعزيز ياغفار فاستجاب الله دعاه وحجبه عن عيون كل مرآة وذلك لأجل الكائن في علم الله تعالى من القدم وما خط على الجبين بالقلم حتى ظهر ما هو مخفي في علم الله المكنون (ياسادة ياكرام) ثم إن الملك سيف مد يده إلى الثوب الريش وأخذ ووضعه في جيبه وستر عليه الحليم الستار ورجع من خلف الأشجار حتى صار تحت الدولاب ولسانه لا يفتر ولا يغفل عن ذكر رب الأرباب الذي أعانه على أخذ تلك الثياب وظن أنه ملك الدنيا بما فيها هذا ما كان من أمر الملك سيف وأما ما كان من أمر البنات والملكة منية النفوس فإنها طلعت من الماء هي والبنات جميعا وكل بنت أتت إلى كرسيها وصارت تأخذ ثيابها وتلبسها وبعد لبس الثياب لبسوا ثياب الريش إلا منية النفوس فإنها لبست

ثيابها وأما ثوب الريش فانها لم تجده فأحست أن الدنيا انطبقت عليها وصارت لا تعرف ما بين يديها وبقت عيناها فى أم رأسها وطاش عقلها وتاه نقلها فقالت للبنات ياويلكن من منكن أخذت ثوبى وتريد معى المزاح هيا هاتوه فقالوا لها ياستناه فأى ثوب تذكرينه فوالله ماطلع أحد منا من الماء إلا بعدك فقالت ثوب الريش والذى فعل معى ذلك ماقصده أنى أعيش هيا هاتوه ودعوا عنكم التلبيس فانى من حين أتيت إلى هذا المكان وأنا قلبى نافر وعقلى فرغان وأظن أن بعض الاعادى كامن لنا فى قلب هذا البستان فان كنتم لم تأخذوه ففتشوا هذا المكان فقالوا ياستناه هذا البستان مطلسم ولا يدخله أحد من الامم ثم صاروا يفتشون فى البستان حتى نبشوا جميع الاماكن والراحات إلا تحت الدولاب فانه فى دورانه يصيح فلا تطيق البنات أن تقبل عليه فلما أيست من ثوبها النفتت لاترابها وقالت لهم أنا ما أقدر أن أطلع من ذلك البستان إلا للطيران وهذا الوقت لا يمكننى أن أطير والطريق بعيد ما يمكننى فيه السير فأنا أقيم فى هذا المكان وسيروا انتم باجتهادكم فى الوديان حتى تأتونى من قصرى بالثوب الثانى ولا يكن عندكم تهاون أبدا وإلا تأخذنى الأعداء فقالوا لها سمعا وطاعة ثم ان البنات لبسوا وطلعوا طائرين وإلى نحو بلادهم قاصدين وبقيت الملكة منية النفوس مقيمة فى البستان فدخلت المنظرة وقعدت متفكرة ونظر الملك إلى انفرادها من بين الأشجار وعلم أنه بلغ منها كل مايحب ويختار وتلألأ وجهه بالأنوار فتقدم إلى باب المنظرة وهو فرحان بما جرى وقال لها لأى شىء بقيت أنت فى هذه المنظرة ولماذا سار اصحابك طائرين ولست معهم طائرة فلما نظرته قالت له من انت ومن اين اتيت إلى هذا المكان وهل انت من الانس أو من الجان وإنى اظنك الذى سرقت ثوبى واذهبت عنى مسرتى وجعلت هذه الحال حالتى فقال لها نعم انا الذى اخذت الثوب حتى انال منك القصد والمطلوب وهذا ثوبك ياراحة القلوب ثم انه اخرج من جيبه ريشة اشارة إلى ان هذا هو الثوب فلما نظرت إلى ثوبها معه علمت أنه هو الذى أخذه فاسودت الدنيا فى وجهها وقالت له ايش الذى الجأك إلى هذا الامر حتى رميت نفسك للهلاك وسره الارتباك فوالله العظيم لقد وقعت فى أمر ذميم ثم ان الملكة منية النفوس قامت على الملك سيف كانها الأسد إذا خرج من الباب وانقضت عليه مثل العقاب تجرى قدامها وطلب الباب وهو لا يلتفت ومنية النفوس تجرى خلفه ويشد عزمه فى جريه خوفه أن تدركه فبينما هو يجرى وإذا به عثر فى جذور شجرة فكاد أن ينكفىء على وجهه من شدة تلك العثرة ولكن ثبت نفسه وجد فى جريه ومنية النفوس من حين علمت ان ثوبها معه لم ترجع عنه وتبعته حتى خرج من البستان وذهبت أينما كان حتى بقى بينه وبين البستان قدر ميلين وقد خرج الملك سيف من الأرض المطلسمة وبقى بعيدا عنها بمقدار اربعين خطوة وهى منحدرة فى

جريها عليه فعاد إليها كأنه الأسد وجذبها من ذوائبها وهو لا يصدق بذلك فلما نظرت منية النفوس منه ذلك أيقنت أنها شربت كاس المهالك وعلمت أنه مابقى منه مناص ولا من يده خلاص فقالت له وقد انكسر قلبها وزاد كربها ياسيدى ارفق بأسيرتك فلقت أصبت فى تدبيرك فلم يرد عليها جواب ولا واجهها بخطاب بل مازال قابضا على شعرها حتى أقبل بها على عاقصة وهى من هذه الفعال منغصة وكانت عاقصة منتظرة لقدمه فتقدمت إلى الملكة منية النفوس وسلمت عليها وقالت لها ياملكة الزمان وسيدة البنات والنسوان اعلمى أنت بلغت مالم يبلغه قبلك إنسان وإن هذا ملك ملوك الزمان وأفرس من جميع الفرسان فقالت لها منية النفوس ياعاقصة قد بلغ من قدرك أنك تأتى بالأنس إلى أرضنا وتدخليهم إلى بستاننا وتريهم زينها وأشكالنا وتجرئى ذلك الرجل الصعلوك حتى يقبض على بنات الملوك فمن يقدر على خلاصكم من يد أبى إذا علم بذلك فلا بد أن يسقيك أنت وإياه كاس المهالك ولا بد أن يخرب بلاد القمر ومنع ولا يخلى من سكانها لا كثير ولا قليل فقالت عاقصة ياستاه هذا ماهو صعلوك وماهو إلا من أكابر الملوك وله جنود وأعوان من الأنس والجان ويده دائرة على سحرة وكهان وأرباب أقلام وأحبار وحجاب وأنصار وإنما أنت لم تعرفيه وفى المثل السائر من لم يعرف الصقر يشويه ولكن ياملكة أنا أعلمك وأعرفك من هو انه ملك ملوك اليمن ومبيد أهل الكفر والمحن وهو الملك سيف بن الملك ذى يزن بن الملك تبع اليمانى الذى لم يكن له بين الملوك معادل ولا مدانى وهو أخى فى الرضاع وهو بطل شجاع وقرن مناع ولا تظنى أنه أسرك فأنت التى قد أسرتيه وبجمالك سبيتيه فقالت منية النفوس وإيش كان أصل مجيئه إلى هذا المكان ودخوله البستان الذى لايدانيه إنس ولا جان لما عليه من الطلاسم والارصاد والاتقان وما فعل الحكماء فى تلك الأزمان فقالت لها عاقصة اعلمى ياملكة أنه كان عندى فى قصرى مدة أيام وطلب الوصول إلى حمراء الحبش فصادف طريقنا هذا المكان فطلب منى أن ينزل لقضاء حاجته فأنزلته فتركنى وسار ونظر فى المنظرة فرماه عليك الحب الذى يذل الجبابرة ولم يقدر على الصبر فتجاسر عليك وسرق ثوبك وجرى ماجرى وهذا شىء سابق فى علم الله ذى العظمة والمقدرة رب الدنيا والآخرة فلا يصعب عليك أيتها الملكة فإنه ما ملكك إلا من يعرف قدرك ومقامك وبه تشرفى على جميع أتباعك وألزامك وما زالت عاقصة ترفق لها الكلام وتخدعها بحسن الابتسام حتى لانت وتبسمت وعلمت أنها مابقى لها خلاص وإن قالت فما لها مقدرة وبقيت وحيدة فريدة وقالت ياعاقصة أما تدخل بنا البستان حتى نقعد فنأكل ونشرب ونلتذ ونطرب فقالت عاقصة ياملكة ليس لى دخول فيه وإنما أقعدك فى قصر أحسن منه ثم أنها حملت الاثنين على كاهلها وطلبت الجو الأعلى وما زالت بهم حتى أنزلتهم على قصر سحاب المختطف الأقطع الذى قتله الملك سيف بن ذى يزن سابقا لما استجارت به عاقصه

فى أول السيره وكان ذلك القصر فيه فروشات من أعز الديباج المجوهر وأسرة من الخشب المرمز مصفحة بصفائح الذهب الأحمر وأجلست الملكة منية النفوس على سرير وأجلست الملك على سرير مثله وقالت لهم تحدثوا مع بعضكم حتى أتولى أنا واجب خدمتكم وصاحت على خدام القصر والأعوان وأمرتهم أن يصنعوا طعاما يكون فيه عافية للابدان فاجتهد الأعوان وأتوا بطيور الحجل والحضارى والسمان وذبحوا الطيور وصفوا القدور ثم طلبت عاقصة الشراب والحلوات وقدمت للملك سيف والملكة منية النفوس شيئاً يذهب العبوس وصارت عاقصة تمازج منية النفوس وتقول لها ياملكة أنت صاحبة هذا المكان وأما أنا وأخى سيف بن ذى يزن فإننا لك خدام وغلمان فاشرحى صدرك ولا تشغلى بالك ولا فكرك واعلمى أن كل ماجرى للانسان فهو مقدور عليه من قديم الزمان لاينال الإنسان المقصود إلا بالمخاطرة وبذل المجهود ولولا أن الملك سيف بن ذى يزن كتب الله له السعد والاقبال ماقدر أن ينظرك ولا يرى لك خيال وأنت ياملكة قد ملكت قلبه وحويت سرائره ولبه وماتصلحى إلا له ولا يصلح إلا لك فأنت تفتخرى بالحسن والجمال والقدر والبهاء والكمال وهو أيضاً يفتخر بشجاعته وقدرته على الأبطال وثباته فى الحرب والقتال وبملكته وحكمه على مدائن وأقاليم وأقطاع وقرى وقلاع وأطلال ومازالت عاقصة بالملكة منية النفوس حتى أكلت الطعام مع الملك سيف بن ذى يزن الهمام وتنقلوا فى الكلام وضحكت الملكة منية النفوس وأبدت الابتسام ففرحت عاقصة ووضعت يديهما فى يدى بعضهما وقالت لهما تصافحا وتعاقدوا وتناكحا على ملة سيدنا إبراهيم الخليل وصار العقد بينهما بالتحليل وكان الملك سيف بن ذى يزن يعرف مايجب عليه ففعل على قدر الإمكان بشريعة ذلك الزمان وغابت عاقصة وجاءت ببدلة من الجوهر وألبست الملكة منية النفوس وجعلتها للملك سيف عروس وألبستها التاج والعقود مع أنها غنية عن الملبوس فصارت أبهى من الشمس والقمر وهى كأنها الدنيا القادمة على قوم فقراء فلما نظرتها عاقصة قالت فى نفسها حقيقة إن الجمال فى الإنس وفى الجان سبحان من خلق كل شىء زوجان وهو الله الذى لا إله إلا هو الملك الديان وكانت منية النفوس كما قال فيها بعض واصفيها هذه الأبيات :

حوت فوق صحن الخد نقطة عنبر	من استلبت عقلى وأفنت تصبرى
وماست بقـــد قد قلبى بذابل	وشقت فؤادى من لحاظ بأبتر
تبسم منهـــا الثغر فارتفعت لنا	ستائرها الياقوت عن كنز جوهر
وتضرب من سيف اللحاظ بأبيض	وتطعن من قد قويم بأسمر
من الترك تسطو بالجمال وتعتدى	بسلطان جمع الحسن فى كل محضر
وما هو إلا ظاهـــر ومؤيده	علينا ومنصـــور بعزم مظفر

كأن بخديها الجنان تزخرفت | وقد يرشت من عارضيها بعبقرى
فوالله ما أحلى وأحسن وجهها | حوى جوهرا إلى رشف سكر
ويشرق كالبدر المنير إذا بدا | محياه من طوق القباء المزرد
فترشقنا من كل هدب بنبلة | وتخرجنا من كل ماق بخنجر
إذا مت مشتاقا لنظرة وجهها | فما الموت فى سبل الغرام بمنكر
فلو أنها باعت سويعات وصلها | لكنت لها بالمال والروح أشترى

(قال الراوى) ثم أن عاقصة لما انشرحت منية النفوس بعدما أكلوا الطعام أحضرت المدام وأحضرت فواكه من أثمار الشجر والنخل كانه العافية والدواء للعليل وأطلقت بخور الند والعنبر وأحضرت من الجن مغنيات ومواشط فجلتها المواشط وغنت المغنيات وكان يوما يالهمن يوم هذا والملك سيف بن ذى يزن قد زاده الشجن وأخته تساوره حتى ولى النهار وأقبل الظلام يدجى الاعتكار فعلمت عاقصة أن الاجتماع على هذا الحال يليه الوصال فقفلت القصر على الاثنين وقالت لهما تملوا ببعضكما وأنا منعزلة عنكما وقد أمن الملك سيف على نفسه من كل مخيف فقام إلى محبوبته ورشف لمى ثغرها وجعل صدره على صدرها وخصره على خصرها فاختلك الاحليل على قلبها فهزها فى الحال وأفضها بلذة ووصال وجرى الدى جرى وبلغ الآمال وضما بعضهما واحتوى الملك سيف بن ذى يزن على منية النفوس وقد تمكن من العناق والضم والبوس وأزيل عنه البؤس فضربها بالدبوس فوجدها درة ماثقبت ومطيه لغيره ماركبت فبات يعانق ويواصل إلى الصباح فحملت الملكة منية النفوس على دم الافلاح بقدرة الكريم الفتاح فأتى غلام وكان له حديث وكلام إذا وصلنا إليه نحكى عليه والعاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه (باسادة) وعند الصباح قامت الملكة منية النفوس وفتحت باب القصر فأقبلت عاقصة وسلمت عليهما وباركت لهما وجلست معهما فقال الملك سيف ياعاقصة يا أختى قد اخترت أنى أقيم بذاك القصر حتى أزيل ما بقلبى من الهم والحصر وأريد منك أن تلزمى لنا بالطعام والشراب كما تفعل الأحباب بالأحباب فقالت لهما أنتم محتاجون إلى يا ابن السادة الأنجاب فإن خدام ذلك القصر يأتوك بكل ماتريده من الشراب والطعام ولو أقمت عندهم ألف عام فأقام الملك سيف بن ذى يزن مع الملكة منية النفوس فى هذا القصر مدة من الزمان وهو يحب الملكة منية النفوس مستهام ونسى حمراء الحبش وغيرها وملكه والإنعام إلى ذات يوم من الأيام قالت له الملكة منية النفوس ياسيدى أنا سمعت منك مرارا أن لك جنودا وأنصارا فما الذى يمنعك عن بلدك والإقامه مع عساكرك وجندك وأنا والله قلبى ماهو مرتاح على هذه الاقامه فقال لها وأنا أيضا تشوقت إلى أهلى وإلى أرضى وبلادى حتى أفراح الأصدقاء وأكيد الأعادى ثم التفت إلى عاقصه لأنها طول هذه المدة لم تفارقه وقال لها ياأختى وصلينى

أنا وزوجتى إلى حمراء الحبش حتى أنظر ماجرى بعد فلما سمعت له قصة كلامه قالت له اقعد أنت وزوجتك على السرير ولله المشيئة والتدبير فجلسا ودخلت عاقصة تحت السرير ووفعته إلى الجو الأعلى حتى أسمعتهما تسبيح الأملاك فى مجارى قبب الأفلاك يامؤمن بحق من سواك اذكر من لا ينساك ولما سمعت وتمكنت من الصعود وأرادت النزول ارتجفت أعضاؤها وقالت لأخيها الملك سيف بن ذى يزن يا أخى أنا ما بقى لى قدرة انتقل ولا اخطو خطوة واحدة فانى أشم رائحة مطلسم الأرض ذات الطول والعرض ومستدير بهذا المكان وهذا فعل استوكان وهو من اكبر الكهان وحكيم من قديم الزمان وليس مقام يرده ويصده وأنامابقى لى قدرة على الوصول إلى أرضكم والطول بل أعود إلى القصر الذى كنت فيه حتى أضعكم واقيم معكم فقال لها يا أختى ما تحتاج أن ترجعى فانزلى ينافى هذا الموضع فقالت ما تحتنا أرض وما تحتنا يا أخى إلا البحر وأنا والله بقيت فى حيرة فقال لها الملك سيف بن ذى يزن انظرى لنا جزيرة فقالت سمعا وطاعة ثم أنها هبطت قليلا حتى بقيت على الأرض ووضعتهم بالسرير وإذا بهم فى جزيرة ذات أشجار وأنهار وأطيار تذكر الله العزيز الغفار فتأمل فرأى شجرة الجوز الهندى كل واحدة قدر البطيخة العظيمة وإن هذا الجوز يكفى ألوفا من بنى آدم لانه شىء كثير وإذا أتى قوم إلى هذه الجزيرة وأخذوا شيئا من ذلك الجوز وكسروه فانهم يجدوا فيه شيئا مثل اللبن وطعمه مثل العسل وهو يغنى عن الطعام والمشروب وفيه رائحة تزيل التعب من القلوب وإذا كان أحد معه خبز يجده ملآن مثل اللبن كما ذكرنا فيغمس به الخبز ويأكل وإذا لم يكن معه خبز وكسر الجوز فيجدها مثل الحلاوة المعقودة وهى أطعم من الشهد وألذ من اللوز والسكر وأطيب رائحة من المسك الازفر والند والعنبر كل هذا بقدرة الله الذى خلق وصور ثم أن عاقصة قالت للملك سيف أتريد حاجة فقال لها نعم أريد شيئا من وحوش البر أو من الدواب المأكولة فقالت السمع والطاعة وغابت قليلا وأتت بوحش بقر سمين فقام الملك وذبحه وسلخ جلده وأخرج لحمه من عظمه وأضرم النار فى ذلك المكان وكانت عاقصة جاءت بأحطاب فشواه وأقبل هو ومنية النفوس وأكلوا من لحمه حتى اكتفوا وأتوا إلى عين ماء أبيض من الثلج وأحلى من العسل فشربوا ثم قالت عاقصة يا أخى إيش تريد منى فقالت لها وأنت إيش مقصودك فقالت له أريد العودة إلى بلدى فانى من مدة وأنا معك فى قصر المختطف ما أعلم ما جرى على أهلى فقال لها الملك سيف سيرى وعودى إلينا عن قريب فسارت عاقصة وأقام الملك ومنية النفوس معه فى هذا المكان حتى أكلوا لحم الوحش الذى معهم فى ثلاثة أيام وبعد ذلك صاروا يأكلون من الجوز الذى فى الجزيرة مدة أيام وهم مقيمون ليلا ونهارا ثم ساروا بجانب البحر حتى فاتوا البقعة التى فيها شجر الجوز ومشوا بعيدا عنها

وظن الملك سيف أن عاقصة تأتى إليه فانتظرها فلم تأت فقال ياليتنا كنا أقمنا مكاننا وكنا نأكل من شجر الجوز حتى يدبر لنا ربنا ويرسل لنا رزقنا وأقاموا كذلك وكانوا فاتوا محل الجوز بيومين فقالت الملكة منية النفوس أنا أدبر لك حيلة على صيد شيء من البحر أو من البر وهو أنك تعطيني سيفك فأحفر فى الأرض حفرة وأكمن بها حتى إذا مرت على غزالة أقبضها أو أصيبها فقال افعلى ما بدا لك ففرحت وأقامت كامنة واحتالت كما ذكرنا حتى قبضت على فحل غزال وفرحت به وجمعن حطابا وشووا وكان بهم جوع فأكلوا أكل جائع حتى اكتفوا وكان يوم شديد الهجير والحر فتوقد عليهم البر واشتد بهم العطش والظمأ وأيسوا من أنفسهم وبقى الملك سيف يبل جثته من البحر المالح فيزداد عطشا وظمأ فلما أيقنوا بالتلاف والملك سيف بقى ويله نفسه وويله الملكة منه النفوس ويودان يفديها بروحه ولو يسكن هوفى صحيحه فالتفت يمين فلم يجد معين إلا الملك الأمين والتفت يسارا فلم يجد أنصار إلا الملك العقار والتفت قدام فلم يجد مقدام إلا الملك العلام والتفت خلف فلم يجد الف وقطع العلائق من الخلائق وتوسل بالله العظيم ورفع طرفه إلى السماء وقال اللهم يا عظيم العظماء يارافع هذه السماء وباسط الأرض على تيار الماء يامن علم آدم الأسماء أغثنا من كرب العطش والظمأ ثم أنشد وقال صلوا على باهى الجمال

يخفى لطيفا يا لطيفا لم تزل * ألطف بنا يا ذا العلا فيما نزل * ياحى ياقيوم يا صمد ويا

حد ويا مالك توحد فى الأزل * يامن بلا كيف على العرش استوى * يامن بحكمته لنا ضرب المثل

يا أول يا آخر يا ظاهر * يا باطن أنت المؤمل والأمل * يا قابض يا باسط يا وارث

ثوث الوجود وأنت حى لم تزل * يامن هو الموجود ليس كمثله * شىء عن التشبيه والتمثيل جل

يامن هو البر الرؤوف بخلقه * لم يبق بيننا للتخليد محتمل * إن لم تكن أهلا لعفوك يا عفو

فأنت أهل معفو عن محض الزلل * يامن له عنت الوجوه بأسرها * وبنوره نارت مصابيح المقل

فسد الزمان ولم نطق إصلاحه * لفساد أنفسنا وفيها للمقت حل * ياملجأ الملهوف إذ لاملجأ

نأوى إليه سوى جنابك قد سال * قد حل ماقد علمت وأنت لى * نعم الملاذ لما بصدرى قد حصل

فاجب سؤالى يا إلهى واكفنى * شر الزمان وما بدهرى نزل * وأعد لنا ماكان فيه سرورنا

مع الانتظام لحالنا فالخطب جل * ثم الصلاة على النبى محمد * خير الخلائق فى الأواخر والأول

(قال الراوى) فلما فرغ الملك سيف بن ذى يزن من كلامه وما بداه من نظامه تغير البحر وهاج وتلاطم الأمواج وأرغى وأزبد وانجلى عن مراكب وعقبات كأنهن الشهب الثاقبات وهم قاصدون إلى تلك الجزيرة والهواء غالب عليهم حتى ألجأهم إليها من كل جانب بإذن الله الملك الغالب فوصلوا إلى البر فربطوا مراكبهم وطلعوا الجزيرة بأجمعهم فرأوا الملك سيف وزوجته منية النفوس فى هذه الجزيرة فخافوا منهم لعلمهم أن هذه الجزيرة لم يدخلها قط إنسان فقالوا لهم من أين أنتم ومن أتى بكم إلى هذا المكان وهل

أنتم من الانس أو من الجان فقال لهم الملك سيف وقد علم أنهم خافوا منهم ها أنا مثلكم من الانس فلا تخافوا و تفرجوا فأقبلوا إليه وداروا حواليه وجعلوا يسألونه عن سبب مجيئه إلى هذا المكان وإذا بكبيرهم قد أقبل وهو فى أمره على عجل وما زال حتى وصل إلى الملك سيف وحقق فيه النظر ونادى واسيداه لا يأس عليك فأنا خادمك الملك أبو تاج وهذه مراكبى ورجالى وانت إيش انى بك إلى ذلك المكان ورماك فى هذه الجزيرة العادمة السكان فقال له أنا ما قعدت ههنا إلا فى انتظارك والحمد لله على سلامتك فإنى مشتاق إلى رؤيتك وقد جمع الله ممنا بالأحباب فقال الملك ابو تاج ومن ومن اين علمت ايها الملك انى قادم إلى هذا المكان حتى قصدت انت هذه الجزيرة واقمت بها فى انتظارى فقال الملك سيف يا اخى إن المؤمن ينظر بنور الإسلام وقلب المؤمن دليله على مثل هذه الأحكام وإذا حدثه قلبه بشىء فما يكون إلا صحيحا هذا ولم يظهر له الملك سيف شيئا مما جرى عليه وقعدوا يتحدثون مع بعضهم وامر الملك ابو تاج باحضار الطعام من المراكب فأقبل الغلمان مثل السلاهب فأكل ابو تاج والملك سيف وقدم للملكة منية النفوس بأعز الأطعمة فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وحمدوا مولاهم على ما اعطاهم ثم أن الملك سيف ابن يزن امر بعض الرجال ان يحضروا مركبا يعود فيها من شاطىء البحر إلى نخل الجوز الهندى فجاؤوا بها وتوجهوا إلى محل الجوز الهندى فملاوا منه المركب وعادوا بها إلى المكان الذى هم فيه فلما حضروا قال الملك سيف للملك ابو تاج اعلم يا ملك ان هذا امره غريب يحير كل عاقل ولبيب فقال ابو تاج لماذا يا ملك فقال له لأنك إذا كان معك خبز وكسر الواحدة تجد فيها مثل اللبن فتأكل منه بالخبز وإن لم يكن معك خبز تجده جوازا من غير ابن والذى فى قلبه معقود مثل الحلاوة وهذا صنعة الله تعالى فلما سمع ابو تاج ذلك الكلام ازداد يقينا فى دين الإسلام وكسروا من الجوز واكلوا منه ونزلوا فى المراكب والملكة منية النفوس معهم فأخلوا لها محلا فى العليون الكبير الذى برسم الملك أبو تاج وصار الملك سيف يقعد باقى النهار مع الملك ابو تاج وفى الليل مع الملكة منية النفوس وفردوا الأقمشة وساروا ليلا ونهار ولم يعلموا طريقا يسلكوها ولا سواحل يقصدوها وكل يوم يقول الملك ابو تاج للناظور اطلع الصارى وانظر لنا برا من البرارى لعلنا نبلغ السلامة من اللطيف العزيز البارى فيطلع وينزل ويقول لهم لم يكن غير الماء والسماء وداموا على ذلك المسير والله تعالى يدبر لهم التدبير ويهون كل أمر عسير إنه على ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير فبينما هم كذلك إذ طلع الناظور على رأس الصارى وقال للملك سيف يا ملك الزمان إنى رأيت إننا قادمون على برارى وصحارى ورأيت على بعد سور المدينة الحمراء فقال الملك سيف والله يا قبطان يثبت لك عندى جزاء البشارة وداموا حتى وصلت الغلايين والمراكب وفرحت جميع العساكر بتلك البشائر ودخلوا الميناء وطلع الملوك

والعساكر وتباشروا بأعظم البشائر ودقت الطبول ونعرت البوقات وانتصبت الخيام فى البرارى والطلول وانتشر وافى الأرض عرضا وطولا وأقاموا هناك ثلاثة أيام حتى أخذوا الراحة من تعب البحر ثم التفت الملك سيف بن ذى يزن إلى الملك أبو تاج وقال له مرادنا الركوب والمسير إلى المدينة الحمراء فجهز عساكرك بالخيل والنجائب ولا يبقى منكم أحد الا ويكون راكبا فقال الملك أبو تاج سمعا وطاعة وأرسل إلى المدينة فاحضر الخيل وركبت عساكره وركب الملك سيف بن ذى يزن وجعلوا للملكة منية النفوس محفة من خشب مثل التخت وأركبوها فيها وساروا طالبين حمراء الحبش وهى بلد الملك سيف بن ذى يزن ولهم كلام إذا وصلنا اليه نحكى عليه والعاشق فى جمال النبى يصلى عليه (ياسادة) والتفت الملك أبو تاج وقال له يا أخى إيش جرى فى زوجتى الملكة شامة بنت الملك أفراح لأنى تركتها عندك وتوجهت وما اعلم ما جرى فقال أبو تاج يا ملك اعلم أن شامة كانت معى لما وصلت بعساكرى مدينتك حمراء الحبش وأنت معنا يا ملك حاضر وطلعت السيدة شامه إلى سرايتها وأقامت فيها مثل عادتها وأقمنا جميعا فى خدمتك ولما أصبحنا ولم نجدك سألنا برنوخ الساحر عن الذى أعاقك عن نزول الديوان فقال إن أمه هى التى عاقته ولا بد أن يبقى لنا منها أهوال ووقائع ثم سكت ولم يرد على جواب هذا والملك سيف اطمان قلبه على زوجته وولده وساروا كما ذكرنا (قال الراوى) وأما ما كان من برنوخ الساحر وعساكر الملك سيف بن ذى يزن مثل المقدم سعدون الزنجى ومن معه من العبيد والفرسان الصناديد كذلك الملك أفراح وباقى الأبطال والرجال فانهم لما فقدوا الملك سيف ونزلت الملكة قرية أم الملك سيف وجلست على التخت ولم تحسب حسابا من الحاضرين اغتاظ أهل الدولة وعلموا أنها احتالت على ولدها وأخذت اللوح وبقى معها ولولا ذلك ماقعدت على التخت ودارت بها توابعها كما كان لهم فتشاوروا إلى برنوخ الساحر وقالوا له أيها الحكيم كيف العمل فى ذلك الغبن العظيم فان قمرية احتالت على الملك سيف وأخذت منه اللوح ولابد من فتنته من هذه اللعينة حتى تهلك العساكر وتخرب هذه المدينه فقال لهم برنوخ لاتتحركوا الساكن ولا تسعوا فى الفساد وخراب الأماكن لأن هذه كافرة وإذا قتلت على أيديكم وحضر ولدها وعلم بقتلها يعتب عليكم دعوها عن بالكم وسوف أفعل مايليق لها وأريحكم من شرها ومكرها وصبر برنوخ الساحر حتى أقبل الليل فالقى عليها باب الدلة وجعل حول قصرها سورا من الظلام وألقى عليها ... لان حتى منعها عن العقود والقيام وطال عليها المطال وهى على هذا الحال وكلما أرادت أن تمسك اللوح الذى لعيروض تجد أياديها مثل الخشب البلوط فعند ذلك صبرت على هذا الحال مدة أيام وليال وكان عندها اسمه حردون ولكنه كافر مفتون وهو لا يفتر عن خدمتها ودائما ملازما طائعا فقالت له فى يوم يا حردون أنا قصدى أرسلك إلى الملك سيف أرعد تخبره بكل ماجرى تجده ! كتب كتابا فانى من شده

ما فعل برنوخ من هذه الظلما أشرفت على الويل والعمى وقد أردت منك أن تتحايل وتضع لى سراجا لعلى أن أقضى حاجتى فقال لها سمعا وطاعة وأتاها بسراج وكانت الملعونة ماهرة فى الكتابة فكتبت للملك سيف أرعد تقول اعلم يا ملك الزمان انى اختلت على ولدى سيف بن ذى يزن ابن الزنا حتى أخذت منه اللوح وغدرت به وأمرت عيروض خادم اللوح أن يرميه فى بلاد الحكيم أفلاطون لأجل ان يهلكوه لأن لهم عليه ثار قديم لما كان أخذ النسوة أجدادهم وتوجه به عيروض كما أمرته وأظن أنه مات وانقضى زمانه وفات وقد استرحنا منه ولا يمكن أن يعود وكنت سابقا لما ارسلت أطلب من حضرتك الحكماء

وكان برنوخ الساحر قاعدا لى بالمرصاد فقبض عليهم وسجنهم وجرى وقد عملت الحيل حتى خلصت نفسى وخلصتهم وأرسلتهم اليك بأمان وان برنوخ الساحر افتقد الملك وهو والرجال وعلم من باب صناعته بالحال مافعلت أنا بالملك سيف بن ذى يزن من الفعال فالقى على محلى ظلمة أشرفت منها على العدم وحبسنى فى قصرى هذه المدة فدعوت بعيروض بعد أيام وأمرته ان يقبض على برنوخ فما قدر على ذلك وقال لى لم أقدر على برنوخ وإن تعرضت له يحرقنى وأنا ياملك الزمان مابقى لى اصطبار وكيف ياملك الزمان تتخلى عنى وأنا جاريتك فارجو منك إرسال بعض الحكماء لعله أن يكون على أيديهم إزالة الغمة ويكشفوا عنى هذه الظلمة وها أنا ملك أرسلت اعلمتك ادام زحل علكتك وبعدما كتبت لك الكتاب فتحت باب السر وأخرجته ليلا وسار قاصدا مدينه الدور عند الملك سيف أرعد حتى وصل المدينة ودخل على الملك سيف أرعد بعدما استاذنوا له بالدخول فلما لم يبق فى الديوان أحد من الخدم افصح عن جاء به وتكلم ودعا للملك بدوام العز والنعم فقال الملك سيف أرعد من أين انيت وما الذى تريد فقال له أنا خادمك حردون من جاريتك قمرية وأريد ياملك أخبرك بما وقع لها من أعدائها فانها فى كرب عظيم وخطب جسيم ثم انه أعطاه الكتاب فأمر بقراءته وسمع مافيه فدعا بالحكماء الاثنين وهم سقرديس وسقرديون بين يديه فلما حضروا وسلموا عليه أخبرهم بما ارسلت بالقرية وأراهم الكتاب وقال لهم مرادى أن أرسلكم إلى قمرية لتزيلوا عنها مافعله بها برنوخ الساحر من المصائب والأذية لأنها صالحة والتنا وتركت ولدها واتبعتنا فبقى الواجب علينا ان نحا بها ولا نتخلى عنها فقالوا ياملك ومن أرسل برنوخ هذا اليها فقال لهم أما سمعتم كتابها وماقالت فى جوابها فلا تقعدوا عن نصرتها ولا يكون لكم همة إلا فى نجدتها فقالوا له ياملك نحن نسير اليها بكل همه ونزيل عنها كل وهذا عندنا أقرب مايكون ولكن نحن ياملك نخاف من سعدون الزنجى لأنه متى وقعت عينيه فانه لاشك يقتلنا ولا يبالى بك ولا بنا لأنه كما تعلم ياملك جبار لا يصطلى له بنار فلما سمع كلامهم انغاظ منهم وقال لهم إيش هذا الكلام يا اولاد اللئام وإنا ان تخليت عن قمرية ولم اقدر ان ازيل عنها الرزيه يقال إن ملك الحبشة والسودان عجز عن رجل سحار وعن عبد قليل المقدار فانظروا لكم رأيا واصوابا فقالوا

له اعلم يا ملك الزمان أننا لسنا أهل حرب وطعان فمرادنا يا ملك أن تجهز لنا عساكر حربية معودين بخوض الأهوال ومصارعة المنيه فاذا كان برنوخ الساحر يتعرض لنا فنحن له كفية واما إذا تعرض لنا سعدون الزنجي بمن معه الفرسان وكذلك الملك افراح ومن له من الجنود والأعوان فتتلقاهم الأبطال الذين معنا والفرسان واما برنوخ الساحر فنحن له والأمثاله فإذا قدمنا على مدينة حمراء الحبش ووقعت العين على العين فتكون نحن لبرنوخ الساحر وأما الفرسان الذين معنا فتلتقى الجيوش والعساكر ولا نعود إلا ببلوغ المقصود ونأتيك بكل ما بها من الملوك فى الأغلال والقيود بعد مايفنى العساكر والجنود هذا إن أردت أن زحل ينصرك وأما ياملك الزمان إذا أرسلتنا وحدنا نحن الاثنين فما نبلغ غرض ولا نشفى مرض فقال لهم صدقتم ومن تريدون أن تأخذوا من الفرسان والأبطال حتى يعينوكم على الحرب والقتال وملاقاة الأهوال (قال الراوى) وكان فى فرسان الملك سيف ارعد فارسان جباران يدخرهما للشدائد والأهوال إذا كثرت عليه الحروب واشتدت الأحوال ويضرب بهم الامثال عند الحرب والقتال فاما واحد منهم فاسمه المقدم مهوب وهو كانه الإسد الوثوب وإذا نزل على اعدائه كانه البلاء المصبوب وهو جبار من الجبابرة وكان فى ديوان الملك سيف ارعد الفرسان ومقدموا العساكر يفتخر بالحرب البولاد ويركبوها فى قطع من عود النار كل من كان جبار له حربة على قدر جبره وعادة جبابرة الحبش والسودان ان يفتخروا بحرابهم التى يتقلون بها والسيوف التى يتقون بها وكل جبار له حربة خاصة لنفسه كما ذكرنا واتفق فى قديم الزمان انه ظهر فى بلاد الحبشة فارس قبل ذلك الزمان كان اسمه الصول الصائل وكان بطلا من الابطال وله حربة تزيد عن حراب غيره على قد رجبره وشجاعته لكن بطل آخر اسمه المقدم كاردفان كان الآخر جبارا وكان له حربه على قدره فكان يوم من الايام اجتمعوا فى الديوان بحضرة الملك أبو سيف أرعد تذاكروا بالقوة بين بعضهم وافتخروا على قدر شجاعتهم وقوتهم فقال المقدم الهوال الصائل انا اقدر اطوى هذه الحربه التى فى يدك يامقدم كاردفان واطوى كيزها على السان واقصفها بيدى واجعلها نصفين ويكون بينى وبينك رهان من حصان إلى حصان ان انا قصفتها اخذت حصانك وإن عجزت اعطيك حصانى وكان ذلك بحضرة الملك فأخذها وكانت من البولاد الصينى فاتكا عليها وقصفها نصفين وافتخر بما فعل على جميع الفرسان فأمر الملك له من عنده بحصان فداء عن حصان المقدم كاردفان فاغتاظ كاردفان وحلف بزحل يذكر بين الكواكب النيرة انه يقدران يسبك بين يديه حربتين ويأخذ فى نظير ذلك حصانين فقال له الملك وجعل ...حنه بالكلام إن فعلت ذلك أعطيك حصانين من عندى واحكمك فى جميع عسكرى وجندى فكان الامر كذلك وامسك حربتين واتكا عليهما فانطويا على بعضهما ورجعهما ليعيدهما فانقصفا فانعم عليه الملك بحصانين وشاع له بذلك الذكر فى بلاد

السودان وتداولت الأيام والأزمان وتسلط الملك سيف أرعد بعد أبوه على الحبشة والسودان وظهر مهوب بكل هذا وافتخر بعزمه على الأقران حتى سمع ما فعل المقدم كاردفان فى قديم الزمان وكان المقدم كاردفان موجود ولكنه صار هرما ليس له همة فلما سمع المقدم مهوب بأنه فى زمانه قصف خربتين وصار له ذكر شائع فى العسكر طلب من الملك سيف أرعد أن يحضره بين يديه فلما حضر قال المقدم مهوب أريد منك بحضرة الملك أن تأمر أرباب الصنائع وهم الحدادون أن يصنعوا حربة مثل الذى كنت تفتجر بها فى زمانك فقال سمعا وطاعة وأحضر حربته الأصلية التى كان يعتقل بها فى زمانه بين أتباعه وأقرانه وأيضا أحضر الحربة الهول الصائل وكانا الحربتان متماثلتين فقال المقدم مهوب وهذه حربتى الثالثة وكان المقدم الهول الصائل فى زمانه قصف واحدة قسمى بسايك الحربة بيديه وافتخر بذلك المقدم كاردفان سابك الحربتان فعند ذلك تقدم المقدم مهوب وأخذ الحربتين ووضع عليهما حربته وقال الملك سيف أرعد يا ملك الزمان إذا كنت أسبك هؤلاء الثلاث حربات إيش يكون لى عندك من الأنعام فقال له كنت أجعلك نائبا على أى بلد تريد واجعل لك خدم وغلمان وعبيد ومهما طلبته أعطيك وأزيدك عليه أوفى مزيد فعند ذلك طبق الثلاث خشوت الحديد على بعض وقبض بكفيه على أطرافها فطواها على بعضها وقال ياملك الزمان عند اهتزازها بيدى فالإثنان ينقصان وأما حربتى فانها تنفدى كما كانت ولا تنقصف وأما هاتان الحربتان فتقصفان بما أنهما قديمتان وأما حربتى من دونهما فجديدة فقال له افعل ما بدا لك حتى تتفرج على أفعالك وإن كنت تقدر أن تعيدهما كما كانتا ولا ينكسر ؟انك بذلك تفتخر على أقرانك ولا يبقى لك عديل فى زمانك فقبض عليها حتى أعادهم كما كانت على صحتها فأنعم عليه الملك فى الحال وحكمه على ما حول المدينة من جميع الجبال أو رتب الجماكى والعلوفات وسماه المقدم مهوب سابك الثلاث وشاع ذكره بهذا الإسم بين الفرسان والقادات وهو فارس شديد وبطل صنديد وشيطان مريد (قال الراوى) وكان فارس ثان اسمه المقدم دمنهور وكان من منشئه وهو طفل جعل مأواه الجبال حتى كان يصارع أولاد النمور وربى بين السباع والأشبال وكل اقامته الآجام والغابات والأودية الخوال وأكله من لحم الوحش والغزال ومشربه من غدران المناهل والجبال فبذلك سموه دمنهور الوحش فانه كان اسما على مسمى هذا أصل اسمائهم وكانوا بذلك فائقين على جميع الحبشة والسودان ولهم هيبة فى كل مكان وتخضع لهم جميع الجبابرة والأقران وهم فرسان ذلك الزمان ومع ذلك لا يحضرون عند الملك فى ديوان أبداً فإن على الملك سيف أرعد ملك أو نائب فيرسل إلى دولته ويأمرهم أن يبعثوا إلى أحد الاثنين إما سابك الثلاث أو دمنهور الوحش ﴿ يا سادة ﴾ ولما كان ما كان من قمرية وبرنوخ الساحر فى هذه النوبة والملك سيف ارعد ضيف على سقرديو وسقرديس فما كان له

إلا أن قالوا للملك سيف أرعد يامالك الزمان أنت اعلم أن سعدون الزنجى جبار وفى الحرب ماعليه غبار وإن اردت ان تبلغ منه المقصود فى القوة والبطش فارسل معنا سابك الثلاث والمقدم دمنهور الوحش فان هذين البطلين يتكفلان بسعدون الزنجى ومن معه من الرجال ويكون معهم فرقه من العساكر للقاء الملك افراح إذا تعرض للحرب والكفاح ونحن نتجرد لبرنوخ الساحر ومايفعل من الفعال واعلم يامالك الزمان أنه مايتم لنا أمر فى هذه الكرة وتفتح لك المدينة الحمراء إلا إذا أمرت هؤلاء الجبابرة أن يكونوا معنا فى هذه القضية فقال الملك سيف ارعد السمع والطاعة وفى الحال ارسل من عنده نجابين إلى المقدم سابك الثلاث والمقدم دمنهور الوحش وبعد إرسال النجابة من عنده قال للحكماء ها أنا أرسلت لهم النجابة وحين يحضروا من البرية نأخذهم وسيروا بهم إلى معاونة قرية ثم التفت الملك إلى وزرائه وأرباب دولته وقال لهم انتم جميعا إقامتكم معى على غير منفعة واحوالى معكم على أى الحالات ضائعة والأمور كلها لا أحد فيكم له فيها رأى وتدبير نفيس إلا هذين الحكيمين وهم سقرديوس وسقرديس فقام الوزير بحر قفقان الربى على قدميه وتقدم قدام الملك سيف ارعد وقبل الارض بين يديه وقال له يامالك الزمان انت ماعرضت لاحد منا سؤال ولا جعلت شورتك إلا مع هذين الحكيمين أهل الخزى والضلال ولو سألتنا عن شىء كنا أجبناك وإلى طريق الصواب أرشدناك وإن كان هذان الحكيمان اعلماك بهذين الفارسين وهم دمنهور الوحش وسابك الثلاث فأنا أدلك على من هو أقوى منهم ثباتا وهو فارس لايلتقى ولايأتى بحرب ولايشقى وهو عبد اسود اشجع من هذين الاثنين وأثبت من سعدون ومن غيره بطبقتين لأنه زائد عن الجميع فى الفروسية وقد بلغ النهاية والمراتب العلية بلغنى عنه الأخبار على ألسنة التجار والسفار بأنه قاطع طريق وخائن الرفيق وهو ساكن الآن يامالك فى غابة الأسد وكم أرسلت أنا له عسكرا من عساكرنا وهو يهلكهم ولايخلى منهم أحد ويأخذ سلاحهم وملابسهم الخيل والخوذ والزرد إن كان مرادك أن تنظر إليه فارسل له من عندك رسولا بهدية من احسن الهدايا وارسل له بدلة وحصان يصلح للحرب والجولان واكتب له كتابا من عندك بالأمان وقال له فى الكتاب يابطل الزمان وفريد العصر والأوان لايخفاك أن لى عبد من عبيدى عصى لشدة بأسه وقوة مراسه وكلما أرسلت إليه أحد يقهره أو جيشا يدمره وقد علمت ان ماله كفء سواك أيها الفارس فارسلت لك الكتاب ومرادى منك ان تركب إليه وتجتهد ان تخطف روحه من بين كتفيه فاذا سرت اليه وكفيتنى شره وصرمت عمره أو اتيت به عندى اسيرا فانى اعذبه العذاب الكبير وانا اجعلك لى وزير وتبقى جليسى فى مرتبتى واقاسمك فى نعمتى وازوجك بابنتى وتصير من أعز أحبتى واجعلك رئيس مملكتى وسيف نقمتى ونافذا امرك فى جميع وزراء دولتى وسلام زجل عليك وشهب

النجوم جميعا تشوى وجهك وبدنك ويديك ثم قال إلى الوزير بحر قفقان الريفى ياملك الزمان واذكر له أنك تزوجه بنتك ست الأهل فلعله إذا سمع هذا الكلام وتولع قلبه بحب ابنتك ويأتى إلى طاعتك ويصير من حزبك وفرسان دولتك فترسله إلى سعدون الزنجى مع هذين الفارسين وتنظر كيف يصنعون فإن قتل سعدون الزنجى فهو أكثر مرادك وبعد ذلك يأمن لنا ويقيم عندنا فإن أطاع وامتثل أمرك وإلا دبرنا على هلاكه وسوء ارتباكه وإن كان سعدون الزنجى يعجل من الدنيا مرتحلة فبذلك ترتاح منه لأنه على كل حال عاص عليك أيها الملك السعيد وهذا ماعندى من الرأى المفيد (قال الراوى) ثم أن الملك سيف ارعد لما سمع من الوزير ذلك الكلام أيقن أن هذا رأى جيد تمام وكان واثقا بكلام الوزير لما يعلم أنه بعواقب الامور خبير وايضا يعلم أن ذلك الفارس الذى فى غابة الأسد كلما يريد ان يرسل يطلبه يخاف إذا أرسل حيث أن يغلبه وناموس الملك إذا كان الذى يرسله ينهزم فلا يبقى له حرمة ولامقام بين الأمم وكانوا جميع دولته من هذا العبد يخافون وبه قدام الملك لايتذكرون ويعلمون أنه مقيم فى غابة الأسد واسمه ميمون وهو فارس قمقام وبطل ضرغام وكنيته ميمون الهجام فلما كان ذلك اليوم تكلم الوزير بحر قفقان الريفى بهذا الكلام التفت إلى الحكماء وقال لهم هل تعرفوا ذلك الذى تحدث عنه الوزير وأنه فارس خطير وبطل نحرير فقالوا له نعم ياملك نعرفه ولا نجحده وهو مقيم فى غابة الأسد لايقاومه فى الحرب أحد ولايخفى عن أحد منا أمره فانه قد أباد الشجعان وأذل كثيرا من الاقران وتجارا على قتل العباد وأكثر فى الأرض الفساد يا ملكنا نريد أن تؤمنه على نفسه لعله يحضر بين يديك فانه يهلك جميع اخصامك مع هذين الفارسين وبذلك يعلو شأنك على جميع الملوك فى الشرق والغرب وإن هو هلك أراحك زحل منه بغير قتال ولاحرب وأيضا إن سعدون الزنجى عدونا وميمون الهجام أيضا خصمنا ولايصعب علينا كل من هلك منهم على أيدى بعضهم ونحن إذا سرنا بهؤلاء الثلاثة أقران مع الباقى من الفرسان نجعلهم المقدم سعدون الزنجى وعبيده ومن معه من الملوك والمقدمين وتنفرد لبرنوخ الساحر نحن الاثنان وتبطل الظلمة عن جاريتك قمرية وإن أراد زحل فى علاه لاتبقى من الجميع لا ديار ولا نافخ نار (قال الراوى) فعند ذلك سكت الملك سيف أرعد ساعة زمانية ورفع رأسه وقال لهم إذا كان الامر على ماذكرتم فلا يكون رسول إلى ذلك الفارس إلا أنتم فكونوا رسلى إليه وكل ماتفعلونه ماضى واضمنوا له على الأمان وجميع ماتفعلونه فما أخالفكم فيه إذا أحضرتموه ولذلك لأمر تديتموه فقالوا له سمعا وطاعة ياملك الزمان وبعدها تطلعوا لبعضهم بالأعيان وقد زاد مغصهم وتكلموا مع بعضهم بالاشارة فقال سقرديس لسقرديون يا أخى ترك الفضول من أحسن المعقول وكثرة الفضول من قلة العقول واللقلقة

خراب لجميع الفروع والأصول ومرارة اللسان تقتل الإنسان وتسقيه كاس الهوان فقال سقرديون ويلك يا سقرديس بالخيس ما كان لنا من هذا الأمر النحيس النحيس الذى أوله وآخره تجلب التعسة والتنكيس فان كل من راح إلى ذلك العبد يكون فرغ من الأجل ولا يعود سالم ولا إن كان أشجع بنى آدم ولكن لا تمكننا الخلاف فقم بنا نسير إلى العبد ميمون وندبر الحيلة على قدر ما يكون من العمل عسى أن ينفعنا ثم رحل ثم أنهم استأذنوا الملك بالانصراف وقاموا إلى محل الغاب وقالوا أيها الملك لا بد لنا من المسير إلى ذاك العبد ميمون الهجام الفارس النحرير فقال لهم وحق النجم إذا سار والليل إذا أظلم وهذه ختام الأمان وخذوا أيضا معكم هذه الهدية السنية الغالية الأثمان وهى درع ودى وسيف ومزراق وحصان ولكن بشيء عظيم يساوى خراج إقليم فعند ذلك خرجوا من عند الملك سيف أرعد طالبين غابة الأسد وأخذوا معهم مائة فارس كلهم بالحديد والزرد وساروا يقطعون البر والفدفد وهم زائدان الغيظ والكمد ولهم كلام (بإعادة) وأما النجابون الذين أرسلهم الملك سيف أرعد إلى دمنهور الوحش وسابك الثلاث فانهم ساروا ودخلوا عليهم وسلموا الكتاب فأخذوه وقرؤه ولما أتوا على آخره أجابوا بالسمع والطاعة وركبوا من تلك الساعة وساروا ودخلوا على الملك سيف أرعد فى مدينة الدور وسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه فلما رآهم أمرهم بالجلوس بعد ما رحب بهم فجلسوا قدر ساعة زمانية والتفت إليهم وقال لهم لما احضرتكم إلا لأمر عظيم وهو أن عبدا من عبيدى قد عصى وتكبر وعمل على كيدى لكونه من أهل القوة والشجاعة فقلت بالحديد إلا الحديد فمن أتانى منكم برأسه ويأتى به أسير ذليل حقير أفيض عليه من نعمتى وأزوجه المليكة جوهرة ابنتى وأجعله نائب عن مملكتى فقالوا له يا ملك نحن الك وبين يديك وإن أرسلت منا أحدا يضرم عمره ويكفيك شره فارسلنا يا ملك إليه إما أن نأتى به أسيرا ونتركه على وجه الأرض ملقى عفير فقال لهم الملك سيف أرعد وأنا أيضا أرسلت خلف العبد ميمون لأجل يكون معكم لأن الكثرة تغلب الشجاعة فأقيموا هنا إلى أن تأتى الحكماء وتسيروا مع بعضكم على بركة الله لعلكم تهلكوا سعدون ولكم عندى ما تريدون ثم أنه أفرد لهم مكان مخصوص لإقامتهم وأقاموا كما أمرهم ورتب لهم كل ما يحتاجون إليه من الكلوم والشرب ومايليق من الإكرام (قال الراوى) أما الحكيمان فانهما ما زالا يجدان فى سيرهما فى البر والفدفد حتى وصلا إلى غابة الأسد وبقى بينهم وبين غابة الأسد قدر أربعة أميال وكانت غابة الأسد تكشف كل من أتى إلى ذلك البر من مسيرة يومين وأكثر أهلوها وكان هذا الجبار ميمون ساكنا فيها لأجل انقطاعها عن العمران وعلوها فوق الجبال لأنه بطل من الأبطال وقيل من الأفيال وهو رجل أطول من الطوال فاذا كان جالسا ونظره إنسان يظن أنه واقف وإذا مشى فى القفار يساوى فى مشيه أعالى الأشجار ومن ثقل جثته لا تحمله الخيل الجياد عنده

الحزب والجلاد فكان مركب الافيال السمان الحوال (ياسادة) واتفق أنه قعد يوما على سن جبل
عال قدام باب الغابة وصار ينزل إلى الطرقات والبرارى والمقفرات الخاليات فبينما هو كذلك وإذا
بغبار علا وثار وسد منافذ البر والقفار وانعقد حتى حجب ضوء النهار وبعد ساعة انكشف وبان للنظار
عن مائة فارس كرار يتقدمهم فارسان كأنهما برجان مشيدان على ظهر جوادين من أنخر الخيول الجياد
وهم كأنهم فى سيرهم الغمام ويقطعون البرارى والآكام فلما رآهم ميمون الهجام قام واقفا على الاقدام
وقال فى نفسه هذه غنيمة قد جاءت الينا من دون الآثام ثم ركب على ظهر الفيل وانفرد إلى ذلك البر الطويل
ولم يزل سائرا فى البرارى الخوال حتى أقبل على مقدم الرجال وكان الحكيمان فى المقدمة فلما رآهم صرخ
فيهم صرخة مزعجة فظنوا من صرخته أن أرواحهم من أجسادهم خارجة وقال لهم من
أنتم ومن أين أقبلتم وإلى أين تذهبون وكيف دخلتم إلى أرضى من غير إذنى وسلكتم
طريق الخطر وأوقعتم نفوسكم فى هذا البلاء المختصر قال فلما عاين الحكيمان ذلك وسمعوا
منه الكلام أيقنا بالمهالك وتأملا صورته وما كانوا نظروه إلا هذه الساعة فرأوه أسود
طول قصبة وعرض مصطبة مفتول الزندين قوى الساعدين واسع الصدر والمنكبين بدماغ
كأنها برجان ووجه أسود وعينين كأنهما سراجان يتوقدان وقلب كأنه قلب الاسد وله أبراق
وأرعاد كأنه من السبع الشداد الذين طغوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد أو من بقايا
قوم عاد أو من عمار إرم ذات العماد فارتعبت قلوب الحكماء ولحقتهم الخمدة والخبلة وظنوا
أنهم أصابتهم علة ولكنهم تجاسروا بالكلام وتبادروا اليه باهتمام وقالوا له أيها الفارس
القمقام والبطل الضرغام نحن اليك جئنا عادمين وإلى نحوك قاصدين وبأرضك نازلين
وعليك مطنبين فقال لهم ومن أنتم ومن أين قد أقبلتم فقالوا له نحن حكماء الملك سيف أرعد
وقد أتينا اليك نطلب منك حاجة ونروم قضاءها من غير أمر ولا نهى عليك فان أطعتنا
كان ذلك منك جميل وأن لاتطع فنحن نعطيك ما بأيدينا ونعود بلا فائدة كما أمرنا ملكنا
وهذا ماعندنا والسلام (قال الراوى) ثم أنهم قدموا له أولا خاتم الامان وبعده قدموا له
الهدايا وكانت على عشرة جمال وعرضوا عليه الحصان والعدة والسيف والرمح وبعد ذلك
أخرج له سقرديس البدلة وأفردها عليه وقال بارك فيك زحل فى علاه فلما لبس ميمون
ورأى نفسه فيها مزروق كأنه الفحل الجاموس أو المطلوق فرح بذلك وتبسم لهم بالضحك
وقال لهم وماحاجتكم ياحكماء الزمان فانكم قد بلغتم المرام ووجب لكم عندى الاكرام
فقالوا له اعلم يابطل الزمان إن الملك يسلم عليك ويقول لك إن عبدا من عبيده يقال له
سعدون الزنجى وقد عصى عليه وقويت شوكته وأراد الركوب اليه وقد بلغه طرف من
شجاعتك وقوتك وبراعتك فأرسلنا إليك لاجل أن تأخذ له بالثأر وتجلوا عنه العار ويبقى

لك العز على أقرانك والافتخار وإن أنت قتلته فإن الملك يزوجك بابنته ويقاسمك فى نعمته ولك عنده كل ماتريد أيها البطل الصنديد فقال لهم ميمون وقد فرح بالبدلة والهدية وزاغت منه العيون وإيش يكون هذا سعدون حتى أن الملك يدعونى إليه ولكن قد أجبتكم إلى ذلك فخذوا مامعكم من الرجال وعودوا إلى الملك فى الحال وأنا ألحق بكما على الأثر وسوف أفعل للملك مايريد .

فلما سمع الحكماء ذلك المقال ركبوا فى الحال وعادوا إلى مدينة الدور وماصدقوا أن ينجوا من هذه الأمور ودخلوا على الملك سيف أرعد وأعلموه أنه قادم خلفهم هذا ما كان منهم وأما المقدم ميمون فانه عاد مسرعاً إلى الغابة وأعلم جماعته وكانوا قاعدين له فى الانتظار وهم يظنون أنه نزل لأجل غنيمة تأتيهم فما يشعروا إلا وهو قادم عليهم وأخبرهم والهدية معه فقالوا له مابالك وما جرى وكانت جماعته عشرة أبطال فقال لهم قد دعينا إلى حاجة الملك سيف أرعد وأريد قضاءها وأنتم عليكم حفظ هذه الغابة فقالوا له سمعاً وطاعة فركب على فيله وسار طالب مدينة الدور وكان الحكماء عادوا فرحين يتحدثون مع العساكر اللذين معهم وسألوهم عما جرى لهم مع ميمون الهجام هل رضى أن يسير للملك سيف أرعد أم لا فقالوا لهم قضيت حاجتنا وكان زحل مساعدنا وموفقنا وساروا قاصدين المدينة وهم فى أهنأ الأفراح والسرور وإذا بالغبار من خلفهم قد فار وعلا وانكشف وبان من تحته المقدم ميمون مقبلاً من البركانه مجنون وهو مسربل بالحديد والزرد النضيد كأنه قطعة من الجلاميد وهو كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل أو قضاء الله إذا انحدر ولم يزل حتى أتى إليهم ووصل ففرحوا به وتلقاه الحكيم سقرديس وقال له أهلا وسهلا بارك الله فيك زحل ورعاك الصنم والهيل ثم أنهم ساروا وسقرديس من شدة فرحه كاد أن يغشى عليه وبقى يتمنى أن يطير فى الهواء وهم زائدون الفرح والسرور حتى وصلوا مدينة الدور وكانوا راكبين الخيل إلا ميمون فكان راكب على الفيل فنزل من خارج المدينة وسلم الفيل إلى بعض الخدماء وصار ميمون صحبة الحكماء حتى وصل إلى القصر فوجد ذلك البنيان والبياض والدرج فوقف يتفرج وظن أن هذه حاجة بمنزلة للفرجة حتى أن الحكماء داسوا على الدرجات فطلع معهم حتى وصل إلى الديوان فرجد لوالوين على الشمال واليمين ونظر إلى مجالس وأسرة ومقاعد ودهاليز ومصاطب ودواوين ومرادب ورأى اثنين وثمانين قطعة من الذهب الأحمر الوهاج على صفة القواعد بين قطعتين عامرتين من المرمر بقحافيك من الزبرجد الأخضر مكللة بفصوص الدر والجوهر تضىء بالليل مثل النجوم وبالنهار يأخذ نورها البصر ونظر ميمون إلى ذلك الحال فأخذه الانذهال وقال للحكماء أنا كنت أظن أن مكانى لم يوجد مثله للحال والآن فقد نظرت إلى ذلك المكان فوجدته أعظم شأن هذا وقد دخل الهيشير إلى الملك سيف أرعد وأخبره

بقدوم الحكماء والمقدم ميمون واستأذن عليه في الدخول فأذن لهم فدخل وجعل سقرديس يحدث المقدم ميمون ويقول له إذا أنت وقفت بين أيادي الملك فطأطي رأسك إلى الأرض هكذا لأجل أن يرتفع مكانك عند الملك وتقع محبتك في قلبه ويكون لك الفخر العظيم فقال ميمون ولأي شيء هكذا تريد أن تعظم منزلة هذا الملك علي بالعين وأنا قدران الكمه بيدي هكذا فاخرق ظهرهم واقصم عمرهم وأعجل من الدنيا مرتحله ثم إنه لكم سقرديس بيده فوقعت اللكمة على كتف سقرديس خدلته ولو كانت بغضب لكانت أهلكته وكاد أن يغشى عليه وإنما جعل يظهر الفرح ويخفي الكمد والترح ويقول له وحق زحل في علاه والنجم وما سواه إنك لناصح نصوح وأين يكون قدر الملك من قدرك وهو محتاج إليك وما أنت محتاج إليه ومازال معه بمثل ذلك حتى أنه طاوعه على ما يريد هذا وقد دخلوا على الملك وسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه ودعوا له بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم فقال الملك مرحباً بك يا بطل الزمان وفريد العصر والأوان جمالك زحل في أمان وباركت فيك الأصنام والأوثان وتبرأ منك الملك الديان فقال ميمون وأنت يا ملك الزمان وحاكم ممالك الحبشة والسودان فقال الملك يا مقدم ميمون لولا أنا أرسلنا لك ما كنت جيتنا ولا دخلت قصرنا وديواننا فقال ميمون يا ملك الزمان ما كان في بالي الحضور ولا كنت أظن أنني أحضر وأجوز الأعتاب والجدران ولكن يا ملك ها أنا حضرت وجاوزت الأعتاب ومن أحضرهم فكأنه غاب فأمر له الملك بكرسي كبير فجلس عليه وكان من العاج الهندي .

ولما جلس أمر بالطعام فامتد السماط وجلس الملك وأجلس ميمون بجانبه وصار الملك يأخذ من أخير المأكول ويطعم ميمون ومازالوا كذلك حتى اكتفوا وانشالت الأواني وغسلت الأيادي وأمر الملك بإحضار أواني المدام فحضرت البواطي ملآنة من الخمر العقار الذي صفا وراق وصار أصفى من دموع العشاق ويتبعه من أصناف الحلويات والبسبوسات وبعض المكسرات من فستق وبندق ولوز وجوز وما أشبه ذلك وأمر الملك بإحضار بنات حبشيات ناهدات وألوانهن كألوان الورد عند تمام استواه وهي نزهة لمن ينظره ويراه وحضروا ودارت الكاسات على أكابر الدولة والملك وسبك الثلاث ودمنهور الوحش وميمون الهجام وقد أخذوا في حديثهم والمشورة والمقال وقعد الحكيم سقرديس وأخوه سقرديون وهم في سكرهم يوسوسون وقال سقرديس لسقرديون أما أنا يا أخي فأيقنت من غير شك ولاريب وزحل هو الذي يعلم الغيب أن هؤلاء الثلاثة أبطال أقل من فيهم يقتل سعدون الزنجي هو ومن معه من الرجال وينزل به الذل والنكال وإن قابلنا برنوخ الساحر ووقع بيننا وبينه ما يكون من الفعال وسوء الاعمال وأنا أخاف من برنوخ الساحر أن يفترسنا ويغلبنا ولا لنا من يساعدنا كل هذا يجري والكاسات على الناس تدور وقد انمكنوا

فى شرب الخمور فبينما هم على ذلك الحال وإذا بشىء نزل من سقف المكان ووصل من الأعلى إلى الأدنى وهو يتبرم وله قعقعة وركض حتى وصل إلى الأرض فلما رآه الحاضرون انزعجوا فإنهم عمرهم ماراًوا مثل ذلك فى الحال ولارأوا هذا التمثال وما داموا إليه شاخصين حتى صار بين أيديهم وهو قائم وإذا به من بنى آدم ولكنه شنيع الخلقة دنس الثياب طويل الشعور والاظافر منتن الرائحة طويل الاسنان واسع العينين كأنه مولود من ذرية الجان فلما رآه الملك أرعد على ذلك الحال قال له من أنت ومن تكون ومن أين أتيت فقال له اعلم ياملك الزمان أنى رسول قد أتيت إليك من عند جماعى السحرة والكهان فقال له الملك سيف أرعد ومن يكون جماعتك أعاذنا زحل من صورتك ما أقبح رؤيتك فقال له اعلم ياملك الزمان أننا من جبك الدخان والفج الاعظم ونحن ثمانون ساحراً وكان علينا كبير سحار وهو مثلنا يعبد النار وهو يسجد لها آناء الليل وأطراف النهار فإنه اتفق أنه أتى عندنا شخص صغير القامة من الآدميين الصغار فأردنا أن نجعله قرباناً للنار فاحتمى نه كبيرنا وعادانا من أجله وحاربنا فلما رأينا على ذلك الحال احلتنا ملكنا صاحب ارضنا والبلاد فأراد ان يقبض عليه فهرب وتركنا تائهين بجانب الفج فأمرنى رفاقى ان ادور عليه من مكان إلى مكان فلم اعلم له طريقاً بالمكان وفى تلك الايام سمعت انه عندك فى هذه البلاد فاتيت إليك اريد ان اسألك إن كان عندك فأنى إياه حتى آخذه إلى ارضنا او اعلم رفقتى حتى يأتوا إليه ونتساعد كلنا على اخذ روحه من بين جنبيه وانا لى مدة ايام ادور عليه .

(قال الراوى) والسبب فى ذلك أمر عجيب وهو ان قمرية لما امرت عيروض سابقاً ان يرمى الملك سيف فى وادى السحرة وجرى ما جرى من برنوخ والملك سيف لما أسلم وأراد السحرة ان يفتروا عليهم وفخيطفتهم عاقصة كما ذكرنا وافاقوا من سكرهم .

(انتهى الجزء الرابع من سيرة الملك سيف بن ذى يزن)

(ويليه الجزء الخامس وأوله وتبعوهم)

وتبعوهم ولحقتهم وعاقصة وخطفت الملك سيف وبرنوخ كما قدمنا وباتوا تلك الليلة ومن أغرب ما جرى أن الخدام دخلوا على ملكهم فرأوه قتيلا وكان له ولد يقال له عبد لهب فلما علم بموت أبيه قال ما قتل والدى إلا الذين كانوا معنا أمس فى الحرب والقتال وأقول أنهم دخلوا مدينتنا وقتلوا أبى وإن دام الأمر على ذلك يقتلوننا واحدا بعد واحد ياويلكم فتشوا على الغرماء ففتشوا عليهم فما وجدوا لهم من خبر ولا وقفوا لهم على جلية أثر فزاد الأمر عليهم ولم يعرفوا أى المصائب التى نزلت عليهم (يا سادة) وكان قتل هذا الملك له سبب عجيب وهو أن ملك هذه المدينة له ولد اسمه عبد سرور وكان يحب بنت الوزير محبة جيدة وهى أيضاً تحبه وهو يراسلها وهى تراسله على يد عجوز كانت متقدمة فى السن فاتفق أن الوزير دخل مصادفة قدر فرأى تلك العجوز داخلة وكان الوزير خارجا فالتقى بالعجوز وبيدها كتاب تريد أن تعطيه لبنت الوزير فأخذه منها وقال لها من أين ذلك الكتاب فتلجلجت ولم تقدر على رد جواب فأخذ هو الكتاب وقرأه وفهم ما فيه فرأى ابن الملك يقول لبنته فى جوابه من بعد السلام والتحية أنه يشتكى من الهوى والصبابة والجوى ويقول لقد طال بنا الغرام واشتد علينا السقام فالمراد إما أن تختفى وتأتينى ليلا حتى نبلغ من بعضنا الغرض ونشفى قلوبنا من المرض وإن كان لا يمكنك المجىء عندى أجىء أنا وأحظى بوصالك وأبلغ المنى وكل من عارضنى انزلت به الفنا وأمكن منه حد السيف وسنان القنا ولا بد أن تردى إلى الجواب حتى اطمئن إذا فهمت الخطاب فلما علم الوزير ذلك دخل على بنته وقال لها إيش هذا الخبر ومن الذى عرفك بابن السلطان حتى أرى كتبه تصل عندنا وهو يكاتبك فقالت له يا أبى أنا خالى معرفة وأنا فى مكانى ولا عمرى رأيته ولا هو رآنى فصدقها وتركها وقصد إلى السلطان ودخل عليه وباس الأرض بين يديه وقال له أيها الملك السعيد إنه ابنك وأرجعه عن ابنتى لئلا يفسد طبعها ويسىء عرضها فإنه مغرم بحبها واعلم يا ملك أن البنات عروض الرجال وإذا دخل شىء فى العرض صار عارا لا يمحى فقال الملك أنا أرده وأحضر ولده ونهاه ومنعه عن بنت الوزير فانتهى مقدار شهر ثم بعد ذلك زاد بهما الغرام فعادا كما كانا بالمكاتبة والمراسلة فعلم الوزير فسأل بنته ثانيا فأنكرت وقالت هو الذى يراسلنى فاغتاظ الوزير وأحضر عبدا من عنده يقال له سمعان وهو من العبيد الشجعان وقال له يا سمعان أريد أن تأخذ هذا الخنجر وترصد عبد لهب بن السلطان حتى يبقى فى محل نومه وتمكن ذلك الخنجر من وريديه وأنا أزوجك بنتى وكان العبد يعشق بنت الوزير

ويتمنى النظر إليها فلما اتفق له ذلك بالاتفاق العجيب قال فى نفسه لعل أن يكون لى فى وصلها نصيب واختلط هذا العبد بالخدم حتى انفض الحديث ودخل السلطان وولده إلى محل النوم فطلع الغلام عبدلهب إلى الحريم أما السلطان فأحضر تنور النار وقعد يتعبد عليه حتى أدركه النوم فدخل العبد إلى قاعة الجلوس فرأى السلطان ماهو واع على نفسه من السكر والنوم فظن العبد أن هذا عبدلهب الذى هو قاعد لأجله فمكن الخنجر من وريدى السلطان واتكأ عليه ففصل الرأس عن الجثة وتركه ومضى إلى حال سبيله وأقبل إلى بيت الوزير وحتى صار فى قدامه وقبل بين يديه الأرض فلما رآه قام له على الأقدام وقال له مرحبا بك ياسمعان قضيت الحاجة فقال نعم قضيتها وإيش تكون هذه الحاجة فما عندى لها خبر ولاهى مثل الحاجات المهمة فقال له الوزير تستحق عندنا الكرامة والنعمة ثم إن الوزير صاح على الغلمان وقال لهم احضروا لنا الطعام فأحضروه وقعد الوزير وسمعان وجعل سمعان العبد يأكل والوزير يعده فى المال واحسان سمعان وظن أنه فاز بهذا الشأن فلا وأبيك ما أكل أول لقمة حتى حلت به النقمة ووقعت شفتاه وصاح صيحة عظيمة دوى لها المكان وذاب لحمه مثل الادهان على النيران فأمر الوزير برميه فى الخلوات ولا أحد يعلم ما فعل ذلك العبد من الأمور القبيحات وقد أخفى الوزير هذا الأمر خوفا من السلطان أن يكون أحدا اطلع على أمره ويكون سببا لضره هذا ما كان من سبب قتل الملك (قال الراوى) ولما أصبح الله تعالى بالصباح واضاء بنوره ولاح نظر عبدلهب إلى والده وهو قتيل وفى فراسه جديل فلطم على وجهه وقال ماقتل أبى إلا الذين كانوا معنا فى الحرب امس وكانت هذه العمارة فى أيام حرب الملك سيف بن ذى يزن وبرنوخ الساحر ففتشوا عليهم كما ذكرنا فما وجدوا لهم خبر فقال له الساحر ياعبد لهب لاتغتم أبدا فأنت حاكمنا وملكنا والمتكلم علينا وأنت تجلس على هذا التخت وتحكم البلاد والأقاليم ونحن نفتش على الغريم ونسقيه كاسات بعد ما نعذبه العذاب الأليم فقال لهم افعلوا مابدا لكم وجلس على كرسى مملكة أبيه وحكم وعدل وماظلم وتزوج بنت الوزير على ملة النار والصنم وفى بعض الأيام الحكماء بين يديه وقال لهم تركتم النار ولا بقى لكم همة لجلى المذلة والعار فقالوا له طب نفسا وقر عينا ثم انهم أرسلوا هذا الرسول فى الأماكن يمتش عليه فجعل يدور من مكان إلى مكان وإلى أن وصل إلى هذا المكان وأخبر الملك سيف أرعد كما ذكرنا ثم أن الرسول قال للملك سيف أرعد ياملك الزمان أريد أن ترينى كبيرنا والذى أضله عن عبادة النار حتى نأخذ منهم الثأر ونجلى عن أنفسنا العار فإن ملكنا عبد لهب أقسم بالنار والنور والظل والحرور لا بد له من أخذ ثأر أبيه وما بقى يهدأ أمر الملك والثمانين ساحر حتى يقتل الاثنان بحد الحسام الباتر (ياسادة) فلما سمع الملك سيف أرعد ذلك الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال للرسول يا هذا اعلم انى أنا ايضا أطلب هذين الاثنين

ومن معهما من الأقوام الكلاب حتى أعذبهم أشد العذاب فاتنى بباقى السحرة فقال الرسول هاهم لى فى الانتظار لانهم أقسموا الملك بالنور والنار وقالوا له لا نلزم هذين الغريبين إلا بنا ولو غاصا فى الأرض السفلى أو صعدوا إلى السماء العليا نتبع منهما الآثار ونأخذ منهما بالثار وخرجوا من عند الملك على ذلك وقالوا لا تدخل البلد ويقر لنا قرار حتى نأخذ سيف بن ذى يزن وبرنوخ السحار ونقدمهما قربانا للنار وأرسلونى أمامهم وتبعونى فى القفار وودعوا أولادهم وعيالهم وقد أرسلونى إلى البلاد الخراب قدرتها وغيرها وأخيرا أتيت إلى هنا وقد سمعت أنهم فى هذه الاقاليم وهى بلاد الحبشة الواسعة وقد علمت أن مملكة الملك سيف ارعد مسيرة ثلاث سنين شمال ويمين وهى بلاد متسعة هذا وقد قال الملك سيف ارعد أيها الرسول ائتنى برفقائك الثمانين فها أنا لك فى الانتظار حتى نسير بأجمعنا اليهم ونخرب ديارهم ونمحوا آثارهم وآثار من يتبعهم ولا نبقى منهم ديار ولا من ينفخ النار فقال الرسول سمعا وطاعة ونزل الرسول فى طلب رفقاء وطلب البر والفلاء وقعد الملك سيف ارعد له فى الانتظار مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أقبل الثمانون ساحراً ونزلوا يبرمون حتى توسطوا الديوان وعلموا أن هذه المدينة كرسى جميع الأقاليم وان هذا الملك سيف ارعد ملك الحبشة والسودان وحاكم على مافى تلك الأراضى والبلدان فلما رآهم فرح بهم واكرمهم وقال لهم من أين أقبلتم فقالوا له من أرض الحرن وهى من بلادك مسيرة شهرين كاملين فقال فى كم وصلتم إلى هنا قالوا فى ثلاثة أيام وعزمنا بعلوم الأفلاك لما علمنا ان غرماءنا فى هذه الآكام فقال الملك سيف ارعد اعلموا أن عندى حكيمين وهما الذين يدلونكم على غرمائكم فاذا أردتم أن تستدلوا على اعدائكم فهذان يكونان معكم والتفت الملك إلى سقرديس وسقرديون وقال لهما كونا معهم ودلوهما على المشؤمين فقال لهم سقرديس وسقرديون اعلموا ياهؤلاء ان الرجل الذى انتم طالبوه فهو عدو لنا كما هو عدوكم وكذلك من معه ونحن عازمون على قتاله وحربه ونزاله وان الملك جهز هذين الاثنين المقدمين يطلبون معهم القتال والحرب النزال وهو المقدم دمهور الوحش والمقدم سبك الثلاث وبعدهم نرسل المقدم ميمون الهجام الفارس المقدام ونحن على أثرهم تابعون وللأعداء محاربون فقال السحرة ياملك وما السبب الموجب لذلك وأين الرجل الذى كان عندنا القصير الأبيض أين هو وبرنوخ الساحر فانكم ذكرتم لى أنكم مجردون على برنوخ وسعدون والذى نحن طالبوه باسمه سيف بن ذى يزن وهو الذى أضل برنوخ عن عبادة النار وأخذه وطلب البرارى والقفار فقال لهم الملك سيف ارعد إنى اعلمكم أن سيف بن ذى يزن هذا من البيضان وكان أبوه بنى مدينة فى أرضنا وأقام فيها وأنا أعطيته جارية وحملت منه وخلفت هذا الغلام ورمته فى البرارى والآكام (قال الراوى) وحكى لهم الملك

سيف ارعد على الملك سيف بن ذى يزن واخيرا امه رمته فى نلاد افلاطون والذى اقام فى المدينة برنوخ الساحر وسعدون الزنجى وهانحن جردنا الثلاث مقادم لسعدون والسحرة الاثنين لبرنوخ الساحر وهذا أول الحديث والآخر فقال له السحرة لما سمعوا هذا الكلام يا ملك دلنا عليهم ونحن نأخذ أرواحهم وترتاحون أنتم من هذه القضية فان فينا للجميع كفية وحق النار الحامية فقال لهم الملك سيف ارعد النار تحيط بكم وتتمكن من عظامكم وأجسامكم ودخانها وشررها يدخل فى أعينكم وآذانكم فانها ربتكم وناصرتكم وحافظتكم فلقد أرحتم فؤادى وساعدتمونى على أعدائى وضدا جعلكم زحل من المنصورين وفى قرار النار مخلدين لستم عنها مبعدين ولا أنتم منها بخارجين ثم أن الملك أمر باحضار الطعام فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وأخذوا فى المشورة حتى انفض الديوان وولى النهار وأقبل الليل بدياجى الاعتكار وبات الثمانون ساحرا فى مكان قد افرده لهم الملك سيف ارعد برسم إقامتهم وتانى الأيام احضرهم الملك إلى الديوان وعمل ديوان عموم حضر فيه الخاص والعام واصطفت الرجال فى أماكنهم وأرباب المملكة على مراتبهم ومن عادته الجلوس جلس ومن عادته الوقوف وقف وأمر الثلاثة مقادم وهم دمنهور الوحش وميمون الهجام وسابك الثلاث أن يأتوا بين يديه فلما وقفوا قبلوا الأرض فقال لهم يامقادم اتقدرون أن تكونوا أنتم الثلاث تقاتلون سعدون الزنجى أم اركب معكم ونكون يدا واحدة وعلى الأعداء مساعدة فقالوا له ياملك وحق بيت عصانين وكل ماشى ليلا ونهارا على يدين ورجلين مانعود إليك إلا وسعدون الزنجى معنا اسير ويكون على وجه الارض مجندلا غفير فقال الملك اعلموا أن عندى ثمانين ساحرا وأنا اريد ان اجعل كل واحد منكم مقدما على اربعة آلاف مقاتل حتى لا يبقى لكم عذر قابل فقالوا له افعل ما بدا لك فما فينا من يخالف مقالك فعند ذلك امر لهم بالخلع والخيل والكساوى وقال تجهزوا فى ثلاثة ايام وبعد ذلك حضر السحرة بين يديه وقال لهم الكم مقدرة على برنوخ الساحر قالوا له ياملك الزمان نحن له ولأمثاله ولو كان بصحبته جميع الإنس والجان لانه ياملك غريمنا ومن اجله اتينا من ارضنا إلى ذلك المكان فعند ذلك قدم لهم الهدايا والانعام وقال استعدوا للرحيل بعد ثلاثة ايام واتبعوا المقادم الذين قدامكم فى البرارى والآكام فانتم عليكم العزائم بعلوم الاقلام والمقادم عليهم الحرب والصدا وزحل ناصر لكم من دون الأنام فاجابوا بالسمع والطاعة وامرهم بالانصراف من تلك الساعه وان يجهزوا رجالهم ويصلحوا سلاحهم أول يوم والثانى واليوم الثالث اخذوا الإذن بالمسير ورحلوا بلا تقصير وسارت العساكر والفرسان والرجال يقطعون الثرى والرمال والأودية والحوال قاصدين المدينة الحمراء وتلك الاطلال ولهم كلام (قال الراوى) واما ما كان من الملك

قمرية فانها مقيمة فى قصرها متحسرة على حالها كما ذكرنا وأما الملك أفراح والمقدم سعدون الزنجى فهما جالسان فى البلد يتعاطيان الأحكام على كرسى المملكة ولكنهما مشتاقان إلى أخبار الملك سيف بن ذى يزن ولم يعلما بما جرى له وقد خفى عليهما أمره ولم يعلما إن كان حيا أو ميتا ولكن ثابتان فى أماكنهما وحافظان بلادهما إلى يوم من الأيام فان قمرية جعلت تجاهد نفسها حتى تمكنت من لوح عيروض لخضر وقال نعم ياستاه فقالت له ياعيروض أما أنت ناظر ما أنا فيه من هذه الظلمة وقد تضايقت من هذه الغمة وحلت بى النقمة فقال عيروض والله ياستاه أنى مالى مقدره على برنوخ ولا أجىء نقطة من تياره ولا شرارة من ناره وإن قربت إليه احرقنى لأنه له أقسام تهلكنى ولا أقدر أن أقابله فانه جبار وأما أنه فان استخدمتينى خدمتك وإن أرسلتينى إلى أى جهة طاوعتك وهذا الذى اقدر عليه فلما سمعت قمرية ذلك الكلام جعلت تبكى وتنوح وتعدد من كثرة القروح وتقول يازحل أنت وسيلتى وفيك رجائى والأمل أن تفكنى من شر هذا الغم والوجل فقال عيروض فى سره اسأل الله العظيم رب موسى وابراهيم أن لا يخفف عنك هذا العذاب الاليم ويجعل ايامك كلها نكد ولا يجعل لك خلاصا من هذه الشدة بحرمة دين الإسلام وخليل الله إبراهيم عليه السلام (ياسادة) وأما برنوخ الساحر والملك أفراح والمقدم سعدون الزنجى فانهم جالسون على حسب عادتهم وإذا هم بغبار علا وثار وسد الانظار وبعد ساعة انكشف وبان للنظار عن خيول سوابق وزرد وبيارق ولمعان خوذ وأسنة رماح ما لكثرتها عدد وبريق صياح زايد المدد وصهيل خيل ودق طبول وبوقات وزمور وضجيج رجال وصياح نوق وجمال وهمهمة أبطال ومواكب كتائب مثل السيل السيال أو الظل إذا مال وأمور وأهوال تدل على أن هذه عساكر تريد الحرب والقتال وما داموا على ذلك الحال وسائقين لقدام حتى اقبلوا تحت سور المدينة ونصبوا الخيام وركزوا الرايات والاعلام وداموا على ذلك الحال حتى ولى النهار بابتسام واقبل الليل بجيوش الظلام فاوقدوا النار وقاموا ينتظرون طلوع النهار وجلسوا فى خيامهم وهم فى فرح واستبشار وكانوا هؤلاء الثلاث والعساكر الذين معهم وصحبتهم الثمانون ساحرا (قال الراوى) وأما برنوخ الساحر فانه لما نظر إلى تلك العساكر وحقق فيهم النظر أرسل من عنده رسولا يكشف الخبر فغاب قليلا وعاد واخبر أن هؤلاء ثلاثة مقادم من عند الملك سيف ارعد ملك السودان وصحبتها ثمانون ساحرا كاهنون والحكيمان الملعونان سقرديس وأخيه سقرديوق فلما سمع برنوخ الساحر ذلك الخبر طار من عينيه الشرر وقام على حيله ودخل على خلوته واحضر الملك افراح والمقدم سعدون الزنجى واخبرهم بأن هؤلاء العسكر من عند الملك سيف ارعد وقال لهم تجهزوا للقائهم وحربهم وقتالهم فى غداة غد فقال سعدون وهو كله الجنون إنى أريد أن أخرج إليهم

فى هذه الساعة حتى أبضعهم أشأم بضاعة فقال برنوخ لا تفعل أيها البطل فإن الليل أقبل والنهار ولى واتحل وفى غداة غد يكون الأمر لله فدعهم الليلة على حالهم لأنهم مشتغلون فى نصب خيامهم فاصبر حتى يطلع النهار وافعل كل ما بدا لك فقال سعدون السمع والطاعة (ياسادة) وتوافقوا على ذلك الإيضاح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنور كوكبه الوضاح فقام اللعين سقرديس من منامه وقال للمقدم ميمون يا بطل الزمان الرأى عندى أننا نركب فى هذه الساعة ونزحف على البلد وكل من وقف قدامنا بذلنا فيه الحسام ولا نبقى على شيخ ولا غلام ونأمر النقابة أن تنقب الجدار ونهدم جهار الاسوار وندخل المدينة نهارا ونضرب السيف البتار ونهلك العبيد والاحرار ونقبض على سعدون الزنجى نسل الاشرار ونهلك كل من كان معه من العبيد الفجار فقال سقرديون هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ونحقن دماء العساكر فقال لهم ميمون الهجام افعلوا ما بدا لكم فانا لا أخالف مقالكم فعند ذلك ركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول واعتقلوا بالرماح الذبول وانتشروا فى الارض عرضا وطول وساروا كأنهم أسود غاب طالبين حمراء اليمن يريدون أن يقلعوا الابواب وطلبوا ناحية الاسود كأنهم شعل النار وداموا كذلك حتى بقوا اقرب المدينة وإذا حولها بحر عجاج متلاطم بالامواج واسع الفجاج فيه مراكب سائرة وقلوعها ناشرة ولقوا قوارب صيادين فلما رأوا ذلك تحيروا واندهلوا وقال بعضهم لبعض إننا لما نزلنا هنا أمس فما كان بحار وكانت كلها أرض قفار ومن أين هذا البحر الذى نراه فى هذا النهار وقد عاقنا عما نحن له طالبون من بلوغ الآمال فقال الحكيم سقرديس وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه ما هذا إلا فعل برنوخ الساحر فإنه على ذلك قادر وقد أحال بيننا وبين المدينة وكيف يكون العمل فقال سقرديون نحن معنا ثمانون ساحر ونحن اثنان فما نبالى بهذه الفعال ولابد لنا من بلوغ الآمال ثم إنهم أحضروا السحرة فلما حضروا قال لهم سقرديس وأنا وأخى نبطل هذا السحر وأنتم تزيلون هذه الظلمة عن قمرية وإلا أنا وأخى نزيل الظلمة وأنتم تزيلون هذا البحر وتبطلون عمله فقالوا له نحن نزيل الظلمة وأنتم تزيلون هذا البحر فاتفقوا على ذلك وانصرفوا وهم متفكرون فى أفعال برنوخ وكيف أجرى لهم بحرا عجاجا فى ساعة واحدة بعلوم الاقلام وعادوا إلى خيامهم وأحضروا المقدمين وقالوا لهم نحن نريد الدخول إلى محل أرصادنا ولا نطلع حتى نقضى أشغالنا ونفت ما عمل برنوخ الساحر من هذا البحر والمراكب التى هى مانعة عن دخول البلد فكونوا أنتم على بصيرة من حفظ أنفسكم ورجالكم حتى أننا نفت تلك الاعمال ونعود اليكم فقال لها المقدمون سمعا وطاعة وها نحن على أهبة الحرب من هذه الساعة وأما الثمانون ساحرا فإنهم دخلوا محل أرصادهم (قال الراوى) إن برنوخ كان عمل ذلك البحر لاجل أن يمنع حدة الاعداء خوفا على سور البلد أن يدخله الاعـــداء وينقبوه فشغلهم

بذلك البحر ولما أتت السحرة الثمانون دخلوا بيوت أرصادهم قاموا يومهم وليلتهم وطلعوا ثانى الأيام وقد أحكموا عملهم على ورقة بيضاء ونقشوا عليها طلاسم وأسماء سريانية وكتابة عبرانية وتكلموا على تلك الورقة فارتفعت إلى الهواء وما زالت ترتفع حتى وصلت إلى أعلى القصر الذى فيه قمرية وانفرشت عليه بالكلية وما زالت تتسع وتنفرش حتى غطت شراريف القصر وأسبلت أطرافها على دائرة ونزلت إلى الأرض فركبت الظلمة كلها فوق تلك الورقة ولم يبق فى القصر منهم شىء وبعد ذلك ارتفعت الورقة وانكشفت الظلمة التى كان عملها برنوخ وظهر النور للقصر بالكلية وانكشفت الغمة عن الملكة قمرية هذا ماجرى من السحرة وأما ماكان من الحكيمين سقرديس وأخيه سقرديون فانهم اصطنعوا بالحكمة مواسير من الرصاص والقصدير ورسموا عليها أسماء وطلاسم كدبيب النمل وأخذوها وساروا إلى جهة البحر الذى حول البلد وركبوا كل ماسورة فى ركن من الأربعة أركان فلما فعلوا ذلك وقعدوا يتلون عزائم يعرفونها وإذا بتلك المواسير انفتحت حلوقها مثل الخلجان ونزل الماء يدوى فيهم مثل الرعد القاصف وفى ظرف ساعة لم يبق قطرة واحدة وكأنه لم يكن وكذا المراكب صارت تلتم وفى هذه المواسير تدخل وانكشفت الأرض والرمال وصارت برارى خوال وبانت جدران المدينة فى الحال ونظر إلى ذلك برنوخ الساحر فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وحق الخليل إبراهيم لو أعلم أنهم يزيلون تلك المهالك لكنت أحكمت غيرها وتعجب غاية العجب فنظر إليه المقدم سعدون الزنجى فرآه وهو يغلى على الأرض مثل الماء الذى فى القدر على النار فقال له يا أخى يا برنوخ دع عنا أبواب الأسحار وخلينا نضرب الأعادى بالحسام البتار وانظر كيف حاصرونا ولا بلغنا منهم أربا وسوف تنظر صنع عبدك سعدون وما يفعل وكيف أبلى الأعادى بالذل والخبل ثم أن المقدم سعدون قام على حيله ولبس عدته وتقلد بآلة حربه ولأمته وانفتل وبالحديد تسربل حتى بقى كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل أو قضاء الله إذا انحدر ونزل وكذلك عبيده فعلوا مثل فعاله وداروا به عن يمينه وشماله هذا وسعدون أمامهم وصاح بأعلى صوته افتحوا أبواب المدينة فعندها تباعدت العبيد إلى الباب وفتحوه وخرجوا من باب مدينة حمراء اليمن وهم كالأسود الكواسر ونظر الملك أفراح إلى المقدم سعدون لما ركب فاحتاج هو الآخر أن يركب فركب على ظهر جواده واعتد بعدة جلاده وركبت عساكره وأجناده وتلاحقوا بالمقدم سعدون خوفا عليه من شرب كاس المنون ومن شر سقرديس وسقرديون وباقى أهل الكفر والمشركون وكان سعدون هذا حماية عسكر الإسلام وما فيهم مثله بطل همام وعلى كل حال عسكر الحبشة مثل البحر الزخار فلما نظر الحكيم سقرديس إلى العسكر

وقد خرجوا من حمراء اليمن طالبين القتال والحرب والنزال أمر عسكر الملك سيف أرعد بالحملة فركبت الرجال واعتدت الأبطال واصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف حتى تقابل العسكران يمين وشمال وقلب وجناحان فأول من برز إلى الميدان ومقام الحرب والجولان المقدم سعدون الزنجي وهو راكب على جواد أشقر عال من الخيل مضمر وصال وجال ومد واستطال ونادى هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزاهز لا يبرز بطلان ولا عاجز من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فما بي خفا أنا المقدم سعدون الزنجي هيا يا كلاب الحبشة والسودان دونكم الحروب والطعان حتى أريكم كيف يكون الجولان هلموا إلى قبض أرواحكم وعدم نجاحكم فارس لفارس أو عشرة لفارس أو مائة لفارس أو احملوا على بأجمعكم فإني كفؤ لكم وسوف افني جموعكم وأخلي ربوعكم ثم أنشد يقول صلوا على طه النبي الرسول :

إن قام سوق المنايا والحمام دع	والجسم من سن رمحي صار يلتدع
دعني أكر على الأبطال في رهج	بصارم يقطع الأعضا من الضلع
وسن رمحي إذا هززته حقـــا	فإنه يتلوى كالأفعوان معع
ولي جـــواد إذا نفخ الغبار على	تراه يخف خطف البرق في ولع
أخوض بحر المنايا كلها بطـت	أعني الحروب بلا خوف ولا فزاع
ادعى بسعدون والابطال تعرفني	املا قلوب العدا بالرعب والجزع

(قال الراوي) فلما فرغ المقدم سعدون من شعره ونظامه وما أبداه من نثره وكلامه ورأى سقرديس فعله فصاح في عسكر الحبشة يا ويلكم ابرزوا إلى هـــذا العبد الزنيم الذي ترك دين زحل وقد تبع غيره من الأديان الجديدة فما تم كلامه إلا وقد برز إلى سعدون فارس شديد مسربل بالحديد والزرد والنضيد وسار إلى أن توسط الميدان وهو يتمايل كانه سكران فصاح عليه سعدون الزنجي ويلك يا ابن اللئام من تكون أنت من الآثام حتى كنت أول مصادم لي في الصدام فقال له ويلك يا سعدون كأنك ما تعرفني أنا اسمي ميمون الهمام الذي شاع ذكري في الربا والآكام وملك الحبشة أرسل يطلبني من أجلك حتى أكفيه شرك وأعجل للمقابر سيرك وها أنا أتيتك يا قرنان لاريح منك الحبشة والسودان فلما سمع سعدون ذلك الكلام قال له يا ميمون إن كنت أغراك الشيطان وطاوعت سيف أرعد على عقلك وأتيت لي طالبا فها أنا جئتك محاربا ثم إنهما حملا على بعض وجالا طولا مع عرض وصرخا صرختين أصرت لها الخيل آذانها واقشعرت من الفرسان أبدانها وكان المقدم ميمون راكبا على فيل وأما سعدون الزنجي فهو راكب على جواد نبيل فنظر سعدون إلى المقدم ميمون وقال له ياميمون اعلم أن الفيل الذي أنت راكبه تريد أن تحصن

نفسك من حربى عليه وأنا حصانى مايطاوعنى أن يحوم قدام الفيل لا كثير ولا قليل فإما أن تركب من بعض الخيل الأصال وتحاربنى كما تفعل الأبطال وإلا نقتتل أنا وأنت رجالة لاخيالة حتى يتبين الغالب من المغلوب وكل منا يبلغ المطلوب فلما سمع ميمون هذا الكلام قال له ياسعدون أنا ماعندى حصان يلقانى فى الجولان حتى كنت أنصفك فى الميدان فقال له سعدون لا تطل الكلام وإن لم تفعل ماقلت لك عليه لا تلمنى إذا ضربت الفيل بحربة فى عينه فقتلته وأنت تسقط من عليه فشار نفسك وانزل فى الحاوز لا تكن مصمما على البغى فان البغى مصرع الرجال فلما طال بينهما المطال أقبل الحكيم سقرديس على المقدم ميمون وقال له الحرب هذا النهار لا يكون ولا نفعل إلا فعل القانون فقال ميمون كيف ذلك فقال سقرديس قبل كل شىء نأخذ الراحة ثلاثة أيام قبل مقابلة الأخصام وبعد ذلك تكاتبوا بعضكم كما تفعل الملوك الكرام وبعدها يقع الحرب والصدام بالرمح والحسام فعند ذلك قام المقدم ميموان من قدام سعدون من غير قضاء الآمال ولما عادوا للخيام واستقر بهم المقام أحضروا السحرة الثمانين فاجتمعوا كلهم وقال الحكماء نحن الذى علمناه فعلناه والفاضل على العسكر والمقادم هو الحرب والتصادم فقال المقدم ميمون أنا نزلت فى هذا اليوم الميدان وأردت أن أنجز أمر القتال فتعلل على سعدون الزنجى بتعليل وقال لا يكون احارب ذلك وأنت راكب الفيل ولا نحارب إلا راكبين الجواد الأصيل

فقال سقرديس يا مقدم ميمون هـــذا الفعل الذى فعلته أولا كيف يكون فان عادة الحرب أن تنزل العساكر وتلاقى بعضها بعضا وأما إنك أنت أول يوم تنزل الميدان وتقاتل سعدون الزنجى فما هذا مقامك ولا يكيد أخصامك والصواب أنك تصبر بزائد يوم لأجل أن تتبرأ من العتب واللوم فقال له ميمون أنا قصدى إنجاز الأشغال وقضاء حاجة الملك سيف أرعد على أى حال فقال له سقرديس وكلنا نريد هذا الحال ولكن إذا أنت نزلت الميدان وقتلته أو أسرته تقول العساكر والرجال نحن كنا نقدر أن نقل سعدون ونسقيه من أيدينا كأس المنون فبذلك لا يكون لك افتخار يا مقدم ميمون إذا نزلت الفرسان الميدان وعجزوا عن سعدون فى طابق الجولان وشهدوا على أنفسهم بالعجز عنه والخذلان ونزلت أنت بعد ذلك الميدان فان غلبك فما أنت مغلوب لأنه ما هو فارس دون وإن أنت غلبته أو أسرته فتنال بذلك الفخر على كل من يكون. فقال المقدمون دمنهور الوحش وسابك الثلاث صدق الحكيم فيما قال وباتوا على ذلك الحال ولما كان ثانى يوم تحركت أرباب الحرب للحرب والصدام فأول من فتح الهاب المقدم سعدون الزنجى نخرج إلى الحرب وهان عليه كل أمر صعب ونادى يا معشر الحبش وأبناء السودان دونكم ومقام الجولان إن كنتم تزعمون أنكم فرسان أعيان فما أتم كلامه حتى برز إليه

فارس من السودان كأنه شيطان وانطبق على سعدون ومد اليه السنان من غير شعر ولا أوزان فاعترضه المقدم سعدون وانطبق بعضهم على بعض وجالا طولا وعرض وكان ذلك الفارس اسمه أبو سنان وهو من الابطال الفرسان فال عليه المقدم سعدون وضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وطرائقه وضربه بالسيف على عاتقه فأخرجه يلمع من علائقه ونظر الحكيم سقرديس إلى ذلك فقال للمقدم سعدون شلت أناملك وفصلت مفاصلك فلم يلتفت سعدون إليه بل أنه صار يصول ويجول حتى برز إليه أخو المقتول وقال له ياعبد الزنا أبشر بالفنا وفى هذا اليوم مايقتلك إلا أنا فلم يرد عليه سعدون من كلام وانطبق عليه فى محل الصدام وضربه بالحسام فأطار منه الهام فنزل إليه الثالث فما خلاه يصول ولا يجول بل طعنه بالرمح الموصول خلاه على الثرى مجدول والرابع جعله لهم تابع والخامس والسادس جعلهم نواكس ودام سعدون يهلك كل من نزل الميدان حتى مضى النهار وهلك على يديه تسعون من السودان وأسر اثنين وعشرين واندق طبل الانفصال وبطل الحرب والقتال وعاد المقدم سعدون إلى الخيل فلقيه الملك أفراح وبرنوخ الساحر وقالوا له يامقدم سعدون مثلك من تقربه العيون وتأمله عبيده فرأوه مثل شقيقة الأرجوان مما سال عليه من دماء الفرسان فقلعوه درعه الوسخ وألبسوه درعا غيره نظيف وقال له الملك أفراح والله لقد شفيت بفعلك الغليل وأرضيت الملك الجليل فأراد سعدون أن يتولى الحرس بعدما أكلوا شيئا من الطعام فقال الملك أفراح هذا لا يجوز حيث توليت الحرب من دوننا فيبقى الحرس على أنا ثم أن برنوخ الساحر أخذ المقدم سعدون وألبسه طاقية وقال له هذه لا تعلقها أبدا فانك لا تجرح مطلقا ولا تؤسر ولا تنكب فقال سعدون أنا توكلت على من لا تراه العيون وهو الله تعالى خلاف الظنون وباتوا على ذلك الحال وهم فى فرح وابتهال (ياسادة) ولما عادت السودان نزل سقرديون مع سقرديس مرادهم وكان الغيظ أن يخنقهم وانفطرت مرارتهم وتعبت سرائرهم وقالوا يامقدم هل رأيت مافعل سعدون لزنجى فقال ميمون ياسقرديس أنا أردت أن أريحك منه من أول مانزلت فرددتنى وعما أفعل منعتنى وأنا وحق بيت عصاتين ما بقيت أصادم سعدون إلا بعدما يقتل كل الحبشة والسودان وأحاربه وحدى وأمكن منه للسيف اليمان لأنك أنت ياسقرديس قلت لى هذا من أكبر العار فها أنا امتنعت وأرحتك من الشنار فدونك أفنى رجال الملك سيف أرعد برأسك الأنكد فقال السحرة وإذا دام الحرب على هذا الحال انقطعت منا الرجال والأبطال فقال سقرديس يامقدم ميمون وحق زحل أنا مارددتك إلا شفقة ونصحة لأن مقامك عال الشأن ولا يجوز لك أن تكون مفتاح الحرب والطعان فقالت الرجال والحكماء لقد أشرت بالصواب والأمر

للذى لا يعاب وباتوا على مثل ذلك الحال وأما ما كان من المقدم سعدون وأصحابه فإنهم لما عادوا ونزلوا فى أماكنهم واستقر بهم المقام أخذوا فى المشورة والكلام فقال الامراء يا مقدم سعدون الرأى عندنا أننا فى غداة غد نبرز إليهم ونشفى قلوبنا منهم فانت فى هذا اليوم الذى مضى شفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل وفى غد أنت تستريح ونحن نتولى القتال ونشفى قلوبنا من هؤلاء الأنذال فقال المقدم سعدون لا وحق دين الإسلام لا أمكن أحد منكم من نزول الميدان إلا بعد ما تلعب حوافر الخيل برأسى وينقطع نفسى ويسكن رمسى فقالوا له أنت حامينا وقائد جيشنا فإذا تم عليك أمر والعياذ بالله فنبقى مثل الغنم التى بلا راعى ولهذا تبقى أعداؤنا علينا مثل الأفاعى فقال سعدون إن شاء الله تعالى الخير هو الذى يكون فان أنصفونا وبارزونا فأنا كفؤ لهم ولكن قد رأيت معهم فارسا اسمه ميمون لا ترى مثله العيون وأنا أسأل الله من أمره بين الكاف والنون أن يكون من حزبنا ويدخل فى دين الإسلام وأنا أقول إنه غدا ينزل إلى الميدان حتى يبين الرابح من الخسران وإن تكاثروا علينا بجيوشهم فاحملوا جميعا خلفى والله ينصر من يشاء وباتوا على ذلك الإيضاح حتى أصبح الله بالصباح فركبت الرجال وقعدت الأبطال وركب المقدم سعدون الزنجى وترتبت عبيده للكفاح وكذلك ركبت أبطال الإسلام وفى أوائلهم الملك أفراح وتقلدوا بالصفاح واعتقلوا بالرماح وباعوا أنفسهم والأرواح فى طاعة الملك الفتاح ولما نظر سقرديس إلى أبطال الإسلام وقد خرجوا للقتال جعل يوبخ عساكر الحبشة تقصيرهم فى اليوم الماضى ويقول لهم يا ويلكم إيش تقولوا للملك سيف أرعد إذا عجزنا عن هذه الشرذمة اليسيرة ولا بد أن يقول أن عساكره تخامرون علينا فإن لم تقاتلوا فى هذا النهار بنية صحيحة وإلا وحق زحل فى علاه أرسل للملك سيف ارعد واعلمه أنكم فى قتال الأعداء غير ناصحين وفى هذه الوقعة لستم مفلحين فقالوا له يا حكيم الزمان لا تلمنا وتوبخنا بالكلام واعلم ان سعدون الزنجى هذا يقوم بعقامنا اضعافا وقد اهلك رجالنا واباد أبطالنا ولولاه ماثبت هؤلاء قدامنا ولا كانوا اطاقوا حملتنا وانت الذى منعت المقدم ميمون من النزول إليه مع انه مايقاومه احد غيره فدعه يبرز إليه ويأخذ بروحه من كتفيه وإن مات سعدون فقتال كل من كان بعده يهون وتأمر بعدها بالحملة فنهجم عليهم جملة ونضع فيهم الحسام البتار ولا نترك لهم آثار واما مادام سعدون الزنجى مقيما فيهم لا يبالون بنا إن حملنا عليهم فقال سقرديس وحق زحل لقد صدقتم وفى قولكم ما اخطأتم والتفت إلى المقدم ميمون وقال له يا فارس الزمان لقد آن الأوان واحتجنا إلى نزولك الميدان حتى تقتل لنا سعدون الفارس القرنان وتسقيه من يدك كاس الهوان فقال له ميمون

الهجام أنت ياحكيم لاشك أنت لست بعاقل وأنت مفتون وإيش قدر سعدون هذا حتى يقاومني فى الميدان ويماثلني فى الحرب والطعان فانه أذل وأحقر من ذلك وإذا نزلت اليه سقيته كأس المهالك فقال الحكماء ياسيد الابطال إذا أردت أن توردهم موارد اللاحدين فخذني صحبتك هذين البطلين لأنهم على كل حال أحسن فارسين فقال ميمون دعوا عنكم هذا المقال فانا لاأبالي بأبطال إن كانوا كثيرا أو قليلا وقام على قدميه والشرر يظهر من عينيه وركب جوادا من الخيل الجياد وترك الفيل حتى لايحتج عليه سعدون بمثل تلك الأقاويل وأراد أن ينزل الميدان وإذا بفارس من الحبشة برز إلى المجال وهو راكب على جواد أدهم كأنه الليل إذا أظلم ومتقلد بسيف أبتر ومعتقل برمح أسمر وصال وجال وطلب الحرب والقتال ونظرته عساكر الإسلام وأرادوا أن ينزلوا به فسبقهم المقدم سعدون وانحدف على ذلك الفارس كأنه مجنون ثم حمل عليه بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا دخر وصرخ فيه المقدم سعدون بصرخة دوى لها الجبل وقال له من أنت ياولد الزنا حتى برزت أول الحرب وأنا كنت مستحضرا إلى ميمون فقال له الحبشي وإيش قدرك حتى ينزل اليك ميمون هذا مقام حرب الفرسان لايتأخر عنه إلا كل جبان وأنت نزلت الميدان تروم الحرب والطعان فكل من نزل اليك فهو خصمك إما أن تقتله وإما أن يغلبك فما أنت مخصص لميمون حتى أنك تنزل عليك المنون فدونك والقتال إن كنت من الأبطال فقال له سعدون صدقت فى المقال ولكن أراك صاحب وجه صبيح ولسان فصيح فإيش اسمك المليح فقال له الحبشي أنا اسمي فى الأصل أبو ناب وكنيتي ملاكم الريح الذى ذكره شاع فى السودان على الصحيح فدونك والقتال فعند ذلك التطما واصطدما وزاد بينهما الشرر ونما وكحلت عيونهم بمراود السما وشربا من الموت كاسا علقما وغبارهما خيم بين الأرض والسما وانحط المقدم سعدون على خصمه وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه وكان ملاكم الريح طعن سعدون بحربة كانت فى يده فضرب سعدون رمحه وبراه وطير أعلاه وقام سعدون فى ركابه وهجم على خصمه وانحط بكليته عليه وضربه بالسيف على وريديه فأطاح رأسه من على كتفيه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ونظرت الحبشة والسودان إلى تلك الأهوال فأيقن كل منهم بالزوال وصاح سقرديس على الحبشة وقال ابرزوا إلى القتال فصاح المقدم سعدون هيا يامعشر الكفار دونكم والحرب والكفاح والطعن بالرماح والضرب بالصفاح ثم أن سعدون صار يجول ويأخذ الميدان عرضا وطولا فبرز اليه فارس ثان فقتله وثالث فجندله ورابع بدمه رمله وخامس فعجل مرتحله ومادام كذلك حتى قتل عشرة وأسر أربعة فتوقفت

عنه الفرسان فلما رأى توقفهم مال على الميمنة فقتل اثنين وإلى الميسرة فقتل اثنين ومال إلى القلب فقتل ثلاثة وعاد راجعا للميدان ونادى يا كلاب السودان مالكم واقفين لا تقاتلون ولا تنهزمون اتبعتم رأى سقرديس وسقرديون فهنالك تبادرت اليه الأبطال وخرجوا عنوة إلى المجال وهو يقبض أرواحها ويرمى على الأرض أشباحها وكلما نظر الحكماء إلى أفعاله يتضايقون من أعماله ودام الحال عليه حتى أمسى المساء وعادوا إلى الخيام وكذلك اليوم الثالث والرابع ولما عاد فى ذلك اليوم هناه الملك افراح وبرنوخ الساحر بالسلامة وقال له الملك أفراح يامقدم سعدون اسمح لنا نتولى عنك القتال حتى تأخذلك راحة من كرب المجال فشكره وقال له ياملك أفراح مادامو بارزونى فلا أخلى أحدا منكم يتعب فى القتال إلا إذا تكاثروا علينا وغدرونا فذلك الوقت عليكم أن تحملوا معى وتحمون ظهرى وأنا أفرجكم على كرى وفرى وباتوا تلك الليلة وأما الحكماء فظنوا أن الدنيا انطبقت عليهم وأما ميمون فانه صار يضحك عليهم وقال لسبك الثلاث ودمنهور الوحش هؤلاء الحكماء الملاعين قائمون بالحكم والامر والنهى فى الفرسان والرجال وإيش بدا لنا منهم من الخير حتى نشكرهم على صنيعهم وما أراهم إلا يتكلمون بكلام بلا فائدة ولا نفع أولا يأمرون السودان والحابش أن يحملوا على سعدون ويؤخروا المقدم ميمون وهذا أول الجنون فقال السحرة يامقادم السودان لا تتخلوا عن الحرب والطعان من أغاظكم من الحكماء وإلا قطعنا الأعداء ثم التفتوا إلى الحكماء وقالوا لهم إيش هذا التدبير الذى يعقبه التدمير فقالت الحكماء مرادنا الحملة الصادقة وتكون بنية موافقة ولا يتخلى أحد عن مقام الحرب باعا ويكون المقدمون فى أول الحملة حتى تثبت قلوب الأبطال واجعلوها وقعة الإنفصال فقال المقدمون هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب وباتوا تلك الليلة يتحارسون ولما طلع النهار ركبت الفرسان الخيول واعتقلوا بالرماح الذبول وتقلدوا جميعا بالسيوف النصول وترتبت الأبطال للوقوف وتحررت المئات والألوف ودقت الطبول ونعرت البوقات وركبت أيضا عساكر الإسلام وضجوا بتوحيد الملك العلام وصاروا يقولون الحنيف دين الخليل إبراهيم عليه السلام وتقدم المقدم سعدون قدام عسكر الإسلام وعلى يمينه الملك أفراح وعلى يساره برنوخ الساحر وكل منهم لله تعالى حامد وشاكر وكذلك اصطفت الحبشة والسودان وتقدم المقدمون أوائل الجيوش وهم سبك الثلاث ودمنهور الوحش وميمون الهجام وتبعتهم أبطال السودان من كل بطل هام وفارس ضرغام ونظر سعدون الزنجى إلى لمعان الزرد وشعشعة الخوذ فاشتاق إلى القتال وحن إلى ملاقاة الأهوال وتقنفد وارتمى وكحل الكفار بمراود العمى وأبلاهم بالقيل والقال والذل والخبال وقطعت الأوصال وجرى الدم وسال فلله در المقدم سعدون ما أهيجه فى الحرب

كالمجنون ودحرج الرؤس من على أشباح الغصون وأما عبيده فانهم حموا ظهره فى القتال وكل واحد منهم يعد بابطال ولما صاروا فى وسط القوم صاحوا بالتهليل والتكبير وتوسلوا بالملك القدير وحمل الملك أفراح وتبعته فرسانه من كل بطل جحجاح ووحملت عساكر حمراء اليمن توابع الملك سيف بن ذى يزن الذى تدور عليهم يده وكانوا على دين الإسلام ووقع السيف الصمصام وحكم وجار فى الاحكام وهاج المقدم سعدون أشد هياج واقتحم الفجاج وفرح بذلك اليوم وما فيه من العجاج وفرق الفرسان بين أفراد وأزواج وكذلك عبيده الأنجاب فانهم هبروا أعداهم هبرا ونثروهم على الخيل نثراً وبطحوهم على الارض خمسة خمسة وعشرة عشرة وكانت لهم وقعة عشرة أزاعت من من الشجاع بصره كل هذا والثلاث مقادم وهم دمنهور الوحش وسبك الثلاث وميمون كل منهم قاتل وما قصر كانه أميت القسور هذا وبرنوخ الساحر لم يفترعن ركاب سعدون الزنجى خوفا عليه من السحرة أن يغتالوه تحت الغبار وأما الملك أفراح فلله دره من فارس جحجاح فانه أعطى السيف حقه وأطعم الوحش من القتلى رزقه وأما برنوخ فانه رصد سلاح الكفار عن الإسلام الأبرار واجتهد فى محاذاة المقدم سعدون ونقى عليه بجرعه الشكلا وكان يوم شديد الأهوال مما جرى فيه من الحرب والقتال وبعض رواة السيرة وهو الذى عاين تلك الواقعة وكان يقال له بخيت بن سعد نظم على ما رأى هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على صاحب المعجزات :

لقد جت السودان فى الحرب يزعموا ... هلاك الذين باعوا النفوس وأسلموا
ومالوا عليهم بالسيوف وبالقنا ... ولكن إله الخلق بالخلق أعلم
وأولهم كانوا ثلاث مقادم ... وما منهم إلا الهزبر الغشمشم
فأولهم ميمون الفارس الذى ... تسمى بهجام على الحرب يهجم
ويليه دمنهور وبالوحش ينتمى ... على يده فى الحرب للوحش مطعم
وثالثهم سبك الثلاث كانه ... قضاء إذا ما جال فى الحرب مبرم
يميل على الاسلام ميلات فجر ... قلوبهم كالصلد ليس بهادم
ويتبعهم ايضا ثمانون كاهنا ... لهم فى أمور السحر باب معلم
ويتبعهم خلق عداد كثيرة ... لهم فى حياض الحرب طعن ومقدم
لهم وثبات لا تبارى وصولة ... يشيب لها الطفل الصغير المتمم
يحرضهم بالمكر سقرديون ... ثم سقرديس أضل وأظلم
يحمل على الاسلام قصد هلاكه ... وتالله ما الاسلام إلا معظم
تلقاهم الاسلام ولله كبروا ... وقد وحدوا الديان حقا وعظموا
وكان الملك أفراح مالك يمنة ... وفى الميسرة برنوخ كاهن معلم

وسعدون الزنجى أمير جيوشهم   يهب للقاء الجيش وهو عرعرم
وهاجوا وماجوا فى بحار عجاجها   على شرب كاسات المنية صمموا
فكم سيد من بعدما كان راكبا   على الأرض ملقى بالمذلة ملجم
وكم من يمين فارقتها شمالها   وكم جب فى الهيجا بنان ومعصم
وكم موكب خاض العجاج ململما   ففرقة طعن الوشيج المقسم
وقد سكروا من خمرة الموت سكرا   وما الكاس إلا السيف والقرقف الدم

(قال الراوى) ودام الأمر على ذلك الحال وأنه مابرز أحد الميدان وتلقى بصدره أسنة الرماح إلا المقدم سعدون الزنجى الفارس المصعان وكذلك الملك أفراح ورجاله الأوقاح فانهم أجادوا بالحسام وفلقوا الهام وهشموا الفطام وداموا على ذلك الحال حتى ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال وكان قصدهم الانفصال فلم يمكنهم الملعون سقرديون ودخل على ميمون الهجام وقال له ياولدى لا تجد ساعة أحسن من هذه الساعة فان الموت فيها كشف قناعة فعندها حما الثلاثة مقادم على عصبة الإسلام الأكارم وجودوا الضرب بالصوارم والطعن بالرماح الهوازم وقاتلوا طول الليل ودفعوا عن أنفسهم وعساكر الإسلام صبروا لضرب الحسام إطاعة للملك العلام وثقل العدد على الاسلام وأيقنوا بشرب كاس الحمام ونظر المقدم سعدون الزنجى إلى هذا الحال فأيقن بالموت والنكال فرمى نفسه فى هذا البحر العجاج وخاض فى المعمعة وهاج وقطع العلائق والأدواج وطلع الزبد على أشداقه وتمرر فى مذاقه وأشرف على هلاكه ومحاقه فأطبق عليه العدو من كل جانب وسدوا عليه الطريق والمذاهب هذا وهو يهبر فى الأعادى هبراً وينثرهم من على الخيول نثراً حتى أنه كل ومل ووهى عزمه واضمحل وأشرف على دنوا الأجل وخاب الرجا والأمل ونظر إلى فرسان حمراء اليمن تأخروا إلى ورائهم وأشرفوا على هلاكهم وفنائهم لما نظروا جميعاً إلى ملك الموت حذاهم وصاحب شبحهم وفناهم وتضعضعت عساكر المسلمين وأيقنوا بالمنية والبلاء المبين والمقدم سعدون رفع طرفه إلى السماء وقال اللهم ياعظيم العظماء يا من علم آدم الأسماء يامن قد بسط الارض على تيار الماء يامن يعلم دبيب النملة فى دياجى الظلماء يامن بقدرته رفع هذه السماء أسألك باسمك الاعظم العظيم وبحق نبيك إبراهيم الخليل وبحق ما أنزلت من الآيات والصحف والتوراة والانجيل أن تنقذنا من هذا الضيق وتجعل لنا منه فرجا ومخرجا إنك على كل شىء قدير وبعبادك يا مولانا لطيف خبير (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب فما أتم المقدم سعدون دعاءه حتى أجاب الله تعالى نداءه وظهر فى كبد البر غبار علا وثار فأكدرت منه الافطار وبعد ساعة تمزق وطار وبان من تحته

بريق صفاح ولمعان أسنة رماح وظهرت عساكر وفرسان ودساكر وفى مقدمتهم الملك سيف ابن ذى يزن ملك التبابعة مبيد أهل الكفر والمحن وعلى يمينه الملك أبو تاج وعساكره ودساكره وعلى يساره الملكة منية النفوس ومعهم رجال وأبطال كأنهم السيل إذا سال أو الظل إذا مال وهم يعلنون بالتهليل والتكبير وقد أزعجوا البر بالهدير وسمع الملك سيف بن ذى يزن صوت المقدم سعدون وعلم بما هو فيه من البلية فأخذته الحمية والنخوة العربية وحمل الاثنين فى مقدمة عساكرهم وفرسانهم ودساكرهم وكان على الملك سيف بن ذى يزن تنور من البولاد الازرق مغموس بالذهب الأحمر نوره زائد الإرهاج وكذلك تنور مثله على الملك أبى تاج وهم مقلدون بالسيوف الهندية التى حدودها يسابق المنية معتقلان بالرماح السمهرية على كل رمح سنان كأنه لسان حية هذا وقد حمل الفارسان فيمن معهما من العساكر والجنود وصاحا بأصوات كالرعود وشكا بأسنة رماحهم العلائق والكبود وانطبقا على الأعداء انطباق جبال وادى زرود وهلكوا كل كافر وجحود ومن أشرك بالله الملك المعبود وأما الملك سيف بن ذى يزن فإنه بذل المجهود وصار ينادى الله أكبر فتح الله ونصر وأيدنا بالنصر والظفر وأخذل يا كلاب السودان من بالله كفر هذا والملك أبو تاج على يمينه يرمى الرؤس كالأكر والكفوف كأوراق الشجر وخاض الملك سيف الراكب ورمى الأعداء فى الحال من فوق الخايل والنجائب وصار يقطع بسيفه النجوب والترائب ويسل القلوب بأسنة الرماح الكواعب ولما نظر الحبشة والسودان إلى هذا المجال ورأوا حربا ما كان لهم على بال وذاقوا العذاب والنكال تمزق أكثرهم وطلب الانفلال وبعضهم ذاق الحمام بالحسام الفصال وخف الجمع عن المقدم سعدون والملك أفراح وتزلت عليهم المسرات والأفراح واتسع على سعدون المجال فتمكن من ضرب السيف الفصال وطعن بالرمح الكعوب الغال وأعطى السيف فى الضرب حقه وأطعم الوحش من لحم القتلى رزقه وشفى غليله من أعدائه وتمكن من طعن القنا وضرب بالسيف وحاف على العدا أى حيف وأما الملك سيف فلما طاب له القتال والطعن والنزال عاد إلى طبع العرب فأعرب وطرب وأنشد يقول :

إذا قطع الغبار علا وطالا ... وكل غضنفر ولى رمالا
ونادانى أكون له مجيبا ... بعزم لا أمل به قتالا
أنا سيف بن ذى يزن وأصلى ... كريم للأكارم قد توالى
ولى نسب رفيع من جدودى ... وأعمامى وليس الأصل خالا
خلقت من الحديد أشد قلبا ... وعزم هديته الجبالا
هلموا يا كلاب الكفر نحوى ... فقد طاب التخاصم والقتالا
فما لجموعكم عندى مقام ... ولا أبا لكم بهم يبالى

فان الله أيدنى بنصر وأن يمحو على يدى الضلالا
وألهمنى صراطاً مستقيما ودين الحق من رب تعالى
فكم ليل قطعت البر فيه أجوب فيافيا فيها طوالا
ومالى من أنيس أو مجيب سوى أسد يوم لى اغتيالا
فى ذا اليوم تعرفنى الأعادى إذا ماجزت فى يومى المجالا
أغطى الأرض بالأجساد قتلى وأروى من دمائهم الرمالا

(قال الراوى) وبعد ماقال الملك سيف هذا المقال تكبب وارتمى كصاعقة من السماء وكحل الأعداء بمراود العمى وأبلاهم جميعا بالقيل والقال والذل والخبال وغنى البتار وقلت الانصار ولحق الجبان الانبهار والنذل ولى وحار والملك أبو تاج اشتاق إلى نشيد الأشعار فأنشد وقال :

أنا فى الحرب تخشانى الأسود وبأسى تقشعر له الجلود
لقد غبنت نفوس أشتريها بسوق الحرب واختطفت كبود
فيا من لايرى شخص المنايا إلى فانى الموت الشديد

(قال الراوى) ولما فرغ الملك أبو تاج من ذلك الشعر والنظام انكب وارتمى كصاعقة نزلت من السماء وكحل الأعداء بمراود العمى وأما عساكر الملك أبو تاج فكل منهم اقتحم وهاج كما تهيج فحول الجمال وأجروا دماء الأعداء كالسيل إذا سال (ياسادة) وكان المقدم سعدون الزنجى سمع صوت الملك سيف بن ذى يزن من تحت الغبار ففرح وقال ما أبركه من نهار وبقى له حملات تحت العجاجات تتعتع الجبال الراسيات وزادت همته وعزيمته عما كانت أو بطبقات وأيقن باحياء نفسه من الممات وكانت له ساعة لاتشابه الساعات فمال على الأعداء كل الميل ونزل عليهم نزول السيل وابلاهم بالحرب والويل وكالهم كيلا وأى كيل ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل إلى وقت المغرب وغولت الكفار على الهروب وسدت فى وجوههم المذاهب والدروب ولما جن الظلام خفت مواضع الأقدام ويطل ضرب الحسام وعادوا جميعا إلى الخيام ولكن سعدون الزنجى من فرحه ما صار إلى خيامه بل صار إلى الملك سيف ابن ذى يزن حتى بقى قدامه وقبل يديه ورجليه وقال له ياسيدى هل ترى أنت صحيح فى دار الدنيا أم أنا فى منام والله ما كأنى إلا فى أضغاث أحلام وكان الملك سيف مثل شقيقة الأرجوان مما صار عليه من دماء الفرسان وكذلك الملك أبو تاج ومن معه من العساكر والفرسان وبعد ذلك جلس الملك سيف بن ذى يزن وتوابعه فى الخيام وقال الملك افراح لرجاله وخدامه ان يجتهدوا فى إحضار الطعام فلما حضر الطعام اكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وبعد ذلك سأل الملك سيف بن ذى يزن عن اصل تلك الحروب

فقال له الملك افراح وسعدون الزنجي والله ياملك مانعلم لها سببا وإنا كنا مقيمين في الشعر الا وهذه الخيل أقبلت وعليها الفرسان طالبين الحروب والطعان فقال الملك وأنت ياحكيم برنوخ لم تعلم سببها فقال كيف لا أعرف سببها وأنا أمها وأبوها والحال أن والدتك مع عيروض أرسلاك إلى بلاد افلاطون وأصبحنا نحن هنا ماوجدناك فضربت أنا تخت الرمال وعرفت الذي جرى فاجتهدت ياملك وضيقت على عيروض حتى راح وأعلم عاقصة وجاءت ووقفت حتى اخذتك من تحت عيروض وعلمت بالمشقة التي حصلت لك فأدركت عاقصة وأحضرت لها الاحتياق بدوائك من كنز اليونان وتركتك وأتيت إلى المدينة الحمراء وطلسمت على قصر أمك الظلماء وتركتها وطال عليها المطال وأنا أعلم أنك في التوبة تتزوج بالملكة منية النفوس فتركتك على حالك لقضاء أشغالك وأنا في المدينة أنتظر صنع الله تعالى وأقداره وان الملعونة قمرية غافلتنا وأرسلت إلى ملك الحبش أعلمته بما جرى فأرسل هذه الثلاثة مقادم لأجل الدافذني علم الله وإنهم يكونون من أهل الإيمان فإذا قدرت على احدهم فلا تقتله بل تأسره لعل الله تعالى ان يكتب لهم السعادة على يدك وأنت ياملك إيش الذي جرى لك فقال الملك سيف بن ذي يزن أنا الذي جرى علمتوه ثم حكى لهم ماوقع له ولا في الإعادة إفادة فتعجبوا من ذلك وحمدوا الله على سلامته وعودته لهم سالم وكذلك الملك أبو تاج فرح بذلك المنهاج وتولى الملك سيف حرس الجميع وذلك من تولعه بالملكة منية النفوس وقال لها اعلمي ياملكة انك تبقى الحاكمة على تلك الأرض والبلاد وأنا ايضا أكون تحت امرك ونهيك فلا تضيق صدرك فقالت له ها انا بقيت غريبة فريدة وأنت المتصرف فافعل بي ماتريد فقال لها والله ماتكوني عندي إلا عزيزة مكرمة وكل نساء المدينة هذه جميعا لك مثل الأمة فشكرته على مقاله واطمأن قلبها لما علمت أنه ملك مطاع وصاحب جنود وخدم وأتباع (قال الراوي) ولما كان ثاني الأيام واصطفت العسكر للقتال والصدام وترتبت الصفوف وانحدرت المئات والألوف ونظر الملك سيف بن ذي يزن إلى اجتماع العساكر فقفز بين الصفين واشتهر بين الفريقين وصال وجال في الميدان حتى هداه شعب الحصان وأشار إلى مقدمين الحبشة والسودان وقال يامقادم العساكر والجحافل وياكبراء هذه الجموع والقبائل هل فيكم فارس حلاحل يبرز إلى القتال ومعاناة الأبطال ها أنا مابي خفا فمن عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي اعلموا أني أنا الفقير إلى الله الملك سيف ابن الملك ذي يزن صاحب مدينة حمراء اليمن ومبيد أهل الكفر والمحن هلموا إلى القتال ومعاناة الأبطال (قال الراوي) ولما نظر الحكماء سقرديس وسقرديون لدوكهم الجنون وتنظروا إلى بعضهم بالعيون لقد عدمنا المقدم سعدون أتانا سيف بن ذي يزن يريدنا على عنادنا عنادا وغبون وها هو طالب البراز والانجاز فالتفت المقدم سابك الثلاث وقال ياحكماء إيش

الذى أرعبكم وفى أمركم حيركم نحصل عندكم خوف ورعب مرفارس نزل إلى الميدان والحال أنه من أولاد البيضان وأنا لو اجتمع على ألف من البيضان أفنيهم بالحسام والسنان وأنا وحق بيت عصانين ومسيرهم من المشرقين إلى المغربين لابد لى أن أنزل الميدان وألطم هذا الفارس القرمان وأقهره فى حومة الميدان وأكسبه من دمه حلة أرجدان ولا أبالى به ولا بألف مثله ثم أراد أن يركب فعارضه دمنهور الوحش وقال له اقعد أنت وخل عنك القتال فقال ميمون الهجام اقعدوا أنتم الاثنين وأنا أتولى عنكم القتال يوما أو يومين فقال سابك الثلاث أنا حلفت ببيت عصانين ولا تمكن أن أحنث فى اليمين فقال الحكيم سقرديون لا تتخاصموا فأنتم على الحرب عازمون فان كان ولابد من نزولكم إلى الميدان فأنا أضرب لكم القرعة فى هذا المكان وكل من جاءت عليه القرعة ينزل إلى الميدان فقالوا لو أرضينا بذلك وضربوا القرعة فجاءت على سابك الثلاث فعدوا ثانيا وثالثا وهى لا تجىء إلا له فعند ذلك ركب جواده بعد ما ألبس عدته إلى الميدان حتى صار قدام الملك سيف بن ذى يزن وقال دونك والقتال إن كنت من الأبطال ثم انه صال وجال فى أربعة أركان المجال ولعب برمحه العسال حتى أذهل كل من رآه من الأبطال وبعد ذلك وقف فى الميدان وأشار إلى الملك سيف بالبنان وأنشد وقال :

يامن أتى للحرب والميدان دونك وطعنات القنا المران
فلسوف تنظر فى الحروب عجائبا تحت العجاج إذا التقى الجمعان
ولسوف تبقى فى التراب معفرا ومخضبا بالدم الأحمران
من سيف سابك الثلاث لدى اللقا بطل كمى فارس الشجعان
دونك وسوق الحرب ياهذا الفتى حتى تشاهد صولة الفرسان
لو كنت تعلم من أنا عند اللقا ورأيت يوم مواقفى وطعانى
ما كنت تبرز للقتال تعمدا ياجاهلا بالحرب والجولان
ولقد برزت إلى القتال ولم أكن فى الحرب ذا فشل ولا بجبان
أنا فارس الهيجاء قرن باسل ذلت لوقع مضاربى أقرانى
ماراعنى يوم الهياج محارب حتى أزلت جلاده بسنانى
ولسوف تبقى فى التراب مجندلا رزقا لوحش البر والغيلان

(قال الراوى) فلما سمع الملك سيف بن ذى يزن من سابك الثلاث هذا الشعر والنظام قال له قتلك الله ولا أحياك فلقد عرضت نفسك للهلاك وسوء الارتباك ولقد مدحت نفسك بذلك الهذيان وما قلته من شقشقة اللسان ياجبان ياذليل يامهان ويا أرذل السودان يامن دخل فى الغرور والبهتان حتى غضب عليك الملك الديان وجعلك شقيا من أهل الحرمان فى الآخرة

محروم من جنة رضوان عند مالك فى طبقات النيران وسوف ترى صدق ماقلته لك عيانه ولكن حتى أجيبك على ماقلت من الشعر والأوزان ثم أجابه على عروض شعره :

دع عنك هذا الزور والبهتان | ياأنجس الحبشان والسودان
يامن لغير الله تعبد باطلا | وطردت عن باب العلى الديان
وتمكنت منك الحماقة كلها | وأتيت مغرورا إلى الميدان
تبت يداك لقد جمعت جهالة | مصحوبة بالكفر والطغيان
أتيت لحلائى فذق طعن القنا | من يد من هو عابد الرحمن
وشهدت أن الله حق صادق | جل الإله من الفنا أنثانى
وكذلك إبراهيم حقا مرسل | نعم النبي قد جاء بالبرهان
للحرب دونك كى تذوق مضاربى | وتخر من فوق الثرى لدمان
وأنا مبيد الكفر سيف الحيرى | من عصبة الإسلام والإيمان
لاأنثنى يوم اللقا عن فارس | إن لم يوجد ربنا الديان
فيعود من طرق الضلال إلى الهدى | ويعود بعد الكفر للإيمان
فأذيقه من كأس سيفى منهلا | بالموت ممزوجا بحد يمان
ويعود من فوق التراب مجندلا | جزوا لوحش البر والعقبان

(قال الراوى) فلما فرغ من الملك سيف من ذلك الشعر والنظام وسمع المقدم سابك الثلاث هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام فحمل على الملك سيف بن ذى يزن حملة الغضب وعبس فى وجهه وقطب وكل منهما طالب خصمه أشد الطلب وزادت بينهما الحقود وتضاربا بكل سيف محدود وتطاعنا بكل رمح كعوب وانطبقا انطباقا كأنهما جبال الأخدود وتجادلوا مع بعضهم بالكفوف والزنود والتهبت فى قلوبهم نار الوقود وكل منهما قلبه على خصمه ملان غيظا وكود وبعد ذلك افترقا افتراق وادى زرود وكل منهما أيقن أنه مفقود وقد دام بينهما الحرب والطعان والضرب بالسيف اليمان والطعن بالرمح الكعوب المران وكان سابك الثلاث كأنه حجر أصم لايلين لإنسان إلا فى ذلك اليوم فإنه لما رأى من الملك سيف بن ذى يزن ماأبهره عيان وأيقن بتلاف مهجته إما بسيف أو بسنان وكان طالب الزيادة فوقع فى النقصان وأيقن مابقى له فى الحياة مطمع ولا من الهلاك أمان كل هذا والملك سيف بطوله ويغالبه حتى أتعبه وأكربه ولما نظر الملك سيف بن ذى يزن إلى سابك الثلاث وقد زاد به التحير وحس من جواده بالتقصير وعرف ذلك معرفة خبير حاذاه حتى حك الركاب بالركاب وصرخ عليه صرخة دوى منها البر والهضاب ومد يديه إلى خناقه وقبض على أطواقه وعصر على أشداقه حتى كاد أن تطير أحداقه وصاح بالدين الإسلام وتمطه بقوة واهتمام فقلعه من بحر سرجه وقد بطل

هرجه ومرجه ورجله عن الجواد إلى الأرض والمهاد وصرخ على سعدون الزنجى فنزل إليه وشده بالكتاف وقوى منه القواعد والأطراف وأعطاه لجماعة من أبطال المسلمين وصلوه إلى المضارب والخيام ونظر الحكماء إلى الحال فلطموا على وجوههم وصرخوا على عسكر الحبشة وقالوا لهم كيف يهون عليكم المقدم سابك الثلاث وهو من أكبر مقدمين السودان يأخذه واحد من البيضان وأنتم تنظرونه عيان دونكم والحملة على ذلك الشيطان فعند ذلك حملت العساكر وتمخضت الدساكر وأطبقوا على الملك سيف بن ذى يزن فتلقاهم بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرأ من تيار البحر إذا زخر وصار يضرب فيهم بالحسام الذكر ويرمى رؤوسهم كالأكر وكفوفهم كأوراق الشجر وحمل بجانبه المقدم سعدون وأنزل على الأعداء ريب المنون وأراهم فى الحرب فنون وأى فنون ونظر الملك أبو تاج إلى ذلك فاحتاج أن يحمل على ذلك البحر العجاج وتبعه عساكره أفواجاً أفواجا ورمى العدا أفراداً وأزواجاً وانعقد الغبار حتى بقى النهار كأنه الليل الداج وعظم القتال وزادت الأهوال وقصرت الأعمار الطوال واهتزت الجبال وتزلزلت الأرض بالزلزال وغنى بين الفريقين الحسام الفصال ونفذت الأسنة فى صدور الرجال وزادت نار الحرب اشتعال وجاء الحق وزهق المحال وقاتل فى ذلك اليوم كل فارس رئبال والجبان طلب الانفلال مما عاين من البلاء والنكال ولا زال الفريقان فى قتال إلى أن أذن الله تعالى للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالاتفصال ورجعت الطائفتان عن القتال وتركوا القتلى مطروحين على الاراضى والرمال (ياسادة) ولما نزلت هؤلاء العساكر فى الخيام واستقر بالناس المقام أحضروا لهم الخدم الطعام وبعدما أكلوا أضرموا النيران وتحارسوا من كل لص وشيطان وأرسلوا يتفقدوا من قتل من عسكر السودان فى اليوم الشديد الأهوال فرأوا القتلى خمسة آلاف وستمائة وسبعين وصاروا قتلى على وجه الأرض البطاح غير الذى أثخن بالجراح فلطمت الحكماء على وجوههم وكذلك السحرة حاروا فى أمورهم وقالوا نحن كنا راجحين وبلغنا من أعدائنا كل الأمل لولا هذا الأبيض المسمى بسيف بن ذى يزن فإنه أنزل علينا وعلى جميع العساكر الذل والمحن وكان زحل غائباً عنا وإلا لو كان زحل حاضراً معنا لكان نصرنا على الأعداء فقال له المقدم دمنهور الوحش ياحكيم كل ماجرى على هؤلاء الرجال من تدبيرك المشئوم ورأيك المذموم لأنك زعقت على الناس وقلت لهم احملوا حملة واحدة والعساكر مايعرفون أبواب الحرب والقتال فأهلكوهم هؤلاء الأعداء وأنزلوا بهم النكال وأنا أظن أنك ماجئت معنا إلا لتهلك جميع عساكرنا فقال له سقرديون كيف الحرب يكون أما هى عادات الحروب فيها غالب ومغلوب فقال دمنهور صحيح ولكن قتال المبارزة فارس لفارس لم يكن منه بغتة لأن ماينزل للبراز إلا كل من

كان يعرف كيف يكون الإنجاز وأنا الرأى عندى أننا مابقينا نقاتل إلا مبارزة حتى ننظر ماذا يكون الانفصال وباتوا تلك الحال هذا ما كان من أمر الحبشة والسودان وأما ما كان من أمر الملك سيف بن ذى يزن وسعدون الزنجى والملك أفراح والملك أبو تاج فانهم لما انفصلوا من القتال وعادوا إلى الخيام وأكلوا الطعام وحمدوا الله الملك العلام وقال أفراح لعساكره احسبوا لنا من قتل فى ذلك اليوم فقالوا له قتل من عسكرنا تسعون إنسان وقتل من عساكر سعدون الزنجى إثنان وقتل من عسكر أبى تاج ثلاثون ومن عساكر حمراء اليمن خمسة وثمانون فقال المقدم سعدون إذا كان فى غداة غد وبارزونا كان ذلك قصدا وأنا خطر لى خاطر وأظن أنه صواب فقال الملك سيف قل لى ما بدالك فقال ياسيدى إذا كان غداة غد أكون أنا وعبيدى على اليمين والملك أبو تاج وعساكره على اليسار والملك أفراح فى الجناح اليمين وبرنوخ الساحر يأخذ عساكر حمراء اليمين ويمسك الجناح اليسار وأنت أيها الملك تمسك القلب وتستعد للطعن والضرب وتزحف على الأعداء ونحن ياملك فينا كفاية لهم إذا حملوا علينا وأما إذا بارزونا فأكون أول من يبرز إلى الميدان وأسقيهم كأس الهوان وكل من بارزنى من الحبشة أو من السودان طعنته بالسنان وجعلته كأمس كان ولكن ياملك أنا أقسم عليك بالخليل إبراهيم أنك لاتتعرض لى فى المجال ولاتمنعنى عن البراز فلعل أن يبرز لى هذا الكلب ميمون فإنى والله مشتهى ان القاه وابلغ قلبى مناه لانى كنت اسمع بشجاعته قبل تلك الأيام ثم إنهم باتوا إلى الصباح فركب الفريقان على الجياد القداح وتقلدوا بالصفاح واعتقلوا بعوامل الرماح فتأمل المقدم سعدون فرأى عساكر الحبشة اصطفوا ميمنة وميسرة وقلباً وجناحين فعلم المقدم سعدون انهم يريدون البراز فالتفت إلى الملك سيف وقال له ياملك هذا مطلوبى فقال له الملك سيف إن هذا دواءك دونك وماتريد وإن رأيت ما زاد على طاقتك من اعدائك فها انا واقف احفظك وارعاك واهلك كل من عاداك فهم كذلك وإذا بفارس خرج من وسط عسكر السودان كأنه من أولاد الجان وهو غائص فى لامته ومتقلد بعدته وعليه درع مذهب وعلى صدره مرآة من الجوهر وعجب وهو راكب على جواد من اعلى خيول الفرسان ومتقلد بسيف يمان كأنه البرق فى اللمعان ولم يزل سائراً حتى توسط الميدان ونادى بصوت وقال هل من مناجز يامن يريد الحرب والقتال دونكم ولقاء الأهوال إن كان فيكم ابطال فلا يبرز لى إلا ملككم الأبيض المسمى بسيف بن ذى يزن حتى اتقابل انا وإياه قدامكم فى الميدان فإن قهرنى كنت له على مايريد واخدمه كما تخدم مواليها العبيد وإن انا اسرته او قهرته فأفعل كل ما اشتهى وإن بدولا انجبر عليه ولاأضايقه وإنما يطلق لى سابك

الثلاث وانا أطلقه هذا ماجرى والمقدم سعدون أراد أن ينزل إلى الميدان ويلطم ذلك الفارس فقال له الملك سيف قف مكانك لا تتحرك فما أحد طلبك ولا استجرك وأنا المطلوب ولا يجوز أن يطلبني طالب وأنت تكون عوضاً عني .

ثم أن الملك سيف بن ذى يزن قفز إلى حومة الميدان وتقرب إلى ذلك الفارس وقال له دونك وما تريد فأنا طلبك أيها الفارس الجليد فعند ذلك انطبقوا على بعضهم ولم يتكلم أحد منهم بشعر ولا بنظام بل كل منهم جرد الحسام وانطبق على خصمه من غير كلام وتخاصما أشد خصام والتحما غاية الالتحام وأخذوا فى الصد والرد والقرب والبعد فتارة يكون ميمنة وتارة تكون ميسرة وتارة تجرى بها الخيل خببا وتارة قهقهرة وكان هذا دمنهور الوحش آفة من الآفات وبلية من البليات فجد مع الملك سيف بن ذى يزن فى العراك والصدام وتجريع الموت الزؤام حتى أن الاثنين قد أشرفا على شرب كأس الحمام وتقدم سعدون الزنجى والملك أفراح والملك أبو تاج تقـــربوا إلى المعمعة وصارت أعينهم إلى نحو الميدان متطلعة .

ونظر المقدم دمنهور الوحش من الملك سيف ماحيره وبهره وكان قلبه قاسياً فلان وندم على خروجه للميدان ولا بقى ينفعه الندم فى ذلك المكان وإن طلب الفرار والهرب ضاقت الدنيا فى وجهه فما كان له غير أنه أخفى الغيظ والكمد وأظهر الصبر والجلد وأخيراً أحس من جواده بالتقصير والملك سيف بن ذى يزن عرف ذلك منه معرفة خبير فقام فى ركابه وتمطى فى بداده وزعق عليه وخافاه ومد يده فى جلباب درعه بكف ملآن تقرى وإيمان وتقوى وأخرج رجله من الركاب ورفص الحصان فرماه من تحته إلى الأرض والصحصحان وبقى دمنهور الوحش فى يد الملك سيف بن ذى يزن معلقاً كأنه الثوب الخلق فتحرك فى يده وأراد أن يتخلص فرفعه الملك سيف إلى فوق وهو قابض جلباب درعه من الطوق وجلد به الأرض فرض عظامه رضاً فما لحق أن يصل الأرض حتى كان المقدم سعدون واقفاً كأنه الجنون فركب على صدره كأنه حجر طاحون وحصر على أكتافه حصراً وأورد يديه قوة وقهراً وأوثقه كتافاً وقوى منه السواعد والأطراف وساقه بين يديه وسلمه لاثنين من الفرسان الشجعان .

وقال لهم اربطوه بجانب صاحبه سابك الثلاث هذا وقد نظر سقرديس إلى أخذ دمنهور الوحش أسيراً فما بقى لهم صبر ولا جلد وتفرت منهم المرائر والكبد ونفت أرياقهم وتمرر مذاقهم فلطموا على وجههم حتى خرج الدم من أنوفهم وصاحوا على العسكر احملوا

على هؤلاء الذين أسروا مقدميكم وغيروا عليكم أموالكم دونكم والحملة ولا يتأخر أحد على الحملة وتكونوا حملة صادقة فعندها زحفت الرجال وتقدمت الأبطال فالتقاهم الملك سيف بن ذى يزن الفارس الرئبال ولعب فى أبدانهم بالحسام الفصال ودحرج رؤوسهم على وجه الأرض والرمال وتبعه المقدم سعدون الزنجى والملك أفراح والملك أبو تاج وكل منهم اقتحم المجال وهاجوا وطرحوا الجثث أفراداً وأزواجا ولله در الملك سيف بن ذى يزن فإنه حمى الميدان وأهلك الحبشه والسودان وجعل الأجسام على الأرض كيمان وأما الملك أفراح فانه قبض من الأعداء الأرواح وبضع الأشباح وسقاهم من المنية كأس القراح وضرب بالسيوف الصفاح وزعق على الأعداء وصاح فهلك كل فارس جحجاح .

والمقدم سعدون ما كان هذا اليوم مغبون فانه أدار رحى الحرب كالطحون وخرق بسنان الرمح صدور الأعداء والجفون وأدار على عساكر الحبشة كاس المنون وما بقى يعرف إن كان عاقلا أو مجنون وقد بسيفه الظهور والأجناب والبطون وثارت الغبائر وتفرقعت المرائر وغنى الحسام الباتر وشك سنان الرمح فى الحشا والضمائر وبان فى ذلك اليوم كل شجاع وصابر وتفتحت المقابر فكم من جواد غائر ودم فائر ودماغ طائر وجنان حائر وكانت وقعة يالها من وقعة تجلى عليها الملك العظيم القادر القاهر ثبت أهل الإيمان وبلغوا المأمول وخسرت الكفار ولم ينالوا محصول لحاروا واندهلت منهم العقول وداموا على هذا الحال حتى ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال .

ودقت طبول الانفصال وبطل القتال وعادت عساكر الإســـلام إلى المضارب والخيام وتقدم لهم الطعام وأوقدوا النيران وقام برنوخ الساحر وقال أنا ملزوم بالحرس إلى الصباح وكل منكم ينام يستراح فقال له الملك سيف أنت خيرك علينا ياحكيم أما عساكر الكفار فإنهم عادوا إلى خيامهم وسقرديس وأخيه سقرديون معهم كذلك السحرة يتعجبون من هـــذه الافعال وحسب من قتل ذلك اليوم فكانوا ألفين وكسور فلطموا على وجوههم الحكماء ونتفوا ذقونهم بأيديهم وقالوا انفضحت عساكرنا عند الملوك وكل غنى وصعلوك ويقال عنا إننا كان معنا العساكر وثمانون ألفا وثلاثمقادم كل مقدم منهم مقوم بقبيلة وتكون بين يديه وأيضاً ثمانون ساحرا وحكيمان وانكسروا من حرب عصبة قليلة وكسرهم الملك سيف بن ذى يزن وأنزل بهم الذل والمحن وأبلاهم بالمحاق

وسقاهم شرابا من المذاق وأوردهم موردة التلاف وعسكره فى عدد أربعة آلاف والتفت ميمون إلى الحكماء وقال لهم وأنتم أيها الساحرون ماظهر لنا منكم براهين ولا رأينا منكم بيقين الاما كن وما معنا منكم أحد فقال له السحرة نحن حكماء لما جئنا أول ماعملنا شيئا منعنا به الظلمة التى كان عملها برنوخ الساحر وخلصنا قريه وأنتم بطلتم السحر ولو كنا رأينا برنوخ الساحر يعمل أبوابا كنا أنطلناها ونحن نخاف أن نفعل شيئا ونعمل عملا يبطله برنوخ الساحر فانه قاعد متحضر إلى أشغالنا ومرصدنا كما يرصد الفار القط فان برنوخ ماهو ساهل حتى نهمل أمره ولانتقاول على مكره وسحره فقال ميمون الهجام أما قولكم إن هذه الوقعة مالها إلا ضرب الحسام البتار وأنه لو لم يكن فى العساكر سعدون الزنجى كنا كسرناهم فإنى أنا بالأمس رأيته وهو عائد من الميدان كأنه الأسد الغضبان وأنا مرادى فى غداة غد أطلب النزال معه لعله يخرج وأنا أجعل دمه فى درعه مثل الطراز وأحزه امره غاية الانجاز وإن نزل من بعده سيف بن ذى يزن أرحت منه سكان هذه الأرض والدمن فاذا قتل هذان الاثنان كفينا كل الفوارس والرجال ولا نبالى بعدهما بكل ما كان من الأسود الخوال فقال الحكماء إن فعلت ذلك نحن نضمن لك أن الملك سيف أرعد يزوجك إبنته ويقاسمك فى نعمته وتبقى وزيره ومدبر مملكته وسياف نقمته وتبقى كلمتك على الدولة مثل كلمته ويفضلك على جميع أكابر دولته فقال لهم لا كلام حتى يمر الظلام ويأتى النهار بالابتسام هذا ماجرى هنا من الأحكام وأما ما كان من الملك سيف بن ذى يزن فانه تفقد من قتل من عسكره فقالوا له ياملك قتل منا جميعا تسعون ومن العبيد أربعة فبكى الملك سيف .

وقال والله ياجماعة أنا عندى كل مؤمن مجاهد فى سبيل الله خير من مملكة سيف أرعد وما فيها من المال والنوال والخيل والرجال ولو أعلم ذلك ماكنت أخلى أحدا منكم يبرز إلى القتال فقالوا له أيها الملك السعيد نحن نعلم أن كل من مات فهو شهيد ومن عاش فهو سعيد فى ذلك بقيت الإسلام بين السعادة والشهادة وهذا أحسن ما يكون ونحن يا ملك ماسرنا معك برجالنا وفرسانا إلا وفى نيتنا أن نفديك بكل ما نملك وكذلك أرواحنا ورجالنا فشكرهم الملك سيف بن ذى يزن على مقالهم وقال لهم والله لقد شفيتم الغليل وفعلتم كل جميل وأرضيتم الله الملك الجليل ثم قال لهم وكيف العمل فى هذا العسكر القليل ومراده

إيجاز أمره بلا تطويل فقال له المقدم سعدون اعلم يا ملك أنه ما بقى ثبات القوم إلا بميمون فقط وإن أخذنا ميمون فإن العسكر هذا كله يختبط وبعد ميمون فان العسكر يتفرق وكل من ثبت يشرب كاس المنون (ياسادة) ثم إن الملك سيف بن ذى يزن أمر باحضار الطعام فأكلوا وشربوا وحمدوا ربهم وشكروه وقال الملك سيف أنا خائف يا سعدون من الحبشة أن يسعوا فى خلاص المأسورين من عندنا وإن فعلوا ذلك ضاع تعبنا وأنا قصدى أن احضرهم وأعرض عليهم الاسلام فإن أسلموا كانوا من حزبنا وإن لم يسلموا اضربت رقابهم وأرحت قلبى من سجنهم والتوكيل عليهم ماذا تقولون يا حاضرون فقالوا له جميعا افعل ماتريد فنحن لك أطوع من العبيد وعن رايك لانحيد فقال الملك سيف بن ذى يزن على بهم يا سعدون فقال سمعا وطاعة وراح سعدون وأتى بهم وهم فى الأحزام أشد ما يكون فلما أحضرهم وإلى بين أيادى الملك سيف بن ذى يزن أوقفهم فقال لهم الملك سيف يا مقام إيش أخركم عند والتوكيل عليكم وأنتم ساكتون فهل ترى مرادكم أن أطلقكم من السجن وتمضوا الى حال سبيلكم وإلا إيش يكون قصدكم ومرادكم أنا من أول ما أسرتكم كان قصدى ضرب رقابكم ولكن أملت فيكم أمل وما أدرى يصح أو كيف العمل وأنا فى هذا الوقت احضرتكم ومرادى ارتاح من التوكيل عليكم إما بإسلامكم وتكونوا من حزب الاسلام لتحظوا بالشهادة إذا أدرككم الحمام وبالسعادة إذا كنتم على دين الاسلام فانطقوا بما ترون فيه الصواب وعجلوا إلى رد الجواب فسكت الاثنان ولا احد نطق بخطاب فقال الملك سيف كانكم أبيتم دين الاسلام وما بقى لكم غير كاس الحمام قم يامقدم سعدون واضرب رقابهم وعجل لهم المنون فقام سعدون على الأقدام وأشهر فى يده الحسام فقال سابك الثلاث يا ملك إيش مرادك منا فقال له مرادى ان تتركوا عبادة زحل وتعبدوا الله عز وجل فان زحل هذه نجمه من النجوم ولا يعبد بحق إلا الله الملك الحى القيوم فقال سابك الثلاث وأين إلهك الذى تعبده حتى نعبده معك وإذا رأيناه فعل فعالك نتبعك واعلمنا هو فى اى مكان فقال الملك سيف إن إلهى يرى ولا يرى وهو بالمنظر الأعلى لا يمر عليه زمان ولا يحويه مكان بل فى السماء عرشه وفى الارض بطشه وهو واحد أحد فرد صمد لا شريك له ولا مثيل ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد لا ينظر ولا له مستقر ومن جعل له شريكا فقد كفر ودخل النار يوم المحشر (قال الراوى) فلما سمع سابك الثلاث هذه الأقوال اقشعر بدنه وبقى فى خبل وأخذته الهيبة لذكر الله المتعال ونطق فى عاجل الحال وقال صدقت يا ملك الزمان وقولك واضح البرهان لكن عرفنى كيف يكون الدخول فى دينك وكيف الوصول فى

اتباع يقينك فقال الملك سيف تطبق الأربع وترفع الأصبع وتقول كما قال موسى فى المناجاة يامعيد ويامبدى من العلم علمنى عسى يرتفع بجدى قال الله ياموسى أفضل مايقول عبدى لا إله إلا الله خفيفة على اللسان محمد رسول الله بها يكمل الايمان صابون القلوب التوحيد يسعد من عليها توفى كلمة ثقيلة فى الموازين ترجع على الالسن لهاخفة لو وضعت جميع الأعمال فى كفه وكذلك الجبال والأرضون فما يرجح إلا هى وهى لا إله إلا الله محمد رسول الله

(قال الراوى) فلما سمعا الاثنان وهما سابك الثلاث ودمنهور الوحش ذلك الكلام حصل لهما انشراح صدر للاسلام فقال دمنهور الوحش يا ملك سيف حقيقة انا سمعت فى بعض الليال ناسايقولون إن الله واحد فرد صمد وهولايدرك بالنظرولا له مكان ولامستقر وأنت فى كلامك تذكر أن محمدا رسول الله مع أن الناس المؤمنين يقولون ابراهيم خليل الله فقال الملك سيف صدقت وهذا الذى ذكرته فهو نبى آخر الزمان يأتى بالبينات والقرآن وهو أول الأنبياء وخاتم المرسلين وهو سلاله إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله وأصحابه الكرام وكان المقدم دمنهورالوحش وسابك الثلاث يسمعان ذلك الكلام وقلوبهم خاضعة إلى دين الإسلام فقالوا للملك سيف بن ذى يزن ونحن إذا أسلمنا فهل ربنا يقبلنا بعد ماجهلنا فى عبادة زحلى مدة أعوام فى أعمارنا الأول وإلا يردنا عن بابه ويحرمنا من التعلق والطمع فى جنابه فقال الملك سيف إذا امنتم بالله تعالى وانتهيتم عما مضى يجود الله عليكم بالعفو والقبول والرضى فقال له ونحن على ذلك آمنا بالله ورسوله وملائكته وكتبه وأول ما قال سابك الثلاث أشهد أن لا إله لا وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن إبراهيم خليل الله وهو نبى زماننا هذا فقال الملك سيف بن ذى يزن أفلحت وكتبت من حزب الرحمن وبعده أسلم دمنهور الوحش وكتبت لهما السعادة والإقبال وفرح الملك سيف بن ذى يزن بإسلامهما وقام إليهما وأطلقهما من وثاقهما وقبلهما بين أعينهما وأحضر لهما ملابس وخلعها عليهما وقال لهما أنتما فزتما بالسعاده ثم أمر باحضار الطعام فرضعا وأكلا مع الملك سيف ومن حضر من العوام وباتا فى هناء وسرور وبات الملك سيف يعلمهم العباده طول ليلتهم وقواعد الإسلام وفرح بهما فرحا تاما إلى أن أصبح الله تعالى بالاصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وأقام سوق الحرب والكفاح واصطفت الصفوف ترتبت المئات والالوف ولما وقعت العين على العين .

(قال الراوى) وكان المقدم ميمون فى هذه الليلة وعدسقرديس وسقرديون أنه ينزل الميدان ويقاتل المقدم سعدون إما أن يأسره على يديه أويقتله ويسقيه كأس المنيه ويخلص سابك

الثلاث ودمنهور الوحش بأحسن ما يكون وبات منتظر الصباح ولا يعلم بأن هذين البطلين فتح عليهما الفتاح وانتقلا من الضلال إلى طريق الهدى والنجاح فلما كان ذلك اليوم برز المقدم ميمون إلى حومة الميدان وهو راكب على فيل أعلى من الجواد وعلى بدنه درع داودي صنعه نبي الله داود عليه السلام وهو كثير العدد ضيق الزرد كأنه أعين الجراد لايعمل فيها الصارم المهند وعلى رأسه بيضة عادية ململة مجلية كأنها الفضة النقية لاتعمل فيها الصوارم الهندية ومتقلد بصفيحة هندية مكتوب على حدها رسول المنيه وعلى كتفه قناة خطية تتلوى مثل الحية وعليها سنان كأنها جمة عقرب أو قبس على مرقب ثم أنه دفع ذلك الفيل إلى الميدان ومحل الجولان ورفع صوته وكان له صوت جهوري يسمعه القاصي والدان وقال هل من مبارز هل من مناجز اعلموا يا معاشر عساكر حمراء اليمن ها أنا برزت إلى الميدان ومحل الضرب والطعان وإنكم كلكم رعية ولا فيكم ملك ولا سلطان بل أنتم توابع سعدون الزنجي ومن له الغلمان وسعدون على ماسمعت عنه أنه تابع الملك سيف وهو سيف البيضان وأنا نزلت إلى الميدان قصدي إنجاز الحال وقضاء الأشغال وأخرت جميع العساكر عن الحرب والقتال وليس من المروءة أن تتكل على العساكر تقاتل بعضها بعضا ونقعد تتفرج على مايجرى لها فالمراد أن ينزل إلى الملك سيف بن ذى يزن الذى أباد بسيفه أهل الشرك والمحن وإن أسرنى فيقرنى مع سابك الثلاث ودمنهور الوحش الذين أسرهما بالأمس حتى نبقى جميعا أسراء ويحكم فينا بما يهواه وإن أنا أسرته أطلب منه الاثنين فداء وإن كانت تأنف نفسه أن ينزل قبالى لكونه ملكا صاحب خدم وموالى ويقول إن قدره عالى فيبرز لى من هو أمثالى وهو المقدم سعدون الزنجى فان قهرنى كنت له من جملة الخدم والعبيد وإن أنا قهرته يكون موافقا لى على كل ما أريد (ياسادة) ونظره سابك الثلاث ودمنهور الوحش وهو على هذه الحال فأراد أن يبرز إليه فقال الملك سيف بن ذى يزن قفا مكانكما ولا تخرقا مع ذلك الشيطان حرمتكما ثم أنه أراد أن يخرج له فتعلق بركابه سعدون وقال له سألتك بالله العظيم يامالك الزمان إنك تسمح لى بالخروج إلى ذلك الشيطان فقال الملك سيف يامقدم سعدون أنا لا أمنعك عنه وإنما أنا لى غرض فى أسره لعل الله يهديه للإيمان فان مثل ذلك من الفرسان المشهورة والابطال المذكورة وإذا كان على دين الإسلام ينفعنا فى الجهاد وبه نبلغ القصد والمرام فإذا أردت الخروج إليه أنا ما أمنعك لكن إن قدرت عليه فلا تقتله بل احترس على أسره كما قلت لك لعل الله ان يهديه للإيمان ويبقى من حزب الرحمن فعندها خرج المقدم سعدون وسار

فى الميدان حتى بقى قدام المقدم ميمون وقال له دونك والميدان إن كنت على ماتدعى أنك من الفرسان أصحاب الضرب والطعان فلما نظر ميمون إليه قال له يا فتى هل أنت الملك سيف بن ذى يزن الذى تدعى أنك من أهل الشجاعة والقوة وبراعة فقال له المقدم سعدون ياميمون أنت كأنك مجنون فان الذى تذكر هذا الملك من أكبر الملوك وكم تحت يده مثلك ومثلى من كل قائد جيوش ومقادم وملوك كل غنى وصعلوك فكيف ينزل الملك للحرب ويقاوم أمثالك فى محل الطعن والضرب وكم مثلك وأمثالك يريد أن يتعلق بالفروسية ويروم ان يسعى لعله يحقق مساعيه والايام ترده وتذله وتخزيه وفرق بعيد أنا وأنت والوف من أمثالنا لا يساوون نقطة من نياره ولا شرارة ولا دخنة من ناره وإن كنت على ماتدعى انك من الفرسان فها أنت فى الميدان والحرب والطعان ثم إن سعدون الزنجى لطم ميمون الهجام لطمة الأسد الضرغام واخذ معه فى المعاركة والصدام وانعقد على رؤسهما الغبار والقتام وبطل العتب والملام وقل من بينهما الكلام وتطاعن بكل رمح معتدل القوام وتضاربا بكل حسام صمصام وداما فى كر وفرار وإقبال وإدبار ومهاجمة وملاطمة حتى اشرفا على الويل والعمى ونعوذ بالله من احقاد السودان لانهم مثل فروخ الجان وزاغت منها العيان وتقصفت الرمحان وتثلمت السيفان هذا وكل منهما فى خصمه طمعان ان يسقيه كأس الحمام والهوان وداما على ذلك الشان وهما يتراوغان ويتهامران حتى مابقى فى ايديهما من سلاحهما شىء ينفع والسيوف والرماح صارت قطع فرمياها من ايديهما وتقابضا بالزنود وزاد بينهما الغيظ والجنود وبعد ذلك التفت المقدم سعدون إلى ميمون وقال له يافتى هل لك ان تقاتلنى بالصراع حتى نفتخر انا وانت بقوة الزند والباع ويبين منا من يكون شجاع ولايفزع من الحرب ولا يرتاع فان كنت تدريه دونك والقراع وإن كنت لم تعرف فى الصراع فدعنا على ما نحن عليه من الحروب والقراع فقال ميمون أنا الصراع يا فتى صناعتى وربيت فيه من صغرى بين اقاربى واهلى واحبتى كيف لا أدريه وانا كأمه وابيه (قال الراوى) وان المقدم سعدون ما طلب ذلك إلا لكون ميمون الهجام كما ذكرنا راكب على فيل واما سعدون فهو راكب على جواد نبيل وكان قصد سعدون انه إذا نزله إلى الأرض هو وإياه يبلغ منه مناه وكان سعدون حس من جواده بالتقصير وأما الفيل فهو كالجبل الشامخ الكبير فما صدق ان ينزل إليه وهجم سعدون عليه ومال بكليته وتجاذبا وتضايقا وتهاجما وتلاكما حتى سالت من مناخيرهما الدماء واشرفا على الويل والعمى (ياسادة) وكانت الارض مليئة بالصخور والاحجار

كبار وصغار فصارا يتراجمان بالأحجار والصخور فخفرت أقدامهم الأرض مثل القبور ودااما على ذلك الحال حتى ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال واندق لهما طبل الانفصال وافترقا عن الحرب والقتال وكل منهما ينظر إلى خصمه شذار وبرمته حلدار وعاد إلى الخيام وقد أسدل الظلام ولما عاد المتقدم سعدون من الميدان التقاه الملك سيف بن ذى يزن وهناه بالسلامة وفرح بعودته وكذلك سابك الثلاث سلما عليه وقال له لله درك من بطل شجاع وقرم مناع لقد قبل الله منك الجهاد وبلغك القصد والمراد فشكرهم على كلامهم وجلس الملك سيف ابن ذى يزن وأمر سعدون الزنجى بالجلوس فجلس وأحضروا الطعام فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا فقال الملك سيف بن ذى يزن يامقدم سعدون كيف كان خصمك فى هذا اليوم فقال سعدون ياملك ماهو إلا فارس مهاب وقرم للحروب وثاب وأنا والله مارأيت حملات مثل حملاته ووثبات مثل وثباته ولا يفعل فعاله إلا أستاذى الملك سيف بن ذى يزن سيد ملوك اليمن ولكن ياملك الزمان فى غداة غد إذ أراد الله تعالى بالنصر أقوده أسيرا وأتركه على الأرض عفيرا والله تعالى المشيئة والتدبير هذا ماجرى ههنا وأما ما كان من المقدم ميمون فانه عاد من الميدان إلى مضاربه والخيام فتلقاه سقرديس عند عودته وهناه بالسلامة وقال له كيف رأيت خصمك يافارس الزمان فقال ميمون وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه ياحكيم الزمان ماهو إلا أوحد الفرسان ولم يكن له نظير فى ثباته فى الحرب والميدان وأنا فى غداة غد آخذه أسيرا وأتركه على الأرض عفيرا فقال له سقرديس يافارس عصرك اعلم أن زحل معك وعلى خصمك ينصرك وأقام ميمون على ذلك الحال ياسادة وأما سابك الثلاث ودمنهور الوحش فكانا واقفين يتفرجان على ماجرى فى الميدان وشهدا لسعدون وميمون بالزيادة عن جميع الفرسان ولما دار الحديث والكلام قال دمنهور الوحش يامقدم عمرى مارأيت أحدا فعل فى الحرب كما فعلت أنت وميمون فقال سعدون والله ماهو إلا فارس همام وبطل ضرغام ولم يكن له نظير فى هذه الأيام وأنا أسأل الله تعالى أن يهديه دين الإسلام ويكون حزبنا فى قتال الكفرة اللئام فقال له سابك الثلاث صدقت فيما قلت يافارس الصدام وما هو إلا أسد لايرام ونحن نعلم أن الملك سيف أرعد كان يخاف منه ويهاديه ويتقى شره ويرعبه لما فيه من الشجاعة والقوة والبراعة فقال لهم الملك سيف يامقادم وحق الملك العلام رب زمزم والمقام والمشاعر العظام لابد لى أن أبرز له غداة غد فى الصدام وأخطفه لكم من بحر سرجه كما يخطف الجارح الحمام وأعرض عليه الإسلام وإن لم يسلم قطعت رأسه بالحسام فلما سمعوا منه ذلك الكلام سكتوا جميعا وقال المقدم سعدون ياسيدى إن فضلك لاينكر وأنت أوحد البدو والحضر وباتوا على ذلك الإيضاح حتى أتى الله تعالى

بالصباح وأضاء الكريم بنور كوكبه الوضاح فركبت الفرسان على ظهور الخيل الجرد الملاح واصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف ميمنة وميسرة فكان أول من فتح باب الحرب المقدم ميمون الجهام وبرز إلى حومة الميدان ولعب بالرمح حتى حير عقول الفرسان ونادى هل من مبارز دونكم والميدان لايبرز لى إلا الملك سيف بن ذى يزن الذى شاع ذكره فى الأقطار والدمن وقيل عنه أنه مقاتل الإنس والجان وأذل بسيفه جميع الملوك والفرسان .

(قال الراوى) فما أتم كلامه إلا والملك سيف قفز بالجواد وصار قدامه وكان سعدون الزنجى وسابك الثلاث ودمنهور الوحش أرادوا أن يخرجوا اليه ولو بالقرعة فما مكنهم الملك سيف وقال لهم أنا قصدى الانجاز وعدم الطولة فى البراز وخرج كما ذكرنا ولما صار قدام ميمون قال له يامقدم ميمون اعلم أن أصحابك دخلوا فى دين الإسلام وصاروا من أهل الإيمان ومن حزب الرحمن وأنت الآن إما أن تؤمن بالله تعالى وتدخل فى دين الإسلام وإلا والله الذى لا إله إلا هو أجعلك شهرة بين الأنام وأقطع رأسك بحد الحسام فلما سمع ميمون من الملك سيف ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال له وأنت من تكون حتى تتكلم بذلك الكلام الذى يرث الغبون أعلمنى عن اسمك قبل ما أحسرك على روحك فقال الملك سيف أنا قائد هذه العساكر وأنا صاحب هذه المدينة وأنا الذى طلبتنى أنت للقتال فلا تطل المطال إما أن تؤمن بالله ذى الجلال وإلا دونك والقتال إن كنت على دعواك من الأبطال فقال ميمون اصح لنفسك فإنك فى هذا اليوم تسكن رمسك ويتبدل عنك يومك بأمسك فصاح الملك سيف بن ذى يزن عليه وقال اخرس ياكلب السودان والحبش ومال عليه بكليته وصاح صيحة ملء جثته وانطبقا وتقاربا وتباعدا وكان لهم ساعة تقشعر منها الجلود ويذوب من حرارتها الحجر الجلمود وكافحا مكافحة الأسود وانطبقا انطباق جبال الأخدود وافترقا افتراق وادى زرود وكلاهما ظن أنه مفقود وكان لهم ساعة يشيب من هولها الطفل المولود ووقع بينهما ضربتان فأما ضربة ميمون فكانت متسعة فوقعت فى صدر جواد الملك سيف فوقع قتيل ولما نظر الملك سيف ذلك انغاظ وضرب الفيل فوقع الحسام فى وسط رأسه ففلقها مع رقبته ولم يبق من الفيل إلا أعضاء جثته فصعب على ميمون وهجم على الملك سيف مثل المجنون وزاغت منه العيون فالتقاه الملك سيف ذى يزن وتقاتلا ساعة من الزمان تورث الفتن والمحن وتماسكوا بالزنود السواعد وقاسوا الأهوال والشدائد وداموا إلى آخر النهار ولكن ميمون كل ومل ووهى ركن

شجاعته واضمحل وعرف الملك سيف بن ذى يزن ذلك معرفة خبير فانحط عليه بكليته وتقوى عليه بعزيمته وقبض فى منطقته بيده اليمين وقبض جلباب درعه بيده اليسار وعصر عليه حتى تخيل أن عقله طار ورفعه على قائم زنده كالعصفور فى يد الباشق الجسور وجلد به الأرض ورض عظامه أعظم رض وكان سعدون واقفا متحضرا لأسره فبرك على صدره وأدار يديه بالخلاف حتى شده بالكتاف وقوى بالرباط سواعده والأطراف وساقه بين يديه إلى الخيام واستلقاه الملك أبو تاج والملك أفراح ودمنهور الوحش وسابك الثلاث وسعدون الزنجى ولما استقر بهم المقام فأمر بإحضار الطعام فأحضره الخدام فأكل هو والحاضرون من المقادم والملوك الكرام وبعد أكل الطعام طلب ميمون فحضره الخدام إلى بين يديه فلما حضر بين يديه قال له إيش قلت فى الإسلام يافارس الزمان أنا والله ماهون على أن مثلك يكون من أهل النيران باتباعك للكفر والطغيان فقال ميمون يامالك ها أنا بين يديك فافعل بى ماتريد وأنا مارأيت أحدا يأسر أسيرا ويكرمه إلا أنت أيها الملك السعيد فأمر الملك سيف بن ذى يزن باطلاقه وفك شداده ووثاقه وأمر له بالجلوس وقال له ياميمون أنا مرادى لك النصيحة والدخول فى دين الإسلام وتكون من المجاهدين فى سبيل الله الملك العلام وتكون مثل هؤلاء إخوانك دمنهور الوحش وسابك الثلاث وكذلك المقدم سعدون وها هم على وجوههم نور دين الإسلام وآخر ماعندى أن أنصحك ثلاث مرات وبعد ذلك أضرب رقبتك وأفجع أحبتك فإن كنت راغب فى الإسلام فبادر إليه والسلام وإن كان فيك الغرور واتباع الضلال والفجور فسوف ترى عاقبة البغى على من تدور فقال ميمون علمنى حتى أقول الكلام الذى أدخل به دين الإسلام كما علمت هؤلاء المقادم الكرام قال الملك سيف ابن ذى يزن قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن إبراهيم خليل الله ونبيه ورسوله فأسلم قلبا ولسانا فأمر الملك سيف بن ذى يزن باجتماع الأربعة وهم سعدون وميمون وسابك الثلاث ودمنهور الوحش أن يتشهدوا جميعا واوثق بينهم عهد الأخوة حتى لا يكون أحد يتعلق بالكفر دون آخر ويكونوا يدا واحدة على جميع الأعداء مساعدة ففعلوا ما أمرهم ونصبت لهم الكراسى حول الملك سيف فى الصيوان وصار إذا قعد يكون على يمينه الملك أفراح وعلى يساره الملك أبو تاج وأما المقادم فجعل سعدون وميمون فى اليمين ودمنهور وسابك الثلاث فى اليسار وبقى صيوان الملك كالجنة وهو قاعد كأنه الأسد بين السباع هكذا ترتب مجلس الملك سيف بن ذى يزن ملك ملوك التبابعة بأرض اليمن وأما ماكان من سقرديس وسقرديون لما علموا بأخذ ميمون على يد الملك سيف

ابن ذى يزن نزلت عليهم الحمى المثلثة ولطموا على وجوههم واحتاروا فى أمرهم وأحضروا السحرة إلى بين أيديهم وقالوا لهم أنتم سافرتم وجئتم لنا من بلاد بعيدة وكان قصدكم أخذ برنوخ الساحر والذى كان السبب فى خروجه من بلادكم وقدومه إلى تلك البلاد وها أنتم أتيتم فى طلبه ولما وقفتم قدام الملك سيف أرعد ملك الحبشة والسودان ماتخلى عنكم بل أمدكم بالعساكر وأرسلكم إلى محل خصمكم ونحن أتينا معكم فماالذى أسكتكم عن طلبكم وماتجتهدوا فى قضاء شغلكم وأخذ برنوخ الساحر خصمكم فقالوا لهم طيبوا نفسا وقروا عينا فوحق النار ذات الشرار لابد أن تنظروا من سحرنا مايحير الأبصار فقال الحكماء على كل حال يبقى لكم الفخر بين الفرسان والأبطال ثم أنهم اتفقوا على ذلك الحال كل من الثمانين اجتهد أن يفعل فأول من اجتهد وكان له اقتدار كبيرهم وكان اسمه عبد نار وهو الذى كبروه عليهم بعد برنوخ لأنه ذو فهم فقال لهم قبل كل شىء نلقى على الملوك الذين هم صحبة الملك سيف باب الجماد لأنى أعلم أن الملك سيف متقلد بسيف الملك حام سام بن نوح وأظن أن يحفظه من الأسحار وبرنوخ فقالوا له نصبر حتى يتكامل الديوان ونرمى باب الجماد عليهم جميعا فكل من سحر فهو المقصود ونجتهد بعدها فى حرب برنوخ لأنه يبقى وحده وليس عنده أحد يساعده فبذلك ننتصر عليه إذا حاربنا وبنوا أمرهم على ذلك واصطنعوا باب الجماد وحمله كبيرهم عبد نار وركب على زير من النحاس ووقف فوق سطح الديوان وجلس كل ملك فى مرتبته ومن عادته الجلوس جلس ومن عادته الوقوف وقف وألقى عليهم باب الجماد وهى طاسة ملانة بماء مبخر تلوا عليه عزائمهم بمعرفتهم فرش الطاسة عبد نار عليهم فتجسموا جميعا وصاروا حجارة وعيونهم شاخصة ولا أحد منهم يتحرك من مكانه اما عساكر الإسلام فإنه لما طلع النهار ركبت أرباب الحروب وطلعوا للميدان على جرى العادة وترتبت الصفوف وتحضرت المئات والألوف وانتظروا الملك سيف بن ذى يزن وسعدون الزنجى والملك أفراح والملك أبو تاج وميمون الهجام ودمنهور الوحش وسابك الثلاث وأن المسلمين جميعا فرحون بإسلام هؤلاء الأبطال الأجلاء أن يكونوا مساعدين لهم فى الحرب والقتال ولما افتقدوهم ما وجدوهم فعاد منهم جماعة إلى الديوان فرأوهم على هذا الحال ولما رأوهم صاحوا فزعا مما جرى وقالوا مافعل بملوكنا تلك الفعال إلا السحرة وبلغ الخبر إلى طائفة من الحريم فدخلوا على شامة وقالوا لها قومى الحق أباك وزوجك فإن السحرة سحروهم وجعلوهم أحجار شواخص الأبصار فخرجت شامة مسبية مثل الجوارى حتى وصلت إلى الديوان فرأت أباها وزوجها ومن كان معهم على هذا الحال فصاحت وأعلنت بالصياح وزاد بها البكاء

والنواح وـلت لمن كانوا حاضرين من العبيد وبعض العساكر ائتونى برنوخ الساحر فتجارت الناس إلى برنوخ وقالوا له الحق الملوك فانهم فى حالة العدم فسار إلى الديوان فقالت له شامة انظر ياحكيم الزمان مافعل فى الاسلام أهـل السحر والـكهان فقال لها برنوخ لاتخافى فإن السحرة رموا باب الجماد على ملوكنا ومابقى قاصدهم إلا أنا ثم أنه أحضر طاسة من النحاس وملأها من الماء العذب وقرأ عليها عزائم يعرفها حتى صار الماء يغلى كغليان المرجل وإذا بالصياح انعقد فى الخلا وملأ أقطار الفلا فقال برنوخ ياشامة هذه الطاسة خذيها معك حتى يهدأ غليانها ورشى عليهم أجمعين فانهم يفيقون كما كانوا عن يقين وأما أنا فذاهب إلى أولئك الساحرين الكافرين حتى أتحارب معهم وانتظر النصر من رب العالمين ثم أنه خرج من الخيمة وتأمل وإذا بالثمانين ساحراً فى حومة الميدان وكل منهم كأنه شيطان وقد منعوا الحبشة وجميع الصفوف من السودان عن الحرب والطعان وقالوا لهم قفوا مكانكم حتى نملك برنوخ الساحر ونهلككم بين العساكر فانه ثبات المسلمين ولما سار برنوخ فى الميدان كان كل كافر منهم مستحضراً على باب من أبواب السحر والكهانة وليس باب إلا ويختلف عن الآخر فالبعض صور له حربة وضربه بها والبعض أرسل له ثعباناً والبعض أرسل له أسداً والبعض أرسل عليه باب الانقلاب والبعض أرسل عليه باب الصمم والبعض أرسل عليه باب العمى والبعض صنع سهماً من بولاد ولا أحد من الثمانين إلا وحذف عليه باب الذى صنعه فلما رأى برنوخ ذلك سار يفك عمل هذه الأبواب واحداً بعد واحد والسحرة يصنعون له غيرها فما خلص من الثمانين باباً التى ألقيت عليه حتى كانوا اصطنعوا غيرها وماخلص من تلك الأبواب إلا ما قاسى شدة العذاب والتفت للأبواب التى بعدها ومادام يدافع عن نفسه ويرد تلك الأبواب حتى سلطوا عليه رجم الأحجار مع لهب النار ولولا أن برنوخ من السحرة الكبار لما كان سلم فى هذه النهار ولأنما برنوخ متعلم أبواب الأسحار بالتمام وزاد قوة ونشاطاً بدخوله دين الاسلام وهو يقول لايمسنى ضر ولابأس ببركة الخضر إلياس كل ذلك يجرى وسقرديس وسقرديون كل منهم ينظر ويرى فتركوا السحرة مع برنوخ وعادوا إلى العساكر وهم يقولون لهم اعلموا أن الملوك والمقدمين لعسكر الإسلام سحرنا لهم أحجاراً وما بقى أحد يقدر أن يحرك يمينه ولا يساره وأحسن من هذه الساعة لاتجدوا فرصة فاحملوا أنتم على عسكر سيف بن ذى يزن وكل من كان فى حمراء اليمن وضعوا السيف فيهم حتى تفنوهم عن آخرهم ولكم الأموال تنهبوها والنساء مباحة لكم تسبوها ولاتأخذكم رحمة عليهم وأوصلوا الأذية إليهم فعند ذلك كمت الرجال على الخيل واندفعوا قاصدين البلد لأنه مابقى قدامهم أحد من العساكر وهم مثل الغنم بلا راعى وبرنوخ

إصار ينظر ويراعى وعلم أن أهل الإسلام بسبب ذلك يشربون كاس المهالك فما كان منه إلا رفع رأسه قلى بلة الدعاء وهى سماء الدنيا وصار يشكى ويتذلل بخضوع ويبتهل لله تعالى بخشوع ويبكى بجريان دموع وقال اللهم يارب الأرباب أنت تعلم أنى قضيت دمراً طويلا على عبادة النار وأنت الذى هديتنى إلى طريق الهدى وصرت من حزبك فلا تلق على الخذلان ولا تنصر على أهل الكفر والطغيان لا تعاملنى بالامتحان فإنى عبد ألتمس الفضل والإحسان فقد كنت كافراً جهولا فلا تجعلنى مؤمناً مقهورا ورد عنى أعداءك الذين يتعاملون بالكفر والغرور فإنهم يفعلون المنكر من القول والزور اللهم إنى ضعيف فقونى ومما أنا فيه نجنى إنك على كل شىء قدير ولما ضاق به الحال عاد إلى طبع العرب فأعرب وأطرب وأنشد هذه الاستغاثة يقول :

يامن يرى ما فى الضمير المختفى ... فى القلب ما بين الجوانب يهتف
يا من علمت بما تكن قلوبنا ... إن كان وعداً وافياً أو لا تفى
قد كنت فى بحر الضلالة سابحاً ... ومن الرشاد أحو هوى وتألف
حتى أمرت فتح قلبى للهدى ... من فضلك السامى وحسن تلطف
وشهدت إنك يا إلهى واحد ... حقاً وقصدى بالرشاد تشرف
وتبعت إبراهيم نعم نبينا ... وخليل رب الخلق لا يتكلف
يارب انى قد بليت بمعشر ... من قوم سوء مابهم من منصف
قوم على دين المجوس يقينهم ... وقلوبهم النار ذات تألف
لم يرحمونى اذ وقعت بأسرهم ... قل يحرقونى لا أرى من مسعف
وقرعت بابك يا ألهى خاضعاً ... بتذلل وتخشع وتعطف
مالى سوى قرعى لبابك حيلة ... فإذا رددت فأى باب أقتفى
فاجعل لنا من كل ضيق مخرجا ... والضر والبلواء عنا فاكشف

(قال الراوى) وكان برنوخ الساحر يقول ذلك الكلام من قلب محروق وفؤاد مجروح فتقبل الله تعالى دعاءه ونصره على أعدائه فان الله لا يخيب من دعاه ولا يقطع عن أحد رجاه إلا أن الغبار غبر وعلا الى الجو وتكدر عن فارس كرار وبطل مغوار راكب على جواد أسود بلون الظلام يسبح فى الأرض كما يسبح الغمام وذلك فارس ضارب على وجهه لثاماً ونور جبينه من تحت اللثام يفوق على نور الهلال وهو مشرع على كتفه بيرقاً من الحرير والجواد فى سرعة خطواته يكاد أن يطير من قدام ذلك الفارس امرأة راكبة على زير من النحاس والفارس خلفها حتى وصلت الى الصيوان الذى فيه الملك سيف ومن معه من الملوك كل منهم مسحور ورأى على باب الصيوان الملكة شامة والحسام فى يدها

مشهور فنظرت العجوز إليها وقالت لها لابأس عليك فما تجدى غير الخير والصلاح فما أنت شامة بنت الملك أفراح فقالت نعم ياستاه وهذا بعلى وأبى وأتباعهم من كبراء المؤمنين وهم جميعا كما ترى مسحورين ولكن شامة ارتعبت من هيبتها وأيضا لما رأت ذلك الزير ورأت ركبتها وهى مثل الآفة وذلك الزير فى همزته يقطع مسافة فقالت العجوز ياشامة من هو الملك سيف بن ذى يزن فقالت هذا هو الذى فى صدر الصيوان مسحور وقد جرت عليه هذه الأمور فقالت العجوز أبشرى ياشامة فهو بحالة الصحة والسلامة وفى هذا الوقت يفوق باذن خالق كل مخلوق ياسادة فبينما هم فى الكلام وإذا بالخيال أقبل وقال للعجوز من هى يا أماه هذه التى تكلميها وتكلمك فقالت هذه شامة وزوجها الملك سيف بن ذى يزن فلما سمع الفارس ذلك المقال تغيرت منه الأحوال وقال تأخرى عنها حتى اقطع رأسها وأخمد أنفاسها وأحمر عليها أهلها وناسها (قال الراوى) إن هذا الخيال ماهو ذكر وإنما هى طامة بنت الحكيمة عاقلة ولكن كما قدمناه فى كلامنا الاول أنها إذا رأت للملك سيف بن ذى يزن زوجة تقتلها فقالت لها أمها ياطامة اهتدى ولاتجهلى فهى زوجة الملك سيف وأنت مالك بها من حاجة فاتركى عنك اللجاجة واعلمى أننا فى أمور مهمة ولاأتينا إلا لنزيل عن الاسلام الغمة فقالت لها يا أماه أنا خالفة كل زوجة رأيتها للملك سيف بن ذى يزن أقتلها وهذه أول أزواجه فلابد أن أقتلها وأفدى يمينى ولا أجعل الكذب والباطل قرينى فلما سمعت الملكة شامة هذا الكلام صار الضياء فى عينها ظلام وقالت لها إيش الذى حلفت يافاجرة هل أنا سائبة لك حتى تقتليني وجذبت حسامها وأقبلت على طامة وكذلك طامة جذبت سيفها وأقبلت على شامة فضحكت الحكيمة عاقلة عليهما وأمرت الخدام أن يحجزوهما عن بعضهما والتفتت لبنتها وقالت لها أما تستحى أن نكون قادمين لإصلاح ذلك الحال وأنت لأجل هواك تريدين أن تخربى بيت ذلك الرجل وهو منضام فى شدة الظلم والكبائر ورجعت الحكيمة عاقلة فأخذت بخاطر شامة وقالت لها يابنتى لاتأخذى على خاطرك فهى أختك وهو بنتى وأنت أعز منها عندى ومازالت الحكيمة عاقلة حتى أصلحته بين الاثنين فقالت الملكة شامة وأنت من ياخالتى إيش أتى بك إلى هذه البلاد ومن أين علمت أن الملك سيف مسحور فى الحرب والجهاد فقالت لها الحكيمة والله لابد لى أن أعلمك بسبب قدومى وهو أن الملك سيف كان أتى إلى عندى فى طلب كتاب تاريخ النيل فساعدته حتى خلصته وكان معه القلنسوة تعلق الحكيم أفلاطون وهى التى تساعد بها على أخذ ذلك الكتاب ولما قضى أشغاله أردت أن أزوجه بنتى هذه طامة فلم يرض وقال

لايتزوج فى أول نسائه إلا الملكة شامة فأخذنا منه القلنسوة وأعطيناه الكتاب وسافر من عندنا حتى أتى عندكم وتداولت الأيام لاهو سأل عنا ولانحن رأيناه فلما كان فى تلك الأيام سألتنى بنتى طامة وقالت يا أماه أين الملك سيف الذى وعدنا أنه يأتى الينا ويتزوج بى فبعد قضاء أشغاله التهى بحاله ولاسأل عنى ولا عنك وأنت التى سلمتيه كتاب النيل وخليته يروح والى الآن ماعاد وقد اختلف الميعاد فقالت لها الحكيمة يابنتى لابد أنه معذور فى عدم قدومه علينا ولكن أنا اكتشف لك خبره ثم أنها ضربت الرمل وقالت لها ياطامة اعلمى أن زوجك مطبق عليه ثمانون ساحراً وشخصوه ومعه ستة أبطال منهم ملكان وأربع مقادم شجعان وبرنوخ هو الذى يقاتل ولكن ضايقته السحرة وبقى فى أشد مايكون من الكرب وأنا يابنتى لأجل خاطرك أقوم أخلص الجميع وأدخلك على زوجك سريع ثم أنها أمرت عوناً من أعوان الجان أن يتصور حصان وركبت عليه طامة وركبت الحكيمة عاقلة على زيرها وساروا حتى نزلوا على صيوان الملك سيف كما ذكرنا وجرى ماجرى بين طامة وشامة وبعد ذلك صالحتهم الحكيمة وقد نظرت الى الطاسة فقالت ياشامة هذه الطاسة من صنعها قالت صنعها برنوخ الساحر فأخذتها وقرأت عليها وعزمت حتى أن الماء بطل غليانه وجد فرشت الملك سيف وبعده الملك أفراح وبعده الملك أبو تاج وبعده سعدون الزنجى ودمنهور الوحش وسابك الثلاث حتى أفاق الجميع وبعده قالت للملك سيف أحمد الله على السلامة ياملك الإسلام وأنشدت تقول :

تقطعت الرسائل وانتسينا ... وعدنا مثل زوار القبور
ولا خبر يجيء من عند خلى ... ولا أنى أطير مع الطيور

فقال لها الملك سيف بن ذى يزن من تكونى يا أماه فقالت له أنا عاقلة وبنتى طامة التى رأت من بعدك أهوالا مثل أهوال القيامة وهى موعودة بك وأنت تبخل عليها بنفسك وما هذا الأمل لأن الملوك إذا وعدوا لم يخلفوا فقال الملك سيف بن ذى يزن وأين طامة والله أنا الآخر مغرم بحبها وليس لى صبر عنها فانها هى قرة العين والروح التى بين الجنبين فلما سمعت طامة ذاك برد قلبها فدخلت عليه وقبلت يديه لما سمعت منه أنه يحبها والتفتت لأمها وقالت لها هانحن قدمنا وبقينا مع الملك سيف فى الصيوان وصح فينا المثل :

وأمر ما ألقاه ألم الجوى ... قرب الحبيب وما اليه وصول
كالعيس فى البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

(قال الراوى) فقال الملك سيف ياطامة وعزة ربى انه لايمنعنى عن زواجك الا بمقدار ما أنفض من هذه الربكة وتكون وليمة النصر ووليمة الفرح فى يوم واحد فقالت الحكيمة

عاقلة أما أنا فعلى حرب الثمانين ساحر الذين قدام برنوخ وأنا صدقك بمينك ودخلت فى خيمة الملك سيف بن ذى يزن واستخفيت من بين الناس وأحضرت عونا من أعوان الجان وطلبت منه أسماء هؤلاء السحرة وصارت تقص ورقاً على هيئة الشخوص الآدمية حتى جعلت ثمانين شخصاً ورسمت عليهم كتابة مطلسمة وكتبت على كل واحد اسم واحد من السحرة ثم إنها ركبت على زيرها وصارت حتى وصلت إلى محل الميدان فكان برنوخ فى تلك الساعة أشرف على الهلاك وأيقن ان مابقى له من الموت فكاك وكان فى تلك الساعة يدعو الله كما ذكرنا ونظم القصيدة كما قدمنا وإذا بالحكيمة عاقلة أقبلت وشعرها منثور على أكتافها وانحدرت على هؤلاء السحرة وقد جعلت برنوخ من خلفها وأطلقت الثمانين شخصاً من يدها فخرجوا طائرين فى الهواء وصاروا يحومون فى الجو الأعلى وبعد ذلك تصور كل شخص منهم كأنه شهاب من نار وهوى إلى الأرض على واحد من السحار ليدخل فى صدره ويخرج من ظهره وما كانت إلا ساعة من الساعات حتى قع هؤلاء الثمانون ساحراً كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية كل هذا يجرى والحكيم برنوخ يتعجب من أفعالها وقد فرح بخلاصه وهلاك أعدائه على يدها وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار فقالت الحكيمة يا برنوخ سر معى لعل الله سبحانه وتعالى يجعل الخير على يديك فإن مرادى أن أزوج بنتى طامة للملك سيف بن ذى يزن فإنها من نسائه وهو من رجالها واسكن ياأخى طال المطال وأنت تعلم أن الحرمة لاتهتدى إلا بالزواج وأنا عقلى طائر على بنتى فإنها أعز من مهجتى وأنا أريد أن تساعدنى على الملك سيف وإن كان أنه لا يمكنه زواج بنتى إلا بعد فراغ هذه الزبكة وكان عجز عن حرب ذلك الجميع فأنا أشتتهم بعزم القلم ولا أبقى موالى منهم ولاخدم فقال برنوخ الساحر صدقت ياحكيمة ثم سار معها حتى دخلا على الملك سيف وسلما عليه ولما نظرهما الملك سيف قام لهما على الأقدام وأمر لهما بالجلوس فجلسا فى هناء وإكرام فقالت الحكيمة ياملك سيف ياولدى اسمع منى هذين البيتين :

أوعدتنى الوعد الجميل ... فدت الأيدى اليك

أوفى بوعد يافتى ... الراية البيضاء عليك

ثم إن الحكيمة التفتت إلى بنتها وقالت لها ياطامة أين القلنسوة التى أخذتها فقالت هاهى معى فاخذتها وقالت ياملك الزمان هذه القلنسوة لاتقول أنى أخذتها منك لكونى عاجزة عن مثلها فأنا صنعت لك منطقة وهى الجلد المدبوغ وقد علم الله أنها أحسن من مقلنسوة فان هذه القلنسوة لاتقع لها إلا إخفاء لابسها عن أعين الناس وأما أنا فقد صنعت لك منطقة إذا تحزمت بها وحاربت العسكر كثيراً أو قليلا لم يجدوا لهم اصطبار بين يديك ولا يقدرون عليك

وأول ما يحارب بها فى العساكر الذين بين يديك إذا نزلت إلى الحومات فانهم لا يجدون لهم من صبر ولا ثبات للوقوف بين يديك ثم إن الحكيمة عاقلة أخرجت منطقة وهى من جلد الغزال وقد نقشت عليها أسماء وطلاسم بقلم يونانى وقدمتها للملك سيف وقالت له تحزم بها حالا سريعاً فى هذه الساعة وأنزل على هؤلاء الأعداء وضع فيهم الحسام حتى تشتتهم فى البرارى والآكام وإلا فأذن لى وأنا حالا سريعاً ماتمضى ساعة واحدة إلا وأجعلهم رمماً على الأرض وأجسامهم خامدة فإن حرب الأقلام ياملك أعجل من ضرب الرمح والحسام ولذلك قالت ذو الأفهام فى مثل ذلك المعنى بيتين من النظام وهما كفاية فى المرام :

مارأينا ضربة من بطل ... بحسام قطعت عشر قمم
بل رأينا نقطة من قلم ... بمداد نكست ألف علم

فان أردت ياملك أن تأمرنى أن أذبح لك هذه العساكر فاتركنى وما أريد فأنا أشتت لك شملهم فى القفر والبيد وأجعلهم صرعا على وجه الصعيد ثم إن الملك سيف صاح على العسكر جميعاً وأمرهم بالركوب وركبت وركب الملك أفراح والملك أبو تاج وركب المقدم سعدن الزنجى والمقدم ميمون وسبك الثلاث ودمنهور الوحش لما استووا على ظهور الخيل وركبت خلفهم عساكر الاسلام وصاح الملك سيف الله أكبر على من طغى وتجبر وكل من بالله كفر وأنشد يقول :

إذا ما شعرت سمر الجلاد ... ولاحت غرة البيض الحداد
دعونى أصلى نار الهياجى ... على ظهر المضمرة الجياد
أنا سيف بن ذى يزن المسمى ... عروس الحرب فى يوم الجهاد
إذا دارت رحى الهيجاء يوما ... وظفر الموت ينشب بالأعادى
سمعت لضربتى بالسيف رنا ... على قلل الجماجم والأيادى
فنادونى أكون لكم مجيبا ... بقلب أقد من صخر الجماد
ورمحى صاحبى مذ كنت طفلا ... وسيفى كان من عهد ابن عاد
فكم من جحفل وصفوف قوم ... نزلت بهم وقد طلبوا عنادى
فسقتهم بحد السيف قهراً ... ومزقت الحواضر والبوادى
وكم أشبعتهم طعناً وضربا ... وسقت جيادهم والسيف حادى
أنا من نسل تبع اليمانى ... وذكرى شاع فى أقصى البلاد
وأبطال المعامع مذ رأونى ... لهم سند أقاموا لاستناد
بهم أسطو على الكفار جهدى ... وأرجو النصر من رب العباد

(قال الراوى) وبعد مافرغ الملك سيف من ذلك الشعر والنظام حمل على الكفرة

الفجرة اللئام وخاض بحر العجاج والقتام وطعن بالرمح المعتدل القوام وضرب بالحسام الصمصام وبرى الكفوف والهام وصاح من خلفه المقدم سعدون الزنجى وتبعه ميمون الهمام ودمنهور الوحش الفارس المقدام وحمل سابك الثلاث وكان له على الحرب عادات فأنزلوا على أعدائهم المصائب والبليات وضربوا بالسيوف فالمشرفيات وطعنوا بالرماح السمهريات وكانت لهم وقعة من أكبر الواقعات التى ذكرت فى الأحاديث والروايات وحملت بعدهم فرسان الإسلام وجردوا الضرب بالحسام والطعن بالرماح المعتدلة القوام وانفلق الهام وهشمت العظام وتكدست القتلى على الأرض أكوام وانعقد الغبار والقتام واشتد على الكفرة الصدام وأشرفوا جميعا على شرب كأس الحمام فنظر الحكيمان سقرديس وسقرديون إلى هذا الحال فأيقنا بالهلاك والخبال وقال بعضهما لبعض انظر يا أخى إلى الثمانين ساحر قتلوا فى ساعة واحـــدة وداورت عليهم الدوائر وذابت منهم الأجساد تحت حوافر الخيل الضوامر وكل ما صنعناه وتعبنا فيه ما نفـــع ولئن وقعنا للمسلمين سقينا من الموت جرع والرأى الصواب عندى الهروب وإلا فإن ملكنا سيف بن ذى يزن فنكون له غاية المطلوب ويقطع رؤوسنا بالحسام البتار ويكون آخر عمرنا فى هذا النهار ومالنا أصوب من الهرب والفرار ولو ركبنا يا أخى ألف عار فان العار والشنار أحسن من قطع الأعمار انظر بعينك إلى جيوش الحبشة هلكت وخيامهم وأطنابهم ملكت وكل من تعرض لهؤلاء الأعداء قتل ولا ينجده أحد من الفرار قبل الموت والدما فأجابه إلى ذلك وضاقت بهما المسالك خوفا من المهالك ووليا الأدبار وركنا إلى الهرب والفرار ولما رأت العساكر أن المقادم أسلموا والسحرة عدموا والحكماء انهزموا تأسفوا على ماجرى وندموا فرموا كل ما كان لهم من الأمتعة والثياب وتركوا الخيام والأطناب وأداروا رؤوس الخيل والدواب وتشتتوا فى البرارى والهضاب وطلبوا الهرب والذهاب وتبعهم أهل الإسلام وهم يضربون فى أقفيتهم بالحسام مقدار أربع فراسخ تمام ورجعوا عنهم بعد أن أفنوهم وعلى فعالهم جازوهم وقيل أنه ماسلم من هذه المواكب إلا قدر ربعها والباقون هلكوا على راشق السيوف وكانوا كالقطن المندوف ورجع الملك سيف بن ذى يزن ومن معه من عصبه الإسلام واحتووا على ماخلفه السودان والحبش اللئام من خيل وسلاح وأموال وأنعام وعادوا كاسبين غانمين وبالنصر والظفر فرحين مستبشرين يذكرون الله رب العالمين وجلس الملك سيف فى صيوانه وعرضت عليه الغنائم والأموال فأخرج الثلث لنفسه خاصة والثلث نسمه بعرنه عن الملك أبى تاج والملك أفراح النصف والأربع مقادم وهم سعدون الزنجى ودمنهور الوحش وسابك الثلاث وميمون

الهجام النصف الثاني من الثلث الثاني وأما الثلث الثالث فقسمه بمعرفته على العساكر الفارس قسمين والراجل قسم واحد وهو شيء كثير لان عساكر الملك سيف أرعد كانت ثمانين ألفا وثمانين ساحرا وأن السحرة كانوا مدخرين في أزيارهم فصوص معادن وجواهر ومثل ذلك شيء يكل عنه الوصف كل ذلك أخذته أهل الاسلام واغتنوا به غنى لافقر بعده وانشرحت صدورهم وهدأت سرائرهم وأما الذين استشهدوا في الجهاد فطلب الملك سيف أزواجهم ومايعقبهم من الذرية والأولاد وأعطاهم حقوق آبائهم وأزواجهم وفرح الناس واطمأنوا وقعدوا في أماكنهم وتهنوا .

(قال الراوي) وأما ما كان من أمر المنهزمين فانهم ساروا في هزيمتهم مكسورين حتى وصلوا إلى مدينه الدور والسبع قصور ودخلوا البلد وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور وبلغ الخبر إلى الملك سيف أرعد فأمر أرباب دولته أن تحضر المنهزمين إلى حضرته فلما حضروا قال لهم ماوراءكم ومن بشره رماكم فقالوا له ياملك وراءنا الموت الأحمر والبلاء المصور وأن المقادم الذين كانوا معنا أسلموا بعدما ملكوا وأما الثمانون ساحر الذين كانوا معنافانهم في ساعة واحدة هلكوا والحكيمان الاثنان اللذان كانا معنا خاب أملهما وارتبكا ولانفعا أحدا أبدا وانتصرت علينا العدا وتشتتنا جميعا في البر والبيدا هذا الذي جرى لنا كاترى حكوا له على برنوخ الساحر وماكان بينه وبين السحرة لماضايقوه وأرادوا أن يهلكوه وأن الحكيمة عاقلة أقبلت عليهم وأهلكتهم جميعا وبعدها ركب الملك سيف وأقبل علينا وأفنى جمعنا وملك أموالنا ورجالنا هذا الذي جرى لنا .

(قال الراوي) فلما سمع الملك سيف أرعد هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وقام وقعد وأرغى وأزبد وقال أين الحكماء فأقبل سقرديس وسقرديون وقبلا الأرض بين يديه فقال لهما أنا ناظر أن زحل غضبان علينا والا فلو كان راضيا عنا كان على أعدائنا ناصرنا ومع غضبه علينا جعل أعداءنا منصورين وجعلنا نحن مكسورين فقال الحكماء ياملك أما زحل فماله مقدرة على سيف بن ذي يزن وإن قدر عليه مايقدر على أبي تاج والملك أفراح وإن قدر عليهم مايقدر على الأربع مقادم الذين أسلموا وبقوا من حزب ملك البيضان وإن قدر عليهم فما يقدر على برنوخ الساحر وإن قدر على برنوخ مايقدر على الحكيمة عاقلة فقال الملك سيف أرعد زحل ما يعجز عن أعدائه اللئام وأنتم أخطأتم بهذا الكلام وإنما هو ينصرنا في غير هذه الايام إذا قربنا له قربانا وأما سيف البيضان فلا بدلي أن اجهز له عسكر في غير هذا الاوان ولا أسكت عنه حتى أهلكه هو ومن معه وأملك بلاده وموضعه ولايقال إني عجزت عن القتال والحرب والنزال وإنما حتى يستهل الهلاك وتنشب الحراب والنزال هذا ماجرى

ههنا وأما ما كان من أمر الملك سيف فإنه خلا من القتال باله (ياسادة) وأعجب ما وقع وأغرب ما اتفق أن الملكة قمرية أم الملك سيف ما أحد افتكر فيها ولا سأل عنها وانفكت عنها الظلمة وانتبهت من بعد النومة وبقيت محتارة كيف تعمل وكلما سألت عيروض في السؤال لم يجبها بحال من الأحوال وقال لها مادام برنوخ مع الملك سيف مقيما لم تبلغى منه غرضا ولا تشفى منه مرضا حتى أنه لمقيم وبرنوخ الساحر لايكون عنده فصبرت على مضض وهى تطلع فى السر وتتنشق الأخبار حتى علمت أن ولدها قر قراره وقعد على كرسيه وما بقى له أحد يعاديه فقعدت يوما ومعكت اللوح فأتاها عيروض وقال نعم ياسيدتى فقالت له ياعيروض فى هذه الساعة اذهب إلى ولدى واقبض على رقبته ولا ترفع يدك حتى تمزعها من جثته واقتله شر قتلة وإن كنت أنت ما تقدر أن تفعل ذلك فاحمله إلى وأنا اقتله وعلى التراب أجندله فإنى ما صبرت عليه تلك الأيام إلا أظنه يشرب كاس الحمام وأنا وجدت كل الأمور بخلاف وقد نجا من شرب التلاف ولا قتله أولاد الحكيم أفلاطون ولا كانهم عليه يسألون وأنت مارميته مثل ماقالت لك قال فقلت ياملكة ولكن عندما رميته على مملكة أفلاطون اختطفته أخته عاقصة وهذا كله منها وأما هذا الوقت فمنده برنوخ والحكيمة عاقلة وبقى صاحب جنود وأعوان وتحت يده ملوك وفرسان فقالت له إما أن تقتله كما أذنتك وإلا فأتنى به كما أعلمتك فقال لها أنا أحضره إليك وافعلى ماتقر به عينيك ثم إن عيروض خرج من عندها هو باك حزنان على فقد ذلك الانسان يبكى بدمع جار على خديه من الأجفان ومن عظم ما اعتراه من ذلك الحال أنشد وقال :

لعمرك يا أخا الأشواق أتانى ... فؤادى من أليم الوجـــد أنى
وسهم الحادثان أصاب قلبى ... فأثر فى الحشاشة حين رنا
لحى الله الزمان لقد تعدّى ... علينا بالفراق وما تأنى
وصـــيرنى بعيد الدار عمن ... يحبهم الفؤاد وما طانا
أرى صعب الفراق يزيد وجدى ... ويزمنى السكرى الليل [illegible]جنى
وينثرو أدمعى سحرا إذا ما ... سمعت سريع الأفلاك غنى
ولى كبد مقرحة بوجد ... على قرب فكيف إذا افترقنا
وكان لقا الحبيب يزيد شوق ... برؤيته فكيف يغيب عنا
تركت عواذلى قولا وفعلا ... على وكلما أمر امتثلنا
تذكرت الديار وساكنيها ... فاقلق مهجتى والقلب حنا
على بعد الأحبة سار دمعى ... لأنى فى الهوى صب معنى
وحقك يا حبيب القلب قلبى ... من الأشواق بعـــد ما تهنا

وإنى قد سألت الله ربى بإحسان علينا أن يمنا
ويمنح لنا الأحباب دوما ويمحو فرقة الأحباب عنا

(قال الراوى) ولما فرغ عيروض من مقالة سار حتى وصل إلى الملك سيف وأراد أن يدخل عليه مثل العادة فظهر له روائح مشاهيب من المنطقة التى هو متحزم بها فقال عيروض طيب يا ملك محفوظ وهذه من السعادة فان الله إذا أراد أن يحفظ أحدا من خلقه فانه يسبب له أسباب منع العدو عنه وعاد عيروض وقد علم أنه إذا تقدم يهلك فقال مالى إلا أن أرجع إلى الملعونة واعلمها ثم أنه عاد إليها فلما رأته قمرية أقبل قالت له لأى شىء عدت سريعا وأين ولدى سيف الذى ارسلتك إليه فقال لها يا ملكة اعلمى أن ولدك لما سرت إليه وجدته محفوظا من جميع الجان وكل مارد وشيطان لأنه عليه ثوب من رق الغزال مطلسم كدبيب النمل وكل جنى تقرب إليه احترق بتلك الأسماء التى عليه ولو قربت إليه لاحترقت من الأسماء وصرت رمادا فقالت له قمرية أنت زدتنى كربا على كربى ومن أين جاء هـذا الرق الغزال فقال عيروض هذا من الحكيمة عاقلة وهى تريد أن تزوجه بنتها وحفظته منى ومن غيرى ومن جميع الجان واعلمى أن هذه الحكيمة تصنع له خلاف ذلك وتجتهد فى حفظه بالنهار والليل وكان عيروض يكلمها ذلك الكلام لتزيد حسرتها والارغام فقالت له ومن هذه الحكيمة فقال لها من بلاد المغرب حكيمة الملك قمرون وهى التى فى الأصل ساعدته على أخذ كتاب تاريخ النيل ومن ذلك الآن صارت تخلصه من كل أمر وبيل فاغتاظت قمرية من كلام عيروض وقالت له انصرف أنت إلى سبيلك فانصرف عيروض فى الحال فرحان (قال الراوى) وأما الملكة قمرية فانهـا صبرت وهى فى آلام إلى ثانى الأيام فزادت بها الأسقام وكانت أمكر أهل زمانها فأحضرت عبدا من عبيدها وقالت له ائتنى بصائغ من صياغ هذه المدينة فخرج من عندها وما غاب غير قليل حتى أتاها ومعه صائغ فلما بقى قدامها قالت له اقعد فقعد فانصرفت الناس ولما لم يبق عندها أحد أخرجت له لوح عيروض وقالت له أريد أن تصنع لى مثله فانظر يا صايغ صورته واصنع لى لوحا على صفته وهيئته ونقشته ولا تختلف شيئا من كيفيته فقال الصايغ سمعا وطاعة ولكن ياستى أحتاج معادن وذهب وفضة ونحاس فأخرجت له كل ما طلب وقالت له إذا طلع مثل هذا أعطيك وزنه سبع مرات من الذهب فاجتهد الصايغ سبعة أيام وكان ذلك الصايغ مشهورا فى صناعته فأتقن لوحا مسبوكا مثل لوح عيروض سواء بسواء ونقشه نقشا عجيبا تام ثم دخل عليها وقبل يديها وناولها ذلك اللوح وكان فى تلك المدة لم يمسك لوح عيروض أبدا وإنما كان إذا احتاج أن ينظر نظرة وهو فى يدها فلما كملت أشغال اللوح وأخذته من الصايغ فرحت به فرحا شديدا ما عليه من مزيد وخلعت على الصايغ خلعة سنية وقدمت كوم من الذهب الأحمر يزيد عن ربع وأكثر وجعلته له وقال . هذا لك وأنا قصدى

إن تجابرتى وتأكل من زادي ثم أنها احضرت الطعام وأحضرت القاصد الذى أتى به إليها وأمرته أن يأكل معه حتى يؤانسه على الطعام فان هذا من جملة الاكرام فاكلوا وهم فرحانون بذلك الانعام فما استقر الطعام فى جوفهم حتى تفرت من أجنابهم جميع أضلاعهم وذابو الحما وعظاما فصبرت الليل وحضرت جوادا من بعض الخيل ووضعتهم عليه وخرجت إلى خارج المدينة بنفسها فى الخلوات وعادت كأنها آفة من الآفات وفرحت بما اقضى لها من المصنوع وسارت وهى مكشوفة الرأس حافيه الأقدام ودخلت على الملك سيف ولدها وهى باكية وقالت له ياولدى خذ هذا لوحك وسامحنى فانه ياولدى لم ينفعنى وكان أغرانى الشيطان وفعلت تلك الفعال الجنان وأنا يا ولدى كنت فى هذه الليلة نائمة فرأيت أبوك الملك ذى يزن وقال يا قمرية يا خيبة يا مردية أنت عن قريب تأتى عندنا وكان مرادنا تكونى من حزبنا لأجل ما نصير فى الآخرة كما كنا فى الدنيا فقالت له ياسيدى وأنا إيش الذى يفرق بينك وبينى فقال لى بين الكفر والايمان بعيد فقلت له ياسيدى علمنى حتى اتبعك وأكون فى الآخرة معك فقالى امضى إلى ولدك سيف واعطيه اللوح الذى أخذتيه منه وقولى له يعلمك دين الاسلام فقلت وكيف امضى إليه بعدما فعلت معه هذه الفعال وتعديت عليه وأخذت لوحه وكنت عولت على إتلاف روحه فقال روحى إليه إن هذا ولدى مسلم قريب الرجوع وأحب ما عليه أن يراك على دين الاسلام ثم تركنى ومضى فقعدت حتى طلع النهار وأتيت إليك وخاطرى مشروح فخذ ياولدى لوحك فانا غنية عن ذلك اللوح ثم غدت يدها باللوح وهى تقول يا ولدى علمنى كيف أقول حتى أصير مسلمة وينزاح عن قلبى غشاوة العمى .

(قال الراوى) ثم أن الملك سيف فرح باسلام أمه أكثر مما فرح برد اللوح فأخذ اللوح وربطه على زنده وهو يقول لها قولى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن إبراهيم خليل الله وجعلها شغلته وهو يعلمها بعض كلمات فرح بها وأما الدولة فما انطلى عليهم محال بل قالوا له ياملك انفيها عنك وإلا دعنا نقتلها فقال لا يمكن أبدا حتى أعلمها دين الاسلام وأبقى اترحم عليها وحملت تمام وصار الملك سيف يأخذ بخاطر أمه وإذا جاءت له وهو قاعد يقوم لها على حيله وصفا قلبه لها ومن فرحته باسلام أمه ما معك اللوح ولا فركه بل علقه على ذراعه وتركه وأقامت الملعونة قمرية تدبر مكايد على ولدها وقد أخفت اللوح جهدها وأقامت أيام وليالى تمام وهى تأتى إلى ولدها وتقعد بجانبه تتعاطى الاحكام وتتقن الحيل وتريد أن تبلغ من ولدها فرصه تقتله بها أو تسرق رق الغزال الذى منع عيروض عنه كل هذا يجرى والملك سيف يأمن جانبها ولا يخاف من شرها وعواقبها ويقول لها يا أماه أنا اعلم أن كل شيء جرى بإرادة الله هذا وإن الأمراء الحاضرين عنده والحكام مثل برنوخ ومثل الحكيمة عاقلة تاوكين تلك الأحوال لعلمهم ما قدره الله الملك المتعال وأما مقادم السودان

فإن المقدم سعدون قال لهم ما دام أم الملك سيف أصلحت معه فما هى مجتهدة فى حيلة يكون فيها هلاكه وفناه وبعد أيام اجتمع أكبر ام الدولة دخلوا على الملك وقالوا يا ملك إما أن تأمرنا بقتل أمك أو تحاذر على نفسك فانها تريد أن تقتلك وعلى وجه الأرض تجند لك فقال لهم هذا مالكم فيه غرض فانها هى والدتى وأنا ولدها ولا بد لى أن أطلب رضاها ولا أغضبها فصاروا جميعا ينهونه فلا ينتهى ولا يفعل إلا مايشتهى فبكت على مضض وبعد أيام قلائل قام سابك الثلاث قائما على قدميه وقبل الأرض قدام الملك سيف وقال له ياملك الزمان قصدى منك أن تعطينى أجازة أتوجه إلى أرضى وبلادى وأنظر أهلى وأولادى وأخبرهم باسلامى لعل أن يتبعونى ويسمعوا كلامى وإن أراد الله وأسلموا حضرتهم بين يديك فقال الملك سيف سر على بركة الله تعالى ولكن لا تغب يا بطل الزمان فقال سمعا وطاعة وسافر (وله كلام) وفى ثانى الأيام قام دمنهور الوحش الأهير وطلب من الملك سيف الاذن بالمسير فأذن له وسار طالبا بلده وتلك الديار ومن بعدهم قام ميمون الهجام وقال دستور ياملك الاسلام اتأذن لى أن أروح إلى بلادى حتى أبلغ مرادى وأعود قوام فقال له الملك وأنت فى خير وسلام أيها البطل الهمام فسار الثلاث مقادم وكل منهم فرحان بدخوله على وطنه سالم ينفق مامعه من الأموال والغنائم وأقام بعدها الملك سيف ذو يزن الهمام فى أرغد عيش وأهنأ مقام وأمه معه تدير على ولدها كل ماجرت به الأقلام وقدره الملك العلام وبعد أيام قلائل قدم سابك الثلاث إلى الملك سيف وقبل يده فقال له أهلا وسهلا ثم قال إيش معك من الأخبار ياأيها الفارس الكرار فقال سابك الثلاث ياملك اعلم أنى أتيت إليك بهدية سنية ومرادى أن أسألك فى قبولها وهى على قدر مقامى وليس على قدر مقامك فقال له الملك سيف هديتك مقبوله ولكن إيش الهدية فقال له يا ملك أنا أعلمك بها قبل أن تنظرها .

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك هو أن المقدم سابك الثلاث لما استأذن الملك فى الرحيل إلى أهله كما وصفنا وسار حتى وصل إلى زوجته وبنته فسلموا عليه وسألوه عن حاله فاخبرهم أنه أسلم على يد الملك سيف بن ذى يزن وقال لهم قد لقيت دين الاسلام وهو أصح الأديان وما بقى بعده فانه حرام ولا يعبد بحق إلا الملك العلام وثبت عند الناس جميعاً أن زحل هذا نجم من جملة النجوم ولا يجب أن يعبد إلا الله الملك الحى القيوم فقالوا له وبعد إسلامك لأى شىء ما رجعت لنا وأقمت عندنا فقال لهم ما يمكن أن أقيم معكم فى الجبال وأنا ما قصدى إلا آخذكم وأعود إلى محل ما كنت وأقيم بكم فى مدينة حمراء اليمن فى خدمة الملك سيف بن ذى يزن ومبيد أهل الكفر والمحن فانه ملك عظيم الشأن صاحب جنود وأعوان حاكم على الانس والجان فإن طاوعتمونى أسلموا معى وادخلوا دين الايمان وكان للمقدم سابك

الثلاث بنت حبشية ولكنها حمراء اللون صنعة مدبر الكون الذى إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون حوت من كل معنى طرف فى الجمال والخفة والشجاعة والفصاحة والأدب فلما سمعت من أبيها هذا المقال قالت يا أبى أنا بريئة عن زحل وعبادته لأنه على ضلال وأكون معك أعبد الله الملك المتعال وأروح إلى هذا الملك العظيم عسى أن أكون له من جملة الحريم فقال لها يا بنتى وهل يكون لك فيه نصيب فإن بلغت ذلك فانه والله نعم الدواء ونعم الطبيب فلما سمعت زوجة المقدم سابك ذلك قالت وأنا أسلم لله حبا فى دين الاسلام وما تم ذلك النهار حتى أسلموا جميعا فقال لهم هيا نروح للملك سيف ونجدد إسلامكم على يديه وأما ابنتى هذه فأنا وهبتها اليه نظير ما هدانا الله إلى دين الإسلام وكان ذلك فى الأصل على يديه ثم أنه سار حتى دخل على الملك سيف وحكى له على ما جرى وقال له الهدية هى بنتى وهبتها اليك جارية فإن قبلتها من سعدى وإن رددتها من وعدى وهذه قضيتى يا ملك الزمان وحق دين الاسلام فقال له الملك سيف وما اسم ابنتك فقال يا ملك اسمها ام الحياء فقال قبلتها منك وفى الحال اعطى له عشرة آلاف دينار فى مهرها وعقد له عقدة النكاح عليها وعمل لها فرحا لوقته وانفردت لها مقصورة برسمها من داخل السراية وانقام سماح الأفراح ونحرت النحائر وانتظم السماط وغنت المغنيين وفى ليلتها سكبت الخمور ودارت الكاسات وأمر لها الملك بخدم مخصوصة لها وصارت معدودة من حريم الملك مثل غيرها وما بقى إلا إزالة بكارتها وصح إسلامها وانقضى المجلس على مثل ذلك وثانى يوم الصبح دخلت طامة بنت الحكيمة عاقلة على الملك والناس مجتمعين وقالت يا ملك الزمان كأنك التهيت عنى وما بقيت على لسانك تذكرنى مع أنى دخلت دين الاسلام وأنت السبب فى هذه الهداية والأحكام وبقى هجرى حرام بما أنت عالم بما وقع بينى وبينك من الاتفاق وأنت الذى خالفت العهد والميثاق وأنا وحق من هدانى إلى دسلام والايمان وهو الملك الديان الرحيم الرحمن الذى لا يشغله شأن عن شأن أى زوجه تزوجتها قبلى لا بدلى من قتلها حتى أبلغ أملى وأنت الذى تطالب بذنبها يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فقال لها الملك سيف بن ذى اليزن وقد تبسم إلى وجهها فإنه كان يحبها محبة زائده وثانيا يلزمه إكرامها لأجل ما فعلت معه أمها من الجمايل والاحسان والمعروف الذى تقدم منها فى كل وقت وأوان فقال لها يا طامة انا والله ما انساك وكل عضو فى بدنى يهواك وانت قرة العـــين والروح التى بين الجنبين وانا بإذن الله الرحمن الرحيم لا بدلى من زواجك ولكن قضيان الحاجات لها ساعات واوقات والسبب فى ذلك أنى يا بنت الكرام حلفت بالله العظيم لا اتزوج بك حتى تعطينى القلنسوة التى اخذتيها منى ومع ذلك انى غنى عنها وما النصر إلا من عند الله تعالى ولكن نفذ اليمين وذلك لأجل الجارى فى علم الله احكم الحاكمين فاقدينى بما بيمينى حلفت واعطينى القلنسوة

حتى أكون لك بعلا وتكون لى أهلا فقالت طامة يا ملك وأنا أيضا حلفت أنك إن لم تتزوجنى فما اسلمك القلنسوة أبدا وسوف تنظر من يكون المغلوب منا ثم انها تركته وخرجت مغضبة ولكن كلامها اثر مع الملك سيف فى الباطن وخاف على أزواجه منها شدة الخوف لكن أكثر خوفه على الملكة منية النفوس لأنها هى التى عزيزة عنده أكثر من الجميع فحجبها واحترص عليها زيادة واما شامة وطامة فانهم تخاوا مع بعضهم على يد الحكيمة عاقلة كما ذكرنا وأقام الملك سيف فى لعب ولهو وطرب وهو يظن أن اللوح عيروض وطابت له الأوقات والفرح والمسرات وقد ملك الحسام والرق الغزال إلى يوم من الأيام أتى له حاجب وقال يا ملك الزمان أقبل علينا شخص من الكبار وعليه هيبة ووقار وهو كبير المقدار فقال الملك سيف على به حتى انظر من هو فعاد الحاجب وقال يا سيدى أمر الملك أن تقابله بالديوان حتى يعرفك من أنت ومن اى مكان فدخل ذلك الشخص قدام الملك سيف ودعا للملك بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم فرفع رأسه الملك سيف وإذا به الحكيم اخميم الطالب فلما عرفه الملك سيف قام له قائما على قدميه وأخذه بالأحضان وقبله بين عينيه وأخذه بيده وأجلسه إلى جانبه وقال له يا أبى لقد نورت مدينتى .

قد كنت أوحشت كل الورى　　　إلا أنا والله آنستنى

مسكنك القلب ولا ينبغى　　　يقال للساكن أوحشتنى

ثم انه اجلسه بجانبه وطلب له الطعام فقال له أنا مالى رغبة فى طعام ولا أتيتك إلا لقضايا وأحكام والسبب يا ولدى أنى أعلم يقينا ان ابنتى نسائك وانت من رجالها ومن حين ما كنت عندى واخذت لوح عيروض وسيف الملك سام وتوجهت من عندى بسلام وجرى لك ماجرى بأمر الملك العلام وانا وعدت بنتى بأنك تكون زوجتك ولكن بعدما تقضى حاجتك وبعد ذلك تداولت الأيام ولا انت رجعت الينا ولا ابنتى سكتت عنى ولما طال المطال اقلقتنى وحلفت وشددت فى الأقسام إن لم تتزوجها وإلا تطالبك بلوح عيروض وسيف الملك سام وانا كم اصبرها واخير اعيل صبرها وقالت لى إن لم تمر فى اليه وإلا قتلت نفسى فقلت لها يا بنتى اسير بك اليه لعله يقبل سؤالى وها أنا جبتها والقصد منك يا ولدى أن تجبر كسرها وتتزوجها وها انا اعلمتك وهذه حاجتى عندك والسلام فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام أبدله بالضحك والابتسام وقال له السمع والطاعة فانك ماطلبت منى الاعين طلبتى ثم أن الملك سيف افرد للحكيم اخميم الطالب مكانا ينزل فيه هو وبنته ونقل فيه كل مايحتاجه وجاء اليه بفرش وأوان وطعام وشراب وما اشبه ذلك مدة ثلاثة ايام وبعد ذلك أمر الملك سيف باحضار القاضى وكان معه عالم عظيم من المطوعين وقال لهم يامعشر الحاضرين انتم تعلمون ان طامه بنت الحكيمة عاقلة حلفت

وشددت فى الأقسام أن امرأة تزوجت قبلها تذيقها كاس الحمام ولكن أنا حالف أنى ما اتزوجها إلا بعد ما تعطينى القلنسوة التى هى عندها لى وهى ايضا تقول أنها أقسمت لا تعطيها لى إلا بعد ما اتزوجها وأنا ما أنا ممتنع عن زواجها إلا بسبب يمينى وهى قصدها أن تنفذ يمينها على وهذا لا يجوز وأنا ممتنع عن بنات الملوك الذين يعرفون أن ذرية بناتهم لهم فيها مآرب يعلم بها صاحب القدرة والعظمة فتكونوا من الشاهدين على وعلى طامه واعلموا ان هذا الحكيم اخميم الطالب كان سببا فى نجاتى وأحيانى بعد مماتى وهو الذى دلنى على لوح عيروض بن الاحمر ودلنى أيضا على سيف الملك سام بن نوح عليه السلام وتلك الذخائر لم يقدر على مثلها أحد من الأنام وأنا وعدته أن اتزوج بنته وقد أتانى لأجل الوعد الذى وعدته به فما إذا أنتم قائلون وما يكون العمل الذى يؤدى إلى القبول لأنى خائف من طامة ان تقتل بنت الحكيم اخميم وإن قتلتها فما أقدر أقتلها فيها أولا لأنها حبيبتى وثانيا لأن أمها حكيمة ولها على فضل فى بلادها مرارا عديدة فأولا آوتنى فى بيتها واشترت خاطرى على أهل حكمتها واهلكت لاجلى رجالها وخلصتنى من يد العدا ومن كل أمر وبيل وبعد ذلك خلصت لى كتاب تاريخ النيل والتى يكون هذا فعلها فيجب على أن تحمل بنتها لاجلها انا أعلمتكم وطالب منكم ان تردوا على جوابى (ياسادة) فقال الحكيم اخميم الطالب ياملك هذا العذر أنا أسمعه منك وأقبله والحكيمة عاقلة لا يهون عليها بنتها وأنا لا يهون على بنتى وكذلك بنات الناس لا يجوز قتلهم فقالت الحكيمة عاقلة لا تفزع ولا تخاف من بنتى ياطامة فالحكيم اخميم حبينا ونزل بجوارنا وماهو ممن يقتل ابنته ولاهو قصير الحجة حتى يخاف من طامة بنتى على بنته وأنا أرد بنتى طامة واحذرها وانذرها لاجل خاطرك وخاطر الحكيم اخميم الطالب لانه فعل معك كل جميل واجب وإن تعرضت ابنته ليكون ذلك من اقبح الفعال وإن فعلت ذلك أنا اسقيها المهالك فقالت طامة هذا القول يقوله الملك إيش قصده يمتنع عن ابنة عمى الحكيم اخميم ويجعل منى أنا ذلك العذر العظيم ولكن اشهدوا على يامن حضر إنى لا اتعرض لاحد من أزواجه اللاتى أخذهن إلى الآن وهن الأربع أولهن شامة ومنية النفوس وأم الحياء والجيزة وحق دين الإسلام لا أتعرض لهن ولا أبدأهن بشر ولا بخصام فما تقولوا إنه يأخذ بعدهن أحداً قبلى فقال لها الحاضرون جزيت خيراً فقال الملك سيف وانت جعلت القلنسوة حجة حتى لا تكونى لى زوجة فقالت أنا ما أحنث فى يمينى فقال الملك سيف وأنا أيضا وانفصل الأمر وفى الحال تقدم القاضى وعقد للملك على الجيزة بنت اخميم الطالب واقيمت الافراح وذهبت الاتراح وصنعوا لهم الولائم والدعوات واغتنموا المسرات وذبحوا الجمال وراجوا الطعام وأكل الخاص والعام مدة سبعة أيام ولعبت فى الفرح فروخ الجان من كل مارد وشيطان أرهاط وأعوان ودخل الملك سيف على البنتين وهى الجيزة بنت

إخميم الطالب وأم الحياه بنت سابك الثلاث وكانت ليلة تعد بليال وبات فى هنا وأفراح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاج وانتبه كل واحد من الناس وسار إلى مكانه وخدمته كل هذا يجرى والملعونة قمرية تاركة لهم ومجتهدة فى خداعها ومكرها ولما رأت ابنها تزوج بتلك البنتين زادت بها بليتها وتكاملت حسرتها ولكنها أظهرت الفرح والابتسامات وهذا الملك سيف بن ذى يزن نزل من سرايته وجلس على كرسى قلعته ووقف رجاله فى خدمته ومن عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس كل على عادته فى مرتبته وتكامل الديوان وإذا بالحكيم إخميم الطالب قام على قدميه واقفا وصاح نعام يا سيد ملوك الزمان اعلم ياولدى أنى أتيتك بذخيرة ما احتوى أحد من ملوك الأرض ذات الطول والعرض وانها ماتصلح إلا لك من دون الأنام فقال الملك سيف بن ذى يزن ما هى الذخيرة يا إخميم فقال ذخيرتى خاتم من النحاس الأصفر لا هو معدن ولا جوهر فقال الملك وما تكون منفعة هذا الخاتم فقال إخميم إذا لبسته تهابك جميع ملوك الأرض من الجن والإنس وأنا رصدته على إسمك فقط لم يصلح لغيرك فالبسه أنت ولا تفرط فيه فمد الملك سيف يده وأخذ الخاتم ولبسه فى أصبعه اليمين وأخذ يد إخميم الطالب وأجلسه إلى جانبه هذا ماجرى لهؤلاء وأما الملعونة قمرية فانها كانت تنظر كل ماجرى وتحرر فى بالها إلى أن ضاق صدرها فما كان لها إلا أنها تركت الملك سيف فى الديوان ودخلت إلى ناهد بنت ملك الصين الأعلى وبدأتها بالسلام فلما رأتها الملكة ناهد قامت لها على الاقدام وفرحت بها وأبدت الابتسام وقالت لها مرحبا يا أماه لقد أرسلك الله حتى أنك تريحى فؤادى من كيد الأعادى لأنى عزمت أننى أقول لك على سؤال عسى أن يكون لى فرج على يديك فقالت لها قمرية وكيف ذلك فقالت ياستاه إن ولدك الملك سيف بعلى تزوجنى فى مدينة الصين على يد أبى وداوانى من العمى وأراد أن يتركنى عند أهلى فأقسمت عليه فأخذنى معه وأتى بى إلى هذه البلاد وهذه المده لم يسأل عنى مطلقا ولا كأنى زوجته وإذا جاء ليلة عندى يبات طول ليلته وهو يتعبد ولا يأتى عندى ولا يقربنى واقعد أنا انتظره إلى الصباح فيتركنى ويمضى لديوانه وبقى لى مدة مانظرته عينى ولادخل سرايتى واريد منك ياستاه ان تسأليه يتعطف على ويأتى إلى محلى كأمثالى فقالت لها قمرية وأنت بنت ملك الصين قالت لها نعم ياستاه فقالت لها أبشرى بما يسرك وفى هذه الليلة ولدى يكون عندك ولكن أنا الأخرى عرض لى عندك حاجة واريد منك قضاؤها بلا لجاجة فقالت ناهد وما هى حاجتك ياستاه قالت إذا أتى ولدى واراد ان ينام فانه يقلع ماعليه من ملبوسه ويضعه تحت راسه ويكون ذلك لأجل ان يقضى منك وطرأ فاصبرى عليه حتى ينـــام ومتى

يدك وخذى الثوب من تحت رأسه وناولينى إياه فقالت لها ياستاه وكيف أقدر أتجاسر على ملبوسه وأخذه من تحت رأسه فقالت لها يابنتى اعلمى أن رأسى توجعنى بالليل وأعدم القوى والحيل فإذا وضعت هذه الذخائر على جثتى ذهبت عنى كربتى ورد لى حيلى وقوتى وما هى إلا قدر ساعة زمانية وبعدها أعطيه لك ترجعيه إلى مكانه عسى أن أشتفى بما تأتى بعون الله وسلطانه لأن الأسماء التى تشفى من جميع الأوجاع وكل من علقها عليه لايفزع من الوجع ولا يرتاع فقالت لها ناهد ياستى هذا ولدك وما تسأليه حتى يعطيك طلبك ويبلغك أملك فقالت قمرية يابنتى أما تنظرى جلساءه دائماً يتكلمون فى حقى له بالسوء ولولا أن ولدى ولد حلال وأبوه قبله ملك ملوك التبع العوال وإلا كان قتلنى وأنزل بى النكال فقالت لها ناهد صدقت ياستاه ولأجل ذلك أنه يراعى أزواجه كل واحدة لأجل أما منيه النفوس فإنه يراعيها لأجل عاقصة أخته وكذا شامة لأجل أبيها الملك أفراح وأم الحياة لأجل سابك الثلاث والجيزة فلأجل إخميم الطالب فقالت قمرية يابنتى اعلمى أن ولدى مايخالفنى وهؤلاء كلهن أزواجه يطاوعونى وكلما يعترينى العيا ويكون نائم عند إحداهن واطلب منها هذه الحاجات فإنهم يعطونى والسبب فى إقامتى عندهن دائما منى أنا فإذا عاهدتينى كما قلت لك فلا أخليه يكون إقامة لياليه إلا عندك فعاهدتها على ذلك وقالت لها إن جاء عندى فى تلك الليلة مايكون إلا الخير وأنا أطلب لك الشفاء من الله تعالى وظنت ناهد أن كلامها صحيح فوافقتها على ذلك وطلعت إلى قصرها وقمرية عادت إلى مكانها وأرادت أن تقعد فما هدأت ولا قر لها قرار فقامت وراحت إلى الملك سيف وهو جالس فى ديوانه وسلمت عليه فرد عليها السلام وتزحزح لها وأجلسها وقال لها مرحبا ياأماه فقالت له اعلم ياولدى أننى جئت اليك أريد قضاء حاجة فقال لها وماهى ياأماه قولى كل ماتطلبيه فقالت له ناهد بنت ملك الصين الأعلى اشتكت منك لكونك هجرتها واحتضنت بغيرها وضرها ألم الفراق وتريد أن تلتذ منك بالمودة والتلاق وأنها من حين أتت من بلادها ماسألت عنها وهذا ياولدى حرام وأنا ياولدى صار قلبى شفوق من حين دخلت دين الإسلام وإنما تمنيت عليك أن تزورها تلك الليلة وتقبل سياقى وتجعله نعم الوسيلة فقال سيف السمع والطاعة والليلة أكون عندها لأجل خاطرك ولا أخالف قولك ولا أظاهرك فقالت له ياولدى واجعلها مثل من عندك وساو بينهن فى المقام هذا شرط الإسلام فقال لها سمعا وطاعة وخرجت قمرية من عند ولدها وهى فرحانة القلب بما تم لها من الاحتيال وما تريد أن تفعل من الضلال وسارت إلى قصر ناهد وقالت لها ياناهد لك البشارة إن الملك سيف الليله عندك ولكن احذرى لا تنسى الذى قلت لك عليه فأنا مابقيت أنسى فضلك وإحسانك فقالت ناهد ياستاه أنت صاحبة الفضل على ثم أن قمرية خرجت من عندها وناهد جعلت تصلح شأن نفسها لما علمت أن الملك

سيف الليلة يجيء عندها وقضت شغلها طوال النهار وقعدت للملك سيف فى الانتظار (ياسادة) ولما انفض الديوان ونزل الملك سيف من الديوان وطلع إلى الحريم ودخل إلى قصر ناهد وكانت على حال مستقيمة ولما أقبل الملك سيف على ناهد قامت له على الأقدام وقبلت يده وزاد بها الفرح والابتسام وأجلسته على أعلى الفراش ثم وقفت لخدمته مع المباسطة والآدب والانبشاش وأحضرت بين يديه الطعام وباسطته فى الكلام وبعده أحضرت صافى الشراب ونادمته بلذيذ الخطاب ولما فرغوا من المحادثة والكلام قام الملك وقرأ أوراده وبعد ذلك أخذوا فى المهارشة والمناغشة فقام الملك سيف وخلع ماعليه من الملبوس وبالجملة الثوب المطلسم الذى صنعته له الحكيمة عاقصة ووضعه تحت رأسه واجتمع مع ناهد وقضى منها وطره ووضع رأسه على الفراش واضطجع للمنام فسبحان من لاينام فلما نظرت اليه الملكة ناهد وقد غرق فى المنام قامت على حيلها ومدت يدها فى الحال وأخذت من تحت رأس بعلها رق الغزال وهى لاتعلم ما خبى لها من قطع الآجال وهذا بإرادة الملك المتعال لذى قدر الأرزاق والآجال وكانت قمرية أعلمتها أنها واقفة على الباب فأسرعت فى خروجها وتريد أن توصل الثوب اليها كما وعدتها وإذا بالحسام سطع ولمع وله نور أضوأ من البرق وأسطع وعلى رقبة ناهد وقع فنزل على وارديها رمى رقبتها من على جثتها فوقعت قتيلة والرق فى يدها ولما نظرت اللعينة قمرية إلى تلك الحال خافت أن يصيبها مثل ناهد فهربت ودخلت مكانها وألقى الله الرعب فى قلبها (ياسادة) وان ناهد لما وقع الحسام على عنقها صاحت فانتبه الملك سيف على صياحها ورفع من على الفرش رأسه وقد انزعجت حواسه فلم يجد ناهد بجانبه فمشى عندها فرآها تختبط فى دمها فصعبت عليه وتحسر لكونها غريبة من دون النساء ولم يعلم من بادأها بذلك الضرر والأسا فبكا وأن واشتكا وأنشد يقول صلوا على طه الرسول .

أناشدهم والدمع يجرى بمقلتى ... قفوا وانظروا حالى وذلى وغربتى
وإن قيل لى ماذا على الله تشتهى ... أقول لقاكم سادتى فهو شهوتى
لقد ضر ما عدمت فراقكم ... فان حياتى بعدكم قد تولت
فقال لى العذال أسل فلم أطق ... كلام العدا هذا مضر بلهجتى
ومالى على فقد الأحبة سلوة ... فانهم روحى وراحى وراحتى
أحباى كم هذا التفرق بيننا ... فياليت يوم البعد قامت قيامتى
عليكم بطول العمر أبكى على المدا ... وانعيكموا كل ابتكار وعشوتى

(قال الراوى) ولما فرغ الملك سيف بن ذى يزن من شعره ونظامه وما قاله من كلامه زاد فى بكاه وقال لاحول ولا قوة إلا بالله ولكن إن صدقنى حذرى ولم يخطىء

زجرى فما قتل ناهد إلا طامة بنت الحكيمة عاقلة وهذا مافيه شك ولا ريب فانها خانت الايمان والشروط والأقسام لما فاض بها من الغرام (ياسادة) فهو كذلك وإذا بطامة أقبلت اليه ووقفت بين يديه وقالت له انعمت مساء يامليك الزمان وفريد العصر والأوان ياملك على بلاد اليمن ومبيد أهل الكفر والمحن فقال لها لأى شيء تكلمت بالتصغير وتقولى يامليك وهذا عار كبير من قديم الزمان عند سائر ملوك العربان فقالت نعم لأنك قليل العقل من دون الملوك ولا يفعل مثل فعلك لا غنى ولا صعلوك فانغاظ الملك سيف بن ذى يزن وأراد أن يبطش بها ولكن صبر نفسه خوفا من الفتن وقال لها ياطامة من الذى قتل ناهد فقالت له لا أدرى يامولاى فقال لها بحق دين الإسلام اصدقينى فى الكلام فقالت وحق خالق الضياء والظلام ماقتلها إلا أنا بهذا الحسام البتار فقال لها وقد انغاظ منها ثانياً لأى شيء ياطامة قتلت نفسا حرم الله قتلها بغير ذنب فقالت طامة معاذ الله إن ذنبها فى رقبتك أنت ماتعلم بما حلفت من الايمان والأقسام أن كل من تزوجت بها من بعد الأربعة قتلتها والأربعة عندك على قيد الحياة وهم شامة ومنية النفوس والجيزة وعين الحياة وهذه غيرهن ولا دخلت فى الشرط ولا ذكرت فى الايمان فقال لها ولأى شيء تستحق القتل بالحسام بلا ذنب ولا جناية ولا خصام فقالت له إن ذنبها عظيم وأنا ماقتلتها إلا بوجه الحق لأنى أخاف من الله خالق الخلق لأنها أخذت الرق والغزال المطلسم من تحت رأسك وأنت نائم وتروم أن تعطيه لأمك هدية وأمك إذا ملكت ذلك وأخذت الرق المطلسم ولوح عيروض معها فترسل عيروض يحملك ولا تجد مايمنعه عنك فتعمل معك كل مكيدة فإنها شيطانة عنيدة فقال الملك سيف لوح عيروض معى فقالت طامة أين هو فقال لها فى ذراعى فقالت طامة أنت رجل قلبك سليم ومن أجل ذلك يلطف الله بك وينجيك من كل هول عظيم لأنه رب كريم وبأحوالك ياملك عليم ولكن ياملك بحق دين الإسلام الذى أنت تعلمه فامعك اللوح حتى يأتيك خادمه ويعلمك بجميع الأحوال فانه صادق فى الأقوال ولا يقدر أن يخالف أمرك لما على اللوح مكتوب من الأقسام والأحرف العظام فعند ذلك أخرج الملك سيف بن ذى يزن اللوح وهو متغاظ ويظن أن كلام طامة غير متعمد فعك اللوح ثلاث مرات فلم يرد عليه أحد ولا حضر له ابيض ولا اسود ولا حضر عيروض ولا غيره من الجن ولا من الإنس فعلم أنها حيلة تمت عليه وأن طامة ناصحة له وأن أمه تمكنت من المكيدة ولولا حضور طامة لكانت فتحت له مهلك آخر تلك الشيطانة المريدة فقال لطامة إيش الخبر ياطامة اما هذا لوح عيروض فقالت لوح عيروض ياملك الزمان مع امك الخئونة الشفوقة التى تضع لك زخاريف البهتان عليها فى كل وقت لعنة من الله الملك الديان وأما هذا اللوح فانها أحضرت صانعا صنع لها لوحا من المعادن ومضبوط مثل

لوح عيروض فانها أخفته لوقت حاجته وها هي لما أرادت أن تدبر الاحتيال ورد الله عليها محالها ومكرها والضلال فقد هربت وطلبت البرارى والتلال فقام الملك سيف مهرولا ودخل على قصر قمرية وكان قصده أن يجازيها على فعلها ويأخذ اللوح قهرا عنها فطلبها فى قصرها فلم يجدها ولا رأى لها أثر ولا وقع لها على خبر فضاقت عليه الأرض بما رحبت وكان الليل ولى وانقضى وظهر الصباح بنوره وأضاء فنزل إلى الديوان سريعا وأمر باحضار الرجال والمقادم جميعا وإذا بالمقدم ميمون والمقدم دمنهور الوحش فسلموا عليه فلم يلتفت إلى حضورهم بالجلوس فجلسوا وطلب بعدهم المقدم سعدون فرآهم فسلم عليه وكذلك سابك الثلاث طلع وسلم على ميمون ودمنهور الوحش فقالوا لبعضهم ما الخبر ولأى شيء الملك مشغول البال فردوا على بعضهم سوف يظهر الحال ولما تكامل الديوان وحضر الحكماء والملوك والأبطال وجلس الملك سيف بن ذى يزن على كرسى مملكته ودارت به أرباب دولته فالتفت برنوخ الساحر ونظر إلى الملك سيف ابن ذى يزن فرآه معبس الوجه فقال له برنوخ أيها الملك السعيد أنت أمرتنا بالحضور فحضرنا وكذلك حضرت الملوك وجميع أرباب دولتك وقد عودتنا فى القعود والقيام والعفو وعدم الانتقام فما الذى أصابك حتى نراك معبس الوجه ونحن كلنا تحت إرادتك ولا أحد منا إلا مبادر لخدمتك وقضاء حاجتك أعلمنا ولا تحمل قلبك هم ولا غم فالتفت إليه الملك سيف وهو فى غاية الحيرة وقال له يا أخى يا برنوخ كيف لا أتكدر ولا أنزعج وقد قتلت ناهد والذى قتلها طامة وكان السبب فى ذلك أمى قمرية فانها قد غـــدرت بى وأخذت لوح عيروض منى وأعطتنى غيره وفعلت بمكرها هذه الفعال وأوقعت الفتن حتى قتلت ناهد وأن طامة قتلتها وسألتها وقلت لها ما السبب الموجب لذلك فقالت إنى رأيتها أخذت الرق المطلسم وكان ذلك من تدبير اللعينة قمرية وقد مسكت اللوح الذى معى فما جاوبنى فزادلذلك همى وغمى وخرجت طالبا هذه اللعينة قمرية فما علمت أين ذهبت وهذا أصل الذى اعترانى واحضرتكم جميعا لتعلموا أمرى وشأنى فضحك برنوخ الساحر من ذلك الكلام وقال ياملك الزمان اعلم أن قمرية خائنة من الخوان ولكن ياملك ماهذه الفعال وأنا قلت لك مرارا عديدة اقتلها واعطنى لوح عيروض وأنا أحفظه لك من دون العباد وأحترس عليه غاية الاحتراس وأخفيه عن جميع الناس فما سمعت منى والآن فقد تمت عليك الحيلة وإن صدقنى حذرى ولم يخطىء زجرى فانها صارت تحتمى منك ومن سطوتك عند ملك من ملوك الزمان أصحاب الأقاليم والبلدان انى اعلم أن بعد هذا مابقى لها أمان فعند ذلك أقسمت الرجال الحاضرون جميعا أن كل من ملكها يقطعها بالحسام (قال الراوى) فبينما هم فى الـكلام وعاقصة قد

أقبلت من الجو وبدأتهم بالسلام ففرح بها غاية الفرح كل من كان فى هذا المقام وقالوا لها يا ملكة عاقصة والله ما أتيت إلا فى وقت الحاجة اليك فقالت عاقصة إيش الذى جرى لكم لأنى أراكم فى حديث وكلام فقال الملك سيف بن ذى يزن يا أختى اعلمى أن أمى قمرية فعلت معى كذا وكذا وحكى لها على القضية التى فعلتها قمرية وهربت من اولها إلى آخرها وكيف قتلت طامة ناهدا من سبب الفتنة التى قمرية فالتفتت عاقصة إلى الملك سيف بن ذى يزن وقالت له يا اخى إذا دورت عليها واتيت بها تسامحنى فى قتلها جزاء على فعلها فقال الملك سيف نعم يا اختى افعلى ما بدا لك لا احد يعارضك فى افعالك فقالت له اشهد على نفسك هؤلاء الحاضرين واخاف يبين لى فقال الملك يا اختى إذا اتيتينى بها افرجك على ما افعل بها فقالت عاقصة انا عارفة ما فى ضميرك وانك لا تخاف ولا تشهد لى على نفسك ولكن انا اعلم الحاضرون بأن المؤذى طبعا يقتل شرعاً وانت مرامك انى اتعب فى حضورها ولما تحضر بين يديك وتتنهد يرق قلبك فتمنعنى عنها وانا وحق النقش الذى على خاتم سليمان من بعد هذه النوبة ما بقيت اتركها بعد الذى مضى وانته يا اخى بخاطرك ان شئت تغضب وان شئت ترضى ثم التفتت الى الحاضرين وقالت لهم ما تقولوا يا مؤمنين فقالوا جميعاً هذا هو الصواب فقالت انا طالعة ادور عليها ولا اعود الا بها لكن على هذا الشرط ثم ان عاقصة تركتهم وارتفعت الى الجو وأوسعت فى المطار وقعد الملك سيف بن ذى يزن الى عاقصة فى الانتظار وهو يظن انا مه وراحت عند الملك سيف ارعد وا كبر رأيه ان تأتيه عاقصة بالخبر فأقام يومين وهو بين عساكره واذا بعاقصة نزلت من الجو عليه وقبلت الأرض بين يديه ففرح بها فقالت له اخى مرادى اسألك عن بنت ملك الصين ناهد ما فعل بها الزمان فقال لها وقد بكى والله يا اخى انها قتلت وراحت مظلومة والسبب فى ذلك امى قمرية بلاها الله تعالى بكل رزية فقالت له ودفنتها فقال نعم وكان الملك سيف بعد موت ناهد غسلها وكفنها وصنع لها قبراً فى حوش السراية على جنب محل مخصوص ودفنها فيه ونظرت طامة إلى التربة فرأتها فسقية واسعة مربعة فقالت له يا ملك على طول الأيام املاها لك من النساء التى تتزوج بهن اجساد مضبعة فاسرها فى قلبه وبقى يحسب لها حساب وأى حساب وقال فى نفسه لكل شىء آفة من جنسه حتى الحديد يسطى عليه المبرد فقالت عاقصة يا اخى تسبب فى قتل النفس ما يجوز قتلها نعم انها تسببت لك الموت والله تعالى نجاك واما هذه فهى ضربة صادقة للأعمار ماحقة فقال لها انت اتيتينى بخبرها قالت نعم لكن بعد جهد جهيد واريد منك ان تبلغنى من قتلها ما اريد فقال الملك سيف بن ذى يزن انى قلت لك واسلمت امرها اليـــك اذا قبضت انا عليها فقالت عاقصة ها انا جبت اخبارها (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك هو ان الملكة قمرية

لما رأت ناهدا قد قتلت وابنها آفاق من منامه وشاع الخبر وكانت دخلت قصرها فخافت على نفسها فمكت اللوح الأصلي وكان فى ذراعها فطلع لها عيروض فقالت له أريد منك أن تحملنى إلى أبى ناهد فى بلاد الصين هل تعرف اسمه وبلده فقال نعم اسمه الصمصام وهو جبار لا يرام يعبد النار دون الملك الجبار فقالت له خذنى إليه فقال لها سمعا وطاعة وحملها على كاهله وطار بها فى الجو حتى أنزلها فوق قصر أبى ناهد فى مدينة السين الأعلى وكان هذا الملك ملك جميع بلاد الصين تحت يده كأن الملك سيدا أرعد يحكم على جميع ملوك الحبشة والسودان وأما الملعونة قمرية فإنها صاحبة قلب جسور ولو كان غيرها ما كان يتجاسر على هذه الأمور إلا أنها لما بقيت فوق قصر ذلك الملك نزلت من سلالم السطوح بقلب أقوى من الحديد وطلبت ذلك الملك السعيد .

(قال الراوى) وكان الملك فى هذا الوقت قاعدا فى قصره وبما ليكه بين يديه فى خدمته فما شعر إلا وقمرية داخلة كأنها عروسة كنز لأنها كانت عند طلوعها من قصرها لبست أنفس ما عندها من الملبوس والعقود والحلى وأن قمرية جميلة كما ذكرنا فرفع الملك رأسه فرأى تلك الذات البديعة وأن هذا الملك ماله دين ولا إيمان وبل إنه يعبد النيران فقال لها من أنت ومن تكونى فانك ما أنت من سرايتى وأنت من الإنس أو من الجان فقالت يا ملك لا بأس عليك فما أنا من الحق بل أنا إنسية واسمى الملكة قمرية واتيت إليك يا ملك من أرض اليمن والسبب فى قدومى إليك هو أن سيف بن ذى يزن الذى كان أتاك ههنا عريان وداوى ابنتك ناهد من العمى وأنت يا ملك زوجته بها وأنعمت عليه وأخذها إلى بلاده وغدر بها وقد ابلاها بكثرة الضرائر وأخيرا قتلها لما قالت له ما أطيق الضد ردنى لأبى فقتلها ولا حسب لك حساب وأنا ياملك قلت له ما كان جزاءها منك أن تقتلها فان أباها أنعم عليك فكان الواجب تكرم بنته كما أكرمك فسحب على السيف وأراد أن يقتلنى فهربت منه وأتيت إليك وكانت تلك الفعال من مدة ثلاث ليال فقال لها الملك صمصام وكيف قدرت تسيرين إلى تلك الأرض والدمن من أرض اليمن وقالت له على لوح مرصود له خادم اسمه عيروض دعكته ويحملى أمرته وأتى بى هذا المكان بلا تعب ولا خسران وها أنا أتيت اعلمتك وإن أردت أن تحارب الملك فأنا اساعدك وابلغك مقاصدك واعطيك هذه الذخيره التى ما ملك مثلها أحد من ملوك الدنيا وهو ذلك اللوح المرصود (قال الراوى) أن الملك الصمصام لما سمع من قمرية ذلك الكلام صعب عليه قتل بنته ولكن لما نظر وجه قمرية أشغلته وبحسنها أبهلته وكانت الملعونة كما ذكرنا على قدر ما حوت من الحسن والجمال حوت من المنكر والاحتيال فقال لها الملك صمصام إذا كانت ناهد قتلت هى الجانية على نفسها لأنها صارت مع هذا الرجل بغير على وانت ياملكة أريد منك أن تدخلى فى دينى

وتكونى أعز المحاضن فى سرايتى وتكونى أنت الحاكمة على مملكتى فقالت له وماهو دينك أيها المنصان فقال لها عبادة النيران فقالت له رضيت بذلك أيها الملك المهاب وأنا يا ملك هذا قصدى من قديم الزمان لأنى أعلم أن زحل ماهو معبودى وكل من عبده صار معبود ولكن أنا كنت اتبع عبادة ملك الحبشة والسودان على هذه الأديان ومن حيث أتيت عندك فما بقيت أتعبد إلا معك وكل مافعلته أنت اتبعك ففرح الصمصام بكلامها وفى الحال أحضر مشايخ المجوس وأخبرهم بها وقام على حيله وسار معهم وقمرية أخذوها بينهم وقد سبت عقله بحسنها وجمالها ولكن خاف أن يوقعها بغير أن يكون على قاعدته يبقى غير مجوسى فلما دخلوا إلى معبد النار تقدم الملك وسجد لإلهه من كفره وجهله وفعلت قمرية مثل فعله وسجدت للنار دون الملك الجبار وبعد ذلك عقدوا له على ملتهم عقد النكاح وصار الأمر له مباح ودخلوها فى ليلتها عليه وواقعها وبات معها وجاءت عاقصة ورأته واستخبرت من عمار الارض على ماجرى فأعادوا عليها القصة من أولها إلى آخرها فعادت إلى الملك سيف بن ذى يزن وأعادت عليه ماجرى (قال الراوى) فلما سمع الملك سيف من عاقصة ذلك الكلام اغتاظ من فعل أمه وقال لها ياعاقصة لاى شيء ما أتيتنى بها فقالت له إذا أنا احضرتها اليك من ذلك المكان توفى بالشرط والضمان فقال لها أنا لا أفعل ذلك أبدا ولو سقتنى أمى بيدها كأس الردى فقالت وأنا الاخرى لا أتعب نفسى ولا أجيبها وكل من أتى بها أعيقه وأقف فى طريقه ولا أدعه ينتقل بها ولا خطوة واحدة فقال بحياتى عليك يا أختى أن تأتينى بها لأشفى غليلى منها فقالت ياملك ما يقدر يصل اليها أحد مادام معها ذلك اللوح المرصود وأن طول ماهو معها ما يجسر أحد من الجان يقربها فقال برنوخ الساحر أنا ياملك امضى إلى ملك الصين مع عاقصة لعلى ان اسرق منها اللوح فقال توكل على الله فأحضر الزير وركب وقال لعاقصة سيرى معه وما زالوا حتى نزلوا على قصر الملك صمصام وكان نزولهم فى أول الليل فصبر برنوخ حتى انتصف الليل وتحسس حتى نزل وبقى جنب شباك القصر الذى فيه الملك صمصام وقمرية فوجدهم فى سكرهم وقمرية جنب الملك وهى تقول له إلى متى تقعد ولم تأخذ ثار بنتك فقال لها وحق النار لابد لى ان اركب واروح إلى بلاد اليمن ولا أخلى فيها من يشرب اللبن فقالت له وأنا اساعدك على القتال واخلى ملك الحبشة يمدك برجال تسبق رسل الآجال هذا وهم على المدام حتى لم يبق معهم عقل فلا نقل فما صبرت قمريه بل انها قامت وخرجت إلى خارج القصر ومعكت اللوح فحضر عيروض فقالت له امض إلى بلادى لأشوف إيش عمل الملك سيف بعد بعادى فقال سمعا وطاعة وراح عيروض وبعد ذلك دخلت فغلب عليها النوم وكان الملك صمصام الآخر نام فعند ذلك دخل برنوخ إلى

القصر بعد ما رصد على قمرية أنها لاتتحرك من منامها وزحف مثل الثعبان الأرقط وصعد على السرير الذى عليه قمرية وهو لايغفل عن ذكر الله تعالى ومد يده وفك اللوح من على ذراعها وهى مستغرقة فى منامها ولما أخذ اللوح تهيأ له أنه ملك الدنيا وطلع من الشباك إلى الزير فركبه فقالت عاقصة وكانت واقفة تنظر اليه قضيت الحاجة ياحكيم قال لها نعم ياعاقصة سيرى بنا إلى الملك سيف فقالت له أخذ ممنا هذه اللعينة فقال برنوخ ياعاقصة لانفعل شيئا إلا بأمر الملك سيف فإنه حاكمنا وطاعته فرض علينا فقالت عاقصة سر بنا فساروا إلى المدينة الحمراء وكان الملك سيف بن ذى يزن لهم فى الانتظار فلما رآهم قال لهم قضيتم حاجتكم قال نعم ببركتك وأتيناك باللوح ثم أن برنوخ ناوله اللوح المذكور ففرح فرحا شديدا والتفت الملك سيف ابن ذى يزن وقال لها ياعاقصة وأين قلنسوة حام بن داود عليهما السلام فقالت إنى لا آتيك بها الا على ماتقدم بيننا من الشرط ثم أن عاقصة تركته وصعدت إلى الجو الاعلى وماغابت غير قليل وكان طلع النهار والملك سيف جالس بين الرجال ودارت به الأبطال وإذا بعاقصة أقبلت حاملة قمرية ووقفت بها على أعلى القصر فى الجو الاعلى وصرخت بصوت مزعج دوى منه المكان وقالت ياملك الزمان اعلم ان هذه قمرية وكم فعلت معك من مكايدها كل رزية وأريد أن أريحها من يدى فما تصل إلى الأرض إلا ميتة وتستريح أنت من شرها ومكرها فماذا تقول فى رميها فقال الملك ياعاقصة انزلى بها إلى عندى حتى أشفى قلبى منها فقالت هذا شىء لا أسمعه والشرط الذى بيننا لابد تتبعه ولا بقيت تراها فى دار الدنيا أبدا فصاح على عاقصة انزلى بها إلى عندى فنزلت قليلا حتى بقى بينهم قدر ميل ثم حذفت قمرية إلى فوق بعزمها فعلت خمسين قامة ونزلت فتلقتها عاقصة وحذفتها ثانيا وإذا بطامة جردت الحسام وأرادت أن تخرج إلى قمرية وتنظرها لتمنعها أن تصل إلى الارض فخطفت عاقصة السيف وألقت قمرية عليه وهى تصيح ياللثار فحكم السيف على وسطها فانقطعت نصفين فالتقتها وحذفتها ثانيا والقته للسيف تحتها فقطعها أربع قطع وكذلك ثالثا ورابعا حتى جعلت الكبير فيها نصف رطل وتركتها فنزلت قدام النيران على هذا الشان ورمت رأسها فى حجر ولدها فقال لها شلت يداك ياملعونة ولكن إن وقعت فى يدى جعلتك مثلها ياقطاعة الجان فقالت له يا أخى لابقيت ترانى ولا أراك وبعد موت هذه اللعينة ما بقيت أخاف عليك من خلق الله تعالى فهى التى كانت تشتتك من مكان إلى مكان وأنا أتعب من أجلك طول الزمان ومنى عليك السلام ياملك الزمان وتركته وطلبت البرارى والوديان هذا ما كان من أمرها وأما الملك سيف فانه قعد فى غاية الضرر على موت أمه وجمع لحمها بيده ودفنها فى قبر ناهد وأقام يبكى عليها مدة من الزمان فقال له الحكماء والملوك ياملك الزمان اعلم أن الاحزان لاتكون

إلا للنسوان وإيش قدر هذه الكلبة الكافرة الفاجرة التى ما لها دين ولا إيمان والله الذى تقدست أسماؤه لو كانت أختك مافعلت هذه الفعال لكان كل منا إلى قتلها مبادر ولولا خاطرك كنا أذقناها عذاب السعير فارفق على نفسك ياملك الزمان واترك البكا والأحزان ومازالوا معه حتى ترك الاحزان وذبح على قبرها الذبائح وقد أخرج صدقات وانقضى حكم للعزاء وفات وأقام فى هناء وسرور إلى يوم من الأيام فان الملك سيف بن ذى يزن جالس وإذاً ببعض القوابل أقبلن بصنية من الذهب وقالوا ياملك هذه علامة التصرهات البشارة فان الملكة الجيزة بنت الحكيم إخميم الطالب ولدت غلاما يفوق البدر ونريد منك أن تسميه يافريد الدهر وملك العصر فقال اسمه نصر ثم أن الملك سيف خلع ووهب وفرق الفضة والذهب وأقام فى فرح المولود والديوان مرفوع حتى مضى السبوع واشتهر اسم ذلك المولود وتواترت الايام فلما كان فى بعض الأيام قام الملك آخر النهار من الديوان وهو فرحان مأنوس وسار إلى حجرة منية النفوس وكان بعيدا عنها مدة طويلة إلى أن كانت فى هذه الليلة تمشى إلى قصرها وقد دخل عليها فلما وقعت عينها عليه قامت له وتلقته ثم قبلته ووقفت فى خدمته وبالكلام العذب نادمته وقالت له لم ذلك التلاهى والهجران ياملك الزمان فأنت مابقيت تسأل عنى ولا بالعيون تنظرنى فاعتذر لها مما جرى وقال لها ماعندى أحد فى مقامك ولم أجد يوما أحسن من أيامك فقالت له لوكنت تحبنى ياملك وتعرف قدرى ماكنت بطول هذه المدة لم تذكرنى فقعد معها وطيب خاطرها فقامت وأحضرت الطعام والشراب فأكلوا وشربوا والتذوا وطربوا وما زالوا فى حديث وكلام حتى طاب لهم المنام وجرى بينهم ماجرى من المهارشة والكلام وكل منهما نام فسبحان الملك العلام وبينما الملك سيف نائم ففتح عينه فسمع دويا من باب تلك السراية وهو كدوى النحل ورأى ضوء سيف مسلول وقد غلب على ضوء الشمع الموقود فجذب زوجته الملكة منية النفوس إلى صدره ورفع رأسه وإذا به يرى سيفا جنويا ثابت المسمار كأنه شعلة نار فصاح بصوت كأنه الرعد القاصف أو الريح العاصف وقال ياطامة فقالت له لبيك ياملك الزمان وفريد العصر والأوان فقال لها لأى شىء تريدى أن تفعلى تلك الفعال فقالت مافعلت شيئا الآن فقال لها ولأى شىء جئت إلى هذا المكان فقالت له اعلم ياملك إنى ما أتيت فى هذه الساعة إلا لقتل زوجتك منية النفوس كما قتلت غيرها وأنت تعلم أنى حلفت يمينا فقال لها ياطامة كل الناس إلا هذه الملكة السعيدة فمالك اليها وصول ولا على قتلها محصول فقالت له لا تطل الكلام فلا بد لى من قتلها والسلام فقال الملك سيف سألتك بالله العظيم

إلا ماخليت سبيلنا وتركتينا ننام وتنصرفى عنا بسلام واتركى منية النفوس لأجل خاطرى فان حبها حشو جلدى وضمائرى فقالت طامة مابقى لى فى هذه حيلة لأنى حلفت أن أقتلها فى هذه الليلة :

(قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا بالحكيمة عاقلة دخلت عليهم وكانت أتت على حس صياحهم وتشاجر الملك سيف بن ذى يزن وبنتها طامة فقالت الحكيمة إيش يكون الخبر فلما رآها الملك سيف اطمأن قلبه وقال لها ياحكيمة إن طامة تريد أن تقتل زوجتى منية النفوس وإيش ذنبها ياحكيمة وها أنا وأنت حضرت يا أماه فانظرى ما يكون فقالت الحكيمة عاقلة بنتى معذورة وأيضا إن النساء جميعهن اللاتى أنت متزوج بهن فما نالهن منك غير المرض ولا أحد ينال منك غرض أما تعلم أن بنتى معذورة فى حبك وقد حرمت الطعام والمنام من اجلك فيجب عليك أن تداريها ولا تغيظها فإنها ماتستحق منك إلا الصفا والوداد وراحة القلب والفؤاد وأنت من قبل زواجها جامع لها ضرائر بكثرة واضداد فقال الملك سيف وحق من أورق العود وانبع الماء من الجلمود لابد لى من عمل طريقة على إنفاذ الايمان التى حلفتها أنا وهى ونوفى العهود وابلغ طامة كل مرادها والمقصود وإنما انا كنت حزينا على والدتى الملكة قمرية وعاقصة هى التى قتلتها وقطعتها وبالحسام جعلت لحمها قطعا واكواما فقالت طامة وإيش فى ذلك من حزن ياملك الإسلام وحق رأسك وربنا الملك العلام أنا التى ناولت اختك عاقصة الحسام وأمرتها أن تهرى لحمها والعظام ماعلينا من هذه الكلبة دعنا من هذا الكلام إيش قلت فيما نحن عليه من المرام فقال الملك سيف ياحكيمة عاقلة خليها تصبر على للصباح وتترك سبيلنا فما بيننا إلا الخير فلما سمعت طامة ذلك فرحت فرحا شديدا والتفتت الحكيمة عاقلة إلى بنتها طامة وقالت لها قومى ياقليلة الأدب تدخلى وهو مختلى بزوجته ولا تخشى العيب ولا عاقبته فاستحت طامة من أمها وقامت وقد زاد بالملك سيف غرامها وبات مع زوجته الملكة منية النفوس وهم فى صفا وانشراح حتى طلع الصباح فقام ونزل إلى الديوان واجتمع ارباب الديوان من ملوك ومقادم وحكماء وسحرة وارباب الدولة ولما كمل ديوانه وتكاملت دولته واعوانه وتضاحى النهار فالتفت الملك سيف بن ذى يزن إلى أرباب الدولة جميعا وقال لهم اعلموا أنى حلفت يمينا وأريد أن تكفروا لى عن يمينى فقالت له الدولة ياملك انت مطاع وان حلفت يمينا على شىء فما أحد يقدر أن يرد عليك يمينك فما الموجب لكفارة اليمين فقال الملك سيف بن ذى يزن اعلموا أنى لما سرت فى طلب كتاب تاريخ النيل حلوان الملكة شامة كان سبق منى نذر وحلفت أنى لا أتزوج قبلها نساء أبدا فلما سرت إلى مدينة الملك قمرون فكانت الحكيمة عاقلة هذه هناك فتعبت معى فى خلاص الكتاب وفعلت معى جمايل بكثرة إلى أن سهل الله على بأخذ الكتاب

وكنت أنا جئت بقلنسوه الحكيم افلاطون فأخذتها طامة وحلفت أنها لا تعطيها لى إلا بعد ما أتزوج بها فحلفت أنى لا أتزوجها إلا بعد ما تعطينى القلنسوة وتداولت الأيام إلى أن كان الذى كان وها أنا قصدى فى زواجها وأمها أعطتنى ذخائر تقوم بمقام هذه القلنسوة أضعافاً وأنا غنى عن القلنسوة ولكن مرادى فى الزواج بطامة حالا فانه آن الأوان ولا بقى لى عن اصبر ولا سلوان فماذا يكون العمل حتى أبلغ من زواج طامة الأمل فقال له أرباب الدولة هذا أمر سهل وإنما نورد مهرها وتعقد عقدة النكاح فاذا فعلت ذلك صارت زوجتك ولا تدحل عليها حتى تعطيك القلنسوة وقد طلبت يمينها ويمينك فقال الملك سيف بن ذى يزن هذا أمر أنا مشكك فيه وإنما أكبر الأيمان إيش يكون كفارته فقالوا له ياملك الزمان كفارة كل يمين حلفه الإنسان يفديه ببقرتين سمان فقال الملك سيف بن ذى يزن إذا كان كذلك فقد وهبت سبع بقرات سمان فدا عما حلفت أحد الأيمان وأمر الملك فى وقته بذبح سبع بقرات التى تقدم ذكرها وقد أدى اليمين فقال الملك سيف اليوم يمضى وفى غداة الغد لا يكون أحد من أرباب الدولة إلا ويحضر وكل من غاب فلا يلزم إلا خلاصه منى فقالوا سمعاً وطاعة وانفض المجلس ولما كان ثانى الأيام تكامل الديوان بالدولة وأخذوا مراتبهم من عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس فلما راق المجلس وقال الملك سيف بن ذى يزن إنى جعلت عشرة آلاف دينار ذهب لطامة مهرها اسألوها هل هى راضية بذلك القدر فسألوها وكانت حاضرة فقالت يا ملك الزمان إذا كنت ترغبنى فأنا فيك راغبة أكثر وكل مرغوبى أن أكون جارية للخدمة فهو عين مناى وأجل مطلوب وأما من خصوص المهر فقد وصلنى بالتمام ولا بقى لى شىء منه يا ملك الإسلام وإنما أنا اطلب منك ياسيدى تمنية لاترد طلبها عند احتياجى لها وما أنا إلا جاريتك وغرس نعمتك والسلام فقالت لها أمها وإيش تكون تمنيتك أن تطلبى منه تمنية فأنا أوفيها عنه فقالت لها يا أماه أنا ما أطلب أن أتمنى على أحد غير سيدى الذى أكون له ضجيعة ولقوله سامعة ومطيعة فقال الملك سيف بن ذى يزن يا طامة ولك على تمنية لاترد وحق الواحد الأحد فعند ذلك فرحت طامة وانعقد العقد على طامة فى الحال فقال الملك متى يكون الدخول فقالت طامة فى هذه الليلة فقال الملك سيف بن ذى يزن يكون بلا عرس يا طامة فقالت طامة أنا إيش لى فى العرس من حاجة فقالت الحكيمة عاقلة يا ملك الزمان أنا قطعت عمرى وما رزقت غيرها وأريد أن أفرح بها فقال الحاضرون لا بد أن يكون للملكة طامة فرح حتى نأكل فيه ونشرب ونلتذ ونطرب فقال الملك سيف مرحباً بكم وتقرر الأمر بينهم على الفرح بأمر الملك سبعة أيام وقد شرعوا فى الأفراح وأمر لذلك بذبح البقر والجمال السمان والأغنام فكان كل يوم الصبح يذبح مائة فصيل من الإبل ومائة من البقر

وخمسمائة من الغنم وذلك فى الصباح ومثلها عند المساء وجميع الرجال يرتعون فى الطعام وكذلك النساء كل على شاكله وكان بالإتفاق العجيب أن حريم الملك أبو تاج وحريم الملك أفراح وحريمات المقادم مثل سعدون الزنجى وسابك الثلاث ودمنهور الوحش وميمون الهجام حريمهم مثلهم من الجيش وأما حريمات الملك سيف وهن الملكة شامة وأم الحياة والجيزة ومنية النفوس الكل مجتمعات يلعبن ويفوحن ويأكلن ويشربن مع بعضهن ويتناغشن والبعض منهن يرقصن فأول من رقص أم الحياة بنت سابك الثلاث وانخلعت حتى أن النساء كل من رأتها انبهلت فنظرتها الملكة منية النفوس .

وقالت لها يا أم الحياة ما أنت إلا مثل نخل الجاموس ولكن هكذا رقصكم على قدر عقلكم الذى تربيتم عليه فى أفراحكم فقالت الجيزة اصبرن لما أقوم أنا وقامت بنت الحكيم إخميم الطالب ورقصت وانخلعت حتى سلبت عقول الناظرين فلما رأتها منية النفوس فقالت لها يا جيزة ما أنت إلا بديعة فى المحاسن وإنما فى رقصك غليظة فقعدت حياء من منية النفوس وخلعت ملابسها وقدمتها إلى منية النفوس خارقة للعادة عن الجميع فى الجمال والقد والإعتدال والبهاء والكمال والتظرف والدلال وإن الملك سمف بها عشق وبحبها رمق فلأجل ذلك يدارينها وهى من غير ذلك حسنها وجمالها معلى قدرها لأنها إن تكلمت أعدمت وإن تلفتت أتلفت وإن أسلمت قتلت وإن فتحت جرحت وإن تبسمت ملكت وإن أعرضت أهلكت سبحان من صورها من ماء مهين وجعلها فتنة للناظرين ثم أن منية النفوس لما كلمت الجيزة فقعدت قامت شامة ولعبت وبين أترابها رقصت وكانت شامة أيضاً جميلة وهى التى تقارن الملك سيف فى العلامات وعلى خدودها شامات وبعد ما رقصت وقعدت فقالت للملكة منية النفوس إيش رأيك هل تقولى مثل ماقلت لغيرى فقالت الملكة منية النفوس أنا ما رأيت رقصكم إلا فى بلادكم وأما نحن رقصنا خلاف ذلك إذا كنا فى بلادنا بين أترابنا فقالت لها شامة سألتك بمن جملك تضحى حماك بالسلامة وينقذك من كل سوء وبؤس وندامة إنك تقومى وترقصى قدامنا وتفعلى مثل ما فعلنا ولا تكسرى بخاطر بنتك شامة لك ويبقى لك علينا المنة والفضل والكرامة فقالت الملكة منية النفوس والله يا ستى مالى قلب لأنى غريبة وحامل ولا لى على قدر فعلكم برهان ولا دليل ولكن أقسمت على بقسم عظيم وهو لرب الكريم ثم إنها قامت على حيلها وقد فتنت النساء بميلها واعتدالها وتمايلت كما يتمايل عود الياسمين بين الزهور والرياحين واعتدلت فأطربت الناظرين وفعلت من الاهتزاز والاضطراب حتى أذهلت الكواكب والأتراب ودامت على ذلك ساعتين تماما حتى القعود سلبت عقول

القيام كل ذلك يجرى من منية النفوس وطامـة جالسة بين الجلوس فتصور لطامة
ن الدنيا مافيها نظيرها ومن ينظر إليها فلم ينظر غيرها فقالت لها ياستى منية النفوس عمرنا
ارأينا مثلك ولا أحد فى الدنيا يفعل كفعلك وهكذا فى بلادكم ياملكة تفعلون إذا
كنتم مع بعضكم تفرحون وهكذا ترقصون فلما سمعت منية النفوس ذلك الكلام انفتح
ا باب تبلغ به المرام فقالت لها ياستى طامة انالى رقص آخر إذا كنت لابسة ثوبى الذى
بلغ به قصدى ومطلوبى فانه من الريش مصنوع بالحكمة إذا كنت لابسة فإنى أدور به
الدرب وأتمايل واتقلب ولو كان سيدى الملك يرضى أن يسلمه إلى كنت افرجكم كيف
كون اللعب والرقص والانشراح إذا كان ذلك بيننا مباح فقالت طامة وهذا الثوب عند
سيدى الملك سيف قالت نعم فقالت طامة أنا لى عنده تمنية لاترد وأنا أطلبه منه ولا
كون إلا الخير واضمرت طامة أنها تطلب الثوب ولما فرغ النهار وأنصرفت الحريم إلى
قصوراتهم فأدرك الملكة منية النفوس الطلق كما يشاء خالق الخلق فوضعت غلام كأنه
بدر التمام وبلغ الخبر إلى الملك سيف بن ذى يزن ودخلوا عليه المبشرين وهو فى عز
وتمكين فقالوا البشارة ياملك الزمان اعلم ان الملكة منية النفوس وضعت فنسى افراح
الملكة طامة وتعلقت آماله بتلك العلامة وزاد ضحكه وابتسامه وقام على حيله وسار عندها
نظر إلى ولدها فقالوا القوابل ايش يكون اسم الغلام المسعود ياملك العصر لأنك
لأسس سميت ابن الملكة الجيزة نصر فقال وان منية النفوس مصر وهو سعيد واسمه
بارك ثم ان الملك خلع على اهل الديوان خلع سنية فقالت الحكيمة عاقلة ياملك الزمان
ذا الغلام طالعه مسعود وهو يبنى مدينة كبيرة ويجعلها برسمه ويسميها على اسمه لأنه
سمه مصر وقد أتى فى ايام العز والنصر وعند بنائها يجرى بحر النيل عندها وقال الحكيم
نوخ ياملك الزمان اعلم ان افراحنا بالمولود هذا زائدة فانه ثالث فقد صار لك الملك دمر
نصر ومصر فدمر من الملكة شامة ونصر من ام الحياة وهذا المولود من الملكة منية
نفوس وكل واحد له حديث إذا وصلنا إليه نحكى عليه والعاشق فى جمال النبى يكثر من
صلاة عليه وقد التهب الملكة منية النفوس بوضعها ولما كانت دخلت الملك سيف بن ذى يزن
لى طامة داخل هذا القصر قد زخرفته الحكيمة عاقلة بعلوم الأقلام وهو شىء يحير
لأفهام فانها جعلت سريرا من المرمر مصفح بالذهب الأحمر بفصوص مطعمة فيه من
لجوهر انواره تأخذ البصر ودابر السرير مائة قنديل من الجوهر نورهم يفوق عن نور
شمس والقمر فى كل قنديل فص كأنه نجمة زاهرة فوش السرير من الابريسم والحرير
لملون فطلع الملك سيف بن ذى يزن على فراش من ريش النعام والملكة طامة قامت

له على الأقدام وهى تتباهى بالمحاسن والدلال كماقال فيها بعض واصفيها هذه الأبيات :

خذوا حذركم من حسنها والنواظر ... بأسهمها عمداً تشق الضمائر
لقد تيمت عشاقها من جمالها ... إذا ماانثنت ترنو إليها البصائر
فكم أحرقت فى حبها قلب عاشق ... وكم فتنت من ظرفها وهو ساحر
فلو تفلت فى البحر والبحر مالح ... اجاج أضحى وهو بالشهد زاخر
ولو واصلت شيخا كبيرا على عصا ... لاصبح ذاك الشيخ وهو عذافر
ولو كلمت ميتا بلطف حديثها ... لقام يلبى قولها وهو قادر
واستغفر الله العظيم من الخطأ ... إله تعالى غافر الذنب ساتر

(قال الراوى) فدخل الملك وأغلق الباب وأراد التمتع فقالت له ابن التمنية ياملك الزمان التى وعدتنى بها فقال الملك سيف وحق الإله الذى لاإله إلا هو كل ماتمنيته فلا أمنعك منه مطلقا فقالت ياملك الزمان أنا ماأتمنى إلا سلامتك وبقاك وأصبح وأمسى اتمنى بناظرك ورؤياك وإذا حصل لك أمراً أكون أنا وأهلى وقبالتى جميعاً فداك وانقضى الحال وتلذذوا بالوصال وبلغوا من بعضهم الآمال ولما كان عند الصباح أراد الملك سيف بن ذى يزن أن يطلع إلى محل جلوسه لأجل اجتماع المنيبين له فقالت له طامة بعد ماقبلت يده ياملك أنا لى عليك تمنية وأريد منك أن تفرجنى على الثوب الريش الذى كانت تلبسه أختى الملكة منية النفوس فقال لها الملك سيف ياطامة هذا شىء لايكوو أبدا وأنا حلفت أنى لم أطلعه من مكانه ولا يراه غيرى أحد فقالت له ياملك الزمان أنا سألتك بدين أن تفرجه لى تسليم يد بيد وأنا ماقصدى غير الفرجة وإن كنت ياملك الزمان خائف من منية النفوس أنها تلبسه فمن الذى يعطيه لها وثانيا هى مشغولة بالملك مصر ولدها وهو لابد عندها أعز من كل الدنيا ولا يمكنها أن تفوته أبداً وأنت ياسيدى وعدتنى بالتمنية فلا تكسر بخاطرى ثم انها تخضعت له بالكلام فقال لها ياطامة أخاف أن تحتال عليك وتأخذه منك وتكون اشتاقت لأهلها وأنا مالى صبر عنها وثانيا صار هذا الغلام ان تركته فما يهون على رضاعته عن غير والدته وانى اخذته فما لى صبر على فراق أمه وفرقته فقالت طامه لاتخف ياملك الإسلام ولا يقعد عندى الا مقدار ساعه فقط فقام الملك سيف ودخل خزانته المخصوصه لذخائره وفتحها وأطلع صندوقه المخصوص لذلك الثوب وأطلعها وقبل أن يسلمها أحضر أمها وقال لها ياحكيمة اعلمى ان بنتك طامه لها تمنيه وحلفت ان اعطيها كل ماتريد واليوم ماقيست طلب الثوب الريش التى للملكة منيه النفوس وأنا ماأرد تمنيتها بل أعطيه لها ح

تبلغ أربها ولكن أخاف أن تحتال عليها وتأخذه منها فقالت الحكيمة ياملك منية النفوس كما تعلم أنها منشغلة بالمولود والله تعالى يحفظه لكم وأما طامة فقصدها الفرجة على الثوب فقط فلا تخف من شيء من ذلك فعنـــدها أعطى الثوب إلى طامة بعد ماحذرها غاية التحذير ولكن لا يمنع الحذر نزول القضاء والقدر وفى تلك الساعة ركبت الفرسان لأجل الفرح والمهرجان وكانت الأفراح من جهتين أول فرح بزواج طامة والثانى فرح الملكة منية النفوس بوضعها فأقام سبعة أيام متواليات وجميع الفرسان يركبون الخيول ويطاعنون بالرماح بلا أسنة ولهم ضجة ورقة ولما يفرغون من الملاعب ينزلوا إلى الأكل والطعام وشرب المدام وهكذا وبعد ذلك اجتمعوا أزواج الملك سيف بن ذى يزن فى قصر الملكة منية النفوس وهم فرحون بذلك الغلام المأنوس وأقاموا فى لهو وطرب وحضرت عندهم حريمات الملوك والمقادم وفرحوا بتلك الايام مثل الأعياد والمواسم وهكذا حتى إن الملكة منية النفوس أتتها العافية والصحة من ألم الولادة وكانت الأفراح دائرة فقالت طامية لمنية النفوس ياأختى أنا تفرجت على الثوب الريش الذى عند الملك سيف وهو الذى اخذه منك عندما تزوج بك فقالت منية النفوس ياأختى ما بقى لى فيه حاجة فإنى أولا كنت ألبسه لأجل المسير من بلادى إلى بستان النزهة وذلك الوادى والآن مابقيت احتاج اليه لانى زوجة الملك كبير وثانياً بقى لى ولد والآن أتفرج على ولدى وأتنزه فى قصرى وهاهى حولى البساتين والأشجار والأثمار فما أنا محتاجه لمطار حتى ألبس ثوب الريش وأفعل ما أختار فقالت طامة أنا كنت سمعتك تقولى أنك ترقصى به رقص آخر أحسن من رقصك من غير أن يكون عليك ثانياً تتفرج عليك كيف تطيرى بذلك الثوب فإن هذا شيء مارأيته أنا أبدا نعم رأيت أمى تركب على زير وهو بها يطير لكن هذا بعلوم الأفلاك فقالت لها الملكة منية النفوس وكذلك هذا الثوب محكم عليه أرصاد وعلوم الأقلام وهى صناعة الحكماء وأرباب الأقلام وهذا شيء لايقدر عليه إلا أرباب الكهانة الكبار مع إنى سمينة الجسم عندما ألبسه أبقى أخف من النسيم وأنا كنت أرسلت توابعى يأتونى بغيره لما أخذه الملك سيف بن ذى يزن منى ولكن جرى القلم بما فيه المقدر حتى كنت من أزواج هذا الملك العظيم وأظن أن رفاقى أقبلوا بثوب غيره ليعطوه لى ولكن فتشوا على فلم يجدونى فعادوا إلى البلاد وتركونى .

(قال الراوى) ثم إن منية النفوس ماقالت هذا الكلام إلا لتبرىء ساحتها من الملام وفى قلبها على ثوبها نار الاضطرام وأما طامة فانشغل بالها ومنية النفوس قامت ولعبت وانخلعت ورقصت وتمايلت حتى إن جميع الحاضرين من النساء اندهلت وأقاموا على ماهم عليه طول يومهم وليلتهم هذا ماجرى وأما ما كان من أمر الملك سيف بن ذى يزن فإنه اشتاق إلى الصيد والقنص

واغتنام اللهو واللذة والفرص فركب وركبت معه الملوك الملك أفراح وأبو تاج وسعدون وميمون ودمنهور الوحش وسابك الثلاث وأقام برنوخ الساحر والحكيمة عاقلة لحفظ البلد ولما علمت طامة أن الديوان خالى من الملك سيف لكونه ركب للصيد والقنص وبقى الديوان خال من الناس أرسلت وأحضرت الملكة منية النفوس فى قصرها وأحضرت الملاهى والمغانى وآلات اللهو والطرب وأقاموا على حظ وانشراح من المساء إلى الصباح وكذلك فى اليوم الثانى والثالث حتى انهكوا فى اللعب والطرب إلى أن كان يوم من الأيام التفتت طامة للملكة منية النفوس وقالت لها ياأختى قصدى أتفرج عليكى وانت لابسه الثوب الريش فانى لم انس ذلك منذ اعيش فقالت منية النفوس ياأختى إن كان هذا بغيتك فأتينى بالثوب الريش وانا ابلغك منيتك فقالت لها طامه ياأختى انا اخاف انك تلبسيه وتطيرى إلى بلادك وتتركينى اتجرع غصص العذاب من أجل بعادك فقالت منية النفوس ان كان قلبك ما يطاوعك فلا تعطيه لى ولا تجعلى انك جبتيه فقالت طامة وإنما اريد منك ان تحلفى لى أيمان واثقه انك إذا اخذت الثوب منى تعطيه لى ثانياً فقالت منية النفوس يا اختى وحياة عينك ورأسك ورأس امك الحكيمة عاقلة انى إذا اخذته منك البسه وألعب معكم حتى تقنعوا وأقلعه ثانياً وأعطيه لك فقامت طامة واحضرته وعقلها مثل المسلوب وظنت أن كلامها حقاً وماقالت إلا صدقاً فدخلت قصرها وهى فى فرح وهم ولم تدر ماخط القلم وفتحت الصندوق وأخرجت الثوب المطلسم وسلمته للملكة منية النفوس بنت الملك العبوس وكانت قاعدة المولدها نائم على حجرها ولما رأت الثوب انشرح صدرها ووضعت الملك مصر بين يديها وقلعت ماكان عليها من الملبس الثقيل وخففت وبعد ذلك لبست الثوب الريش المطلسم وتزورت ورفرفت بأجنحتها وارتفعت ودارت حول القصر من داخل جوانبه وارتفعت إلى سقف القصر مثل النسيم ورجعت ولعبت انداب واطراب حتى حيرت النساء الكواعب والأتراب وتعجبوا منها غاية الاعجاب وبعدها نزلت وقالت حتى ارضع ولدى وأخذت الملك مصر ولدها على صدرها وألقمته ثديها.

قالت هلى أنا إذا كان معى ولدى اقدر اطير ثم انها جعلت محرمة على صدرها من الحرير وجعلت ولدها من داخلها فصار محفوظا فى صدرها ورفرفت حتى علت وحامت حول القصر ثلاث مرات وحطت على شرافته وهى بجانب عرق مكشوف إلى فوق قالت انا خائفة على ولدى لايقع منى ثم انها اكدت ان تحفظ ولدها فى حضنها وصارت تنظر اليهم وتنوع منهم بالنظر وهم باهتون اليها فقالت لها طامة يامنية النفوس يا اختى انزلى عندنا حتى تؤانس بعضنا ويكمل بك حظنا فقالت لها ياأختى لاتعجلى على فانى من زمان ما لبسته وهاهو قد جاءنى

بلا تعب ولا مشقة ولا نصب ثم انها ضحكت ضحكا عاليا فكادت أن تنفطر مرارة طامة وقد عادت على نفسها بالملامه وعلمت أن الحيلة تمت عليها فهى كذلك وإذا بالحكيمة عاقلة دخلت عليهم ونظرت إلى منية النفوس وهى مثل الطاووس فنظرت إلى بنتها بوجه عبوس وقالت لها بلسان الحالى أنت التى أعطيتها الثوب الريش المطلسم وتم الأمر علينا وتحكم فقالت طامة نعم يا أماه ومابقى لى قدرة على شيء وهى قد حلفت أنها تفرجنى كيف تطير وحلفت برأسك أنها ترده (قال الراوى) فرفعت رأسها الحكيمة عاقلة للملكة منية النفوس وقالت لها يا نور عينى ما تنزلى حتى أسلم عليك فأنا ما اتيت إلا مشتاقة إلى النظر إليك فاذن بابنتى حتى أتأنس أنا وأنت فقالت لها منية النفوس يا حكيمة والله أنا ما أريد أحد يؤانسنى فأنا تذكرت أهلى وجيرانى ومملكتى وديوانى وما القصد إلا المسير إليهم وأبل منهم شوقى وأنظرهم فلا تؤاخذونى وإذا غبت عنكم فاذكرونى فلما سمعت الحكيمة كلامها زاد وجدها وغرامها وقد علمت أنها لا تنفع علوم أقلامها فإن الثوب المطلسم يمنع عنها فصارت الحكيمه عاقلة تنشد هذه الأبيات وتقول صلوا على طه النبى الرسول :

نظرت إليها نظرة الخوف والقلق	وقلت انزلى لا تخلفى الشرط والرفق
فقالت بضحك يا حكيمة فارفقى	فقلبى لا يبغى النزول لمن رمق
فقلت لها لا تخلفى الوعد انه	قبيح ولو للبدر فى دارة الشفق
وعودى لنا فى حاجة قد بدت لنا	ولو ترجعى فى ظلمة الليل والغسق
وأدعوك بالله الذى رفع السما	بلا عمد والناس من نطفة خلق
فلا تحرمينا أنسكى ووددادكى	فبعدك عنا يجلب الشوق والحرق
وقوى اجبرى قلبى ولو قدر ساعة	ولا تتركينى بالقلقل والقلق
وإن سرت كيف الحال أو كيف فعلنا	إذ كان مثلك قال قولا وما صدق
وإن جاء سيف ذى اليزن مع وجاله	ولم يلق منية النفوس هنا انحمق

(قال الراوى) ثم إن الحكيمة عاقلة جعلت تلاطفها فى الكلام وقالت لها يامنية النفوس يابنتى انزلى يا قرة عينى وطاوعينى ولا تخالفينى فمنذ ذلك ضحكت منية النفوس على الحكيمة عاقلة وقالت لها لو كان لك مقدرة كنت سحرتينى ولزوج بنتك ياحكيمة قدمتينى وهذا شيء ما أجد إليه وصول وما بقى لكم عليه محصول وأنا لا بد لى من قطع البرارى والطلول وعن أرضى وبلادى لا أحول ثم أنشدت تقول هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على كثير المعجزات :

أرى البدر عاد للغرب من بعد ماشرق	وان ضياء البدو يفضح من سرق

فلا تسألوا عنى فانى غريبـــة ... وقلبى بالأشواق قد ذاب واحترق
واصل اتصالى عندكم كان حيلة ... وحلى المطلسم كان سيف اليزن سبق
وأشير إنى املكت فؤاده ... وكان قضاء الله فى حبه سرق
ولما تضافينا وأروى فؤده ... فلم يقتنع بى وإلى الغير قد رمق
فخليه يبلغ ما يشاء من ضرائرى ... وأما أنا فالبعد عنى به أحق
وإن جاءكم قولوا له قد توجهت ... إلى أوضها والأهل والحب والزفق
فكن صابرا للحب والعشق والجوى ... وإن كنت تسلوا تستريح من القلق
وإن كان ذا عزم وبأس وهمة ... وكان محبا لى وفى قوله صدق
إلى حين يسعى وكل أهيـــله ... بنات و من جا من ذ كر وبه احترق
وأزكى سلامى والتحيـــة دائماً ... عليكم جميعا كلما البرق قد خفق

(قال الراوى) ولما فرغت منية النفوس من شعرها و ما أبدته قالت لهم ياسادات أما أنا فما بقيت أنزل عندكم وإنما إذا حضر الملك سيف بن ذى يزن وسألكم عنى فقولوا له راحت إلى بلادها لأجل راحة قلبها وأكبادها ومعها أيضا ولدها ويعظم عليك وعلى ألف ملك أن يملك منية النفوس بنت الملك العبوس وبنات الملوك ما تأخذ بالسرقه بل بالكتاب والمصادفة وأنت سرقتنى من البنات وبليتنى بالضرائر والهجران ولكن كان الذى كان فإن كنت صاحب همة وثبات فتأتى إلى جزائر البنات وإن كنت إلى زوجك وولدك مشتاق فالحقهم إلى جزائر واق الواق ثم انها نيمت ولدها فى الحرم كما ذكرنا تحت صدرها وفردت أجنحتها ورفرفت وطارت وزالت تعلو وترتفع وهم ناظرون إليها حتى غابت عن العيون (قال الراوى) وأما الحكيمة عاقلة فكاد أن يعتريها الجنون فما كان لها إلا أن صارت تشتم بنتها وقالت إذا جاء الملك سيف من الصيد والقنص وطلبها فما الذى يخلصك منه فإنه يفتنك ويقول لك انت من الاصل كان مرادك قتلها من غيرتك منها ولما لم تمكنك قتلها تحيلت على حتى أخذت منى الثوب وألبستيه لها وأرسلتها إلى أهلها وهذا من غيرتك يامجنونة ياخائنة يا مفتونة فلما سمعت طامه من أمها ذلك الكلام بكت من شدة الوجد والآلام وقالت لأمها كيف العمل يا أماه فقالت إن الرأى عندى أن تكتمى هذا الحال ولا تعلمى أحدا من النساء ولا من الرجال وأنا أدبر ذلك الحال ثم إن الحكيمة عاقلة أحضرت تجاز وصنعت من الخشب صورة على قدر الملكة منية النفوس وبعدما فرغ منها دهنتها بدهان حتى بقيت كأنها لا تنقص إلا الروح فقطر بعد ذلك جعلته فى قصر منية النفوس ونيمتها على فراشها وبعد ذلك صاحت وولولت فدخلت جوارى منية النفوس فالتقوا سيدتهم الملكة منية النفوس ميتة فبكوا وصاحوا وشاع الخبر فى المدينة بأن منية النفوس ماتت وابنها

معها وبعد ذلك دفنوها فى القصر فى جانب من الحوش وشاع الخبر عند الدولة أن الملكة منية النفوس كانت تسكر فشرقت بالخمر وماتت وكان هذا الكلام والمناقلة من الحكيمة عاقلة فقال لها رجال الدولة وكيف العمل يكون يا أم الحكماء فقالت إن الملك فى الصيد والقنص وإذا أرسلنا له رسول قليل إن كان يجىء أو يقول ادفنوهم وأنا دفنتهم فى التراب ووار يتهم وإذا حضر الملك سيف بن ذى يزن وسأل عنهم نقول له ماتوا وإن قال لأى شىء ما أعلمتمونى أقول له هم إلى الآن من داخل الدار فدونك وما تريدوا افعل ما تختار فقالوا هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب وأما ما كان من أمر الملك سيف بن ذى يزن فانه بعد مدة أيام أقبل هو ورجاله من الصيد فرحين مستبشرين ودخلوا إلى مدينة حمراء اليمن وجلس الملك سيف فى الديوان ودارت به ارباب دولته ومازال إلى آخر النهار وانفض الديوان وطلع الملك سيف بن ذى يزن إلى القصر وسار إلى محل الحريم فوجد قصر منية النفوس مغلوق وعليه العنكبوت فحس قلبه بالمصيبة فصاح بصوت كأنه الرعد يفلق الحجر وقال إيش الخبر وأين هى زوجتى منية النفوس فقال له الخدم أيها الملك اعطينا الامان ونحن نعلمك بالذى جرى وكان فقال لهم عليكم الامان لكن اعلمونى بصدق البيان فقالوا له إن زوجتك طامة بنت الحكيمة عاقلة بعد مسيرك من هنا أرسلت للملكة منية النفوس فحضرت عندها وجلست معها فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وجعلوا يسكرون فشرقت منية النفوس وماتت فى شرقتها هى وولدها فجعلنا لها قبرا عندنا ودفناها فيه وهذا هو الخبر الصحيح الذى ما فيه تلويح

(قال الراوى) فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وتأوه وتحسر وبكى وأن واشتكى ونزلت دموعه على خدوده سلسال وأيقن لركن عزه بالزوال فأنشد وقال بعد الصلاة على باهى الجمال :

تكدر عيشى بعد ما كان صافيا	وبان الذى قد كان فى القلب خافيا
وهيج وجدا كامنا بين أضلعى	وأرسل دمعا جارح الخد جاريا
هوى من هواه القلب والروح والحشى	وأضنى الهوى جسمى وقد صرت باليا
فيا حسن أوقات مضت بوصاله	ويا أسفا قد زاد بالوجه دائبا
على فقد من لولاه ما عشت معذبا	وزاد شجوى والشحوب علانيا
فأهل الهوى وأهلى وإن كنت قاصرا	وحبى لهم قرب وإن كان قاصيا
فلا خير فيمن كان فى الحب كاذبا	ولا خير فيمن كان فيه موازيا
فقد فارقونى أهل ودى ويمموا	صعيدا وخلوا لى الديار خواليا
فيا حسرتى ما كان عهدى بأننى	إذا رحلوا أبقى حزينا وباكيا

سقاهم إله العرش من غيث فضله   سحائب مزن هاطلات هواميا

(قال الراوى) ولما فرغ الملك سيف من كلامه وشعره ونظامه تمشى وسار وعيناه مثل شعل النار ومازال حتى دخل على طامة فقامت له وتلقته بالسلامة وهنته فقال لها ياطامة أين زوجتى منية النفوس فقالت له مثل ماقال الخدم فلما سمع هذا الكلام صاح صيحة عظيمة ووقع مغشيا عليه ولم يزل فى غشوته إلى نصف النهار فأتوا له بماء ورد ورشوا على وجهه وزاد مصابه ووقع فلما أفاق ترغرغ وتذكر منية النفوس فلطم على وجهه ومزق ثيابه وصار مجنون ولا يدرى ما يكون وأقبل إلى القبر وقعد بجانبه على التراب وأكثر البكاء والانتحاب وترك النوم وبقى فى عذاب وامتنع عن الطعام والشراب وأقام كذلك عشرين نهارا وقد أشرف على الهلاك والدمار من بكاءه ليلا ونهارا هذا والحكيمة عاقلة توبخ بنتها بالكلام وأكثرت عليها العتب والملام وهى تقول لها فعلت يابنتى فعل أولاد الحرام واهلكت ملكا هو أكبر ملوك الإسلام وطامة لم تقدر أن ترد جوابا ولا تبدى خطابا وكلما تختلى بنفسها تكثر من البكاء والانتحاب (قال الراوى) ثم إن الحكيمة عاقلة نزلت إلى الملك سيف فوجدته قد علاه الاصفرار وأشرف على الهلاك والدمار فقالت له ارفق بنفسك ياملك الزمان فان منية النفوس ما ماتت بل هى على قيد الحياة كما أنت على قيد الحياة وأنا أعلمك بصدق الخبر واطلعك على جلية الاثر فقال الملك سيف بن ذى يزن وكيف ذلك يا أماه ردى لهفتى قبل أن أموت بحسرتى فعند ذلك حكت الحكيمة عاقلة ماجرى من الأول إلى الآخر وقالت فى آخر كلامها ولو كانت منية النفوس تحبك فما كانت تفارقك وهى تقول فى كلامها إن الملك مايقدر على فراقى ولا طرفة عين وإن علم بمسيرى فيتشتت لأجلى ويأتى خلفى جزيرة البنات ويقاسى العذاب واللوعات وكان هذا القول من الحكيمة عاقلة إشغالا للملك سيف حتى يجتهد فى طلب زوجته ولا يفكر فى طامة ولا يعاتبها فيما فعلته فلما سمع منها ذلك الكلام تهلل وجهه بالهداية عما كان فيه وتبسم ثم قال يا أماه ولاى شىء ما أعلمتينى بذلك الذى يبرينى من السقم والآلام وقد صار لى مدة زمانية وأنا فى كرب شديد ولا أقدر على حمل الغرام فقالت له أنا كنت خائفة عليك من الاعلام ولا أنطقنى إلا الملك العلام ففرح الملك سيف بن ذى يزن وأزال ما كان اعتلاه من تصاريف الزمن وقلع عن بدنه ثياب الحزن وغير ملبوسه بلبس الافراح ودخل الحمام وبات ليلة عند طامة وهو فى سرور وانعام فقالت له طامة والله ياملك إنى أخطأت فى أخذ الثوب الريش الذى لمنية النفوس وهى التى احتالت على حتى أخذته ولبسته وأخذت ولدها وسارت إلى بلدها فضحك الملك سيف وقال لها يا طامة إن منية النفوس يحق لها أن تتدلل على وأنا يجب على الاحتمال فإن من أراد النفيس فليخاطر بنفيس ومن حيث

إنها على قيد الحياة مابقيت أيأس من اجتماعى بها ولو تلفت روحى دونها فاغتاظت سرا من كلامه والليلة الثانية بات عند شامة وباسطها ولاعبها فقالت له ياملك انظر كيف فعلت طامة حتى أعطت الحل المطلسم إلى منية النفوس حتى راحت بلادها فقال لها مافعلت ذلك إلا خطأ وما كانت تعلم أن هذا يجرى ولما حلفت لها صدقتها لكون طامة قلبها طيب وصافى النية ولا تؤاخذها بما فعلت لأن لها عندى شافع جسيم وهى أمها الحكيمة عاقلة على قضاء حاجاتى وبلوغ إرادتى فأنت عينى اليمين وطامة عينى الشمال والجيزة قلبى ومنية النفوس عقلى وأسأل الله أن لايفرق بينى وبين أحد منكن ويجمع بينى وبين منية النفوس عن قريب إنه سميع مجيب والليلة الثالثة بات عند الجيزة وودعها وتودع من ولدها وقال لها ياجيزة لاتخلى أحدا ينظر ولدك حتى آتيه بأخيه مصرفان منية النفوس أخذته وراحت بلدها فقالت له ياسيدى الله يجمعك بها عن قريب فشكر ودادها والليلة الرابعة بات عند الملكة أم الحياة وفى هذه المدة كل يوم يطلع الديوان ويجلس على تخت حتى أن الدولة جميعا اطمأنوا بقعوده ولما كان يوم من الأيام أمر بزينة البلد وصنع ولمة ثلاثة أيام والناس مابقى لهم تذكار ولا حديث إلا فى منية النفوس فالبعض يقول إن طامة خنقتها والبعض يقول إن عاقلة سحرتها والبعض يقول إن أباها أرسل سحرها وجعلها حمامة وأخذها ونزل الملك مختفيا وكان لابس القلنسوة فسمع من الناس كلامهم وطلع الديوان وهو مختفى فسمع أرباب دولته يطلبون له الصبر والتدبير لأن داء العشق من نار السعير وأخيرا سار إلى قصر طامة وكانت أمها عندها وهى تقول لها ياطامة بدلت المليح بالقبيح وأتعبت سر الملك بعد ما كان مستريح وجعلتيه يكابد الغرام فقالت لها يا أماه وحق دين الإسلام ما كنت أظن أنها تفعل هذه الفعل بعد ماحلفت وأكدت الأيمان وأن بعلى لولا خوفه من الله تعالى لكان قتلنى وما منعه عن قتلى إلا كرمه وطيب أصله وفرعه لأن فعل الإحسان دائما طبعه فسمع الملك سيف ابن ذى يزن وخرج وأتى إلى الديوان وأمر العساكر بتزيين الخيام ونصبها خارج المدينة ففعلوا ما أمرهم وانتصب العرض خارج المدينة وطلعت العساكر وقعدوا فى الخيام هذا وقد ركب الملك سيف بن ذى يزن وطلع إلى الخيام حتى تكاملت حوله الملوك والمقادم والسحرة والكهان ولاحد قادر أن يسأله عماهو عليه عازم بل جميعا سمعوا أمره وامتثلوا اليه وجلس الملك بن ذى يزن وكل الدولة حوله وهو فى شغل وما أمرهم أن ينصرفوا إلى أماكنهم ولاعرض عليهم ولا شاورهم فى أمورهم ولا يقدرون أن يكلموه لكونه لابس ثياب الغضب فبينما هو كذلك وإذا بفعقعة كأنها الرعد القاصف وكل من سمعها بقى خائف وبعد قليل نظر

الملك سيف بن ذى يزن وهو جالس على تخته وإذا هى عاقصة أخته فنزلت إليه وبادأته بالسلام فرد عليها سلامها وقال لها ياعاقصة أتيت تذكرينى بهمى وغمى بعد ماقتلتى أمى فقالت له والله إنك ارتحت منها ومن فعلها وكيف لا أقتلها وفى كل وقت ترميك فى المهالك وهى كافرة بمالك الممالك وحق مقام الخليل إبراهيم إن جعت تذكرها ثانيا مابقيت أعود إليك فقال لها ياعاقصة دعينا منها وإنما أنا قصدى أن أسألك عن جزيرة البنات التى للملك العبوس أبو منية النفوس فقالت عاقصة ياملك أظن أن الملكة منية النفوس ملكت ثوبها الريش المطلسم ولبسته وطلبت بلادها فقال لها ولكن مرادى منك السؤال عن ذلك حتى أعرف إذا أردنا أن نسير بعساكرنا إلى تلك البلاد والآكام كم نقطع من الأيام فى البرارى والآكام فقالت له مسافة مائة عام فقال الملك سيف ياعاقصة وكيف البنات يقطعونها فى ثلاثة أيام فقالت عاقصة يا أخى السر فى الثياب المطلسمة فإن الطلاسم تمر بالمحمول تأخذ مسيرة الشهر فى دقيقة واحدة هذه من أسرار الحكماء المجتهدين فقال الملك سيف بن ذى يزن اتركينا من هذه السيرة وأنت ياعاقصة بينى وبينك صدق المحبة والوداد وهذه النوبة واعترض عارض ولا ينفعنى فيه غيرك لأن أهل الميت أولى بالبكاء وأنت أختى على كل حال فياهل ترى إذا قصدتك فى حاجة تقضيها فقالت نعم ولو كانت مهما كانت فاخبرنى عن حاجتك وأنا أبلغك أمنيتك ولو تلفت مهجتى دون مهجتك فقال لها حتى تحلفى لى بالله العظيم وبنبيه الخليل إبراهيم أن الذى أقول لك عليه تقضيه لى فقالت عاقصة يا أخى كأنك ما أنت عاقل وحق النقش الذى على خاتم سليمان ابن داود عليهما السلام أن كل ما تطلبه منى اجتهد فى قضائه مادمت على قيد الحياة ولا أتأخر عن قضاء حاجتك مادام فى جارحة تخفق ولسان ينطق وهذا غاية ما يكون من الإيمان ياملك الزمان فلما سمع الملك سيف بن ذى يزن تلك الأيمان الثابتات قال لها ياعاقصة يا أختى وصلينى إلى جزيرة البنات فهى عندى أعز الحاجات فانغاظت عاقصة وصرخت صرخة عظيمة فقال الملك سيف ولأى شىء صرخت فقالت له أخى وإيش مرادك من جزيرة البنات اخبرنى عن زوجتك منية النفوس أما هى عندك فقال لها ولو كانت عندى إيش أريد ببلادها ثم أعاد عليها القصة من أولها إلى آخرها وقال فى آخر كلامها أنا ماقصدى إلا ولدى فقالت عاقصة يا أخى اجعله ذخيرة عند الله ولا تلقى بنفسك للهلاك لانك إن وصلت إلى هذه الجزيرة تهلك فإنها أرض لايسلكها سالك وإن وصلت المدينة فما تقدر تعبر من بابها لأن على بابها غماز وله ثلثمائة وستون عون والغماز هو رصد الباب إذا رأى ذكرا على باب المدينة عبر يصيح فتصيح معه الثلثمائة وستين ويقولون ذكر دخل عليكم واسمه فلان وهو فى المحل الفلانى فإذا سمعوا أهل المدينة ذلك انطبقوا على الذى دخلها فيقبضوه ويقطعوه بالسيوف الحديد

بلا كلام ولا سلام وأهل المدينة كلهم بنات لا تعد ولا تحصى وهم فرسان وشجعان يركبون الخيل ويخوضون الليل ولم يكن عندهم ذكر الا ملكهم وهو الملك العبوس أبو منية النفوس وهو الحاكم عليهم فقال الملك سيف يا أختى ولأى شىء هذه المدينة كلها بنات وليس فيهم ذكر وايش أصل ولادتهم ومقامهم بغير رجال والله إن هذا عجيب فأعلمينى على هذا السبب فقالت عاقصة إن هذه الجزيرة اسمها جزيرة واق الواق وكان بها ملك يقال له كافور وكان طاعن فى السن وخلف ولدين ذكور أحدهم يقال له قاسم والثانى عاصم فبنى مدينتين وسمى واحدة عاصم والثانية قاسم على اسم أولاده ثم أنه أحضر أولاده وقال لهما علموا يا أولادى أنى جعلت هاتين المدينتين لكم بأسمائكم فإذا أنامت فيأخذ كل واحد مدينته التى على اسمه وذلك لأجل عدم اختلافكم بعدى وتكونوا مثل رجل واحد ولا يدخل بينكم عدو ولا حاسد فقالوا سمعا وطاعة ولكن يا أبانا زوجنا فى حياتك فقال صدقتم وكان له وزير ومعه بنتين فأمره أن يصلح شأنهما وخطبهما وأقام لهما فرحا شهرا كاملا وأدخلهما على أزواجهما فى ليلة واحدة فكان بالأمر المقدر حمل الزوجتين وأقاموا فى الحمل مدة ثلاثة شهور فمات الملك كافور أبوهم وقضى نحبه وواروه فى التراب وعلموا الناس بموت الملك كافور وعملوا العزاء وبقى الذى يعزيهم فى أبيهم يهنيهم بالملك الذى وصل إليهم وبعد أربعين يوما انقضى مجلس العزاء فقال لهم كبراء دولة أبيهم كل واحد منكم يأخذ مدينته التى جعلها أبوه على اسمه ولا يتعدى أحدكم على الآخر فقالوا هذا هو الصواب ثم أنهم باتوا ليلتهم فى مشورتهم مع بعضهم وعند الصباح أقاموا وزير أبيهم نائب على الجزيرة وأخذ كل واحد مدينته حكم ما أمرهم أبوهم وكل منهم أخذ خدامه واحتوى على بلده وداموا كذلك حتى أن نساءهم تكامل حملها لأننا قدمنا أنهم حملوا ابتداء الدخول بهم فلما أتاهم الطلق كما يشاء خالق الخلائق فأول من وضعت زوجة قاسم وأتت ببنت ووضعت بعدها زوجة عاصم ولد فعملوا ولائم تع فيها القاعد والقائم وكل واحد من الاثنين حضر وليمة أخيه وقال عاصم لأخيه قاسم يا أخى لا تعاند قدرة الله تعالى فالولد والبنت على حد سوء وإذا كبرت بنتك وابنى يتزوجون بعضهم ونحن نجتهد فى زواجهم لأجل أن يخلفونا ويسكنوا فى تلك الأرض من بعدنا فلما سمع قاسم من أخيه ذلك الكلام انغاظ فى الباطن وقال فى نفسه إن البنت ما هى مثل الغلام ولكن أخفى الكمد وأظهر الجلد وقال لأخيه يا أخى يكون ذلك إن شاء الله تعالى وتداولت الأيام والشهور والأعوام وكبر الاثنين فأرسل عاصم يخطب بنت أخيه قاسم لولده فلما وصلت القصاد إليه فرح بهم وأكرمهم وتركهم فى دار الضيافة وطلع سرايته وشاور بنته فى ذلك وقال لها إن أخى أرسل لى يخطبك لابنه للزواج فقالت له أنا ما أريد زواج فاترك لى هذا الاحتجاج ولم أخرج من

ملكى ولا أتزوج ابن عمى ولا غيره من الرجال وإن غصبتنى قتلت نفسى فلما سمع أبوها منها ذلك المقال قال لها وأنا هذا مقصودى ولا أريد بنتى تخرج من عندى أبداً وطلع من عندها وأتى للقصاد الذين أتوه من عند أخيه وقال لهم إن بنتى قالت ما أتزوج وأنا مايهون على أن أغضبها خوفا من غضبها وضررها ما أقدر عليه ولو كانت رضيت بالزواج فما كان لها أخير من ابن عمها ثم صرفهم لا فائدة فعادوا إلى ملكهم عاصم وأعلموه بما قال لهم أخوه قاسم فانغاظ وامتزج بالغضب وتسبب له الشيطان بكل سبب وقال وحق دينى وتربة أبى كافور لابد لى أن أغيظه فى نظير مامنع بنته عن زواجها لأبنى وكان فى تلك البلاد حكماء وكهان وأرباب أقلام بكثرة فجمعهم وقال لهم أنا قصدى منكم أن تجتهدوا لى فى بدعة لم يكن سبقنى عليها من قبلى وهو أن تجعلوا جميع البنات التى فى مدينة أخى كلهم يأتوا إلى مدينتى ولا يبقى عند أخى ولا بنت ولكم عندى كل ماتطلبوه فقالوا له سمعا وطاعة وخرجوا من عنده وعملوا لهم بيتا على قدرهم وأحضروا فيه كل مايحتاجون اليه من مأكول ومشروب لأجل أن لايخرجوا منه حتى يتموا أشغالهم وأقاموا فى ذلك البيت مدة أربعين يوم وخرجوا ومعهم بنت من الشمع الأبيض على هيئة بنى آدم ووضعوا تلك البنت فى وسط المدينة وبنوا عليها قبة عظيمة من الحجر الرخام ونقشوها بالكتابة بالأقلام وأحاطوا حولها دوائر سبعة بعلوم الأقلام وقعدوا الحكماء على كراسى من العاج وجعلوا يعزمون ويدمدمون إلى أن انتصف النهار وإذا باب مدينة قاسم انفتح وخرجت البنات منها وهن صارخات ويقلن نعم ياحكماء الزمان ومازلن سائرات حتى دخلن المدينة الثانية جميع البنات ووقفن بين يدى الحكام وهن مسـ[illegible] رأى عاصم هذا الحال فرح وأنعم على الحكماء إنعاما زائدا فقالوا له ياملك [illegible] لصنع عملا أقوى من ذلك فقال لهم وما هو العمل فقالوا له نعمل رصدا على [illegible]ينة لايصل إليها رجال ولايخرج منها النساء إلا إذا بطلت الأرصاد وهذه بدعة حسـ[illegible] وفيها مكيدة لأخيك فقال لهم افعلوا مابدا لكم فسار الحكماء إلى أبواب المدينة ورسموا عليها طلاسم بعلوم الأقلام وجعلوا عليها أرصادا لمنع الذكور أن يدخلوا فيها ولايصلوا إليها فقال لهم الملك عاصم أريد منكم أن تعملوا رصدا للغريب إذا أراد أن يدخل مدينتى ليصيحوا عليه الأرصاد ويخرجوا أهل المدينة يقبضوه وبالسيوف يقطعوه فقالوا له الحكماء ياملك إذا كانوا سكان أهل المدينة كلهم بنات فمن أين يكون [illegible]جال يردون الغريب لاسيما إذا كان الخصم فارس نجيب فقال الملك عاصم صدقتم وأنا أيضاً أريد البنات يتفرسون

(انتهى المجلد الأول ويليه المجلد الثانى وأوله الجزء السادس)